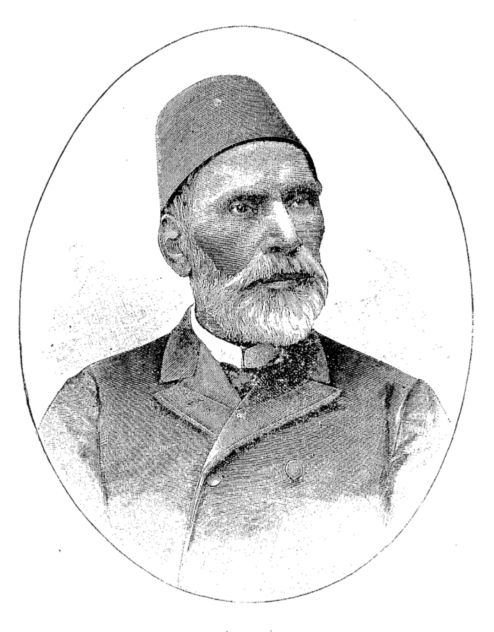

Bibliotheca Alexandrina
00118142





المرحوم عبد الله فكرى باشا

ناظر المعارف المصرية — ولد سنة ١٢٥٠ وتوفي سنة ١٣٠٧ هجرية



الآثار الفكرية

تشتمل على ماتيسر العثور عليه من نظم ونثر المرحوم

عبدالله فكرى باشا

ناظر المعارف المصريه

مفتتحة بترجمته مذيلة ببعض مارثاه به أفاضل شعراء العصر

جمعها نجله

أمين فكرى باشا

ناظر الدائرة السنيه

(الطبعة الاولى)

بالمطبعة الكبرى الاميريه ببولاق مصر المحميه

سنة ١٣١٥ هـ

١٨٩٧ م

أبتدئ بسم الله الرحمن الرحيم وأثني بالصلاة والسلام على النبيّ الكريم

وبعد فاني بناء على طلب الكثير من الاحبا ووفاء بما وعدت به في كتاب رحلتي « ارشاد الالبا » قد جمعت في هذا الجزء ما عثرت عليه من أشعار سيدي الوالد المرحوم وما وصلت اليه من كتاباته النثرية مضيفا الى ذلك شرحه للقصيدة الاولى من ديوان سيدنا حسان بن ثابت رضي الله عنه ثم « تحصيل الحاصل » مبتدئا بترجمته التي نظم عقدها حضرة الاستاذ العلامة الفاضل الشيخ محمد عبده مختتما ببعض ما رثاه به أفاضل شعراء العصر وقد علقت على بعض كلمات من أشعاره تعليقات ربما احتاج اليها القارئ

ولقد لقيت في جمع ما تشتت من منظومه ومنثوره صعوبات شتى لانه لم يجمعها هو بنفسه بل أخذت في الجدّ والاجتهاد حتى حصلت بعد البحث الطويل على بعض مكاتبات له كان استنسخها الأجلي منذ كنت صغيرا من بعض أصحابه الذين كاتبهم بها وبعض مكاتبات كنت اطلعت عليها منه قبل ارسالها لمن أرسلها اليهم فأخذت صورها ومكاتبات أرسلها اليّ بعض أصحابه الذين كاتبهم بها بناء على طلبي لها منهم وأضفت الى ما ذكر ما وجدته في بعض مسودّات له وما ألفيته في بعض الجرائد

وسميته « بالآثار الفكرية » وجعلته تقدمة للحضرة الخديوية العباسية راجيا أن تحظى من لدنه بالقبول وأن تنال من رضاه المأمول لازالت دولة العرفان زاهرة في حمى دولته وجنود الآداب ظافرة بالمرام في ظل رايته ولا برح ملاذ من نظم وكتب وموئل من أنشد وخطب

ولا زالت الايام تشدو بحمده * علينا وتدعوه العلى فيجيب

تحريرا بكوبرى القبة في ١٢ أبريل سنة ١٨٩٧

أمين فكري

الترجمـــة

لما كان المرحوم الامير عبدالله باشا فكرى من الرجال الذين يندر وجود أمثالهم ويعز فى الناس مثل حالهم رأيت أن آتى بشيء مما يحضرنى فى ترجمته تغمده الله برضوانه ورحمته

ولد المترجم فى أوائل شهر ربيع الاول من عام ١٢٥٠ من الهجرة وهو ابن محمد افندى بليغ ابن الشيخ عبدالله ابن الشيخ محمد وكان جده الشيخ عبدالله من العلماء المدرسين بالازهر مالكى المذهب اقتداء بأسلافه الذين كانوا من أكابر العلماء وقد أخذ جده العلم عن أجلاء مشايخ الوقت خصوصا العلامة الشيخ عبد العليم الفيومى الشهير بالعلم والبركة والكرامة وكان رحمه الله مقرئه فى الدرس ولما دخل الفرنساوية مصر القاهرة رحل الشيخ عبدالله الى منية ابن خصيب فأقام بها مدة ثم عاد الى القاهرة واشتغل بتدريس العلم كما كان الى أن توفى ودفن ببستان العلماء من قرافة المجاورين بالقرب من ضريح الشيخ على العدوى المالكى المعروف بالشيخ الصعيدى وكذلك نشأ ابنه محمد افندى بليغ والد المترجم له على جادة أبيه يتلقى العلوم بالازهر حتى نبغ فى علومه ثم دخل المدارس الملكية ومهر فى العلوم الرياضية الى أن عد من مشاهير المهندسين واتصل بخدمة الحكومة ثم دخل فى عداد ضباط الجيش وترقى فيها الى رتبة صاغقول أغاسى وشهد مع الجنود بعض الحروب خارج الديار المصرية ومما شهده معهم غزوة بلاد موره وبعد انقضائها رجع منها بوالدة المترجم ثم رحل بها مع الجيوش المصرية الى بلاد الحجاز وهناك رزق منها بولده عبدالله هذا بمكة المشرفة فى التاريخ السابق ومن الاتفاق الحسن أن تاريخ ميلاده وافق جمل قوله تعالى « قال إنى عبدالله آتانى الكتاب » ١٢٥٠ ويفسر الكتاب بالكتابة كما هو مدلوله اللغوى وقد جاء المترجم بديع زمانه فى فنون الكتابة حتى قيل انه لو تقدم به الزمان لكان له بديعان ولم ينفرد بهذا اللقب علامة همذان ولما كبر رقم تلك الآية على خاتم له كان يختم به كتبه

ثم رجع به والده الى القاهرة ولم يزل كذلك فى خدمة الحكومة حتى صار باشمهندس الشرقية وارتقى منها الى وظيفة مفتش هندسة الجيزة والبحيرة وبقى كذلك الى أن توفى بمصر فى ٢٩ شوال سنة ١٢٦١ ودفن مع والده وكان مع براعته فى الفنون الرياضية كريم الاخلاق تقيا صالحا . وكان المترجم عند وفاة والده لم يبلغ الحلم فنشأ يتيما فى حجر بعض أقارب أبيه من السادة العلوية وكان اذ ذاك مشتغلا بتعلم القرآن

الشريف

الشريف فلم يزل كذلك حتى أتمه وجوده واستمر على تلاوته مدة يختم فى اليومين والثلاثة ختمة ثم اشتغل بطلب العلم فى الجامع الازهر وتلقى العلوم المتداولة به كعلوم العربية والفقه والحديث والتفسير والعقائد والمنطق عن اجلاء علمائه كالشيخ ابراهيم السقاء والشيخ محمد عليش والشيخ حسن البلتانى وغيرهم وكان مع هذا يشتغل باتقان اللغة التركية ثم وظف بالقلم التركى فى الديوان الكتخدائى أوائل جمادى الآخرة سنة ١٢٦٧ ولم يقطعه التوظف عن طلب العلم فى الازهر كل يوم قبل ذهابه الى الديوان وبعد ايابه منه الى أن كثرت أشغاله فلم يستطع الذهاب اليه الا أنه كان يشتغل بعلومه تارة وحده وتارة مع استاذه الشيخ على خليل الاسيوطى وهو من جهابذة اللغة والفلسفة والسنة ومقامه الآن فى بلدة يقال لها بنى خالد على الشاطئ الغربى من بحر يوسف بقسم ملوى من مديرية أسيوط

ثم انتقل المترجم من الديوان المذكور الى ديوان المحافظة ثم الى الداخلية بوظيفة مترجم الى أن التحق بالمعية الخديوية أيام حكومة المرحوم سعيد باشا واستمر بها فى خدمة الكتابة بقلم التركى تارة وبالعربى تارة الى أن توفى سعيد باشا سنة ١٢٧٩ وخلفه على الحكومة الخديوى المغفور له دولتلو اسمعيل باشا ورحل معه الى الاستانة لما مضى اليها لاستكمال الرسوم فى تقليد الولاية وأداء الشكر للحضرة السلطانية ثم عاد معه واستمر فى خدمته بمعيته وسافر الى اسلامبول مرارا فى عمل الكتابة تارة مع الجناب الخديوى وتارة مع الحرم الخديوى وفى بعض أعمال أخرى ورقى الى رتبة بيك المعروفة بالرتبة الثانية فى أوائل سنة ١٢٨٢

ثم عين فى سنة ١٢٨٤ من قبل المرحوم اسمعيل باشا الخديوى المشار اليه لملاحظة الدروس المشرقية أعنى العربية والتركية والفارسية بمعية أنجاله الاماجد وهم المغفور له الخديوى توفيق باشا وأخوه صاحب الدولة البرنس حسين باشا والمرحوم البرنس حسن باشا ومعهم المرحوم البرنس ابراهيم باشا أحمد والمرحوم طوسون باشا ابن المرحوم سعيد باشا وبعث المغفور له الخديوى اسمعيل باشا بخطاب من لدنه لجناب الخديوى السابق دولتلو المغفور له توفيق باشا يذكر فيه أنه عين المترجم لهذه الوظيفة مع احتياجه لبقائه فى معيته فآثرهم على نفسه لفرط اعتنائه بتقدمهم فى المعارف ويحثهم على أن يقدروا هذه العناية والرعاية حق قدرها ويجدوا ويجتهدوا فى تحصيل العلوم فأقام يباشر أمرهم فى التعليم والتعلم والتدرج فى الفضل والتقدم فكان أحيانا يباشر التعليم بنفسه وأحيانا يقوم بمراقبة غيره من المعلمين وملاحظة القاء الدروس وتقويم طريقة التعليم فلم يزل على ذلك الى أن ترقى الجناب التوفيقى

الى رتبة الوزارة والمشيرية وتوجه الى دار الخلافة لاداء رسوم الشكر على ذلك للجناب السلطانى فصحبه المترجم الى دار السعادة وبقى معه مدة المقام بها الى أن عاد معه

وبعد مدة نقل الى ديوان المالية سنة ١٢٨٦ فأقام أياما ثم عهد اليه النظر فى أمر الكتب التى كانت للحكومة فى ديوان المحافظة وابداء رأيه فيها فلبث مدة يتردد على ذلك الديوان وينظر فى الكتب ثم قدم تقريرا مفصلا ضمنه بيانها وما رآه فى حالها وذكر فيه أن بقاءها على حالتها لا يحسن ولا يفى بالغرض من حفظها ولا يمكن من الانتفاع بها ومن الواجب أن تجعل فى حالة يتأتى معها انتفاع الناس بها إما بانشاء محل خاص تحول اليه ويجعل فيه ما فيه الكفاية لها من الخزائن وتودع به على الوضع الموافق وإما باحالتها على ديوان المدارس لتودع فى المكتبة التى كان يقوم بانشائها سعادة على باشا مبارك ناظر المعارف اذ ذاك على سعة لا تضيق بهذه الكتب وأمثالها وأوضح أن الوجه الثانى أولى وقد حصل ذلك على وجه ما قرره وبذلك استنقذت تلك الكتب النفيسة من متالف التشويش والاهمال وكشفت عنها حجب الخفاء والاغفال ورفعت الى منصات الظهور وحسن النظام ورتبت ترتيبا حسنا فى المكتبة المذكورة وهى الكتبخانة الخديوية المعروفة الشهيرة فى سراى درب الجماميز

فلما أتم هذا العمل وكان المجلس الخصوصى الذى خلفه مجلس النظار فيما بعد مشتغلا بجمع القوانين واللوائح وقراءتها وتنقيحها وتعديلها طلب من المالية للعمل فى ذلك وسلمت اليه القوانين واللوائح التركية فأخذ يشتغل بعملها الى أن انفصل من الخدمة فى أوائل رجب سنة ١٢٨٧ ورتب له معاش بقدر ربع راتب وظيفته المنفصل عنها وبقى كذلك الى آخر السنة المذكورة

وفى أوائل سنة ١٢٨٨ عين وكيلا لديوان المكاتب الاهلية وكان ناظر الديوان المذكور سعادة على باشا مبارك وفى آخر صفر سنة ١٢٩٤ رقى الى رتبة المتمايز وفى رجب سنة ١٢٩٦ صار وكيلا لنظارة المعارف العمومية ورقى الى رتبة ميرميران

ثم فى أوائل سنة ١٢٩٩ ضمت اليه وظيفة الكاتب الاول بمجلس النواب مع بقاء الوظيفة المتقدمة وفى ربيع الاول سنة ١٢٩٩ فوضت اليه نظارة المعارف العمومية

وفى رجب من السنة المذكورة استقال من وظيفته مع النظار الذين كانوا معه بناء على ما حصل حينئذ من الفتنة والاضطراب والخلف بين رئيس النظار وجناب الخديوى السابق أثناء الحادثة العسكرية المشهورة وفى آخر السنة المذكورة عقب الثورة سجن فى ضمن من سجن بتهمة الاشتراك فيها مع كثير من العلماء والامراء وغيرهم وكان

ذلك

ذلك بسبب ماوشى به بعض المفسدين وقد ثبتت براءته من تهمة الاشتراك فيها بعد التحقيق الذى أجراه من كان مفوضا اليهم أمر هذه الحادثة فأفرج عنه وخرج من السجن وبقى معاشه موقوفا والتمس مقابلة الجناب الخديوى فلم يسمح له بذلك فنظم فى ذلك قصيدة سارت مسرى الامثال فى الشهرة يستعطف بها الحضرة التوفيقية أمطرها الله سحائب الرحمة ويتنصل مما افتراه عليه المفترون ونحى فيها منحى النابغة فى اعتذارياته ومطلعها

كأنى توجه وجهة الساحة الكبرى * وكبر اذا وافيت واجتنب الكبرا

فلما عرضت على المغفور له أجلها وأحلها من القبول محلها وسمح له بالمثول بين يديه وأقبل عليه وأطلق معاشه فنظم قصيدته التشكرية الطنانة المشهورة التى مطلعها

لى الله من عانى الفؤاد متيم * ولوع بعفرى بالدلال منعم

وقد ضمنها واقعة الحال مع التنصل والشكر فزادت عن تسعين بيتا

وفى سنة ١٣٠٢ توجه الى الحجاز لاداء فريضة الحج فلاقى من علماء الحجاز وأدبائه بمكة المكرمة والمدينة المنورة ما يليق بمقامه الجليل من الاعظام والتبجيل وله فى هذه الرحلة مقال يعرف بالرحلة المكية

وفى سنة ١٣٠٣ سافر من مصر لزيارة بيت المقدس والخليل ومعه نجله أمين باشا فكرى فصادف من العلماء والعظماء اكراما بتلك الديار يليق بقدره ويجدر بفضله وبعد اتمام المندوب من زيارة مقامات الانبياء والاصفياء والاعتبار بمشاهدة آثار الصديقين والشهداء والملوك والامراء انعطف الى بيروت قصد السياحة وتبديل الهواء فأقام بها مدة تقل عن الشهر ومقامه منتدى الفضلاء ومشرع العلماء والادباء يحف به فى أغلب أوقاته الوجوه والاعيان وترد اليه الاجلة من قاص ودان ثم ارتحل الى دمشق ونزل فى بيت حضرة الاستاذ الشيخ محمد الخانى وأقبل عليه علماء الشام وذووا الوجاهة والفضل منهم يحاضرونه ويذاكرونه فرأوا من سعة العلم ووفرة العرفان مالم يكونوا ينتظرونه وشهد له فقهاؤهم بالتضلع من علوم الشريعة وفصحاؤهم بالبراعة فى كل بديعة ومحدثوهم بصحة الرواية وعقلاؤهم بكمال الدراية ولايزال أثره بينهم مأثورا وفضله على ألسنتهم مذكورا ثم رجع من دمشق الى بعلبك وأخذ طريق الجبل الى بيروت وأقام بها مايقرب من الشهرين وله فى وصف مسيره من دمشق الى بعلبك خطاب الى حضرة الشيخ عبد المجيد الخانى نجل الاستاذ الشيخ محمد الخانى وهو من أشهر أدباء دمشق وفضلائها وقد اشتهر ذلك الكتاب بالرحلة البعلبكية وأوله

« أهدى اليك من منعشات التحية والسلام وأتلو عليك من مدهشات الشوق والغرام » الخ

وفى سنة ١٣٠٦ تعين رئيسا للوفد العلمى المصرى فى المؤتمر الذى انعقد فى مدينة استوكهلم عاصمة السويد والنرويج وصحبه سعادة نجله أمين باشا فكرى عضوا فى هذا الوفد وقبل سفره من اسكندرية أحسن اليه الجناب الخديوى بالنيشان المجيدى من الدرجة الثانية وقدمر فى وفادته المذكورة على تريستا من أعمال النمسا وفنيسيا (البندقية) وميلانو من أعمال ايطاليا ولوسرن من أعمال سويسرة وباريس فأقام بها أكثر من عشرين يوما عنى فى أثنائها بالنظر فيما حوته المدينة وضواحيها وكان اذ ذاك المعرض فشاهد فيه من عجائب الصنائع وفنون الغرائب ماشاء الله ثم بارحها الى لندرة ومنها الى روتردام ولاهى من أعمال هولانده وليدن من أعمالها أيضا وزار مكتبتها الشهيرة ودار طباعتها المشهورة بطبع الكتب المشرقية ثم توجه منها الى كوبنهاج عاصمة الدانيمرك ومنها الى استوكهلم حيث تجتمع الوفود فنال من العلماء الوافدين الى استوكهلم وكرستيانيا مزيد الرعاية والتبجيل وأهداه اسكار الثانى ملك السويد والنرويج عند نهاية العمل فى المؤتمر نيشان « وازه » من الدرجة الاولى ومر فى العودة على برلين عاصمة بلاد المانيا وعلى ويانة عاصمة بلاد النمسا فلقى بهما ما لقيه فى العواصم الأخرى من الاحتفاء وقد أخذ بعد عودته الى مصر يجمع المواد ويعد المعدات لتحرير رحلته التى وعد أن يضمنها ذكر ما شاهده فى مجتمع العلماء ومنتدى الفضلاء فى عاصمة السويد والنرويج ومارآه فى العواصم التى مر بها وما وجده فى نفسه وتمثل به خياله من جميع ماذكر ولكن منعه عن استمرار السير فى ذلك مرض السكتة الذى اعتراه فى شهر رجب سنة ١٣٠٧ فأجل اتمامها الى ما بعد استكمال العافية ولكن عاوده المرض بعد ظهر الخميس ٧ ذى الحجة وهو عائد من أبعاديته بتل حوين وتزايد عليه رغما عما اتخذ لايقاف سيره من الحيطة الصحية حتى وافاه الاجل المحتوم فى الساعة الثانية من صباح يوم الاحد عاشر ذى الحجة سنة ١٣٠٧ وهو يوم عيد الاضحى وشيع محمولا على هامات الوقار والتبجيل تودعه المحاجر والقلوب

وقد تنزل جناب المغفور له الخديوى السابق بالتعطف على أهله وأولاده فعزاهم بالتلغراف من مدينة اسكندرية عندما وصل الى مسمعه الشريف نبأ وفاة هذا الامير الجليل ولم يكتف بذلك بل أظهر رحمه الله ما كان للفقيد من المنزلة عنده سموه فأرسل رسولا خاصا ليبلغ تعزيته السامية الى أنجاله وعائلته

وقد كان رحمه الله تعالى من الطبقة الاولى فى النظم والنثر اشتهر بفصاحة القلم

من

من ريعان شبابه وكان على تأخره فى الزمان يذهب فى نثره ونظمه مذهب البلغاء من أبناء اللسان تمتزج عباراته بالارواح رقة وتسرى معانيه الى عمائق القلوب دقة ولاشئ أسلس من نظم سجعه الاماوهب من طبعه

وقد كتب عن سعيد باشا المرحوم فى أيام حكومته جملة كتب الى بعض الملوك وغيرهم وعن المرحوم اسمعيل باشا خديوى مصر كذلك وعن لسان والدته رحمة الله عليها وحرمه المصون الى جناب السلطان عبد العزيز رحمه الله والى حرمه ووالدته وقضى غالب أيام خدمته للحكومة فى أشغال الكتابة باللغتين التركية والعربية والترجمة من احداهما الى الاخرى ونوه بفضله كثير من معاصريه منهم الاديب الماهر الناظم الناثر المرحوم أحمد أفندى فارس صاحب الجوائب فى الجوائب وغيرها وذكره فى كتابه «سر الليال» حين تكلم على السجع قال (وممن برع فى هذا العصر وحق له به الفخر فى الانشاآت الديوانية وهى عندى أوعر مسلكا من المقامات الحريرية الاديب الاريب الفاضل العبقرى عبد الله بيك فكرى المصرى فلو أدركه صاحب المثل السائر لقال كم ترك الاول للآخر فسبحان المنعم عما شاء على من شاء ومن أجل تلك النعم الانشاء) وقد أورد جملة من منشآته الفاضل المرحوم الشيخ حسين المرصفى فى الجزء الثانى من كتابه « الوسيلة الادبية للعلوم العربية » قال فى صحيفة ٦٧٢ من الجزء المذكور « اذا قرأت متأملا حق التأمل ما نقلناه لك من انشاء ذوى العصور المتتالية عرفت كيف اختلاف مذاهب الناس فى الانشاء واذا يسلك بك التوفيق الى اختيار طريقة تناسب أحوال بنى وقتك وتوافق أفهامهم اذا دعتك داعية للانشاء المصنوع هذا وأنفع ما أراه ينبغى لك أن تتخذه دليلا يرشدك الى كل وجه جميل من وجوه الفنون التى تحاول فيها أن تكتب الكتابة الصناعية المناسبة لوقتك الذى تأمل أن تعيش فى رضا أهله عنك واعترافهم بفضلك وربما يعود منك عليهم نفعه منشآت الامير الجليل صاحب الوقت الذى لو تقدم به الزمان لكان له بديعان ولم ينفرد بهذا اللقب علامة همذان عبد الله فكرى بيك أطاب الله أيامه وأعلى كما نرجوه منه تعالى حيث كان مقامه الى آخر ما قاله »

وللمترجم فى الادب آثار كثيرة منها المقامة الفكرية فى المملكة الباطنية المطبوعة فى سنة ١٢٨٩ ومنها الفوائد الفكرية ومنها شرح بديعية محمود أفندى صفوت ومنها جزء من شرح ديوان حسان بن ثابت رضى الله عنه ومنها تعليقات على منظومة المرحوم أحمد خيرى باشا وهى منظومة تتضمن حكما ومواعظ ومنها كتاب « نظم اللآل فى الحكم والامثال » طبع سنة ١٣٠٨ هجرية ومنها رسالة فى الدينار ومنها رسالة فيما اتفق

لفظه واختلف معناه من بلاد مصر ومنها كتاب آثار الافكار ومنثور الازهار طبع منه تسع ملازم بروضة المدارس ومنها اتحاف المشتاق بأخبار العشاق ولم يتم ومنها الفصول الفكرية للمكاتب المصرية ومنها موارد القرآن وهى رسالة طبع بعضها بالعدد الثانى والثالث والسادس من السنة الثانية بروضة المدارس ومنها رسالته التى كتبها فى المقارنة بين الوارد فى نصوص الشرع والمقرر فى علم الهيئة الفلكية وغير ذلك سوى المراسلات والمقالات التى لو جمعت كانت مجلدات

تقدم أنه رحمه الله تولى وكالة ديوان المكاتب الاهلية مدة طويلة ثم عين وكيلا للمعارف ثم ناظرا لها

وكانت المكاتب أول ما تولاها فى أدنى درجة من النظام ولم تكن الا من النمط الذى يسمى الآن كتاتيب ثم ارتقت فى عهده الى أن صارت حافلة وبمبادى العلوم النافعة آهلة خصوصا العلوم العربية التى رفع منارها وأعلى شأنها وجعل أسلوب تعليمها على الطريقة المؤدية الى الغرض من دراستها فوضعت القوانين لسير التعليم فى تلك المكاتب ورتبت دروسها على الوجه الموصل الى الغاية منها ورسخت فى الانتظام قواعدها وظهرت للعامة والخاصة فوائدها وأقبل الناس عليها واتالوا أبناءهم اليها حتى أصبحت حافلة بالتلامذة يتولى أدبهم أفضل الاساتذة وصارت مادة غذاء للمدارس الاميرية وسلما يرقى عليه الى المدارس الخصوصية

وكان رحمه الله ممن جعل لمن تفوض اليه نظارة المعارف يشركونه فى مهمات الاعمال ويستمدون رأيه فيما يلم من الاحوال يستضيئون برأيه فى المشكلات ويهتدون بفكره فى حل المعضلات يرشدون الى مواضع الصواب بمصباح علمه ويستكشفون ما غمض من المقاصد بلسان قلمه فله رحمه الله فى تاريخ المعارف المصرية أعمال تذكر وآثار تؤثر وتشكر وله فى تقدمها أياد يقدرها العارفون ولا ينكرها الجاهلون نخص بالذكر ما كان من سعيه فى اصلاح طرق تعليم اللغة العربية فى المدارس الاميرية بعد ما كان منه فى المكاتب الأهلية فقد كانت دروس تلك اللغة على النمط القديم يبدأ التلميذ مثلا بتعلم وجوه اعراب البسملة ثم يشتغل باعراب متن الآجرومية ثم ينتقل مما لا يعرف الى ما يجهل حتى تنتهى أيام دراسته وهو أبعد عن اللغة العربية منه عندما ابتدأ فى تعلمها فأماط رحمه الله بارشاده ذلك الاذى من طرق الطالبين وابتدأ الاساتذة والتلامذة من عهده يدرجون على الجادة القويمة من حسن الى أحسن حتى أثمر غرسه وطاب جناه وما طالما تمنيناه فهو الفاتح لهذا الاصلاح الجديد والمختط لسننه رحمه الله

وكان لصاحب الترجمة اطلاع واسع في العلوم الدينية على اختلافها وله في رواية الحديث طرق عديدة وأسانيد سديدة بعضها أعلى من بعض أجازه بها الاشياخ الاكابر بالسند المتصل كابرا عن كابر فمن ذلك روايته عن الشيخ ابراهيم السقا عن أشياخه كالشيخ ثعيلب والشيخ الامير الصغير عن والده الشيخ الامير الكبير وغيرهما وروايته عن الشيخ على بن عبد الحق الاقصرى الحاجى الشهير بالقوصى عن الشيخ الامير الكبير المذكور وروايته عن السيد على خليل الاسيوطى عن الشيخ على القوصى المذكور وروايته عن الشيخ عبد الواحد ابن السيد منصور الربانى المتوفى سنة ١٢٧٩ عن السيد داود عن السيد المرتضى الزبيدى محدث وقته المشهور بعلو السند صاحب شرح القاموس وغيره وروايته عن الشيخ عبد الواحد المذكور عن شيخه الشيخ عبد الله الشرقاوى شيخ الجامع الازهر فى وقته صاحب حواشى التحرير وغيرها وروايته لسند الشيخ الشرقاوى المذكور عن شيخه السيد على خليل المذكور عن شيخه الشيخ ابراهيم الباجورى شيخ الازهر فيما سبق عن شيخه الشيخ عبد الله الشرقاوى وبطريق شيخه السيد على خليل المتقدم ذكره روى بعض المسلسلات المشهورة وقد تلقى طرقا من طرق السادة الصوفية رضوان الله عليهم عن أكابر من أفاضل المشايخ الواصلين فمن ذلك طريق السادة الخلوتية عن الشيخ على حكشة المدفون عند ضريح السلطان أبى العلا ببولاق وقد صاحبه المترجم مصاحبة المريد للمرشد وانتفع على يديه وتلقى الشيخ على حكشة تلك الطريقة عن شيخه الشيخ صالح السباعى المدفون فى قبته عند باب قبة الشيخ أحمد الدردير الشهير بمالك الصغير وتلقاها الشيخ صالح عن الشيخ الدردير عن مشايخه الذين ذكرهم فى كتابه التحفة وقد نظم المترجم رجال سلسلة هذه الطريقة فى منظومة له طبعت سابقا وهى من أول نظمه

وكان رحمة الله عفيفا نزيها مبالغا فى اتقاء الشبهات متشددا فى التحرج من المحظورات فنفسه كما قال « تعاف الدنايا أن تمر بها مرا » تبرجت له الدنيا فى أحسن حلاها وتعرضت له فى أبهج زينتها وأعلاها وتوسلت اليه أن ينال منها فكان كما قال

ولو شئت كانت لى زروع وأنعم * ومال به الآمال أقتادها قسرا

فقابل الاقبال منها بالاعراض عنها واختار حلية الشرف على لذة الترف وآثر الفضيلة على المنافع الجزيلة ورضى بالكفاف مع مزية العفاف فباء بالثناء المخلد ولسان الصدق المؤبد وكان شديد التمسك بأحكام دينه متبصرا فى اعتقاده ويقينه صافى الاعتقاد مما يؤخذ عليه بالانتقاد يرى الاسلام دين الدهر لا تنقضى

أيامه ولا تقصر عن مصالح الازمان أحكامه يتفق مع أصول المدنية وينهض بالامم فى جميع مراتب الانسانية لا ينافى حقيقة علمية قطع بها البرهان ولا يأبى لأهله تحلية الاذهان بالوقوف على أسرار عالم الامكان بل يسوقهم الى البحث فى كل كائن كان توصلا الى ادراك الحقائق على قدر الامكان فكان رحمه الله مع الشدة فى دينه ميالا للنظر فيما كشفه المتأخرون وانتهى اليه فى بحثهم الناظرون داعيا الى التفنن فى المعارف الجديده حاثا على احراز فوائدها العديدة يرشدك الى ما نقول ما كتبه فى حركة الأرض وبعض مسائل فلكية فقد ذهب فيه الى تطبيق ما انتهى اليه النظر على ما جاء فى الكتاب والسنة وصحيح الأثر فكان يذهب الى أن كل كمال حقيقى يرجع عنده الى أصل دينى فدينه مع صحته يسع كل كمال بالغا ما بلغ من غايته غير أنه كان لا يستحسن تقليد الاورباويين فى غير الفضائل ولا يجد مزية لتغيير العوائد بما ليس تحته طائل بل كان يقول ما احتجنا اليه أخذناه وما استغنينا عنه تركناه وما يتفق مع مصالحنا الحقيقية نأخذه وما يفسد من ملكاتنا وأخلاقنا ننبذه وفى مقاله رحمه الله مما يؤيد رأيه هذا شئ كثير وبيان شهير

وكان رحمه الله رؤفا رحيما بارا كريما سلس الاخلاق لين الجانب لطيف المحاضرة بعيدا عن المعاسرة قريبا الى المياسرة ينتصف من نفسه فى الحق ولا ينصرها فى الباطل لا يأبى أن يقول أخطأت متى أقنع ولا يخشى اذا ظهر له خلاف رأيه أن يرجع فكان الحق أميره والهوى أسيره يأتمر لذلك فى كل أمره ويخضع هذا السلطان قهره وكان صادق اللهجة لا ينطق بكلمة حتى تكون لها فى نفسه حقيقة واقعه

وبالجملة فكانت له صفات تجمع من الفضائل ما يندر فى غيره وقد كانت البلاد فى أشد الحاجة اليه وكانت آمالها تحوم عليه فخسرت بفقده أجل نصير ولكن الحكم لله نعم المولى واليه المصير

وقد كنت ذكرت شيأ من نظمه ونثره فيما سبق ليكون نموذجا لآثاره ولكننى الآن أدع ذلك للاطلاع على بعض ما جمع من نثره ونظمه ففيه الكفاية لمن يريد الوقوف على شئ من دليل فضل الفقيد رحمه الله رحمة واسعة .

حرف

حرف الهمزة

قال رحمه الله ليكتب فى وسط زينة عملت للمغفور له اسمعيل باشا خديوى مصر عند عودته من الاستانة العلية سنة ١٢٨٢ هجرية

انظر مصابيح السرور فقد غدت   تحكى بهنّ الارض شكل سمائها
كقلوب أعداء الخديو بنارها   وقلوب أهل وداده بضيائها

حرف الباء

قال حين وردت الأخبار بأخذ سيواستبول من يد الروس بعد تخريب قلاعها سنة ١٢٧٢ فى الحرب التى كانت بينها وبين الدولة العلية وكل مصراع من مطلع القصيدة تاريخ لتلك السنة

سنة ١٢٧٢ لقد جاء نصر الله وانشرح القلب   لأن بفتح القرم هان لنا الصعب سنة ١٢٧٢
وقد ذلت الاعداء فى كل جانب   وضاق عليهم من فسيح الفضا رحب
بحرب تشيب الطفل من فرط هولها   يكاد يذوب الصخر والصارم(١) العضب(٢)
اذا رعدت فيها المدافع أمطرت   كؤس منون قصرت دونها السحب
تجرع آل الاصفر الموت أحمرا   والبيض فى مسودّها ماتهم نهب
تراهم سكارى للظبا فى رؤسهم   غناء ومن صرف المنايا لهم شرب
اذا وقعت ذات البروج وأبصروا   بها السور يتلوا السجدة انفطر القلب
وان هز لدن الرمح غصن قوامه   فكل دم فيهم الى قده صب
وما احمرّ خدّ السيف الا وأصبحت   رقابهم شوقا لتقبيله تصبو
وقد غرّهم من قبل كثرة جيشهم   فلم يغن عنهم ذلك الجيش والركب
وولوا يجدّون الفرار بعسكر   تحكم فيه القتل والاسر والسلب
وأين يسومون النجاة وخلفهم   تسابقت الخيل المسومة الشهب
ولو سلموا من مرهف السيف أوخلوا   بأنفسهم يوما لأفناهم الرعب
فقد راعهم من آل عثمان دولة   مجيدية دانت لها الترك والعرب
وجاء بشير النصر يشدو مؤرخا   لقد جاء نصر الله وانشرح القلب

وقال يمدح المغفور له الجناب الخديوى محمد توفيق باشا مذولى عهد الخديوية المصرية وقد وجهت رياسة المجلس العالى الخصوصى اليه

بعزك تختال العلى والمناصب   وباسمك تزدان الحلى والمناقب

---

(١) (٢) الصارم والعضب من أسماء السيف

لك الشيم الغراء لا المدح بالغ ... مداها ولا اللذم فيهن جانب
وكم لك من نعماء في الناس شكرها ... عليهم كفروض العبادات واجب
اذا الغيث ولى عن ذُراهم(١) سحابه ... توالت عليهم من ذراك سحائب
تفيض عليهم من أياديك بالندى ... رغائب فيها للسماح غرائب
أيادٍ يؤدّى من لدى مصر حمدها ... بعلم وتثنى بالسماع الاجانب
وصيت بعيد الشأو في المدح شاركت ... مشارق أقصى الارض فيها المغارب
تطير به غرّ القوافي سواجعا ... تناغى به ألافها وتجاوب
تجوب بسيط البر فهي ركائب ... وتقطع لج البحر فهي مراكب
وعزم كحد السيف ماض غراره ... وفهم كنصل السيف بالحق صائب
تناجيه أستار الخفايا بسرها ... سواء لديه بدؤها والعواقب
ورأى كنور الصبح إن ليل حادث ... أظل استنارت من سناه الغياهب
تقاد له شم الصعاب خواضعا ... كما خضعت طوع الزمام النجائب
وفكر له من نصرة الحق مذهب ... اذا اختلفت في العالمين المذاهب
ولفظ عليه رونق الحسن دونه ... سنا الدر بل زهر الدرارى الثواقب
وقلب رحيم بالرعايا وهمة ... لها فوق هامات الثريا مراتب
محاسن لم يستوفها نظم شاعر ... بليغ ولم يبلغ مداهن كاتب
درى المجلس العالى الخصوصى قدرها ... فلج به شوق اليك يجاذب
وقلدك الامر الخديوى أمره ... فهى مطلوب وهى طالب
وبلغه الرحمن خير مرامه ... بتوفيقه والله للخير واهب
فلا زلت محروس الجناب مهنأ ... بعزك تختال العلى والمناصب

وقال في نار موقدة في فحم حوله رماد

كأنما الفحم ما بين الرماد وقد ... أذكت به الريح وهنا ساطع اللهب
أرض من المسك كافور جوانبها ... يموج من فوقها بحر من الذهب

وقال في أول قصيدة هزلية جوابية

وافى سلام من الأحبه ... رعوا به ذمة المحبه
حيوا فأحيوا به محبا ... مضنى عليل الفؤاد صبه
أجرى الهوى دمعه صبيبا ... دما على نأيهم وصبه

(١) ذرى الشيء أعاليه جمع ذروة وذراه بالفتح ما استتر به يقال أنا في ظل فلان وفي ذراه أي في كنفه وستره اه

وأضرم الوجد بالتجافى في القلب جمر الأسى وشبه
نار بذات الضلوع شبت وأصل نار الغرام شبه

حرف التاء

قال مؤرخا تأهل صاحب الدولة البرنس حسين باشا كامل

بشرى بطالع سعد بالبشر واليمن آتى
تزف للبدر شمس تسمو على النيرات
بخير فأل سعيد يسوى لطول حياة
يقول والفأل حق عن سيد الكائنات
أرخ لنحو حسين تزف عين الحياة

سنة ١٢٨٩ — ٩٤ ١٢٨ ٤٨٧ ١٣٠ ٤٥٠

حرف الدال

قال متشكرا للحضرة الخديوية التوفيقية لاحسانها على بالرتبة الثانية في ٢٩ رمضان سنة ١٣٠٢

سأشكر للمولى الخديوى فضله على عبده الداعى له وابن عبده
ولو أننى استوفيت عمرى كله مدائح لم أستوف واجب حمده
ولكن أؤدى جهد ما أستطيعه اليه وحسب العبد مبلغ جهده
وأدعو له بالخير والله منجز بحسن قبول منه مصداق وعده

وكتب في ٢٧ محرم سنة ١٣٠٤ برسم العرض على المغفور له توفيق باشا خديوى مصر السابق يستمنحه انجاز وعده بنقلى الى مصر من طنطا وقد كنت رئيس النيابة بمحكمتها

عريضة

يا مليكا له على أياد صيرتنى له مدى العمر عبدا
لو قضيت الزمان فيهن عدا لم يسعها الزمان سردا وعدا
ولو استوعب القريض مديحى لم أقم بالفروض شكرا وحمدا
كلما نلت نعمة تبعتها منك أخرى واستتبع البدء عودا
ثم ما اقتضى سخاؤك فيها مطل وعد ولا سؤالى ردا
هن علمننى اقتراح الامانى واقتناص الآمال ماشئت صيدا
ولى الآن حاجة إن ينلها منك عطف يصادف النجح قصدا
قد أحاط العلم الشريف بمابى من تنائى الأمين عنى بعدا

وسقام عراه من سوء مثوى — بلدة أورثته بؤسا وجهدا
ولقد جادلي بوعدك لفظ — كانتظام الدر المنضد عقدا
باجتماع للشمل في مصر لازلت جميع الشمل الكريم المفدّى
وهو وعد جلا الاماني أمامي — وأراني مارمت أمرا معدّا
وأرى فرصة الوفاء استجابت — لك طوعا وصدّقت لك وعدا
فأغثني وأوف لازلت للآ — مال غيثا وللاماني ّ وردا
وتقبل فضلا ضراعة عبد — جعل المدح والدعا لك وردا

وقال قديما وقد ولي بعض الامراء محافظة دمياط من قصيدة لم نعثر منها على غير هذه الابيات

ألم تر ذاك الثغر أصبح باسما — برود من الاحسان أعذب مورد
وقبله البحران فازداد شوقه — لبحرندى عذب وجاه وسودد
يرى النيل وافاه بشيرا مخلقا — فيختال في ثوب الهناء المجدّد
ويغسل بالبحرين كفيه علة — الى لثم أقدام المحافظ يهتدي

وطلب منه المرحوم ابراهيم أدهم باشا تاريخا لوفاة أخيه عثمان أفندي يشير الى دفنه مع والده في قبر واحد فقال

في رحمة الله من أبلت منيته — شبابه الغض واستبقت محامده
وحل قبر أب بريؤرخه — عثمان آنس في الفردوس والده

سنة ١٢٨٩ — ٦٦١ ١١١ ٩٠ ٣٨١ ٤٦

وقال ضمن رسالة عن لسان صاحب له اسمه عبده أفندي يطلب حاجة من آخر يدعى سيد بك

ياسيدا أرجو وأمدح فضله — وعلاه ما امتدت الى قلم يدي
أمّلت جاهك في الانام لحاجة — عرضت وما للعبد غير السيد

وكتب اليه أيضا عن لسان صاحبه المومااليه في كتاب آخر

لكل امرئ سادة جمة — هم اليد والكف والساعد
واني لأقربهم للني — وان كان لي سيد واحد

وقال في الاستخدام متغزلا

وليلة قد وفى لي — حبّي بها بعض وعده
لم أرشف الراح حتى — مددتها نحو بنده
ولا تمسكت فيها — الا بنفحة نده

ولاصحبت شـقيقا الا الذى فوق خـده
ولاجنيت سـوى ما جعت من غض ورده

حرف الراء

قال فى مليح رآه ليلة أول الشهر

وبدر تبدّى شاهرا سيف جفنـه فروع أهل الحب من ذلك الشهر
وليلة أبصرناه هـلال جبينـه علمنا يقينا أنها غرة الشـهر

وقال فى تشبيه الشقائق

كأن نور شـقيق لاح فى شجر غض ووشيه كف السحب بالمطر
مجامر من يواقيت على قضب من الزبرجـد قد رصعن بالدرر

وقال فى الورد

كأن وردا لاح فى كمّـه يزهو بثوبى خضرة واحمرار
ياقوتة فى سـندس أخضر أو وجنة خط عليها عـذار

وقال فى صباه أيضا يعتذر عن تخلفه عن السفر

عسى سادتى أن يقبلوا فى الهوى عذرى اذا علموا منى بهـذا الهوى العـذرى
فلولا الهوى والضعف قد أوهنا القوى اسرت لهـم سـعيا على قدم الشكر
سـعوا جهدهم فى القرب لطفا ومنة وابعاد أهل الحب من سـنة الدهر
ولم أتخلف غادرا بعـهودهـم ولا شأن فكرى أن يميـل الى الغدر
ولكننى لم يبق مـنى الجوى سـوى بقيـة جسم كالخيال إذا يسرى
ومالى على الاسـفار فى البحر طاقة ولا جلد يقوى على السـير فى البر
فلى جسـد بال وقلب كأنما تقلبه الاشـواق والوجد فى الجمر
وماحيلة المشـتاق ان عاقه الضنى وألجأه قهرا الى البعـد والهجر
وان كان ذا التقصـير منى اساءة فعفو أبى رضوان يغنى عن العـذر

وقال جملة أبيات نصيحة وجهها الى أيام الدراسة عثرت منها على ما يأتى

إذا نام غر فى دجى الخطب فاسهر وقم للمعالى والعـوالى وشمـر
وخـلّ أحاديث الامانى فانها عـلالة نفس العاجز المتحير
وسارع إلى ما رمت مادمت قادرا عليـه فان لم تبصر النجح فاصبر
ولا تأت أمرا لا ترجى تمامـه ولا موردا مالم تجد حسن مصـدر
وأكثر من الشورى فانك ان تصب تجد مادحا أو تخطئ الرأى تعذر
ولا تستشر فى الامر غـير مجرّب لامثاله أو حازم متبصـر
ولا تبـغ رأيا من خؤون مخادع ولا جاهـل غرّ قليـل التـدبر

فمن يتبع فى الخطب خدعة خائن | يعض بنان النادم المتحسر
ومن يتبع فى أمره رأى جاهل | يقده الى أمر من الغى منكر
كمن يهتدى فى جوف ظلماء داجر | بأكمه فى نور الضحى غير مبصر
وكم من نصوح أبصر الخلف فانثنى | يبيع الهدى بالغى غير مفكر
ولا تصغ فى ود الصديق لكاذب | غوم وان يعرض لك الشك فاخبر
ولا تغترر تندم ولا تك طامعا | تذل ولا تحقر سواك تحقر
وعود مقال الصدق نفسك وارضه | تصدق ولا تركن الى قول مفترى
ودع عنك إسراف العطاء ولا يكن | لكفيك فى الانفاق امسالئ مقتر
ألا إن أوساط الامور خيارها | مقال نبى عن هدى الله مخبر
وألأم هذا المال مال تصيبه | بظلم وتعطيه عطاء المبذر
وأكرمه مال أصيب بحقه | وأنفق فى نهج من الحق نير
وأشقى الورى من باع أخراه ضلة | بدنيا سواه وهو للغبن مشترى
وخير عباد الله أنفعهم لهم | كما جاء فى قول النذير المبشر
فكن راغبا فى الخير ما عشت وانتصب | لنفع الورى ما اسطعت والشر فاحذر
ولا تقف زلات العباد تعدها | فلست على هذا الورى عسيطر
ولا تتعرض لاعتراض عليهم | دع الخلق للخلاق تسلم وتؤجر

وكتب على صورته بالفطوغرافية وقد أرسلها الى فى بلاد أوروبا وكنت بها للدراسة سنة ١٨٧٦

صورتى إن وصلت حيى أمينا | عن أبيه بكل أنس وبشر
والزمى داره كأن عندى | شخصه دائما عرآة فكرى

وقال واعظا

اذا رمت المروءة والمعالى | وأن تلقى إله العرش برا
فلا تقرب لدى الخلوات سرا | من الافعال ما تخشاه جهرا

وقال ليكتب على زينة الامير منصور باشا عند عودة المغفور له اسمعيل باشا خديوى مصر كان من الاستانة سنة ١٢٨٦

بشرى لاوطان الخديو فقد زهت | فرحا بشمس قدومه المشكور
ملأ القلوب بها السرور وأشرقت | نورا بأسعد طالع منصور

وكتب الى أحد أعزائه يستنهضه لحاجة له

وحاجة لا أزال أذكرها | يوردها خاطرى ويصدرها
يكون لى نفعها اذا قضيت | لكن اليكم يؤل مفخرها

فانهض

فانهض لها الا عدمتها هما ... سمعها مجب ومخبرها
وقم باعبائها فثالث من ... يدعى لا كرومة فيصرها
واعتدها عند من تجيك يدا ... بيضاء طول الزمان يشكرها
اصغ الى دعوة المروءة لا ... تلغ لها دعوة تكررها
فانت من أسرة لها شيم ... طابت نجارا وطاب عنصرها
فداؤ كم من اذا العلى ذكرت ... لديه ينكرنه وينكرها
ليس لديه لا تمليه سوى ... تلفيق أعذاره بقدرها

وقال يمدح المغفور له خديوى مصر اسمعيل باشا الافخم ويهنئه بالعود من القسطنطينية الى مصر فائزا بما رامه من حصر وراثة الحكومة المصرية فى أنجاله الكرام وتفويض ولاية العهد الى عهدة أكبرهم المغفور له محمد توفيق باشا فى سنة ١٢٨٣

أزاحت ظلام الليل عن مطلع الفجر ... وقامت تدير الشمس فى كوكب درى
وهزت على دعص[(١)] النقا[(٢)] غصن بانة ... ترنح فى أوراق سندسه الخضر
وحيت بكاسات الحيا وثغرها ... فلم نخل من شكر لديها ومن سكر
ومالت بها خمر الصبا مثلما انثنت ... نسيم الصبا بالاملد الناعم النضر[(٣)]
وقد لاعبت منها الشمول شمائلا ... كما لعبت ريح الشمائل بالزهر
منعمة لم يبد للشمس وجهها ... ولم يدنها فقر الى شاسع[(٤)] قفر
من الترك لم تترك لصب محجة ... الى الصبر أو نهجا العذل الى العذر
وبيضاء سوداء اللحاظ غريرة ... من الغيد ريا الردف ظامئة الخصر
ممنعة لا تجتنى ورد خدها ... يد اللحظ الا بين شوك القنا السمر
من الروم مثل الريم جيدا ولفتة ... ولحظا ومثل الغصن والشمس والبدر
سريت لها فى جنح ليل أزورها ... وللنجم فى آفاقه لحظ مزور
على ضوء مسنون الغرار[(٥)] بن صارم ... اذا سل فى الظلماء أغنى عن الفجر
يروقك من مرآه جدول فضة ... بصفحته موج الردى للعدا[(٦)] يجرى
يصمم ان لاقى الضريبة حده ... ولو صدم الصلد الاصم[(٧)] من الصخر

(١) الدعص قطعة من الرمل مستديرة (٢) النقا قطعة منه تنقاد محدودبة قال الراجز
ان قمت فالاعلى قضيب بان * وان توليت فدعصتان
(٣) فى لسان العرب أنضر الشجر اذا اخضر ورقه ورعى صار النضر نعتا يقال شئ نضر ونضير وناضر اهـ (٤) الشاسع المكان البعيد (٥) قال الجوهرى الغراران شفرتا السيف وكل شئ له حد فحده غراره (٦) العدو ضد الصديق والجمع أعداء وجمع الجمع أعادو العدا بالضم والكسر اسم الجمع اهـ (٧) حجر أصم وصخرة صماء صلب مصمت وصمم السيف اذا مضى فى العظم وقطعه

شددت به كفى ونبهت عزمة أحد وأمضى منه فى الخير والشر
فأكرم به من صاحب ذى حمية وأبيض ميمون النقيبة(١) ذى أزر
تواخيه من صنع الفرنج قصيرة بعيدة مرمى النار دانية الامر
يسابق رجع الطرف لمع شرارها ويشبه لمح البرق فى عدد القطر
تشب غداة الروع نارا من الردى وترمى بجمر فى قلوب العدا حمر
مجربة بالماء والنار فى الوغى وفى السلم طوع القصد مأمونة الغدر
فوافيت ذات الخدر والنوم فى الدجى على أعين الواشين منسدل الستر
فقامت وقد مال الكرى بقوامها كما مال بالنشوان صرف من الخمر
وماست تزجى ردفها فى مورد من اللاذ(٢) قد وشيته بالدر والتبر
وتمسح عن أجفانها النوم سحرة(٣) فيرفض عنها كل فن من السحر
وبتنا كما شاء الهوى فى صيانة وعفة ثوب لم يزر على وزر
تجاذبنا أيدى العفاف عن الخنا اذا ما دعانا داعى التصابى الى أمر
نداول من شكوى الصبابة والجوى وذكر النوى والقرب والوصل والهجر
أحاديث أشهى للنفوس من المنى وعود الشباب الغض من سالف العمر
وألطف من مر النسيم اذا سرت على الروض ريا الذيل عاطرة النشر
أحاديث فى الاذواق يحلو مليحها كأمداح اسمعيل فى مسمعى مصر
عزيز بأمر الله قد عز أمره وذلت لعالى قدره نوب الدهر
فسيح مجال الصيت سار سناؤه مسير الصبا ما بين بحر الى بر
أنام الرعايا فى ظلال أمانه بيقظة عين القلب والطرف والفكر
وعاملهم بالعدل والفضل حكمه بحكمة شهم بالسياسة ذى خبر
فانصاف مظلوم وارغام ظالم واغناء ذى فقر وجبر لذى كسر
وأوسعهم بذلا وفضلا ببعضه تملكهم ما بين عبد الى حر
وكم نعمة غراء قلدهم بها فطوقهم طوق الحمامة بالشكر
تجول الأمانى حوما حول بابه كما حلقت طير صواد على نهر
فتغدو خماصا طاويات وتنثنى وهن بطان من نوال ومن بر
ربيع ندى روض المعالى به ازدهى وأينع فى أفنانه ثمر الفخر
أطل على مصر فأغنى بجوده مغانيها عن منة السحب الغر

(١) ميمون النقيبة محمود الفعال مظفر المطالب كما فى عاصم
(٢) اللاذ جمع لاذة وهى ثوب حرير أحمر (٣) والسحرة بالضم السحر الاعلى

له رهبة فى كل قلب ورغبة ... وما زال شأن الدهر للنفع والضر
وحزم كما شاء السداد مؤيد ... بعزم كحد السيف مهما انبرى يفرى
ورأى كضوء الصبح تحدوه فكرة ... تريه خفايا الغيب من دون ماستر
اذا التبست أعقاب أمر على النهى ... جلا سرها المكنون فى صورة الجهر
فيا ابن الذين استوطنوا ذروة العلى ... وحلوا محل البدر فى شرف القدر
جزاك إله العرش عن مصر مثل ما ... جزاها بأيديك الحسان عن الصبر
جذبت بضبع الملك من بعد ما هوى ... ونحو مك بالتسديد ين والنصر
على حين أضحى للشباب مودعا ... وأمسى بأهوال المشيب على ذُعر
فأصبح مخضلّ الشبيبة مشرقا ... محياه طلق الوجه مبتسم الثغر
حميت حماه بالمدافع والظُّبا ... وبالمال والتدبير والعسكر المجْر
وأخجلت غرّ السحب نيلا فغيثها ... دموع على تقصيرها فى الندى تجرى
تجهم وجه السحب بشرى بجودها ... وجودك من آبائه رونق البشر
فقيصر عن إدراك شأوك قاصر ... وكسرى اسمه أضحى بعدلك فى كسر
وقد حزت حق الملك فى مصر عن أب ... أبىّ وجدّ سيد ماجد حر
ومهدت مدّ الله عمرك ارثه ... لأبنائك الطهر الجحاجحة الغرّ
وقبلك كم مدّت لما نلت شأوه ... يد ثم ردّت غير ظافرة الظُّفر
وما كل من يسمو لأمر يبالغ ... مداه ولا كل الجوارح كالنسر
نهضت بتوفيق العلىّ ولم يزل ... يعينك عون الله فى حيثما تسرى
فأدركت ما أعيا سواك بهمة ... تريك محل اليسر من موضع العسر
وأوليت عهد الملك عهدة ماجد ... أغر لبيب غير غرّ ولا غمر
له عقل سنّ الاربعين وحزمه ... ولم يتجاوز سنه سابع العشر
حرىّ بما توليه مضطلع بما ... توليه رحب الباع متسع الصدر
مجد رأى جده مثل جده ... وإقدامه إقدام آبائه الطهر
فهنأك الرحمن ملكا رعيته ... وراعيته بالرأى والنائل الغمر
ودام لك التوفيق خير موازر ... وخير وزير صائب النهى والامر
وهنئت عود اشرف الملك عيده ... بما شاء من بشرى وما رام من بشر
ولازلت بحرا للمكارم زاخرا ... معاليك فى مدّ وشانيك فى جزر
بذكرك تختال القريض وتنثنى ... قوافيه فى كبر على سائر الشعر
تأرجت الارجاء منه كأنما ... تنفس فيه المدح عن نفحة العطر

فدونكها مولاى حلة مدحة مطرزة الاعطاف بالحمد والشكر
صناعة عبد صادق فى ولائه يرى أن كفران الصنيع من الكفر
سهرت عليها داجى الليل ناظما درارية فيها ولم أرض بالدر
ترقت حلاها عن سوالك وراقها علاك فلم تجنح لزيد ولا عمرو
مهذبة ماشين بالهذر لفظها ولا شيب معناها بعيب ولا عذر
خدمت بها علياك مدحا وانما نظمت النجوم الزهر عقدا على البدر
فعش ما تثنى فى الربى فرع بانة وغنى على أفنانها ساجع القمرى

وقال مؤرخا توجيه رياسة المجلس العالى الخصوصى الى عهدة المغفور له توفيق باشا اذ كان ولى عهد الخديوية المصرية

بعلى ولى العهد أضحى المجلس العالى الخصوصى مجبا مسرورا
وتلا لسان الدهر فى تاريخه بمحمد عم الخصوصى نورا

١٢٨٨   ٩٤   ١١٠   ٨٢٧   ٢٥٧

وقال مليا الاول تلميذ فى مكتب خليل أغا فى امتحان سنة ٨٩ هجرية بحضور المغفور له الخديوى السابق محمد توفيق باشا وكان ولى العهد وحضور أخيه صاحب الدولة البرنس حسين كامل باشا

أفاض الخديوى على مصره أيادى معروفه الزاهر
ونالت مناها بتوفيقه وكامل إفضاله الباهر

وقال عقب الافراج عنه بعد اتهامه فى الثورة العرابية وقد توجه الى سراى عابدين فلم يحظ بلقاء الحضرة الخديوية التوفيقية

عريضة

استعطاف واسترحام لولى الامر والانعام

كتابى توجه وجهة الساحة الكبرى وكبر اذا وافيت واجتنب الكبرا
وقف خاضعا واستوهب الاذن والتمس قبولا وقبل سدة الباب لى عشرا
وبلغ لدى الباب الخديوى حاجة لذى أمل يرجو له البشر والبشرى
لدى باب سمح الراحتين مؤمل صفوح عن الزلات يلتمس العذرا
كريم تود السحب فيض بنانه اذا أرسلت أنواء وابلها غزرا
ويستصبح البدر التمام بوجهه فيلحظ عين الشمس من بعده شزرا
ويخجل ضوء الصبح وضاح رأيه اذا ما ادلهم الخطب فى خطة نكرا
تنوء الجبال الراسيات بحلمه اذا طاش ذو جهل لدى غيظه قهرا

عزيز أعز الله آية ملكه ... بتوفيقه حتى أقام به الامرا
يراقب رحمن السموات قلبه ... فيرحم من فى الارض رفقابهم طرّا
مليكى ومولاى العزيز وسيدى ... ومن أرتجى آلاء معروفه الغمرا
لئن كان أقوام علىّ تقوّلوا ... بأمر فقد جاؤا بما زوّروا نُكْرا
وان سعاة السوء أنزل فيهم ... علينا إله العرش فى ذكره ذكرا (1)
وعلمنا أن نستبين مقالهم ... ونأخذ منهم فى مساعيهم الحذرا
وسامهم وسم الفسوق لحكمة ... قضى حكمها الله هُجْر من قولهم هَجْرا
حلفت بما بين الحطيم وزمزم ... وبالباب والميزاب والكعبة الغرّا
وبالروضة القدسية السدّة التى ... أجلّ لها الرحمن فى ملكه قدرا
وبالزائريها يرتجون مليكهم ... لما افرطوا فى العمد والخطا الغفرا
وبالصلوات الخمس يرجى ثوابها ... وبالصوم يوليه الحنىّ به الشهرا
لما كان لى فى الشرّ باع ولا يد ... ولا كنت من يبغى مدى عمره الشرا
ولا رمت الا الصفو والعفو والولا ... بجهدى لا امرا أحاوله إمرا
ولكنّ مختوم المقادير قد جرى ... بما الله فى أمّ الكتاب له أجرى
وفى علم مولاى الكريم خلائقى ... قديما وحسبى علمه شاهدا برّا
أتذكر يا مولاى حين تقول لى ... وانى لأرجو أن ستنفعنى الذكرى
أراك تروم النفع للناس فطرة ... لديك ولا تبغى لذى نسمة ضرا
فذلك دأبى منذ كنت ولم أزل ... كذلك ورب البيت يا سيدى أدرى
فان كنت قد اثرت ما قال قائل ... ففى عفوك المرجوّ ما يمحق الوزرا
فعفوا أبا العباس لازلت قادرا ... على الامر إن العفو من قادر أحرى
ملكت فأسجح وامنح العفو تبتغى ... زكاة لما أولاك ربك أو شكرا
وهبنى من تقبيل يمناك راحة ... تمنيتها أرجو بها اليمن واليسرا
وحسبى ما قدمر من ضنك أشهر ... تجرّعت فيها الصبر أطعمه مرا
يعادل منها الشهر فى الطول حقبة ... ويعدل منها اليوم فى طوله شهرا
أيجمل فى دين المروءة أننى ... أكابد فى أيامك البؤس والعسرا
وأحرم من تقبيل كفك بعدما ... تراءت بى الآمال مستأنسا برّا
ولى فيك آمال ضمينى بنجحها ... وفاؤك لا أرجو سواك لها ذخرا

---

(1) يريد قوله تعالى (ياأيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا الآية)

وقد مرّ لى فوق الثلاثين حجة   بخدمة هذا الملك لم آلها صبرا[1]
أرى الصدق فرضا والعفاف عزيمة   ونصح الورى دينا وغشهمو كفرا
وجاوزتها لا لى عقار يفيدنى   كفافا ولا فى الكف قد أبتغى وفرا
ولو شئت كانت لى زروع وأنعم   ومال به الآمال أقتادها قسرا
ولكنها نفس فدتك أبية   تعاف الدنايا أن تمر بها مرّا[2]
فمن فقد ألفيت موضع منة   وربك لا ينسى لذى منة أجرا
فلا زلت مأمولا مرجى مهنأ   بما تجتبيه العام والشهر والدهرا

ولما أن عرضت هذه القصيدة على الحضرة الخديوية التوفيقية أجلها وأحلها محلها وسمح له بالمثول بين يديه وأقبل عليه وأعيد معاشه اليه فنظم قصيدة تشكرية تأتى فى حرف الميم مطلعها

لى الله من عانى الفؤاد متيم   ولوع بغيرى بالدلال منعم

وأنشد يوم افتتاح مؤتمر المستشرقين الذى انعقد باستكهلم عاصمة السويد سنة ١٨٨٩ بحضرة ملك تلك البلاد « اسكار الثانى » وأعضاء المؤتمر المذكور وقد طبعت فى رحلتى ارشاد الالبا الى محاسن أوروبا ص ٦٣١

أليوم أسفر للعلوم نهار   وبدت لشمس سمائها أنوار
وزهت فنون العلم وازدهرت بها   أفنانها وتناسقت أنوار
وغدت لارباب المعارف دولة   غراء صاحب ملكها اسكار
اسكار الثانى الذى اعترفت له الأقطار* وارتفعت به الاقدار
ورعى حقوق العلم يعلى قدره   فنما بهمته له مقدار
ودعا له الفضلاء دعوة ناصر   العلم فهو بهم له أنصار
هى دعوة طنت بآذان العلى   وتناقلت أخبارها السمار
عرفت بقيمتها البلاد وأهلها   وملوكها وتسامع الاقطار

(١) قوله لم آلها صبرا ضمير الغائبة مفعول أول وصبرا مفعول ثان كما فى قوله تعالى لا يألونكم خبالا قال البيضاوى (أى لا يقصرون لكم فى الفساد والالو التقصير وأصله أن يعدى بالحرف ثم عدى الى مفعولين كقولك لا آلوك نصحا على تضمين معنى المنع أو النقص)

(٢) وقوله ان تمر بها مرا اليس المر فيه جمع المرة كما فى قول ذى الرمة

لا بل هو الشوق من دار تخونها   مرا شمال ومرا بارح تربُ

وانما هو مصدر مر يمر كما فى قوله تعالى وهى تمر مر السحاب وقول حسان رضى الله عنه

ملأت بها القرجين فاربدت به   مر الذبول بحصد ورجام

أمر أمير المؤمنين أعاره ... نظرا وأنظار الكبار كبار
فسرى به في مصر من توفيقه ... نور ومن بركاته أسرار
وإذا المليك أراد نجح مقصد ... نالته من توفيقه آثار
مولى له في كل مكرمة يد ... ولكل موقع مقصد أنظار
وأعان كل زعيم مملكة له ... بشؤن أهل بلاده استبصار
يحدو الى أرض السويد أماثلا ... من قومه أمثالهم أخيار
مستظهرين بدعوة الملك التي ... عمت وما لسماعها انكار
فتسارع العلماء تلبية له ... بالطوع تسبقهم له الاخبار
يقتادهم صيت يشوق سماعه ... ويسوقهم شوق اليه مثار
سمعوا بشهرته وصيت شأنه ... سمعا يذكرهم به التكرار
وسما بهم في استكهلم بامره ... ناد تشاخص دونه الابصار
جمعته من شرق البلاد وغربها ... وجنوبها وشمالها الاقدار
ألقت بافلاذ الكبود اليه من ... أبنائها في حبه الامصار
نادبه احتفل الافاضل حفلة ... بحديثها تتقادم الاعصار
جمعت لثامن مرة معدودة ... في الدهر لاينسى لها تذكار
جمعتهم الأقدار جمع سلامة ... والله في أقداره مختار
متآلفين بعيدهم بقريبهم ... والفضل أقرب وصلة تمتار
من كل فياض القريحة ورده ... عذب وبحر علومه زخار
تتدفق الافكار نحو يراعه ... فيفيض من أنبوبه تيار
من كل معنى شف عنه لفظه ... كالخمر تم بها الزجاج تدار
ومؤزر بالفضل مشتمل به ... منه شعار زانه ودثار
حبر اذا ولى اليراع بنانه ... زان الطروس بوشيها الاحبار
ويغوص أعماق المباحث باحثا ... عن كشف كل فريدة تختار
درر بروق الطرف منها رونق ... بهج تحار بوصفه الافكار
لذوي المفاخر من حلاها زينة ... تبقى ولا يبلى لهن نخار
لازال ملك الفضل معمور الذرى ... بذويه ممدودا له الاعمار

وقدم الى الحضرة الخديوية التوفيقية عند حضورنا بالاسكندرية عائدين من مؤتمر المستشرقين السابق الذكر قصيدة ضمنها ماتم بالمؤتمر والمأمورية طبعت بارشاد ابا صحيفة ٧٩٧ وهي

دنت الديار ودانت الاوطار ... هـذا المنار وهـذه الانوار
هـذا المنار يلوح نجم هـداية ... للناظرين تؤمّه الانظار
والثغر وضّاح(1) المباسم باسم ... للبشر في قسماته(2) آثار
فرح ببشرنا يبشر سروره ... ان الخلود له به استقرار
فاليوم نلثم من بنان يمينه ... سحبا موارد فيضهن غزار
من كف فياض اليدين يمينه ... يمن ويسراه ندى ويسار
ونشنف الاسماع من ألفاظه ... دراغدت أصدافه الافكار
ونرى منار الحق فوق جبينه ... كالشمس ليس وراءها أستار
نور تلألأ في جبين موفق ... للحق في توفيقه أسرار
مولاي قد سرنا بامرك نبتغي ... لرضاك ما تسمو به الاقدار
نصل المغارب بالمشارق والسرى ... بالسير لا ملل ولا إقصار
ونلفّ(3) أذيال الاباطح(4) بالربى ... تتناب(5) الانجاد والاغوار
لا البحر ذو الامواج نخشى بأسه ... يوما وليس البر فيه نُضار
البحر بر في رضاك بمن به ... والبر من جدوى نداك بحار
ومدى(6) النهار صباح خير كله ... بسعود جدّك(7) والدجى أسحار
نطوي البلاد بطيب ذكرك نشره ... عبق ونفحة ريحه معطار
ونؤرج(8) الارجاء باسمك مدحة ... طابت بها الاسحار والاسمار
يهتز حاضرها لحسن سماعها ... طربا ويخبر غائبا حضار
ويروح سامعها يميل بعطفه ... ثملا كأن دارت عليه عقار
نغشى بها صدر الندى ندية ... يحلو بها الايراد والاصدار
نتلو مديحك معلنين بنشره ... جهرا فلا كتم ولا إسرار
لا يعتري لحواه وصمة ريبة ... تخشى ولا ردّ ولا استنكار

(1) الوضاح ككتان أبيض اللون حسنه (2) القسمات جمع قسمة بكسر السين وفتحها قال ابن الاعرابي هو ما بين الوجنتين والانف وأنشد لمحرز الضبي

كان دنانيرا على قسماتهم ... وان كان قد شف الوجوه لقاء

(3) لف الشئ بالشئ ضمه اليه ووصله به وهو من باب رد (4) البطح والبطيحة والبطحاء والابطح مسيل واسع فيه دقاق الحصى والجمع أباطح وبطاح وبطائح (5) انتابهم انتيابا أتاهم مرة بعد أخرى (6) مدى الشئ غايته والمراد هنا جميعه مجازا (7) الجد البخت والحظ والحظوة (8) قوله ونؤرج هو مضعف أرج الطيب كفرح يأرج بالهمز وترك بمعنى توهج ريحه

ثم امتطينا السويدركائبا ... لا الركض يجهدها ولا التسيار
تسعى على عجل الى غاياتها ... كالماء ساعد جريه تيار
سرع الخطا الا السوط حل بجلدها ... يوما ولا شدت بها أكوار
تذر الرياح اذا جرين وراءها ... حسرى (١) طلائح (٢) جريهن عثار
سرنا بهن على العشى فأصبحت ... فى استكهلم وقد بدا الاسفار
ولقيت صاحب تاجها فى قصره ... والوفد ثم بصحبتى نظار
فدنا وصافح باليمين مرددا ... شكر الخديو يزينه التكرار
فشرعت مقتصدا أجاوبه بما ... أرضاه لا قل ولا إكثار
ونحوت مؤتمر العلوم أؤمه ... بالوفد تهوى نحونا الابصار
حتى اذا احتفل الندى وأقبل الـ ... ـعظماء والعلماء والاحبار
وتلا به أسكار رب سريره ... قولا به لذوى النهى إسكار
وأجابه الخطباء كل محسن ... يزرى بنظم الدر منه نثار
ودعيت باسمى للمقال موفيا ... حق الوفادة والوفاء شعار
أقبلت أبتدر القريض يزينه ... مولاى باسمك بهجة ووقار
حتى استتم الشعر فاصطفقت له الأيدى وذلك بمدحه إشعار
وتشعبت شعب الفصول مقررا ... فى كل فصل للفنون (٣) قرار
فنحوت بالوفد الذين بصحبتى ... خير الفصول وصحبتى أخيار
ما فيهم وهل الفؤاد يهوله ... حفل ولا واهى القوى خوار (٤)
كل أعد من المعارض ما اصطفى ... للعرض ثمة جلة تختار
وأجاد فيما قد أفاد بمنطق ... طوع المراد أمده استحضار
فى لهجة العرب الفصيحة لفظهم ... حر وهم فى نفسهم أحرار
لا فى مقالة قائلينا وقفة ... عرضت ولا لمقولنا انكار
كالقطر جاد به غمام مبرق ... دانى الهياذب (٥) عارض (٦) مدرار
نبدى الذى نبدى وكل مطرق ... سمعا ومنطق ذى المقال جهار
حتى نتم كما نشاء القول فى ... أمد أعد لوقته مقدار

(١) حسرى جمع حسير تقول حسر كضرب وفرح فهو حسير أى معيى (٢) طلح البعير أعيا وطلح زيد بعيره كاطلحه أعياه وابل طلح وطلائح (٣) وفى نسخة العلوم (٤) الخوار ككتان الضعيف
(٥) الهياذب جمع هيذب وفى الصحاح هيذب السحاب ما تهذب منه اذا أراد الودق كانه خيوط
(٦) العارض السحاب الذى يعترض فى الافق

فيقول صاحبهم أمامن باحث … فيما يقول وقوله استفسار
وتصفق الحضار لاستحسان ما … قلنا ويظهر فيهم استبشار
هاهم رجالك أيها المولى ولا … منّ عليك ونعم من تختار
لا أبتغى مدحا لنفسى انني … بعلاك أنفر لاعداك نفّار
هذى محاسن يمن طالعك الذى … بسعوده قد ساعد المقدار
ثم انثنينا راجعين يسوقنا … لحماك أشواق لهن أوار
نأوى لخير حمى بعدلك كله … أمن وما للجور فيه جوار
فاسلم لمصر وأهلها البرى بها … لنماء غرس يمينك استثمار
واسلم لأنجال وآل كلهم … خير وآل الخيرين خيار
واليكها مولاى صنعة ليلة … لحق العشاء بوشيها الاسحار
حتى كساها الصبح رونق وجهه … حسنا وألبسها الضياء نهار

وقال متشكرا للحضرة المشار اليها تولية هذا الداعى وظيفة القضاء بمحكمة الاستئناف الاهلية (طبعت بارشاد الالباء صحيفة ٨٠٣)

ألا هل لسانى اليوم طوع لخاطرى … اذا أنا رمت الشكر والقول ناصرى
وهل لقوافى الشعر عون على المنى … اذا ما استمدتها قريحة شاعر
ويا ليت شعرى هل يُراعى وسائلى … يَراعى اذا أمددته بالمحابر
وهل لبنانى من بيانى مساعد … بلفظ بديع فى معان زواهر
لأبلغ نفسى اليوم فى الشكر حظها … وأرقى الى غاياته غير قاصر
ومن لم يؤدّ الشكر للناس لم يكن … لاحسان رب الناس يوما بشاكر
وهل أستطيع الشكر أقضيه حقه … قياما بفرض منه فى الحال حاضر
وأنى وقد أربت على العبد أنعم … تقاصر عنها ناظم قبل ناثر
وهل يبلغ الغايات من بات ليله … يحاول عدّ النيرات السوافر
أيادأفادتها أياد كريمة … أنافت على غرّ الغوادى البواكر
بها افتخرت أمّ البلاد وشمرت … بنوها لانهاض الجدود العواثر
وأضحت اذا مدّت الى غاية يدا … أمدّت بتوفيق من الله باهر
همام له فى كل شأو الى العلا … مدى دونه أقصى مجال النواظر
أجار على الأيام من عادياتها … فليس لها فى عهده حظ جائر
وعمّ بنور العدل كل بلاده … فليس ظلام الظلم فيها بزائر
اذا ما أساس الملك بالعدل يبتنى … أقام على مر الدهور الدواهر

وقد

وقد شدّ أزر الملك في مصر بالتقى ... وبالدين مولاها العفيف المآزر
وأجرى بها من فيض جدواه أنعما ... سحبن بأذيال السحاب المواطر
كريم السجايا واسع الفضل معرب ... بأفعاله عن فضل طيب العناصر
ولوع بكسب الحمد والمجد والعلى ... وبذل الأماني وابتناء المآثر
اذا هام قوم بالكؤس تديرها ... بنان الحسان البيض سود الغدائر
فان هواه في اتخاذ صنيعة ... واسداء معروف واحياء داثر
وان نام عن أمر الرعية غافل ... عن الحزم أرعى قومه عين ساهر
بصير بكنه الأمر لا يستميله ... وان خفي المكنون رسم الظواهر
أمولاي أدعو من قريب وأنت لي ... سميع وما من غائب مثل حاضر
سأشكر من نُعماك ما أستطيعه ... ولست على شكر الجميع بقادر
وأبلغ حدّ الجهد والجهد غاية ... وما بعدها الا التماس المعاذر
وأدعو بظهر الغيب لله مخلصا ... وليس الذي يدعوه يوما بخاسر
وقد خوّلتني منة بعد منة ... يداك بواف من نداك ووافر
وجدت على العبد الأمين بأنعم ... مواردها موصولة بالمصادر
فما تنقضي نعماء الا وصلتها ... بأمثالها تترى الى غير آخر
وقد ما قد استخلصتنا من يد الردى ... وقد ظفرت أظفاره بالحناجر
ولج العدى في لجة بعد لجة ... من المين لم تخطر لدينا بخاطر
فألهمك الرحمن ما كان مضمرا ... من الحق تجلوه بنور الضمائر
فراسة معمور من الله قلبه ... بنور هدى مستودع في السرائر
ولولاك كنا في فم الغدر مضغة ... فريسة ناب في المقاتل غائر
تروح علينا الحادثات وتغتدي ... بكل خفي من سطاها وظاهر
فكف كفت عنا العاديات تردّها ... بكفك عنا قاصرات الأظافر
وعلمتنا كيف النهوض الى العلى ... وكيف الترقي في مراقي المظاهر
وكيف تلذ المجد طعما وتجتني ... ثمار المعالي من غروس المفاخر
وأوليتنا الآمال نقتاد سربها ... بأرسانها طوع المنى والخواطر
اذا ما اشتهينا من ذرى العز موضعا ... تقاصر عن ادراكه طرف ناظر
منئت بأعلى منه ثم شفعته ... بآخر أرقى في العلا وآخر
فلا زلت للدنيا جمالا وللورى ... وكما الاولا لاسلام نور بصائر

وكتب مجيبا حضرة الفاضل الامير شكيب ارسلان . وكان أرسل اليه كتابا في محرم سنة ١٣٠٥ مشتملا على قصيدة مطلعها

اذا مارمت من مهديك أهلا   لقد أنفدت لؤلؤ كل بحر

قال

أنت تختال في حبر (١) وحبر (٢)   على العشاق لا كبر وكبر

منعمة الشبيبة لم يرعها   مشيب في العذار أقام عذرى

سعت نحوى على سحر تريني   بدائع حسنها نفثات سحر

الى أن صيرتني في هواها   أسير القلب مبتهجا بأسرى

سرت لى من ربى بيروت تهدى   شذى لبنان معلنة بسر

تخبرنى وقد ألفت خبيرا   قريب العهد من خبر وخبر

بأن ذوى هواى بها على ما   عهدت مبرة (٣) وكمال بر

ألا حيا ربى بيروت عنى   ولبنان الحيا منهل قطر

بدر عليه الارجاء درا   ويمزج ترب أرضيها بتبر

وحيا من بهاربى وحيا   زمانا مر فيها غير مر

وحيا حى وافدة أتتنى   برياها تضوع بنفح عطر

وسرت بالتحية من سرى   حوى بالوداد على قدر

سليل كرامة وربيب عز   ونسل صيانة ورضيع طهر

وفرع نجابة من عود مجد   أثيل الاصل من أثلات فخر

كمى من سلالة أرسلان   ذؤابة قومه الاسد الهزبر

فتى خطب العلى وصبا اليها   فكان لها صباه خير مهر

ومن خطب الحسان فلا شفيع   لهن سوى الصبا مقبول أمر

تعلق قلبه من عهد مهد   بكسب المجد مجتنبا لخسر

وأولع بالمعالى والمعانى   ونظم الشعر لا لطلاب وفر

ولا للصبابة فى ورد خد   ولا لصبابة من خمر ثغر

ولا مستبطئا وعدا لدعد   ولا مستبطنا أمرا لعمرو

ولكن لاقتناص شرود معنى   يعن وحكمة تبدو وسر

وان يلعب فما لعب بعيب   لعهد صبا وشرخ شباب عمر

(١) فى حبر جمع حبرة كعنبة ضرب من برود اليمن ويجمع أيضا على حبرات كفقرات وفى الحديث مثل الحواميم فى القرآن كمثل الحبرات فى الثياب (٢) وقوله وحبر هو الحسن والجمال والبهاء والحبر أيضا الوشى (٣) المبر ضد العقوق يقال بررته أبره كعلمته والبر الصلة يقال بر رحمه من بابى ضرب وعلم اذا وصله والبر الخير والاتساع فى الاحسان والصدق والطاعة

ولكن تأنف الهمم العوالى على رغم الصبا سفساف أمر
تحترم قرب أمر فيـــه إمر وتوجب هجر كل مقال هُجر

حرف السين

كتب اليه الأديب الفاضل المرحوم أحمد أفندى فارس صاحب «الجوائب» سنة ١٢٨٤ وقد كان تخلف عن المسير الى الاستانة سنتئذ بعد اعتياد المضى اليها فى كل سنة قصيدة مطلعها

ياسيدى انى وحقك لم أزل لهجا بذكر حلالك بين الناس

فكتب مجاوبا له

تفديك نفس شج عليل أسى[1] عـــز الدواء له وحار الآسى[2]
أضناه طول أساه حتى إنه يحكى لفرط ضنـاه ذاوى[3] اس[4]
هزته سارية النسيم وقد جرت بشذا فروق[5] أريجة الأنفاس
فكأن فى طى الشمال اذا انثنى من نشرها طربا شمول الكاس
وكأنها حلت الى رسالة غراء جاءت من أعز مواسى
كليحة عـــذراء وافت صبها من بعد طول تعذر وشماس
بفتر مبسمها بحسن حديثها عن سحر فاتن جفنها النعاس
تدنو فيطمع عاشقيها أنسها ويشـــير عزدلالها باياس
أو روضة فيحاء حياها الحيا من صوب محاول العرى رجاس[6]
غناء غناها الصبا فترقصت طربا معاطف بانها المياس
جنيت نور الفضل من أوراقها عطر الغلائل طيب الأغراس
فى طيها للسحر بحــر زاخر فيـــه محل الدر غالى الماس
باللعجاب وانهــا لعجيبـــة للبحر كيف يحـــل فى قرطاس
جاءت تطارحنى الهوى فأجابها شوق يصابحنى هوى ويماسى
وغدت تذكر بالعهود ولم يكن فكرى بناسى عهد أوفى الناس
حامى حمى الآداب أحمد فارس فى معرك الألباب صعب مراس
مولى دروس الفضل قد عمرت به من بعد أن كانت من الأدراس
وأعاد جيش النظم منشور اللوا والنثر منشورا من الأرماس
وأجـــد للآداب عمر شبابها غضا وقد وصلت لسن الياس

(١) حزين (٢) الطبيب (٣) ذابل (٤) الآس نبات معروف (٥) لقب قسطنطينية
(٦) يقال سحاب رجاس أى شديد الصوت

فضلت شمائله الشمائل رقة　وعلاه علاه كل طود راسى
وغدت معاليه لأرباب النهى　طوق الرقاب لهم وتاج الراس
كست القريض حلاه حلة بهجة　يختال منها فى أجل لباس
لازال فى عون الكريم وصونه　من حادث الزمن الخؤن القاسى
وإليكها خجلاء من تقصيرها　تحتاج وحشتها الى الايناس
غراء قد بنيت بيوت كمالها　من حسن ودك فوق خير أساس

وقال فى الغزل

وعارف بفنون الطب تجربة　وخبرة ليس يخفى عنه ما التبسا
وافى ليبلو ما أشكو فجس يدى　حينا وأرسلها حينا وقد عبسا
وقال داء هوى يأبى الشفاء(1) فان　أهملته زاد أوداويته نكسا

وقال وهو شاب فى مراسلة

كتبت ولولا دمع عينى سائل　تلظى جوابى من تلهب أنفاسى
وعندى من الأشواق مالم يبح به　لسان يراع فى مسامع قرطاس
ولى من تباريح الهوى وشجونه　أحاديث تلهى الشرب(2) عن لذة الكاس
ولو كنت من دهرى أنال مآربى　لسرت لكم سعيا على العين والراس

وطلب منه صديقه المرحوم على مبارك باشا تاريخا لعودة المغفور له الخديوى اسماعيل باشا الى مصر من القسطنطينية سنة ٨٩ ليكتب على باب ديوان المدارس فقال

الى مصره عاد الخديوى بالمنى　وباليمن والاقبال والله حارس
وباهت به فيمن تباهى مدارس　له بالندى والجود فيها مغارس
وقال لسان الحال فيها مؤرخا　بعودة اسماعيل سر المدارس
سنة ١٢٨٩　٤٨٢ ٢١١ ٢٦٠ ٣٣٦

وورد اليه من المرحوم الشيخ عبد الهادى نجا الابيارى تذكرة دعوة هذه صورتها

يانور فكرى وسرى　وروح روحى ونفسى
لدى شامة شام　لطيف معنى وحسى
يود كل أديب　لقياه رغبة أنس
فان عن فشرف　من قبل مغرب شمس

(1) وفى نسخة أعيا الاساة　(2) الشاربون

ولم تصله هذه الرقعة الا بعد غروب الشمس بعد أن فات الوقت فكتب اليه

يامن بديع حلاه　　تزري البديع وتنسى
بهن يصبح فكري　　مغرى الفؤاد وممسى
وافت عقيلة نظم　　تتلو فصاحة قس
كالبدر لاح سناها　　من بعد مغرب شمس
فغادرتني صريعا　　نشوان من غير كأس
فمن بالعفو انى　　منه على غير يأس
وان عتبت فحق　　وما أبرئ نفسي

حرف الضاد

وكتب الى المغفور له الجناب الخديوي محمد توفيق باشا وكان اذ ذاك ولي عهد الحكومة الخديوية وقائم مقام والده سنة ١٢٨٦ يلتمس منه أرضا للزرع

يامن دعائي له ومدحي　　نفلي مدى مدتي وفرضي
ويا سماء العلى أترضى　　أني أبقى بغير أرض
ولي لأبوابك انتساب　　فامنن بشيء على مرضي
لأملأ الارض من ثناء　　يسري بطول لها وعرض

وقد أجاب ملتمسه بانعامه عليه بمائتي فدان فكتب اليه

تقدمة فكرية ومقدمة شكرية (١)

بعلى مجدك تفخر العلياء　　وبجود كفك تقتدي الانواء
واليك ينتسب الكمال وينتمي　　كرم الخلال وينتمي الكرماء
وعليك من نور الاله جلالة　　تعنو لديك لعزها العظماء
ومحبة غدت القلوب بأسرها　　أسرى بها وانقادت الأهواء
فلتفخر الدنيا بمجدك والعلا　　والملك والوزراء والكبراء
مولاي دعوة عبد رق مخلص　　ناء يقرّ به اليك ولاء
أوليتني من جود كفك نعمة　　غراء كانت قبلها آلاء
فلأشكرن نداك ما صحبت يدي　　قلما وصاحب منطقي اصغاء
ولتسمعن قوافيا سيارة　　بالمدح تخفرها سنى وسناء
تصل المغارب بالمشارق والدجى　　بالصبح لا عجز ولا اعياء

(١) الداعي لتأخير هذه الهمزية من حرف الهمزة أنه قصد بها التشكر للحضرة التوفيقية على اجابتها الملتمس في الابيات السابقة

حرف الفاء

قال مؤرخا تأهيل صاحب الدولة البرنس حسين باشا كامل أيضا (١)

بشرى بأحسن فأل يقول والقول يصفو
أرخ لنجو حسين عين الحياة تزف

سنة ١٢٨٩

وقال تاريخا لوفاة دوربيك السويسري مفتش المدارس والمكاتب المصرية بنظارة المعارف عملا بطلب من يطاع

سقى الغيث قبرا ضم شخصا تضمنت معارف مصر منه أسنى العوارف
فلما مضى قال الثناء مؤرخا قضى عمره دور بطيب المعارف

سنة ١٨٨٠ ٩١٠ ٣١٥ ٢١٠ ٢٣ ٤٢٢

حرف القاف

قال عند عودة الجناب الخديوي المغفور له اسماعيل باشا من الاستانة العلية سنة ١٢٨٦ وقد طلب منه أبيات تجعل في مواضع مناسبة من زينة حضرة ولي العهد المعظم توفيق باشا فقال ليكتب على باب السراية التوفيقية

أنوار مصر بتشريف الخديو لها أعيت بوصف حلاها كل منطيق
نور السماء وأنوار العزيز على نور المصابيح في أنوار توفيق

وقال في مليح وضع القلم في فمه ثم كتب به على طرس أحمر

بدر حكى سطره في الطرس اذ عقا دجى عذار على خد حكى شفقا
وافى اليراع عقيقا من مراشفه ثم اعتلى أغلا من جوهر ورقى
فاهتز بيدي صريرا كنت أحسبه داوى به عقل مجنون الهوى ورقى
كأنه حين راح الثغر أسكره غنى فكاد غناه يطرب الورقا

وقال من موشحة استدعاها بعض الاصحاب ليغني بها واقترح أن تكون على هذا الوزن والقافية وأن على بها على الفور

سمح الدهر بأيام اللقا وشفى بالوصل مناحرقا
زار من أهوى ونلت الاملا
وصبا بعد نواه وملا

---

(١) هذا التاريخ هو مثل التاريخ المتقدم في حرف التاء لكن مع الاختصار وتغيير الروي والبحر واحد

كأسه صرفا وغنى رملا　وشذا عطر لماه عبقا

سمح الدهر بأيام اللقا　وشفى بالوصل مناحرقا

ناعس الاجفان لما ابتسما

خجلت من حسنه شمس السما

لى الى بردلماه فيه ظما　هام قلبى فيه حتى احترقا

سمح الدهر بأيام اللقا　وشفى بالوصل مناحرقا

أيها الساقى على اعطف ورق

واجتل الراح على عود ورق

ذهبا قد ذاب فى كأس ورق　فوقه دُرّ الحباب اتسقا

سمح الدهر بأيام اللقا　وشفى بالوصل مناحرقا

هاهو القمرى فى الدوح ينوح

اذرأى النمام بالسر يبوح

ونسيم الروض يغدو ويروح　وفؤاد النهر رعبا خفقا

سمح الدهر بأيام اللقا　وشفى بالوصل مناحرقا

وغصون الروض تيها مرحت

أتراها بلقاه فرحت

وخدود الورد منه فضحت　فالندى قد جال فيها عرقا

سمح الدهر بأيام اللقا　وشفى بالوصل مناحرقا

فاطرح بالله ماقال النصوح

وأدرها فى غُبوق وصُبوح

قهوة تخبر عن أيام نوح　لو ترى فيها لسانا نطقا

سمح الدهر بأيام اللقا　وشفى بالوصل مناحرقا

حرف الكاف

قال فى الغزل

ظبى من الترك قد فتنت به　يترك فى حب مثله النُسك

كأنما الثغر تحت شامته　كأس رحيق ختامه مسك

حرف اللام

طلب منه بعض الاخوان قصيدة على وزن قصيدة ابن مطروح ورويها فقال

غزال حلالى فيه الغزل　حرّم قربى وفى القلب حل

رنا وانثنى فرمى أسهما | من اللحظ تبطل عزم البطل
ورام يحاكيه ريم الفلا | فقلت هل الكحل مثل الكحل
ومال فكم لام فى حبه | عذول عن الحق ظلما عدل
فلما تأمل فى حسنه | تلظى بنار الهوى واشتعل
فياعجبا لجفون مراض | وسيف لواحظها قد قتل
ذوابل بالسحر مكحولة | ببابل هاروت عنها انفصل
ويا طيب يوم به جادلى | وداجى الهموم انمحى واضمحل
فقلت له يا بديع اللقا | ومن رى غصن النقا والاسل
ويا فاتنا بالجمال العقول | ويا سالب الظبى سحر المقل
فضحت الغزال وفقت الهلال | وأخجلت شمس الضحى فى الحمل
وكم ذا الجور وجفنى يجود | بدمع يزيد الضنى والعلل
ومابال غيرى أدنيته | وأعطيته فى هواك الأمل
وسعد سواى بدا طالعا | وطالع سعدى غدا فى زحل
فهلا تميل لوصل العليل | وتقطع هذا الجفا والملل
وقد كنت قبل الهوى آمنا | فأوقعتنى فى العنا والوجل
ومازلت أنظم در الكلام | وأنثر دمعا همى وانهمل
الى أن بلغت أعز المرام | على رغم أنف العذول الاذل
ورق فقرت به العين اذ | تكرم لى بلذيذ القبل
وقال اغتنم فرصة نلتها | وربك ذو العفو عما حصل
فقابلت ذا النصح لى بالقبول | وقبلت ثغرا لماه عسل
وعانقت ذاك القوام الرشيق | وجدت بنظم رقيق الغزل
فأمطر جفنى حتى روى | بروضة خديه وردا الخجل
وفكرى قد حار فى حسنه | ووجدى باحسانه قد كمل

وقال قدعفا فى المجون

وهيفاء من آل الفرنج حجابها | على طالبى معروفها فى الهوى سهل
تعلقتها الافى هواها مراقب | يخاف ولافيها على عاشق بخل
اذا أبصرت من ضرب بارز قطعة | من الاصفر الابريز زلت بها النعل
هنالك لاهجر يخاف ولاجفا | لديها ولاخلف لوعد ولا مطل
أتيت كما شاء التصابى رحابها | وما كان لى عهد بأمثالها قبل

فلما

فلما تعارضنا الحديث تعرضت   لوصل ومن أمثالها يطلب الوصل
فرحت بها في حيث لا عين عائن   ترانا ولا بعل هناك ولا أهل
وبت ولي سكران من خمر لحظها   وراح ثناياها ومن خدها نقل
وقت ولم أعلم بما تحت ذيلها   وان كان شيطاني له بيننا دخل

ووصل اليه سؤال أوله

أيا أهل الهوى هل من دواء   لقلب حفه شوق ثقيل

فأجاب عنه بقوله

أيا من شفه داء دخيل   بوجد جسمه منه نحيل
سألت أولي الصبابة عن دواء   لمن يهوى وذلك مستحيل
لقد أسمعت من ناديت لكن   لعمرك من شكوت له عليل
ولو ذاق الهوى بقراط يوما   لضل بطبه عنه السبيل
وكم مثلي ومثلك مستهام   شج بلحاظ فاتنه قتيل
وكم من فارس بطل شاه   أسيرا في الوغى لحظ كحيل
ولو كان الغرام له دواء   لكان دواءه الصبر الجميل

وقال مؤرخا تأهل المرحوم البرنس حسن باشا ولم نجد الا شطر التاريخ

نجل	الخديوي	حسن	تأهلا
٨٣	٦٥١	١١٨	٤٣٧

سنة ١٢٨٩

وقال مليا على أول تلميذ تقدم في الامتحان العمومي للمكاتب الاهلية في ٥ شعبان سنة ١٢٨٩

أدم يا الهي لأوطاننا   جناب الخديوي وأنجاله
ووفق بتوفيقه قطرنا   لما هو أبقى وأنجى له

وكتب الى صديقه الفاضل المرحوم الشيخ علي الليثي حين انتقال الخديوية المصرية الى الحضرة التوفيقية بانفصال الجناب الخديوي اسماعيل باشا عنها اعلاما بذلك وأرسله على يد تابع له

يا راكب الوابور ينتهب المدى   عجلا ويطوي الميل بعد الميل
عرج على العياط وانزل بعدها   بالصف واذكر ثم خير مقيل
واقرأ على الشيخ الجليل تحية   مقرونة بالشوق والتبجيل
وقل البشارة مصر ولي أمرها   توفيقها من بعد اسماعيل
جاء القناصل باتفاق مبرم   فدعوهما لتنازل وقبول

فارتاب اسماعيل واضطربت به ... أحواله والخطب أيّ مهول
وأقام يبرم أمره ويحله ... متعللا بالقال بعد القيل
حتى أتى أمر الخلافة معلنا ... مضمونه بالمنع والتنويل
فقضى الخديوي بالحكومة لابنه ... ومضى يهيئ نفسه لرحيل
فاذا اعترى ماقلت شائب شبهة ... والشك مدرجة لردّ قبول
فعليك بالايمان يتلو بعضها ... بعضا تحدّر كانحدار النيل
بالله تبتدر اليمين بذاته ... وصفاته وبمحكم التنزيل
واشفع يمينك بالطلاق ثلاثة ... ان شاء تحلفها بلا تأويل
حتى اذا استأنست من تصديقه ... بعلائم التكبير والتهليل
فانهض به في الحال نهضة مسرع ... للعود لا يلوى على تعليل

حرف الميم

نستفتح هذا الحرف بقصيدة نبوية عثرنا على مسودتها فأثبتناها كما هي مبقين البياضات التي تركها على حالها لما يظهر أنه ماتركت هذه البياضات الا ليجعل بها أبياتا مناسبة للمذكورات قبلها وبعدها من باب توفية القول حقه فيما أراده وقد علقنا على بعض كلماتها تفسيرات موجزة

لمن(١) كل مطواع العنان كريم ... يخف على متن الفلاة كريم
طمرّ(٢) طموح الطرف أجرد سابح ... جموح خفيف الساعدين جموم(٣)
يظل يباري(٤) في الاصائل ظله ... ويعدو لدى الظلماء عدو ظليم
وهوجاء(٥) فتلاء المرافق جسرة ... شمردلة عيطاء ذات وسوم

(١) لمن باللام الجارة ومن الاستفهاميه وكلمة كريم التي في صدر البيت من الكرم والتي في عجزه مركبة من كاف التشبيه وريم بمعنى الغزال (٢) طمر بكسر الطاء والميم وتشديد الراء الفرس الجواد (٣) جموم كصبور فرس كلما ذهب منه جرى جاء جرى آخر كما في القاموس (٤) يباري أي يسابق والظليم ذكر النعام (٥) لفظ هوجاء صفة لناقة محذوفة ومابعدها من الصفات جار عليها في اللسان الهوجاء من الابل الناقة التي كأن بها هوجا من سرعتها وقد فسر الهوج بالحمق وفيه وناقة فتلاء ثقيلة وناقة فتلاء اذا كان في ذراعيها فتل وهو كما فيه اندماج في مرفق الناقة وفيه وجمل جسر وناقة جسرة ومتجاسرة ماضية وفيه أيضا الشمردلة الناقة الحسنة الجميلة الخلق والعيطاء الطويلة العنق في اعتدال والوسوم جمع وسم وهو أثر الكي والعرب تسم ابلها وسوما مخصوصة لتميزها عن غيرها اه

وكوماء

وكوما(١) أدماء الجلابيب أولعت ... بطى بساط الارض طى أديم
عليهن نشوى هزة وارتياحة ... ولا راح تجلوها أكف نديم
تهزهم الذكرى كما هز ناضرا ... من الايك لدن العطف مر نسيم
يؤمون(٢) حيث الصبح يتلع(٣) جيده ... ويلوى سواد الليل عطف(٤) هزيم(٥)
يرومون أرجاء الحى زارها الحيا(٦) ... بكل جميم الودق غير ذميم
فيالهم ركب البر والبشر والندى ... نعمتم ودمتم فى ظلال نعيم
أرونى فتى سبط الخلائق ينتمى ... الى حسب فى الماجدين صميم
تحن الى العافى(٧) حمامة صدره ... ويحنو على العانى حنو حميم
أحمله نحو الحى ما خف حمله ... تحية صب للغرام غريم
سلاما كما مرت على الروض شمأل ... فعادت بريا الرند ذات شميم
وأشكو اليه ما تكن جوانح ... أقام بهن الشوق سوق هموم
عساه اذا اجتاز الغميم(٨) الى الحى ... يقص على أهليه بعض غموم
وفى كلكم من تاد خير فبلغوا ... لبانة(٩) محزون الفؤاد كليم
وقولوا تركناه مقيما وقلبه ... وقد زمت(١٠) الاظعان غير مقيم
يسارق فى إثر الركائب نظرة ... يردّدها والنفس رهن وجوم(١١)
ويكتم وجدا كاد يبدو وكمينه ... بدمع على سر الضمير نموم
وتعرض ذكراكم فيرفض جفنه ... فيعرض(١٢) والآماق ذات كلوم
يكف شؤن الدمع(١٣) خيفة شانئ ... يلم بقول فى الملام أليم

ويا حاديها خفضا السير وارفقا ... يسيرا فبعض الرفق غير ملوم

(١) الكوماء ناقة عظيمة السنام طويلته والادماء من الابل الناقة الشديدة البياض والجلابيب فى الاصل القمص أراد بها هنا الجلود (٢) يؤمون يقصدون (٣) اتلع مد عنقه وهنا مد فقط (٤) العطف من كل شئ جانبه (٥) هزيم أى مهزوم (٦) قوله زارها الحيا جملة دعائية وجميم الودق كثير المطر وغير ذميم احتراس (٧) طالب الرزق (٨) الغميم بفتح الغين اسم مكان بالحجاز (٩) بضم اللام حاجة (١٠) أى شدت ركائب الاظعان (١١) الوجوم السكوت عن غيظ ويطلق على الحزن (١٢) قوله فيعرض أى يأتى العروض أى مكة أو المدينة أو ما حولهما ومعنى البيت أنه اذا عرضت ذكراكم يسيل جفنه بالدموع فيأتى مكة أو المدينة أو ما حولهما وآماقه ذات كلوم أى جروح من كثرة سيلان الدمع من جفنه اهـ (١٣) شؤن الدمع أى مجارى الدمع الى العين

غدا تذر البيداء والسير والسرى (١) ذراها من الانضاء نهب سهوم

رويدكما فاستبقياهن تبلغا بهن حطيم البيت (٢) غير حطيم

الى أن تحطا عند طيبة رحلها فياطيب مثوى للنزيل كريم

لدى خير من تزجى (٣) له أرحبية تشد عرى إرقالها برسيم

أجل الورى المبعوث فى خير أمة بخير هدى من فرع خير أروم (٤)

نبى هدى الله العباد بهديه لتوحيده من بعد غى حلوم (٥)

أطل (٦) على ليل من الشرك ضارب رواقيه غربيب الرداء بهيم

فما زال حتى ضاء شرق ومغرب بنور جلا الآفاق منه عميم

وأوضح نهج الحق من بعد ما عفت معالم آيات له ورسوم

ويا صاحبى ودى وللود ذمة وعهدى بذاك الود غير ذميم

وهذا كتاب الله جل ثناؤه بفيض مدح فى علاه عظيم

نبى كريم للعفاة مؤمل رؤف بحال المؤمنين رحيم

يلوذ بحقويه (٧) العفاة اذا دجا ظلام ملم أو ملم ظلوم

به يغفر الله الذنوب ويرتجى شفاعته فى الحشر كل أثيم

وتزدحم الآمال حوليه عوذا بباب كفيل بالنجاح زعيم

كما ازدحمت هوج الركائب (٨) وردا بذى شبم عذب النطاف جموم

(١) أى ان البيداء والسير والسرى يتركن أسنمة هذه النياق من أجل انضائها أى اهزالها يقال انضى السفر الابل أى أهزلها (نهب سهوم) أى كل من البيداء والسير والسرى ينهب من الاسنمة سهما (٢) حطيم البيت الحجر والحطيم الثانى بمعنى المحطوم أى المكسور (٣) تزجى أى تساق والارحبية بالحاء المهملة نسبة الى أرحب اسم قبيلة أو فحل تنسب اليه النجائب الارحبية والارقال نوع من السير سريع وهو بكسر الهمزة والرسيم سير سريع مع تأثير فى الأرض (٤) أى أصل (٥) حلوم بضم الحاء جمع حلم بكسرها بمعنى العقل (٦) أطل على ليل أشرف عليه ورواقيه بكسر الراء وضمها جانبيه والغربيب الاسود وكذلك البهيم والرداء ملحفة معروفة اهـ (٧) الحقو بفتح الحاء وكسرها الكشح أو الازار ومعقده كما فى القاموس والمراد أن العفاة يلجؤن بجانبيه أى بذاته (٨) هوج الركائب بضم الهاء جمع هوجاء بفتحها وذى شبم صفة مورد محذوف والشبم بفتح الباء معناه البرد والنطاف بكسر النون جمع نطفة بضمها وهى الماء الصافى وجموم بفتح الجيم معناه البئر الكثيرة الماء وهو بدل أو عطف بيان من ذى شبم والمعنى انها وردت مورد ذى برد عذب المياه الصافية وذلك المورد هو بئر كثيرة المياه

يحف

يحف به غض من النبت نوره ... يرف رفيف البرق[1] بين غيوم
تعهده صوب العهاد[2] بأوطف ... من المزن محلول الوكاء سجوم
فعاد كأنما خط من خده حبرة ... من الخز أو حبرت خط رقيم

يوافيه[3] مولاها بشعث ضوامر ... سواغب بيدين الكلالة هيم
فيصدرها شكرى البطون[4] روية ... بوادن قد أوعين ثقل جسوم

وشق له البدر المنير كصدره ... ومن إسمه ذى الحمد وسم وسيم
وحلاه من أسمائه وصفاته ... وسمو عن التشبيه وصف قديم
بحق مبين مؤمن ومهيمن ... رؤف رحيم بالعباد كريم

وأسرى به والليل مرخ سدوله ... سرى خير حب للحبيب مروم
من البيت للبيت المقدس قادما ... الى بيته المعمور خير قدوم
الى الرفرف الاعلى بحيث تفاخرت ... خطا كل مرفوع المكان عظيم
فأوحى بما أوحى الى خير حافظ ... لمستودع الاسرار غير غموم
قضين بتبليغ الرسالة قائم ... باعباء ذاك الخطب غير جهوم[5]
له المعجزات الغر يقصر دونها ... سنى[6] وسناء نيرات نجوم
أتى بكتاب الله يتلوه داعيا ... لاقوم دين بالنجاة زعيم
كتاب مبين يمحق الريب محكم ... تقاصر عنه قول كل حكيم

(١) قوله يرف رفيف أي يبرق بريق البرق (٢) صوب العهاد الصوب الانصباب والعهاد جمع عهد وهو أول المطر أو هو مفرد بمعنى المطر الضعيف وقوله بأوطف أي بسحاب أوطف فهو صفة سحاب محذوف والوكاء الرباط وسجوم بفتح السين صفة ثانية لموصوف أوطف أى سحاب أوطف سجوم والاوطف السحاب المسترخى لكثرة مائه أو الدائم السح والسجوم المنصب الماء (٣) يواف أي يأتي والشعث مغبرة الرأس والضوامر المهزولة والسواغب من السغب وهو الجوع أو العطش والكلالة الاعياء والهيم الابل العطاش (٤) شكرى البطون أى ملأى وقوله أوعين أى جمعن (٥) جهوم أى ضعيف (٦) سنى أى نورا وسناء رفعة اه

تحدّى(1) به فى الانس والجن معلما ... فلم يبد غير العجز كل عليم

اليك رسول الله خدمة مدحة ... وحسبى علا إن اسم(2) باسم خديم
لك الخير يا نفس افقهى الامر وانظرى ... ولا تحطمى فى القول حطم هشيم
بأىّ كمال رمت أن تترقى ... لخدمته قد رمت نيل عظيم
أأنسيت ما قدّمت من كل سيئ ... لهوت به فى حادث وقديم
ومعصية الرحمن فى طاعة الهوى ... بكل مقام كان غير قويم
وضيعت طول العمر فى غير طائل ... وطوّلت بالتقصير حبل هموم
وسوّدت وجهى بالمعاصى وقد بدا ... به من بياض الشيب وشى رقوم
خطاك الى نحو الخطايا سريعة ... وسعيك للطاعات سعى سقيم
نعم لك فيما قد تمنيت وجهة ... فقد لذت فيما رمته بكريم
كريم لو امتار الجهام(3) بنانه ... لسال بفيض الودق غير جهوم
كريم يرى أن لا تردّ يد امرئ ... تمدّ له الا بغير حروم

وقال يتشكر للحضرة الخديوية التوفيقية بعد أن نظم القصيدة الاستعطافية المتقدمة فى حرف الراء التى مطلعها

كتابى توجه وجهة الساحة الكبرى ... وكبر اذا وافيت واجتنب الكبرا

وقد سمح له بالمثول بين يديه وحظى باقباله عليه وأعيد معاشه اليه

خدمة فكريه ومدحة تشكريه لولى النعم الخديو الافخم

لى الله من عانى الفؤاد متيم ... ولوع بعذرى بالدلال منعم
وفىّ كما شاء الغرام ولو رمى ... بى البين غدرا بين أنياب ضيغم
صبور على جور الغرام وعدله ... شكور على زور الخيال المسلم
وقد عشت عمرى أتقى عادى الهوى ... وأسحب أذيال الخلىّ المسلّم
ألوم على دين الصبابة أهله ... وأسخر من حال العميد المتيم
الى أن رمى قلبى هواك بأسهم ... تلتها يد البين المشت بأسهم
فأصبحت أُلحى بالذى كنت لاحيا ... عليه وأرمى بالذى كنت أرتمى

(1) تحدى أى طلب المعارضة به (2) إن اسم ان شرطية جازمة لاسم بحذف الالف وحسبى علا دليل جواب الشرط عند البصريين وعين جواب الشرط مقدما عند الكوفيين اه (3) السحاب الذى لا ماء فيه وجهوم فى آخر البيت بمعناه

أُعدّ عذاب الحب عذبا وبؤسه ... نعيما ومن يبلُ الصبابة يعلم
بلوت الهوى حتى عرفت صروفه ... جميعا على الحالين بؤس وأنعم
فلا النأى بى يناى عن الوجد والهوى ... ولا القرب بى يدنو لبعض التبرم
نأيت بقلب فى جمالك مشيع ... وعدت بقلب فى ذرالك مخيم
فلا يطمع اللاحى بوضع سلوة ... عن الحب فى أنحاء قلب مقسم (١)
ولا يدّع الواشى النموم بأننى ... عصيت الهوى أورمت طاعة لوّم
جمالك أغرى بالغرام جوانحى ... وأذكى على الاحشاء نيران مُضرَم
وألقى الى أيدى التصابى أزمتى ... فعاودت بعد الشيب صبوة مغرم
ولذت باعطاف القريض وطالما ... رميت ذُراه بالقلى والتجهم
ولكننى أزويه عن غير أهله ... وأُهديه مدح الخديو المعظم
مليك يردّ الطرف من دون شأوه ... حسيرا لدى نهج من الحق أقوم
بعيد مجال الشوط فى كل غاية ... من الفخر دان للندى والتكرم
قريب منال الصفح عن كل زلة ... اذا لاذ ذو جُرم بأهداب منـدم
اذا اغتنم الغضبان للفتك فرصة ... رأى هو أن العفو من خير مغنم
وليس كفضل العفو فضل ومفخر ... ولا سيما من قادر متحكم
رعى الله فى أمر الرعايا يسوسهم ... مسهّد عين الفكر غير مهوّم
فأمن لذى روع وروع لمعتد ... وصون لذى يسر ويسر لمعدم
مناقب يستعصى على الوصف حصرها ... وأنّى لباغى العدّ إحصاء أنجم
تدارك أمر الملك بعد صعائب ... من الخطب شتى بين فذّ وتوأم
فأحكمه بالعزم والحزم وانتضى ... له نصل مَضّاء من الرأى مخذم
على حين أمسى الناس فى جنح داجر ... من الشر مسدول الرفارف مظلم
فأطلع من آرائه كل كوكب ... يكشف أستار الظلام المخيم
وسدّ فضاء البحر طُمّ عُبابه ... بسود خفاف فى حفافيه جثم
بوارج أمثال البروج تقاذفت ... بحمر كأمثال الصواعق رُجّم
بواخر ترمى الشاهقات بمثلها ... سراعا كأسراب الحمام المحوّم
دوارع يلقين المخاوف آمنا ... بهاسر بها من كل هول ومرغم
من اللاء لا يتركن حصنا محصنا ... ولا أنف برج شامخ غير مُرغم
يطارحن أسراب المدافع فى الوغى ... بكل رجيج وزنه غير أخرم

(١) مهموم

وسالت شعاب الارض بالجند زاحفا ... بكل سبوح من كميت وأدهم
يموج به الماذىّ فى كل مأزق ... كما زخرت أمواج يمّ ميمم
وغشّى ضياء الشمس أسود حالك ... من النقع معقود بأقتم أسحم
تغيم منه الافق والصحو سافر ... لثاما ووجه الجوّ غير مغيم
وأرعدت الارض السماء وأبرقت ... بصيّب ودق للمنية ينهمى
وجاوب أصداء البنادق مثلها ... نداء فما يبقين غير مكلم
ونازع فيها ابن الكروب نديده ... رسائل ليست للتودد تنتمى
ولولاك لم ترفع من النصر راية ... لجند ولم تفتح مغالق معصم
بعزمك صال السيف واشتجر القنا ... وعبّ عُباب الجيش والحرب تحتمى
فلما تداعى الشر واضطربت به ... قوائم قوم من جبان ومقدم
وأصبح ما بين المهند والطلى ... من القرب أدنى من بنان لمعصم
عفوت وكان العفو شيمة قادر ... ولو شئت أشرقت الصوارم بالدم
وشالت باطراف الرماح جماجم ... تميد باعطاف الوشيج المقوّم
وسالت باشلاء الرجال أباطح ... فأشرب من ماء النيل صبغة عندم
وطلت دماء ماتزال مصونة ... وطاح برىء تحت أثواب مجرم
أبت ذاك نفس ردّ دينها التقى ... وقلب يخاف الدهر غشيان مأثم
سجية مطبوع على الخير راحم ... ومن يرحم السموات يرحم
اليك أبا العباس أزجى نجائبا ... من الشكر لم تعلق بها نار ميسم
كرائم تقفو إثر غُر كريمة ... سوالف قد حازت فضل التقدم
ضممن الى شرق البسيطة غربها ... فلم تبق فيها مجهلا غير معلم
فأنت الذى أوليتنى الخير منعما ... ولست الذى يرضى بكفران منعم
وطوّقتنى الآلاء قدما وحادثا ... وذو الطوق مشغوف بفضل الترنم
وأنت وربى الله مولاى لم أزل ... الى خير شعب من ولائك أنتمى
فلا تستمع فى العبد بغى مفند ... ركيك أواخى النطق أعجم مفحم
حسود يرى النعماء فى عينه قذى ... فناظره من طول ماقد رأى عمى
رمانى بهجر القول لا در دره ... ولو رمت قول الهجر لم يستطع فمى
أأنطق لغوا بعد كل منضد ... من المدح فى جيد الزمان منظم
تسير به الركبان ما بين منجد ... وآخر يبغى الغور منهم ومتهم
يزيد على كر الجديدين جدة ... ويصرم عمر العصر غير مصرم

حلفت بعاضم الكتّاب وما وعت | صحائفه من صادق القول محكم
لقد كذب الواشون فيما سعوا به | من الغيّ في طيّ الحديث المرجم
وقد وسموني بالذي اتسموا به | وما القول الا النبسة المتكلم
وقد غرّهم اصغاء سمع وراءه | فؤاد له عين على كل مبهم
بطالع مكنون الغيوب مسطرا | على صفحات الوجه عند التوسم
فيستطلع السر الخفيّ مؤيدا | بنور اليقين المحض لا بالتوهم
ويدرك غيب الغيب عفوا بحكمة | ورأى صواب لا بزؤيا مهوّم
فلا يحسب الباني على الزور ما بني | سيلبث إلا قيد وشك التهدم
سيطفئ نار الأفك سيل عرمرم | من الصدق مشفوع بسيل عرمرم
ويصدع نور الحق أبلج واضحا | فيلوي بليل من دجى المين مظلم
ولو شئت حكت القوافي بيننا | عياضي شباة القول فيم مصمم
ثقيل على قلب الحسود حديثه | خفيف على سمع المسامر والفم
يثير دخان النقع فوق رؤسهم | بنار على الأعداء ذات تضرم
زعيم بذي ليل من الهجو أليل | يشدّ عرى يوم من الذم أيوم
ولكنني أنهى اللسان عن الخنا | وألوي عنان الاعوجيّ المقوّم
سأضرب صفح القول عنهم نزاهة | وأطويه طيّ الاتحمي(١) المسهم(٢)
وأفزع بالشكوى الى حكم عادل | بصير ببادي أمرهم والمكتم
محيط بما فوق السموات علمه | وما تحت أطباق الثرى لا معلم
أليس بكاف عبده وهو قائم | على كل نفس بالقضاء المحتم
ودون الذي يلقونه من عقابه | عدالة طبع الداوريّ المفخم
أيستامني ريب الزمان ظلامة | ومازلت بالباب الخديويّ أحتمي
أردّ به كيد العدا في نحورهم | وألوي به زند الالد المصمم
وقد وضحت شمس النهار لمبصر | وأسفر وجه الافق غير ملثم
ودمّر ما قد شيدوا كل محكم | من الحق مبنيّ على الصدق مدعم
وأصبح بتوفيق من الله مسعدي | وحسبي بالتوفيق حصنا لمحتمي
ومازال حصني في الخطوب ومعصمي | وكفى اذا بارزت خصمي ومعصمي
سأشكره النعماء ما عانقت يدي | يراعي وما استولى على منطق فمي

ولما أنهى القصيدة المتقدمة ورأى أنها طويلة وقد كان أشار عليه بعض الاعزة المتقربين الى الحضرة الخديوية أن يختصر القول حذف منها أبياتا عدة ونقلها

(١) الاتحمي البرد (٢) المخطط

جماعة من الاحبة بعد ذلك الحذف ثم أشار بعض الاصحاب بزيادة الاختصار وعدم مجاوزة العشرة فاقتصر على عشرة أبيات فى وزنها ورويها وأدمج فيها بيتين منها وهى هذه

ألا إن شكر الصنع حق لمنعم فشكرا لآلاء الخديو المعظم
مليك له فى الجود فضل ومفخر على كل منهل من السحب مرهم (1)
بعيد مجال الشوط فى كل غاية من الفخر دان للندى والتكرم
تلافى أمور الملك خوف تلافها بحكمة وضاح من الرأى محكم
فبوأ ظل الامن كل مروع وروى بفياض الندى كل معدم
وأجرى زلال العفو صفوا لغيره ولولا التقى شابته صبغة عندم
وقد حفنى من فيض نعماه بالرضا وأردفه فضلا باحسان منعم
وأوردنى من راحه نشوة المنى فلابدلى فى مدحه من ترنم
سأشكره النعماء ما عانقت يدى يراعى وما استولى على منطق فى
فلازال محروس الحمى متمتعا مع الخيرة الأشبال فى خير أنعم

وقال فى حاجة

وحاجة فى البلاد لى عرضت جربت فيها العقول والهمما
فهى محك الرجال يكشف لى بها طباع اللئام والكرما

وقال عند عودة المغفور له اسمعيل باشا من الاستانة سنة ١٢٨٦ بناء على طلب ابعلق فى زينة ولى العهد اذ ذاك جهة المحمودية وقد تصادف ازدياد النيل وقتئذ

سرت بتشريف الخديو دياره من بعد فرط تشوق وغرام
والنيل وافاه النسيم مبشرا فأتى يقبل موطئ الاقدام

حرف النون

قال مؤرخا تأهيل المرحوم البرنس طسن باشا ولم نعثر على صدر البيت الثانى

قران عز واقبال بشائره فى مصر مسمعها بين الانام حسن
أرخت قد لاح تأهيل المشير طسن

سنة ١٢٨٩ ١٠٤ ٣٩ ٤٤٦ ٥٨١ ١١٩

وقال مؤرخا عمارة مدرسة البنات بالسيوفية من طرف صاحبة العصمة جشم آفت خانم أفندى ثالثة حرم المغفور له الخديوى اسمعيل باشا الافخم مطرزا أوائل الابيات بلفظ جشم آفت خانم

جادت يد الحرم العالى بما افتخرت مصر به وتباهت سائر المدن
شادت على الخير والاحسان مدرسة تزهو بأبدع شكل معجب حسن

(1) اسم فاعل من أرهمت السماء أتت بالرهمة وهى المطر الضعيف الدائم

محل

محل مجد لتعليم البنات سما ... عصر في سالف الاعصار لم يكن

٧٨ ٤٧ ٥٨٠ ٤٨٤ ١٠١ سنة ١٢٩٠

أدّت به واجبات للعلى ووفى ... معروفها بفروض البر والسنن

في ظل أيام اسمعيل لابرحت ... قريرة بعلاه أعين الوطن

تقبل الله منها حسن نيتها ... وما أفادت من الآلاء والمنن

خير لرونق مرآه ومسمعه ... بأرض مصر سرور العين والاذن

أبقته للوطن المحروس مأثرة ... غراء تفضل وصف الواصف اللسن

ندعو لها الله أن تبقى ممتعة ... بطول عمر خديوينا مدى الزمن

مافاه فكري بشطريه يؤرخه ... عالي بناء لتعليم البنات بني

سنة ١٢٩٠ ١١١ ٥٣ ٥٨٠ ٤٨٤ ٦٢

وقال مؤرخا مولد حسن راسم بيك نجل المرحوم حسن راسم باشا سنة ١٢٩٢

بشرى بخير هلال سعد طالع ... باليمن ضاء بنور غرته الزمن

نجل سما بولاء آل محمد ... من شيعة تسمو بحب أبي الحسن

حسن تلقب عن أبيه براسم ... ليسير سيرته على أوفى سنن

قال البشير وقد بدا تاريخه ... سرت بمولد راسم عينا حسن

سنة ١٢٩٢ ٦٦٠ ٨٢ ٣٠١ ١٣١ ١١٨

وقال مؤرخا تجديد مسجد سيدي أبي العباس المرسي بالاسكندرية سنة ١٢٩٨

أجدّ بتوفيق الخديوي مسجد ... غدا حسنه بالثغر قرة أعين

عليه سنا المرسيّ لاح مؤرخا ... لفضل أبي العباس جامعه بني

سنة ١٢٩٨ ٩٤٠ ١٣ ١٦٤ ١١٩ ٦٢

وفي نسخة

تجدد للمرسيّ بالثغر مسجد ... غدا ملء أسماع وقرة أعين

بأيام توفيق الخديو مؤرخ ... لفضل أبي العباس جامعه بني

سنة ١٢٩٨ ٩٤٠ ١٣ ١٦٤ ١١٩ ٦٢

وقال مجيبا المليح قال له كيف أصبحت

أصبحت من فرط وجدي فيك ذا شجن ... وكانت الروح كادت أن تفارقني

فذ لقيتك كل الهم فارقني ... وألف الله بين الروح والبدن

وقال متغزلا في صباه

مذ تجافت للبعد عنك جفونه ... واصلته آلامه وشجونه

مستهام سرت ليسلواه أعدا ... ء محب مضنى الفؤاد حزينه

كم له في هواك موقف ذل ... بين أيديك عز فيه معينه
ظن أني أسلوك في حالة البعد عذولي والآن خابت ظنونه
يا عذولي كرر ملامك حتى ... يتسلى بذكره مفتونه
وأدر لي دون العشيق حديثا ... فيه أوصاف من أحب تزينه
لا تظن النفور ينقص من حسن حبيبي أو الجفاء يشينه
ان رب العباد أودعه الحسن لعلم بأنه سيصونه
بدر تم لو كان للبدر لحظا ... ه ولو رد خده وجبينه
أين للبدر مبسم فيه عقد ... من جمان يسبي النهى مكنونه
وبه للمحب ماء حياة ... دون إدراكه تحول منونه
غصن بان لو أن للغصن خدا ... عانق الورد ضمنه ياسمينه
وغزال أستغفر الله من أين لظبي هذا القوام ولينه
بل هو الحسن صاغه الله انسا ... ناسويا تسبي النفوس جفونه
ما أحيلى يوم اجتمعنا بروض ... أوردتنا ظلا ظليلا غصونه
كان فيه الرقيب غير قريب ... والزمان الخؤن نامت عيونه
فهجرنا مر المدامة فيه ... بحديث مستعذب مضمونه
ان في سكرنا من اللفظ واللحظ غناء عما تدير يمينه

وقال

أرجو من الله أطيانا أعيش بها ... في أرض مصر على حال السلاطين
ما زال ما عشت لي في الطين كل هوى ... وإنما خلق الانسان من طين

وقال أدوارا لامتحان مدرسة البنات بالسيوفية لتنشدها تلميذاتها عند تشريف ذات العصمة جشم آفت خانم افندي صاحبة المدرسة المذكورة لذلك الامتحان في سنة ١٢٩٣

يارب كل العالم ... اسمع بخير دائم ... لجشم آفت خانم ... وجمع كل السامعين
اليوم وافانا الهنا ... والدهر حيا بالمنا
بخير يوم يومنا ... بجمع شمل الحاضرين
يارب كل العالم ... اسمع بخير دائم ... لجشم آفت خانم ... وجمع كل السامعين
من شرفوا هذا المكان ... بالفخر يوم الامتحان
يوم الهنا والمهرجان ... يوم يسر الناظرين
يارب كل العالم ... اسمع بخير دائم ... لجشم آفت خانم ... وجمع كل السامعين
يوم التباهي بالعلوم ... يوم التناهي في الفهوم
يوم له خير يدوم ... للفائقين السابقين
يارب كل العالم ... اسمع بخير دائم ... لجشم آفت خانم ... وجمع كل السامعين

أعاده المولى الجليل بالعز والخير الجزيل
والانس والحظ الجميل للكل فى كل السنين
يارب كل العالم اسمع بخير دائم لجنتم آفت خانم وجمع كل السامعين
فى ظل ذى الجود الاعم خديونا مولى النعم
من خيره وفى وعم بالجود كل السائلين
يارب كل العالم اسمع بخير دائم لجنتم آفت خانم وجمع كل السامعين
به تحلى عصرنا وقد تجلى نصرنا
حتى تباهت مصرنا على بلاد العالمين
يارب كل العالم اسمع بخير دائم لجنتم آفت خانم وجمع كل السامعين
أدامه رب الانام يسمو لغايات المرام
ممتعا طول الدوام بالنصر والفتح المبين
يارب كل العالم اسمع بخير دائم لجنتم آفت خانم وجمع كل السامعين
تحفه أنجاله أولو النهى أشباله
وقومه وآله فهم غيوث القاصدين
يارب كل العالم اسمع بخير دائم لجنتم آفت خانم وجمع كل السامعين
لاسيما فخر الزمان ذات العلا والامتنان
من أنشأت هذا المكان بقصد نفع الطالبين
يارب كل العالم اسمع بخير دائم لجنتم آفت خانم وجمع كل السامعين

وقال أدوارا أخرى لامتحان مدرسة البنات المذكورة فى سنة ١٢٩٤ لينشدنها أيضا عند تشريف ذات العصمة المشار اليها

العلم تشريف وشان لاهله فى كل آن والفخر يوم الامتحان يبقى على طول الزمن
العلم أسنى ما يرام * ويبتغى منه المرام
ويقتفى نهج الكرام * فيه على أسنى سنن
العلم تشريف وشان لاهله فى كل آن والفخر يوم الامتحان يبقى على طول الزمن
مصر من العصر القديم * نالت به المجد العظيم
من عهد ادريس الكريم * كانت له أسمى وطن
العلم تشريف وشان لاهله فى كل آن والفخر يوم الامتحان يبقى على طول الزمن
انظر لآثار الاول * من بعد تصريف الدول
واترك تفاصيل الجمل * فالعين تهدى من فطن
العلم تشريف وشان لاهله فى كل آن والفخر يوم الامتحان يبقى على طول الزمن

والیوم فی العصر الجدید * أضحی لنا الصیت المدید
فی المجد والفخر العدید * بمالنا فی کل فن
العلم تشریف وشان لاهله فی کل آن والفخر یوم الامتحان یبقی علی طول الزمن
فی حسن تعلیم البنات * آیات حق بینات
فی صدقها کالمعجزات * بالعلم تشفی کل ظن
العلم تشریف وشان لاهله فی کل آن والفخر یوم الامتحان یبقی علی طول الزمن
کم صنعة أبرزنها * بالحسن قد عززنها
وکم لغات حزنها * قد زانها اللفظ الحسن
العلم تشریف وشان لاهله فی کل آن والفخر یوم الامتحان یبقی علی طول الزمن
والخط یزری باللا آل * والرسم کالسحر الحلال
والظرف قد زان الکمال * کالالف بالالف اقترن
العلم تشریف وشان لاهله فی کل آن والفخر یوم الامتحان یبقی علی طول الزمن
فانظر الی هذا المکان * کم فیه خیرات حسان
یبقین فی جید الزمان * أطواق جود ومنن
العلم تشریف وشان لاهله فی کل آن والفخر یوم الامتحان یبقی علی طول الزمن
مبارك بناؤه * قد زانه انشاؤه
علا به علاؤه * عن وصف کل ذی لسن
العلم تشریف وشان لاهله فی کل ان والفخر یوم الامتحان یبقی علی طول الزمن
لحشم آفت أبحره * وللخدیوی نفره
لازال یسمو ذکره * ما صاح طیر فی فنن
العلم تشریف وشان لاهله فی کل آن والفخر یوم الامتحان یبقی علی طول الزمن
أدامه رب الجلال * لعز أنجال وآل
توفیقهم بدر الکمال * وکل کامل حسن
العلم تشریف وشان لاهله فی کل آن والفخر یوم الامتحان یبقی علی طول الزمن

وقال متشکرا للمغفور له الجناب الخدیوی توفیق باشا بانعامه علی هذا الداعی بالنشان العثمانی مکافأة علی تأدیة مأموریتی بمؤتمر المستشرقین الذی انعقد باستکهلم وکرستیانیا سنة ١٨٨٩

لمولای العزیز علیّ فضل . بنعمته علی ولدی الامین
تحقق فی مقام الشکر عجزی . فآثر أن أری ولدی معینی

حرف الهاء

مما قاله عند عودة المغفور له اسمعيل باشا من الاستانة سنة ١٢٨٦ بناء على طلب ليعلق فى موضع من مواضع زينة ولى العهد اذ ذاك

مصر لتوفيق مولاها ورأفته سرت بعود خديويها أهاليها
أضاء نور محياه نواحيها حتى لقد صرن أياما لياليها

وقال ذاما الذى الوجهين

قالوا فلان بالنفا ق أقام ثروته وجاهه
قلت اقصروا فلرب ذى وجهين ليس له وجاهه

وقال فى هجاء

زيد بن عمرو لم يدع مذهبا فى البغى والعدوان الا نحاه
لو تبتغى اللعنة شر الورى ما وجدت من تبتغيه سواه

وقال تهنئة للمغفور له الخديوى السابق توفيق باشا على توليته الحكومة المصرية

تهنئة تاريخية للحضرة الخديوية التوفيقية

اليوم يستقبل الآمال راجيها وينجلى عن سماء العز داجيها
وتزدهى مصر والنيل السعيد بها والملك والدين والدنيا وما فيها
قد أطلع الله فى سعد السعود سنى بدر بلألائه ابيضت لياليها
وقام بالامر رحب الباع مضطلع بالعبء جم شؤن النفس ساميها
ذو همة دون أدنى شأوها(١) قصرت غايات من رام فى أمر يدانيها
وراحة لو تحاكيها السحائب فى فيض الندى هطلت تبرا غواديها(٢)
يزهو(٣) بها قلم سام يسوس به أمر الاقاليم نائيها ودانيها
يجرى بما شاء من حكم ومن حكم يصبو لحسن معانيها معانيها
ورأفة بعباد الله كافلة بخير ما حدثت نفسا أمانيها
مؤيد بالهدى والحق ملتمس رضا البرية لاسترضاء باريها
ترنو على وصف مطريه محاسنه وهل يعد نجوم الافق راعيها
توفيق مصر ومولاها وموئلها(٤) وركنها(٥) ومفداها وفاديها
وغصنها النضر أنمته منابتها من دوحة أينعت فيها مجانيها
خديوها ابن خديويها ابن فارسها أميرها البطل الشهم(٦) ابن واليها

(١) غايتها (٢) الغادية السحابة تنشأ صباحا (٣) يعجب (٤) ملجؤها (٥) ركن الشئ جانبه الاقوى (٦) الجلد الذكى الفؤاد

رأى الخليفة فيه رأى حكمته ... وللملوك صواب فى مرائيها
رآه أجدر أن يرعى رعيته ... وأن يقوم بما يرجوه راجيها
وأن ينحى عنها ما أحاط بها ... من الخطوب التى هالت أهاليها
فجاء مرسومه السامى تطير به ... نجائب البرق يطوى البرّ ساريها
لله يوم جلا عن نور غرته ... كالشمس مزق بُرد الغيم ضاحيها
فى موكب مثل عقد الدر فى نسق ... أو كالنجوم الدرارى فى مساريها
يسير فى مصر والبشرى تسابقه ... فى حيث سار وتسرى فى نواحيها
يحفه أخواه الماجدان به ... مع الوزير شريف النفس عاليها
مشير صدق بحزم الرأى قد عرفت ... أفكاره بين باديها وخافيها
لا تنثنى عن صواب الرأى رغبته ... لرهبة كائنا ما كان داعيها
حتى أتى القلعة الفيحاء فانطلقت ... فيها المدافع بالبشرى تواليها
واستقبلته صفوف الجند قد نظمت ... نظم القلائد زانتها لآليها
داعين تعلن ما فى النفس ألسنهم ... بدعوة الخير والتأمين تاليها
فلتفتخر مصر إعجابا بحاضرها ... على محاسن ماضيها وآتيها
إيه لقد أبدت الايام سرمدنى ... طالت عليه الليالى فى تماديها
وأسعد الطالع الميمون أنفسنا ... بخير أمنية كانت تناغيها
هذا الذى كانت الآمال ترقبه ... دهرا وتعتده أقصى مراميها
مازال فى قلب مصر من محبته ... سرّ تبوح به نجوى أهاليها
تصبو له وأمانيها تطاوعها ... فى حبه وأمانيها تعاصيها
وترتجيه من الرحمن سائلة ... حتى استجيب بما ترجوه داعيها
فالحمد لله شكرانا لأنعمه ... فالشكر حافظ نعماه وواقيها
يا ابن الذين لهم فى المجد قد عرفت ... أخبار صدق لسان الحمد راويها
قادوا الجنائب من مصر مسوّمة ... الى الحجاز الى أقصى أعاليها
غرا سوابق مشهورا سوابقها ... مقرونة بأعاليها عواليها
قُباً[1] ضوامر كالآرام يكنفها ... ليوث حرب بأيديها مواضيها
عوج فى زرد الماذىّ سابحة ... تُخدى[2] بأرجلها عدوا أياديها
رموا بهنّ صدور البيد مُعنقة[3] ... على نحور أعاديها عواديها
قد عوّدوهنّ أن لا ينثنين عن الـ ... ـهيجاء الا اذا كفت عواديها

(١) جمع أقب والأقب من الخيل الرقيق الخصر الضامر البطن والانثى قباء (٢) تتبع (٣) مسرعة

وان

وأن يطأن علـى هام الكماة اذا | لف الوغى بهواديها تواليها
فاستنقذوا حرم الرحمن من عصب | لم يرع حرمة بيت الله راعيها
وأوردوا الخيل نجدا فاستبوه ولم | تعسر عليها عسير في مساعيها
وكان تأييدها أمر الخلافة في | مواطن الحرب من جُلّى معاليها
مولاى دعوة اخلاص يكررها | داع أياديك أرضته أياديها
هنيت علياء قد وافتك خاطبة | تختال تيها وتزهو في تهاديها
علياء فاتت سموا كل منزلة | فلم يكن في سواها ما يساويها
رأت علاك فشاقتها حلاك فلم | تسمح لغيرك من خل يخاليها
وكم سمت نحوها نفس تؤملها | من قبل لكنها ضلت مساعيها
تجاذبوها فرثت في أناملهم | حبا لها وتمادت في تنائيها
قضوا غراما ولم يقضوا بها وطرا | فكان أصل مناياهم أمانيها
فاسلم أقربك الرحمن أعينها | ولا برحت لها مولى تواليها
وأقر سمعك من حلو الثناء حُلى | يلهو بلحن المثاني صوت شاديها
حلى كما انتظم العقد الفريد على | لبات حسناء تجلوه تراقيها
وهاك غراء من حر القريض اذا | ما أنشدت خلب الالباب تاليها
وفخرها أنها في المدح قد صدعت | بقول صدق فلا حي يلاحيها
يسهو بها الراكب المزجي مطيته | عن حاجة راح يغدو في تقاضيها
يسائل الناس أيّ الناس قائلها | وأيّ برّ به الممدوح جازيها
وانما حسبها برا وتكرمة | منه قبول وإقبال يوافيها
تدري القصائد أني لست أقصدها | الا وللحب داع من دواعيها
ولا تجافيت عنها قبل من حصر | بحمد ربي ولا ضنت قوافيها
لكنها نفس حر لا تهمّ بما | لا يستوى فيه باديها وخافيها
تسعى اليك وفرط الشوق قائدها | الى رحابك والاخلاص حاديها
وافت تهنئ مولاها مؤرخة | توفيق مصر بأيدى الله راعيها

سنة ١٢٩٦ | ٥٩٦ ٣٣٠ ١٧ ٦٦ ٢٨٧

حرف الياء

قال في غرض

ويح شيخ زوجوه | منهم ظلما صبيه
فارق الدنيا سليما (١) | من أذاها وهي حيه

(١) يطلق السليم على الملدوغ وهو مورّى به هنا

ما كتبه عن الحضرة الخديوية الاسماعيلية الى بعض الملوك والامراء وغيرهم

كتب الى سلطان مراكش المعظم من جناب المغفور له الخديوى اسمعيل باشا الافخم جوابا عن كتاب

قرة نواظر الدين والدنيا وغرة مفاخر الملك والعليا وبدر مطالع السعد المشرقة أزمانه بلألائه وذخر مجامع المجد المورقة أفنانه بآلائه القائم بأمر الدين الحنيف وحامى حمى الملك المنيف ماحى ظلم الظلم ومبدد مراسمه ورافع لواء العدل ومجدد معالمه ذروة هامة الشرف الأسمى ومن تتباهى بحلاه النعوت والأسما الملك المعظم والسلطان المفخم أمير المؤمنين بالديار المغربية دامت محفوفة بالرعاية الابدية ومحفوظة بالوقاية الاحدية ملحوظة بعين العناية الصمدية ولا برحت أعواد المنابر متباهية باسمه الكريم وأجياد المفاخر حالية بمجده القديم ولازالت سدته الكريمة محل اجلال وتفخيم

سلام يستتبع مزيد التكريم ويستجمع صنوف التبجيل والتعظيم وأدعية بهية تمسك باذيال الاجابة والقبول وأثنية سنية تمسك بها نفحة الصبا والقبول يهدى ذلك لذلك المقام الارفع والحمى الأعلى الأعز الأمنع أدامه الله مورد قبول وإقبال ومعهد فضل وإفضال ولازالت أنديته معمورة بالعز والتمكين وألويته منشورة بالنصر المبين وبعد فقد حظيت بورود مشرفكم العالى وقرت بمطالعته عيون آمالى وشكرت لما تفضلتم بابدائه وسررت بما تطولتم باهدائه واغتبطت بما تكرمتم بحسن بيانه من تأكيد الود القديم وتشييد بنيانه والتهنئة بما تجدد لدى من نعم الله تعالى ومننه التى لا تزال تترادف غيوثها وتتوالى فكان نزهة

النواظر

النواظر وبهجة الخواطر وبغية القرائح ومسرة الجوائح هذا وانى مازلت أسمع أحاديث علاكم متصلة الاسناد فأطرب على السماع وأنشر من مدائح محامدكم ما تتعطر به الافواه والاسماع وأعتد مودتكم غنيمة النفس ومناها ومصافاتكم غاية الآمال ونهاية مداها فقد شاع من محاسن شمائلكم السامية وغرر مزاياكم الكريمة وجلائل فضائلكم النامية وقيامكم بأمر الشريعة الشريفه واهتمامكم بتأييد هذه الملة المنيفة ونشر أنواع العدل بين العباد والقيام على أقدام الاقدام فى مناهج السداد ما تناقلته السمار فى أسمارها وسارت به الركبان فى أسفارها وخلدته الايام فى أسفارها وأخجل الشمس الضاحية فى إسفارها حتى أصبحت الليالى متباهية بعلاه حالية بحلاه وصار مصداق الحديث الوارد فى الطائفة القائمة على أمر الله فأبقاكم الله للاسلام ساعدا وعضدا وللدين قوة ومددا وللانام ركنا وسندا وللحق عمادا ومعتمدا وأدام عليكم وعلينا نعمه باطنة وظاهره وحفنا وإياكم بعونه وعنايته فى الدين والدنيا والآخرة

وكتب اليه أيضا من الجناب الخديوى المشار اليه ردا لكتابين وردا منه

أعز الله أنصار الملك المعظم السلطان الجليل المفخم ذروة هامة المجد الشامخ وغرة جبهة الشرف الباذخ محيى مآثر المعالى وحسنة الايام والليالى وحلية العصر الحالى ومن به يفتخر على الزمن الخالى عز الاسلام وكنز الانام وزينة الايام وخلف السلف الكرام أمير المؤمنين بالديار المغربية لازالت محفوظة بالعناية الربانية أدام الله تعالى دولته وأمد بتأييده صولته ولازالت أعلامه منصورة بالله خافقة كقلوب عداه ولابرحت الدنيا متمتعة بدوام علاه آمين

بعد سلام تترادف بركاته وتترى نفحاته وتتوالى على ذلك النادى الكريم غدواته وروحاته نحمد اليكم الله على نعمه الوافره ومننه الباهره وآلائه الزاهره ونسأله لنا ولكم دوام التوفيق لما فيه رضاه بجاه سيدنا محمد حبيبه الاعظم ومجتباه صلى الله تعالى وسلم عليه وعلى آله وصحبه وجميع المنتمين اليه هذا وقد سررت بورود مشرفكم الكريم المتضمن لزوم المطبعة لذلك الجناب الفخيم وما يحتاجه المخصوص الوارد بشأنها من مزيد التمرين والتفهيم وذلك لما فيها من الاعانة على طلب العلم الشريف وتعليمه وتسهيل السبيل فى نشره بين البرايا وتعميمه وصيانة كتبه الشريفة من تحريف الكاتبين وتقريب تناولها الى أيدى الراغبين والطالبين وهذا دليل ظاهر وبرهان باهر على مزيد عنايتكم فيما فيه المصلحة العامة ورعايتكم لما يعود على الناس بالفائدة التامة واهتمامكم بأمر العلم الكريم وأهله

وقيامكم بما يجب من حق فضله متع الله ببقائكم الملك والعليا ونفع بوجودكم وسعودكم الدين والدنيا وقد أرسلنا الموما اليه الى دار الطباعه وأكدنا على مأمورها باراءته كل ما يلزم لهذه الصناعه والاعتناء بتمرينه على استعمال أدواتها وتوقيفه على كيفية ادارة آلاتها وسائر كيفياتها ثم ورد مشرفكم الباهر على يد الثلاثة المعلمين فى صنعة البارود المراد تعليمهم صنعة التبرديج ورعايتهم حتى يتحصلوا على هذا الغرض المقصود فأرسلناهم الى الباشا وكيل ديوان الجهادية المصرية فى الحال ووصيناه برعايتهم والاعتناء بتعليمهم كل ما يلزم لتلك الصنعة من الاعمال والاشغال وأخذها عن أهلها المتقنين وأربابها الماهرين المتفننين حتى يتحصلوا على البراعه فى أشغال تلك الصناعه هذا والمرجو مواصلة المراسلة على الدوام وكل ما لزم من هذا الجانب فهو رهين الاعلام والمسؤل لنا ولكم من الله الكريم المتعال دوام حسن الحال وحسن المآل بجاه رسول الرحمة ونبى الكمال ٩ حرر فى شوال سنة ١٢٨٣

وكتب منه الى سلطان زنجبار

الملك المعظم والسلطان المفخم سلطان زنجبار صانه الله تعالى من الاكدار

سلام يسفر عن اخلاص المودة سناه وثناء يخبر عن صدق المحبة لفظه ومعناه وتحيات تتمسك بنفحاتها المحافل وتتمسك بأذيالها نسمات الشمائل الى حضرة خلاصة الاماجد الاكارم وينبوع المحامد والمكارم مفخر الملك والعليا وانسان عين الدين والدنيا من أشرقت صفحات الايام بنور اقباله واتفقت كلمات الانام على شكر خلاله وقرت بسعوده النواظر وترنحت بوجوده أعواد المنابر فكأنها الغصون النواضر الاجل الاكرم الاسعد الامجد الافخم المشار اليه أعلاه حرس الله علاه ولا زالت ثغور الملك بمعاليه باسمه ورياح السعد فى نواديه ناسمه وعيون الخطوب على سدته نائمه وغيوث السرور على ساحته دائمه آمين

وبعد فقد وصل الى مشرفكم الكريم وتلقيته بما ينبغى له من التكريم فحصل لى مزيد المسره بصحة مزاج تلك الحضره وأخبرنى أيضا مصطفى بيك قبودان سفينتنا الابراهيمية أنه لما وصل الى جهة مملكتكم المحميه حظى من جنابكم العالى بحسن التشريف وحصل له غاية المساعدة ونهاية التلطيف وشرح لدى ما ناله هناك من صنوف الالتفات والاسعاد وأوصل الى أيضا من طرفكم الشريف فرسين كريمتين من الصافنات الجياد فأحاط بى من السرور والابتهاج بما أبديتموه من معالى هممكم ولاسيما ما اكرمتم به من تشريف تلك السفينة بقدوم قدمكم ما يقصر فى وصفه اللسان ويقصر عن تعريفه بنان البيان ويضيق عنه نطاق

التعبير

التعبير ولا ينفسح له مجال التقرير والتحرير فشكر الله تلك الهمم العوالى وأبقاها مادامت الايام والليالى وهذا المحب بحمد الله فى صحة وعافيه ونعمة من الله تعالى وافيه ولا زال مشمول القلب بالمودة اليكم مشغول اللسان بالثناء عليكم محافظا على صدق الموالاة والوداد مواظبا على حسن المصافاة ومزيد الاتحاد والمرجو أن يتصل ذلك بين الطرفين على الدوام وكل ما لزم من هذا الجانب فهو رهين الاشارة والسلام ٩ حرر فى شهر محرم الحرام سنة ١٢٨٢

من المحب
المخلص اسماعيل بن ابراهيم
ابن محمد على

وكتب منه الى سلطان دارفور

حمدا لمن ألف بين قلوب المؤمنين وجعلهم بنعمته اخوانا فى الدين وصلاة وسلاما على رسول جنابه وسيد أحبابه وعلى آله وأصحابه

من اسمعيل كافل الديار المصرية وما والاها من الاقطار السودانيه الى حضرة صفوة السادة الاماجد الجامع ما تفرق من مكارم المحامد غرة جبين الشرف الاجلى وقرة عين المجد الاعلى بحر الفضل الزاخر وبدر سماء المحاسن والمفاخر وفخر الاوائل والاواخر الملك المعظم السلطان المفخم محمد بن الحسين المهدى سلطان مملكة دارفور حفه الله بدوام السرور والسعد الموفور آمين

بعد سلام ينبئ عن صريح الوداد ويخبر عما فى صميم الفؤاد من صحيح المحبة والاتحاد وتحية يحلو على الالسن حسن تكريرها ويعبر عن صدق الولاء طيب عبيرها وشوق يقل عنه البيان ويكل دونه البنان وسؤال عن الخاطر العالى أدام الله معاليه وحف بطوالع السعد أيامه ولياليه بينما نحن فى انتظار ما يرد من الرسائل والثناء على حسن تلك الشمائل ورد لنا خطابكم الكريم فقابلناه بمزيد التعظيم وسررنا بحسن صحتكم وما أبديتموه من لطف مودتكم فالله يرعى تلك الصحة ويلحظها ويديم هذه المحبة ويحفظها وقد أوضحتم أن سلفنا السعيد المنتقل الى رحمة ربه المجيد ضاعف الله حسناته وأحله أعالى جنانه كان قد جعل السيد موسى العقاد وكيلا فى رؤية أموركم البهية على منهج السداد ونحن أيضا قررناه فى هذه الوظيفه وأوصيناه بالاهتمام فيما يتعلق بتلك الحضرة الشريفه وسيجدنا فى ذلك حسن المساعده ودوام التسهيل والمعاضده ثم ما تكرمتم بارساله مع كريم خطابكم على يد القاصدين الواردين من عالى جنابكم قوبل بقبوله عند وصوله والمبعوث مع القاصدين المذكورين لناديكم الكريم ما هو موضح فى البطاقة المطوية مع هذا الرقيم والمرجو أن تتصل بيننا روابط الود على الدوام كما جمعتنا علاقة

الاخوة فى الاسلام وصلى الله على سيدنا محمد بدر التمام وعلى آله وأصحابه الاعلام غيوث الافضال وغايات الكمال

وكتب منه الى امام مسقط

جناب الاجل الامثل الافضل الاكمل الامام الهمام امام مسقط حفظه الله تعالى ماروضة سحبت عليها السحائب ذيول مطارفها وخلعت عليها من خلع الربيع محاسن طرائفها فظلت تثنى عليها أدواحها بما استودعته أرواح النسيم حين سرت بليلة الاذيال عاطرة الشميم بأحسن ولا أبهى ولا ألطف ولا أشهى من تحية بهية تعلمت لطفها نسمات الشمائل وأثنية سنية استفادت من حسن تلك الشمائل وتسليمات زهية يتلألأ فى أرجاء المودة سناها ويتفيأ فى أنحاء الافئدة ظلال معناها تقدم وتبدى وتتحف وتهدى الى حضرة ذروة المجد الشامخ وتاج هامة السعد والشرف الباذخ حسنة الدنيا وحلية المجد والعليا بدر المفاخر الذى أضاءت به نواحيها ومنار المآثر الذى اهتدى به ساريها رب الهمم العوالى وسليل الاكارم الاعالى وبهجة الايام والليالى وزينة المحامد والمعالى حرس الله مهجته وأدام بهجته وحمى حماه ورعى رعاياه ولازالت ثغور الآمال بوجوده بواسم ورياح الاقبال بسعوده نواسم وبعد فقد وصل الى كتابكم الكريم وتلقيته بما ينبغى له من التكريم فملأ العين قره والقلب مسره والنفس ارتياحا والصدر انشراحا واجتليت منه روضة بلاغة أزهرت نجومها وسماء فصاحة أسفرت نجومها واغتنمت من براعات عباراته الفائقة مزيد المسرات بما أبديتموه من حسن الميل الى وبديع الالتفات وشكرت المولى العظيم على صحة ذلك المزاج الكريم وهذا المحب فى صحة وعافيه ونعمة من الله وافيه فنسأله ونبتهل اليه سبحانه أن يديم علينا وعليكم احسانه آمين حرر فى محرم الحرام سنة ١٢٨٢ المحب

اسمعيل بن ابراهيم
ابن محمد على

وكتب منه الى الملك تيودروس سلطان الاقاليم الحبشية بعد الديباجة

بعد التحيات الزاهره والتسليمات الباهره والسؤال عن الخاطر الكريم والدعاء بدوام العز والتكريم أرى لما بيننا من حقوق الجوار ولصوق الدار بالدار أن من الواجبات العينيه واللازمات المرعيه إبداء النصيحة كلما اقتضى الحال والاشارة عليكم بما فيه الخير والسلامة فى الحال والمآل وقد تحقق الآن عندنا بوجه اليقين الخالى عن الظن والتخمين أنه لما طالت مدة الحبس بذلك الطرف على

قنصل الانكليز ورفقائه المسجونين رأت حكومة الانكليز أن من الواجب عليها واللازم المهم لديها استعمال الحالة الجبريه في استخلاصهم بالقوة العسكرية رعاية لمن في حمايتها ووقاية لشرف دولتها ولذلك لزمها قطع روابط الحب مع حضرتكم والاعلان بالحرب على جهتكم وهاهي جهزت عليكم من أجل ذلك جيشا كبيرا وعسكرا كثيرا وافر العدد مستكمل الآلات والعدد ولا يخفى على فطنتكم وحسن خبرتكم أن دولة الانكليز من قديم الزمان مشهورة بالشجاعة والقوة والبأس والسطوه وما كان سكوتها الى هذا الوقت كل هذه المدة المديدة والاعوام العديده إلا تباعدا عن الشر ورغبة في بقاء الصلح والخير وأملا في اطلاقهم بغير قتال والافراج عنهم بحسن الحال فاذا لم تحصل على هذا المرغوب فلا بد لها من اشعال نار الحروب واستعمال القوة الجبرية والحالة القهرية بما لا يخفى سوء عاقبته وشر نتيجته ولابد أن يكون قد أحاط علمكم بما صنعته الدولة المذكورة في بلاد الهند وفي بلاد الصين مع كثرة أهاليها وسعة أراضيها وبعد نواحيها ثم انا بيننا وبين هذه الدولة مودة قديمه وعلائق محكمة ومحبة قويه وهذه العساكر والجنود عند دخولها الى جهتكم يكون مرورها بالضرورة من أراضى الحكومة المصرية ولا سبيل لمنعها عن المرور وصدها عن القصد المذكور الا بالمبادرة من حضرتكم الى اطلاق المحبوسين المذكورين وتسريحهم الى بلادهم مسرورين قبل اشتعال نار القتال واشتداد الاهوال وتلف الرجال وضياع النفوس والاموال فلذلك دعتني المحبة الوفيره وصفاء السريره وحقوق الجيره أن أنصح لحضرتكم في هذا الامر وأشير عليكم بالتباعد عن ذلك الشر فان أردتم الخير لكم ولبلادكم والسلامة وحسن العاقبة فاقبلوا هذه النصيحة الودادية والاشارة الحبية وأسرعوا باطلاق القنصل المومأ اليه وباقي المحبوسين المذكورين وأرسلوهم الى جهة مصوع أو الى آخر حدود حضرتكم آمنين مطمئنين مع التكرم باخبارنا عن ذلك لنبادر باخبار الدولة الانكليزية رجاء أن تحجز عساكرها عن التقدم اليكم والمسير عليكم فانهم اذا دخلوا حدودكم ونزلوا ببلادكم بهذه الجيوش الكثيرة والجموع الغزيره والادوات الكاملة والمدافع الهائله والاسلحة الناريه والعدد الحربيه والآلات العسكريه يلحق جهة حضرتكم من ذلك الامر خطوب عظيمه وكروب جسيمه وأحوال ذميمه كما أن من المعلوم بالضرورة أنه ان حصل تلف لهؤلاء المحبوسين فلا يكون ذلك موجبا لتأخير حركة الانكليز بل يكون موجبا لاشتداد غيظهم واحتداد غضبهم وتقوية عزيمتهم على المسير عليكم لاجراء الانتقام الشديد والعقاب المزيد

والامور الفظيعة والاهوال الشنيعة مما لا ينبغي تحريره ولا يحسن ذكره وتسطيره فان قبلتم النصح والوداد واخترتم مسالك الرشد والسداد صيانة للاموال والارواح ورعاية لابقاء الصلح والصلاح فذلك ظني في درايتكم وحسن سياستكم وأولى من خراب البلاد واتعاب العباد واشتداد الامور وامتداد الشرور والوقوع في كل أمر محذور أما ان خالفتم وأخلفتم الظن وأردتم ابقاء المذكورين بعد هذا في السجن فاعلموا أن لابد للانكليز من أن يدوسوا أرضكم بهذه الجنود الحاضره والقوة الوافره والشدة الباهره والصولة القاهره فعند ذلك لا تنفع الندامه ولا تمكن السلامة وتكون الفرصة قد فات زمانها وانقضى أوانها وتعذر امكانها ونضطر نحن أيضا الان يزول ما عندنا من المودة اليكم ونكون حينئذ معهم عليكم لمخالفتكم نصيحتنا وعدم قبولكم اشارتنا والعاقل يختار خير الامور ولا يلقي نفسه في الشرور وقد قمنا بواجب النصيحة وبقي القبول وذلك منكم غاية المأمول ونهاية المسؤل جمادى الآخرة سنة ١٢٨٤

وكتب منه الى بعض الامراء

حضرة المقام العالي حلية المفاخر والمعالي وبهجة الايام والليالي ومن به فخرها على الاعصار الخوالي الجناب الارفع الاعز الامنع حمى الله حماه ورعى رعاياه ولا برحت أسباب النجاح مقرونة بآماله والسعود مخيمة في وريف ظلاله آمين

غب تحية يحفها من التكريم ما يليق بذلك الجناب الكريم وثناء على محاسن تلك الشمائل تمسك بطيب نفحاته نسمات الشمائل نبدي لبهي ذلك المقام لا زال موضع اجلال واعظام أني لما وجدت جناب الكونت من أعيان دولة ايطاليا عازما على التوجه الى جهات مملكتكم المحمية لاجل السياحة في أنحائها البهية أحببت أن أستودعه هذه الاحرف الودادية لتكون فيما بيننا مبدأ مودة يدوم ان شاء الله بقاؤها ويشيد على مدى الايام والليالي بناؤها والتنوب عني في استجلاء نور ذلك المحيا الزاهر وتؤدي ما لزم من السؤال عن عزيز الخاطر الباهر وجناب الكونت المومأ اليه له علينا التردد عزيد الاخلاص وحسن التودد وهو في ذاته أهل للاحترام والرعاية وموضع للاكرام والعناية فالمرجو من هممكم العلية ومكارمكم المرضية اذا وصل الى أراضيكم واتصل بحمى ناديكم أن تشمله أنظاركم العالية بالاسعاد والاسعاف وتدركه عواطفكم السامية بلطائف الالطاف حتى يعود من تلك المواطن الزاهرة مثنيا على تلك المحاسن الباهرة بما ألفته المسامع وتعطرت به المجامع حسبما نسمع به عن عادات طبعكم الجليل من

اكرام النزيل ورعاية أمثال المومااليه من الغرباء وأبناء السبيل كما هي سنة الكرام وشنشنة الملوك العظام والله تعالى يبقى جنابكم العالى فى قبول واقبال حلية لاجياد المحامد وتاجا لهامة الكمال

وكتب منه الى محمد باشا بن عائض أمير عسير مانصه

من خديوى الاقطار المصرية وماوالاها من الاقاليم السودانية الى حضرة الامير الكبير ذى الحسب الشهير محمد باشا بن عائض قائمقام صنجق العزيزية اليمانية دامت معاليه وسعدت أيامه ولياليه

غب سلام يفوح عرف الثناء فى أثنائه ويلوح لطف الولاء من أرجائه أحمد اليكم الله سبحانه وتعالى على نعم تدوم بالشكر وتتوالى وأسأله لنا ولكم ولجميع المسلمين دوام السلامة وحسن الحال فى الدنيا والدين وأطالعكم بحسن مودة تألفت عليها الخواطر وصفت لديها السرائر فدلت عليها الظواهر وقد كنت طالعتكم أولا بما اقتضته أخوة الاسلام وأوجبته رغبتى فى اتحاد كلمة الموحدين على الدوام ومحبتى لبقاء البيوت القديمة مشيدة الاركان مصونة الجوانب من أن تطرق الى ساحة حماها صروف الزمان وعرفتكم أنكم اذا برئتم مما قيل فيكم من عدم المطاوعة وأثبتم ماتوسمته فى حسن نيتكم من البقاء فى دائرة المتابعة فانى متعهد لكم بما هو أنفع وأحرى ومتكفل بأن توجه اليكم رتبة أمير الامرا فلما أظهرتم ما أعلمه فيكم من الطاعة الحقيقية وأشهرتم خلوص الطوية لجانب الدولة العلية السلطانية ترتب على أن أفى بما وعدت وأقتفى أثر ما تعهدت ليتحقق لديكم من بعد أن اسمعيل كان صادق الوعد فكاتبت دار الخلافة العلية بما هو الواقع من عدم الخلاف واستملت لكم من جانب السلطنة السنية أعطاف الالطاف وحررت اليكم ثانيا بالبشارة بحصول ماسبقت اليه الاشارة والذى أوجب تأخر ماذكر للآن عن ناديكم انما هو تأثير ماقد قيل فيكم مما أوغر الصدور وأوعر سهل الامور فمازلت أكرر مراجعتى فى نفى شائبة الشبهة عن جهتكم وأعيد المكاتبة فى اثبات حسن نياتكم وبراءة ساحتكم حتى تحقق لدى السلطنة ما أنتم عليه من حسن الحال وزال من النفوس آثار ماسبق من القيل والقال فصفت الآن لكم القلوب وتم بحمد الله تعالى الامر المطلوب ووردت لنا من الباب العالى مكاتبة رسمية تعلن اتحافكم بتلك الرتبة البهية بعنوان الباشاوية وصدر فى ذلك فرمان سلطانى بمزيد الاعزاز وقد بعثت به على الفور الى حضرة الباشا والى الحجاز ليبادر بارساله اليكم وعن قريب يكون الفرمان بمشيئة الله لديكم فتهنأ بهارتبة بهر فضلها ورفعة فاخرة

أنت أهلها ومحلها ومكرمة يشرق ببهجتها النادى ونعمة تسر الاحبة وتسوء الاعادى وان لكم عندى محبة تقرب القلوب على بعد ديارها ومودة تدوم ان شاء الله على عهد استمرارها وصفاء لا يألف التكدر حماه ووفاء لا يعرف التغيير مرماه فانى أحب ذوى المجد القديم وأراهم أهلا للوداد والتكريم وأنافس فى موافاتهم على تنائى جهاتهم وأرغب فى مصافاتهم على اختلاف حالاتهم وأتمنى دوام خيرهم ولا أقيسهم على غيرهم تلك شيمة جبلت عليها ومزية وفقنى الله اليها وسنة ألفتها منذ عرفتها وشنشنة كلفت بها وما تكلفتها فكونوا واثقين بدوام مودتنا اليكم وليكن لنا أيضا مثل ذلك لديكم وقد بعثت اليكم ثانيا أحمد أفندى اليمنى ليشافهكم بالسلام منا ويبلغكم بعض تفاصيل المودة الحقيقية عنا والله يوفقنا للخير والسداد ويدوم بنا على منهج الرشاد ويبقينا جميعا على أحسن حال بجاه شفيع الامة ونبى الكمال ١٠ اخر شعبان سنة ١٢٨٢

وكتب منه اليه أيضا بعد البسملة والديباجة

الحمد لله الذى أمر المسلمين بالطاعة والاتباع ونهاهم عن الشقاق والمنافرة والنزاع والصلاة والسلام على رسوله الكريم خير ناصح وخير داع وعلى آله وصحبه وأتباعه خير الآل والصحب والاتباع وسلام الله عليكم وتحياته ورحمته وبركاته وبعد فلما بلغنا فى السالف تشبث جنابكم ببعض تجهيزات عسكرية فى جهات الحدود العسيرية راسلناكم بمكاتبة من جهتنا على يد أحمد بيك اليمنى معاون معيتنا نحذركم من الميل الى المنازعة والتضاد وننصح لكم عن الخروج من دائرة الطاعة والانقياد لعلمنا بما يجلبه الخلاف من الشرور وما يوجبه الشقاق من فساد الامور بعد أن سكنت الفتن وهجعت المحن وانقطعت الاحن والآن بلغنا ما استعظمنا خبره وأكبرنا أمره من أنكم تخطيتم الحدود وأتيتم ما يخالف العهود وهذا أمر يجر ما يجر ويأتى بما لا يسر من غضب حضرة أمير المؤمنين وحامى حمى الدين المبين وذلك لا نرضى حصوله منكم ولا نحب أن يسمع عنكم والذى أشير به عليكم وأنصح به اليكم أنكم اذا كنتم تخطيتم الى محل خارج حدود صنجق العزيزية اليمانية على خلاف ما سبق عليه الاتفاق بينكم وبين امارة مكة المكرمة وولاية الايالة الحجازية فتخلوا عنه وأخلوا جندكم منه وعودوا للطاعة والموادعة وصدق النية واخلاص الطوية لجانب السلطنة السنية حسما للشر وحقنا للدماء وحفظا للعهود ورعاية للوفاء وابقاء للأمن والامان وخروجا من غضب حضرة السلطان والا يتغير ما عندنا من المودة اليكم ويحوج الحال بالضرورة لان نكون عليكم

وانى جازم أن تقابلوا هذا النصح بالقبول وتعودوا للاخلاص وحسن الطاعة كما هو المأمول

وكتب منه اليه بعد البسملة والديباجة أيضا

الحمد لله الذى حث على الطاعة والانقياد ونهى المسلمين عن المخالفة والتضاد والصلاة والسلام على سيدنا محمد الناهى عن الخلاف والشقاق المبعوث ليتمم محاسن الاخلاق وعلى آله وصحبه التابعين لهداه الذين اجتهدوا فى رضاه وتقلدوا بمحاسن حلاه فاهتدوا بنور علاه والسلام عليكم ورحمة الله وبعد فقد سمعت أنكم أضمرتم ما يخالف العهد والاتفاق ويغير معاهد السلم والموادعة والوفاق ويكدر موارد الصفاء ويخالف شروط الوفاء فقلت هذا خلاف المظنون وذلك الامر لا ينبغى أن يكون وأنا لا أصدق أن يحوز الامير هذه الامور لاحاطة علمه بما فيها من الشرور بمفارقة الجمهور وشق عصا المسلمين وعصيان رب العالمين ورسوله الناصح الامين ومخالفة أوامر أمير المؤمنين وإثارة الفساد وايقاع السوء بين العباد وما يقتضيه ذلك من اشعال نار الحروب بعد كونها وادارة رحى الخطوب غب سكونها وتكدير موارد الامن والامان واراقة الدماء التى يجب أن تصان بعد أن هجعت الفتن وانقطعت المحن وسكن الحال وسكت القيل والقال وقرت عيون السيوف فى أجفانها وكفت ألسنة الاسنة عن تكليم فرسانها وأقلعت أفواه البنادق عن مرامى بيانها وخلت صدور المدافع من نيران أضغانها فان كان خطر فى نيتكم ما يخالف الاتفاق وينقض شرائط العهد والميثاق فأولى لكم أن تتركوا ذلك الخاطر فانه ذو خطر وترجعوا عن الخلاف فان الخلاف ماله ثمر وتنظروا فى العواقب فتمعنوا النظر فان الحازم يتأمل عقبى ما يأتى وما يذر وتدوموا على الطاعة والاذعان وتحذروا ما يخالف رضا حضرة السلطان فاسمعوا وأطيعوا ففى السمع والطاعة خير كثير « إلا تفعلوه تكن فتنة فى الارض وفساد كبير » فلا تتعدوا الحدود ودوموا على حفظ العهود فان الله سبحانه وتعالى يقول « يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود » فاقبلوا النصيحة فانها عن محبة صحيحة والا يتغير ما بيننا من صافى الوداد وتنحل علائق المحبة على خلاف المراد وقد كنت نصحت لكم فى الاولى وأشرت عليكم بما هو أنفع وأولى وعرفتكم بما عندى من الحب الصميم والميل بالمودة الى ذوى المجد القديم وانى أريد لهم الخير ولا أحب أن يطرق حماهم ضير وها أنا الآن أراجعكم للنصح ولا أشير عليكم الا بما فيه النجح وانى لفى يقين جازم أن تقابلوا بالقبول ما قلت « ان أريد الا الاصلاح ما استطعت وما توفيقى الا بالله عليه توكلت »

وكتب منه الى والى بغداد

بعد إهداء زواهر التحية وبواهر الاثنية السنية والسؤال عن ذلك الطبع الكريم والدعاء بدوام السلامة لذلك الجناب الفخيم قد وردت علينا فى السنة الخالية مكاتبة حضرتكم العاليه فاغتنمنا مزيد الانس والمسرات بورودها وشممنا نفحات المودة من طيب ورودها وقد أردتم طبع كتاب الفتح الربانى من كلام حضرة سيدنا الاستاذ عبد القادر الكيلانى قدس الله روحه الكريمة وأمدنا ببركاته العميمة وهو كما وصفتم كتاب جليل المقدار قد جمع من رقائق الحكم والمواعظ ما يروق الابصار فبادرنا بطبع ذلك الكتاب المستطاب تنفيذا لاشارتكم العاليــة وطلبا للدخول الطرفين فى الثواب والآن قد تم طبعه وعم فى هذه الديار نفعه والمرسل لحضرتكم منه مائة وخمسون نسخه نرجو التكرم بقبولها والتفضـل بافادة خـبر وصولها مع استدامة رسائل الوداد فذلك نهاية المراد

وكتب منه لبعض الضباط والعساكر فى جزيرة كريد يمتدحهم ويشكرهم على وقائع حربية حصلت بجهات نيروز وشليون وغيرهما من الجزيرة المذكورة أظهروا فيها كامل الهمة ومزيد الشجاعة .

قد علم لدى « من جرنال الوقعات العسكرية » وسائر المحررات الواردة الآن من طرف سعادة الباشا ناظر الجهادية وما أوضحه لدينا أيضا سعادة حسن رأفت باشا فى معروضاته الشفاهية أنكم فيما حصـل من الهجوم والمحاربات بما ذكر من الجهات قد أبرزتم مزيد الاقدام والهمة والثبات قياما بلوازم الصـفة الجليـلة العسكرية وتأييدا لما يعلمه الجميع فى صنوف العساكر المصرية من كمال الشجاعة والحميه والصـداقة الذاتية والغيرة الملية فى المواقع الحربيه فأوجب ذلك لدى مزيد السرور وكمال الانس والحبور والحظ الموفور وزاد ابتهاجى بكـم وحسـن نظرى فيكم بما أبديتموه من ذلك السـعى المشكور وقـد أصـدرت أمرى هـذا مخصوصا اليكم ليعلم ذلك لديكم والسلام عليكم ٩ جمادى الآخرة سنة ١٢٨٣

وكتب منـه الى من بجزيرة كريد من العساكر المصرية ليقرأ عليهم بمناسـبة انتصاراتهم فى نواحى أبوقرون وما يليها من جهات الجزيرة المذكورة

لقـد عـلم لدينا بما ورد الينا من جرنال الوقعات العسكرية وسائر المحررات الرسمية والاوراق المرسلة بوابور الدقهليه من سعادة الباشا ناظر الجهاديه وما أوضحه أيضا سعادة حسن رأفت باشا فى معروضاته الشفاهية مما رآه بالعيان ورواه باللسان تفصـيل ما وقع من الحروب والغـزوات فى نواحى أبوقرون وما يليها من الجهات

وأحطنا

وأحطنابما أبديتم من الاقدام والشجاعه وماأديتم من الاهتمام والبراعه وما كان منكم من ثبات الجأش والقلب فى مواقع الضرب ومعامع الحرب وماشاهدته منكم الأعين وشهدت لكم به الألسن من الهجوم على الجبال الوعره واقتحام المحال العسره واظهار البأس والصوله فى تأييد الملة والدوله وتدمير من لقيتم من جنود العصاة البغات وتسخير ما كانوا متمكنين به ومتحصنين فيه من المحلات وتبديد ما أحكموا من استحكاماتهم وتشديد من أقدموا من طغاتهم فأحاط بى من السرور وكمال الانس والحبور ومزيد الحظ الموفور ماملأ الجوانح انشراحا والجوارح طربا وارتياحا وأظهر حسن اعتقادى فى شجاعتكم القلبيه وبراعتكم الحربيه وغيرتكم المليه وحميتكم الجبليه وشغفكم باعلاء شأن الوطن وابقاء الذكر الجميل والصيت الحسن وأكد ذلك ماشهدت به الانام من سوالف الايام للعساكر المصرية وضباطها الجهادية من قدم الصدق فى الحروب وحسن السابقة فى الخطوب وثبات القدم والجنان اذا طاش قدم الهلوع وطار قلب الجبان فانهم خلدوا فى أوراق الليالى علاهم وقلدوا فى أعناق المعالى حلاهم عما لهم من الوقائع المشهورة والمواقف المشكورة وقوة البأس على الاعداء وشدة الصولة والبسالة فى مواقف الهيجاء ومابنوه من منار الفخر والمجد على أساس الشرف والمظهر وما اجتنوه من ثمرات النصر من ورق الحديد الاخضر وأنتم أولى بتشييد مابنته أخوانكم الأول وتأييد ماشاع لهم من الفخر والشهرة عند جميع الدول ثم انكم اذا أمعنتم الفكر الثاقب وتبينتم النظر الصائب وتفكرتم فى أعقاب الامور ومصايرها وتدبرتم فى موارد الاحوال ومصادرها علمتم أنكم اذا أثبتم ذلك الصيت الممدوح واكتسبتم بمشيئة الله تعالى تمام النصر والفتوح كان لكم ذلك افتخارا بين أقرانكم وسرورا لاهلكم واخوانكم فان الاخبار تتناقلها الرواة وتتواصل بالمكاتبات والافواه ثم ليكن على بال منكم ولا يغب طرفة عين عنكم أن هذه البلاد التى أنتم لديها والجبال التى أنتم عليها وحواليها كم سبق فيها من غزوة عظيمة ووقعة جسيمة ووقفة كريهة لاخوانكم الاولين من العساكر المصريين أبرزوا فيها شرف الراية العسكرية وأظهروا مآثر النجدة والحمية والغيرة الوطنية حتى سارت بحديث وقائعهم الركبان وأثنى على محاسن بدائعهم كل لسان فما هنالك من بقعة الا وفيها وقعة ولا من موطئ قدم الا وفيه أريق دم فمضى من استشهد منهم فائزا بالثواب والاجر وعاد من بقى حائزا للفخر والنصر وها أنتم من نسلهم وأخوانهم ومن أبناء أوطانهم فأنتم خير خلف لاولئك السلف كما أن هؤلاء العصاة

نسل من كان بها من أهاليها وهذه الجزيرة التى أنتم بها هى بعينها التى كانوا فيها فهما أقدمتم ونصرتم واقتحمتم وظفرتم كان ذلك لمن بقى هنالك من أرواح الشهداء روحا وريحانا وتكرمة واحسانا كما أنه يجعل لكم فى جميع الآفاق شرفا وشانا ويمكن لكم بين الرفاق عزة ومكانا ويقيم لكم على الشجاعة والبراعة دليلا وبرهانا ثم إنكم عند عودكم بعون الله القوى المتين حاملين رايات الفتح المبين رافلين فى حلل النصر والتمكين يكون لكم ذلك شرفا سرمدا وافتخارا تتحدثون به على المدى حتى اذا التفت عليكم المحافل واجتمع لديكم المستخبر والناقل كان لكم بذلك لسان ذلق وصوت منطلق وتجدون حينئذ للبراعة مقالا وللفخر بالشجاعة مجالا وترون لاقوالكم من يصدقها ولاخباركم من يحققها وهذه لذة الرجال ومزية الابطال فهل للرجل فخر أعظم من هذه الحال وهل له فضل على المرأة الا باقدامه على الخطوب واقتحامه الاهوال وهل تميز الشجاع الصنديد من الجبان الرعديد الا فى مواقف القتال ومواقع الحرب والنزال وهل للعسكرى شرف يكتسبه الا بين البنادق والمدافع وهل له فخر يذكره أو يذكر به الا بما يبديه فى أمثال تلك المواقع وهل للكريم الحر أرب فى الحياة الا الفخر يقتنيه بصعب يرتقيه وذكر جميل يبقيه بأثر جليل يبديه فاذا العسكرى لم يكتسب الفخر فى مجال الحروب فأى فرصة يترقبها وأى حالة يتطلبها لاستحصال ذلك المرغوب وانى ما اخترتكم لهذا الامر العظيم الا لاعلاء شأن الوطن الكريم واعلان ما لكم من الصيت والفخر القديم لحسن اعتقادى فى صغيركم وكبيركم وحسن نظرى فى مأموركم وأميركم وقد لاح من مساعيكم تأييد ما أملته فيكم وظهرت بحمد الله بشائر النجاح وسفرت أشائر الظفر والفلاح وانما الاعمال بخواتيمها وغرات الامور فى تتميمها ورجائى من منن الله العظيمة وألطافه العميمة ثم أملى فى طوياتكم السليمة ومساعيكم القويمة أن تكون العاقبة خيرا والختام حسنا وأن تفوزوا بالاجر والمكافأة والسنا وأن تدوموا على منهج السداد والاجتهاد فى الجهاد والقيام على أقدام الاقدام وبذل الجد والجهد والاهتمام حتى ينتهى الامر ويستكمل النصر ويزول أثر الاختلال وتستقر الاحوال وتعودوا ان شاء الله منصورين فرحين مسرورين مستبشرين بعناية الله العلية فى ظل السلطنة السنية واعلموا أن جميع أخباركم تنقل الى فى جرنال الوقعات فتعلم لدى أحوالكم فى جميع الحركات والسكنات حتى كأنى مقيم لديكم وحتى كأنى أراكم وأنظر اليكم فكل من فاق أقرانه فى الحروب وأبدى من الاقدام والجية ما هو المطلوب فله ما يسره من المكافآت وحسن التلطيف ومزيد

الالتفات

الالتفات فاعلموا ذلك واعملوا على حسبه فى كل آن ومكان وأدوا من الاقدام والاهتمام غاية الاستطاعة ونهاية الامكان وقد أصدرت أمرى هذا اليكم اعلاما بما حواه ودستورا يعمل بمقتضاه واعلانا بالمسرتى من حسن صنيعكم وايذانا بفرحى وابتهاجى بجميعكم واستفسارا عن خواطركم وافتخارا بمفاخركم أمدكم الله بعنايته وعونه وجعلكم فى حرز رعايته وصونه وأدام توفيق وايا كم لما يرضاه والسلام عليكم ورحمة الله ٩ جمادى الآخرة سنة ١٢٨٣

وكتب منه أيضا الى من باشر واقعة ارقادى بجزيرة كريد من الضباط الجهادية وأفراد العساكر المصرية

سلام من الله وتسليم ورضوان كريم يهدى لأولكم وآخركم ويسدى لأموركم وآمركم لازلتم محفوفين من الله بنصره محفوظين بأمره غالبين على عدوكم بقهره متقلبين فى نعمته وبره ولا انفكت عزائمكم فى كروب الحروب عزائم وصوارمكم فى قطوب الخطوب بواسم وأعلامكم للنجح والتمكين علائم وأيامكم للفتح المبين مواسم ورياح القهر والدمار على عدوكم سمائم ونسمات النصر والفخار فى رواحكم وغدوكم نواسم وبعد فما زلت أتشوق من أخبار شجاعتكم ما يسر الخواطر وأتشوف من آثار براعتكم ما يقر النواظر واثقا بعزمكم وحزمكم فى المضايق مبتهجا بما أبديتموه من حسن السوابق حتى ورد وابور الشرقيه من طرف حضرة الباشا ناظر الجهاديه بيوميات الوقائع العسكريه مشتملة على وقعة ارقادى وتفصيلاتها وما كان من رسوخ أقدامكم وثباتها وإقدامكم فى جهاتها واقتحامكم مضايق حصونها واستحكاماتها وتسخير مستعصماتها وتدمير أشقياء العصاة وكماتها حتى زلزلت صياصيها وذللت نواصيها ودنا لكم قاصيها ودان عاصيها فهكذا تكون رجال الجهاد وأبطال الجدال والجلاد وهكذا تفتح الحصون ويبرز سر النصر المصون وفى ذلك فليتنافس المتنافسون فقد أسفر لكم بحمد الله وجه التهانى وأثمر فيكم بعون الله غرس الامانى وأيدتم ما ثبت للعساكر المصريه من حسن الشهرة فى الامور العسكريه فحصل لى من الانس والسرور بهذه البشاره مالا تقدر الالسن أن تصف مقداره ولا يتسع له مجال الاشاره وتأيد فيكم حسن أنظارى وظهرت ثمرات أفكارى وتحققت أنكم بعد الآن بعون الله الكريم لا تزلون عن هذه الطريق القويم ولا تزالون فى تأييد ما لكم من المجد القديم وقد شاع حديث نصرتكم بين الاهل والديار وسارت الركبان بمحاسن هذه الاخبار كما نقلته صحف الوقائع الى جميع الاقطار

فانشرحت صدور أهلكم واخوانكم وفرحت بكم جميع أهل بلدانكم وابتسمت ثغور أوطانكم وافتخرت بأحاديث شجعانكم وارتاحت أرواح الشهداء من أقرانكم والمأمول فى ألطاف الله العليه وبركات السلطنة السنيه ثم فى حميتكم المليه وغيرتكم الوطنيه أن يزول حال الاختلال عن قريب وينتهى أمر القتال والحرب ويطيع الجميع ويسهل كل صعب منيع وتعودوا لوطننا العزيز ظافرين بالنصر والتعزيز وقد قرب حصول الامل ونجاح العمل ومضى الاكثر وبقى الاقل والحرب للرجل العسكرى والبطل الجرى سوق عظيم وموسم كريم تشترى فيه غوالى المعالى بأعالى العوالى وتنال فيه منازل الاكارم فى ظلال السيوف الصوارم ويدرك الفخر الصادق بمرامى المدافع والبنادق وقد علمتم أن الشجاعة وان كانت تبلغ الآمال لا تقصر الآجال كما أن الجبن وان كان يورث العار لا يؤخر الاعمار وانما هى آجال محدوده وأنفاس معدوده لا تقبل التغيير ولا التقديم والتأخير والشجاعه صبر ساعه ثم ينكشف الغبار وتسفر الاخبار ويتناقل حديث الشجعان ويخلد فى تواريخ الزمان فدوموا على ابداء الاجتهاد وقوموا باداء حقوق الجهاد واثبتوا على الشجاعة والاقدام وثبات القلوب والأقدام وأنجزوا بعونة الله تمام هذا المرام وكما جودتم براعة المطلع فأحسنوا براعة الختام

وكتب منه أيضا الى من أصيب بواقعة ارقاذى المذكورة

لقد علم لدينا من اليوميات العسكرية الواردة الينا كيفية واقعة ارقاذى وتفصيلاتها وما حصل من الهجوم على حصونها واستحكاماتها فعلمنا أنكم أبديتم فيها مزيد الاجتهاد وأديتم حقوق الجهاد وأظهرتم كمال الشجاعة والبراعه على حسب الطاقة والاستطاعه حتى جرحتم فى الواقعة المذكوره وشهدت الالسن لكم بالمواقف المشكوره فتأسفت على ما حصل لكم من ذلك على قدر سرورى بمزيد اجتهادكم هنالك ولكن قد علمتم أن الجرح فى الحرب والقتال سمة الشجعان وعلامة الابطال وزينة الرجال فشفاكم الله وعافاكم وأجزل عليكم ألطافه الوافيه وأحسن اليكم بتمام الصحة والعافيه

وكتب منه وهو بدار السعادة الى حضرة العلامة المرحوم السيد مصطفى العروسى شيخ الجامع الازهر

فخر العلم والعلماء ومقتدى الافاضل العظماء الآخذ من كل فضيلة بالحظ الأوفر حضرة العلامة الامثل شيخ الجامع الأزهر حرس الله مهجته وأدام بهجته امين

سلام

سلام من الله ورضوان وزواهر تحيات حسان تهدى اليكم ولجميع من لديكم من العلماء والافاضل المكرمين وسائر الطلبة والمجاورين وحملة كتاب الله المبين مع السؤال عن خاطركم وخواطرهم أجمعين وبعد فقد وصل الى ماحررتم وعلم لدى ماسطرتم من حسن دعائكم لنا ودعاء من ذكرتم فأكبرت موقع هذا الصنيع وشكرت لكم وللجميع وأحاط بى لذلك من السرور ومزيد الحظ والحبور مايفوق الحد ويفوت مراتب العد ويضيق عنه نطاق العباره ويقصر دونه مجال الاشاره حتى لقد علمت أن ماتيسر لى بحمد الله تعالى فى هذه الايام من تسوية مسألة التوارث المعلومة على وفق المرام انما هو بفضل الله سبحانه وبركات دعائكم ودعواتهم لما أعلمه فى هذه الطائفة المباركة من خلوص سرائرهم وصدق نياتهم فدعواتهم المرضية وسائط حصول الآمال وتوجهاتهم القلبية وسائل القبول والاقبال فانهم ورثة النبيين وحفظة الدين المتين وحملة الشريعة الشريفه ومقررو أحكام هذه الملة المنيفه فبآثارهم يقتدى وبانوار أفكارهم يهتدى لاحرمنا آثار هذه الانفاس الباهره وأسرار تلك السرائر الطاهره ولاعدمناهذه البركات الفاخره فى الحياة الدنيا وفى الآخره وقد حررت هذا الرقيم لجنابكم اعلانا بمزيد مسرتى وانشراحى من كتابكم ورجاء أن تهدوا الى المومى اليهم مزيد السلام والتشكر منى وكما أنكم بلغتمونى عنهم فبلغوهم عنى هذا وانى بحمد الله فى عافيه ونعمة من الله وافيه فالله يوزعنا شكر نعمائه ويحفظ علينا سوابغ آلائه ويديم على جميعنا حسن الحال بجاه رسول الرحمة ونبى الكمال ه تحريرا فى ٧ محرم سنة ١٢٨٣

وكتب منه وهو بدار السعادة أيضا الى حضرة الشيخ المشار اليه

العلامة الامجد الامثل الاستاذ الاجل الاكمل فخر العلم والعلماء ومقتدى الافاضل العظماء شيخ الجامع الازهر والمسجد الشريف الانور حرس الله حضرته وأدام الله نضرته

سلام تترى نفحاته وتتوالى بركاته يهدى لحضرتكم البهية وحضرات أفاضل العلماء بمصر المحمية وكافة أهل العلم الشريف خدمة الدين الحنيف وسائر حملة كتاب الله المنيف مع السؤال عن عزيز خاطركم وخواطرهم البهيه والاغتباط بصالح دعائكم ودعواتهم المرضيه وبعد فان من الواضح للعيان الغنى عن اقامة الدليل والبرهان أنى منذ وليت هذه الحكومة الفخيمة وأخذت بيدى زمام ادارتها الجسيمه لم أزل بعون الله وعنايته الازليه وبركات الحضرة العلية النبويه ونفحات التوجهات القلبيه من لدن الحضرة السنية السلطانيه وأسرار الدعوات

الصالحات من علماء الشريعة الشريفة المحمديه موفقا للمساعى النافعه والمآثر البارعة والقيام على أقدام الاهتمام فى خدمة الملة والدولة على الدوام باذلا مزيد الجد والاجتهاد فيما تزداد به معمورية البلاد ورفاهية العباد وإراحة الغنى والنقير وحسن معاملة الكبير والصغير مواظبا على تفقد أحوالهم وتسهيل سبيل آمالهم مؤثرا لهم بما فى راحتى مقدما راحتهم على راحتى مؤملا أن يكون عملى عند الله سبحانه وتعالى مبرورا وسعيي عند الحضرة الملوكية وسكان الديار المصرية مشكورا عالما بان فى هذه الحالة الفاخرة سعادة الدنيا والآخره فلما وصلت فى هذه المرة الى دار الخلافة مستحقبا(1) عناية الله الكريم مستصحبا ألطافه صادفت ذلك فدخل عند أمير المؤمنين محل القبول وحظيت عنده بمزيد الرعاية والعناية فوق ما أعهده وفوق المأمول هذا ولما كان معلوما عند حضرته السنية وعند حضرات الوزراء الفخام وكلاء دولته العلية أن انحصار توارث الحكومة فى أولاد الاصلاب ورعاية بقاء ذلك على ممر الاحقاب مما يورث أساس الحكومة متانة وتمكينا ويزيد بناءها رفعة وتحسينا ويستجلب من الثمرات الجمه والحسنات المهمه ما يستوجب زيادة المدنيه وسعة دائرة الانتظام والمعموريه وقد جبل طبع الجناب السلطانى وجعل قلبه الجليل الخاقانى منجذبا بالتعميم التمدن والعمران فى كافة الاقطار والبلدان وأحاط علمه الشريف أن كمال سريان هذه الامنيه فى ديار الحكومة المصريه التى هى من الاجزاء المتممة لممالكه الفسيحة المحميه انما يكون بتعديل الكيفية الجارية فى توارث حكومتها البهيه لما ينشأ عن ذلك من العماره والترقى فى درجات الحضاره التى بنيت عليها أفكاره الساميه وجنحت اليها أنظاره العاليه فاقتضت آراؤه السنيه وأفكار وكلاء دولته العليه أن تكون وراثة هذه الحكومة المصريه للاكبر من أولادى الذكور ومن وليها منهم فهى من بعده أيضا الاكبر أولاده الذكور وهلم جرا التسلسل على المنوال المذكور وقد صدر الفرمان السلطانى برعاية ذلك كذلك على الدوام على ممر السنين والايام ليكون ثمرة باقية الاستمرار داعية لدوام المعمورية وحسن الآثار وقد دعيت الى المابين الهمايونى فى يوم الاثنين المبارك رابع عشر هذا الشهر الحال وتسلمت بيدى من اليد السلطانية ذلك الفرمان الجليل الواجب الامتثال ولم تكن سبقت عادة بتسليم مثل ذلك من اليد الملوكية وانما هو من جملة ما نلته بحمد الله تعالى من حسن العنايه والرعاية الخصوصية فسجدت لله تعالى شكرا على هذه النعمة العظمى والمنة الكبرى وبسطت أكف الضراعة والابتهال

(1) متأخرا

الى

الى الله الكبير المتعال رب الجود والنوال واهب الآمال ومجيب السؤال أن يبقى الحضرة السلطانية على ممر الليال محفوفة بمزيد النصر والتأييد والاقبال وأن يديم توفيقنا لما فيه رضاه سبحانه وتعالى ورضا بنيه العظيم وخليفته الكريم فى كل حال ومآل آمين ٦ ١ تحريرا فى محرم سنة ١٢٨٣

وكتب من الجناب الخديوى الاسبق اسمعيل باشا أيام نيابته عن عمه المرحوم سعيد باشا فرمانا

صدر هذا الفرمان الواجب طاعته اللازم امتثاله ومتابعته خطابا الى كافة القضاة والحكام والعلماء الاعلام والمشايخ والعمد بالاقطار السودانية من الحكومة العلية المصرية ليكن معلوما لديكم بوصول هذا اليكم أنه قد اقتضت الارادة السنية الخديويه تنصيب موسى حمدى بيك حكمدارا على عموم الاقاليم السودانيه لما هو معلوم فيه من الصداقة والاهليه وحسن الروية والادارة السياسيه فينبغى أن تطيعوا أحكامه وتقابلوا بالسمع والطاعة كلامه وتنقادوا الاوامره ونواهيه وتمتثلوا لما يبديه مما يوافق الاوامر العليه والاصول والقوانين المرعيه وبادروا بأداء كافة المطاليب الاميرية فى أوانها وعدم تأخيرها عن أزمانها لتفوزوا بزيادة الرضا عليكم وحسن النظر والالتفات اليكم وأنت أيها الحكمدار عليك باتباع التقوى فانها لحصول كل خير هى السبب الاقوى وعامل الناس بالعدل والانصاف واجتنب الجور والاعتساف واستعمل الرشد والسداد وابذل غاية الاجتهاد فى معمورية البلاد ورفاهية العباد ونجاز الاشغال الاميريه وحسن ادارة الحكمداريه ورؤية جميع المصالح على مقتضى الاوامر والاصول والقوانين واللوائح والاعتناء براحة البريه وحسن سياسة الرعية فان الخلق فى أيدى الحكام وديعة الله سبحانه فمن أكرمهم أكرمه ومن أهانهم أهانه فاعلم ذلك واتبع أحسن المسالك لتفوز بحسن حالك ومآلك وبلوغ غايات آمالك تحريرا فى أول شهر ذى القعدة من شهور سنة ثمان وسبعين ومائتين وألف من هجرة المبعوث بأحسن وصف عليه أكمل الصلاة وأتم السلام ما لاح بدر تمام وفاح مسك ختام

وكتب منه فرمانا بتنصيب محافظ لمصوع

صدر هذا الفرمان المطاع الواجب له القبول والاتباع خطابا الى الحكام والعلماء والقضاة والاعيان والوجوه والعمد ومشايخ البلدان وعموم الاهالى المتوطنين فى محافظة مصوع بجهات السودان ليكن معلوما لديكم بوصول هذا المنشور اليكم أنه قد اقتضت ارادتنا بتنصيب فلان محافظا عليكم لما توسمناه فيه من

الدراية والاستعداد والسلوك فى طرق الرشاد وبذل الهمة فى أمور المصلحة ومزيد الاجتهاد فامتثلوا أوامره التى تصدر فى صالح المصلحة واجتنبوا نواهيه واجتهدوا فيما يعود به عليكم مزيد العمارية لتنالوا احسن الرفاهيه واعملوا بقوله تعالى أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم لتفوزوا بزيادة التفاتنا اليكم ورضانا عنكم وأنت أيها المحافظ قد علمت ما لدينا من الشغف باتساع دائرة المدنية وحصول الخير لجميع أهل هذه الديار الوطنيه والميل الى دوام راحة العباد وتأمين السبل وتمدين البلاد فعليك برعاية ما يلزم لذلك واسلك فى ادارة أشغال هذه المحافظة أحسن المسالك ودم على العدل والانصاف واحذر من الظلم والاجحاف وانظر الى قوله عليه السلام لامته كلكم راع وكل راع مسؤل عن رعيته ولتكن مهتما بتحصيل حقوق المصلحة فى أوقاتها ورؤية جميع الاشغال على أحسن حالاتها ليدوم حسن أنظارنا عليك وتفوز بمزيد التفاتنا اليك اعلم ذلك واعمل به واحذر من مخالفة موجبه ٥ تحريرا فى أوائل ذى الحجة سنة ١٢٨٢

وكتب منه فرمانا بتولية مدير لقنا

قد صدر هذا الفرمان اللازم طاعته الواجب امتثاله ومتابعته خطابا الى كافة القضاة والحكام والمعاونين ونظار الاقسام وسائر المأمورين والمشايخ والعمد والمستخدمين بمديرية قنا زيد قدرهم ليكن معلوما لديكم بوصول أمرنا هذا اليكم أننا جعلنا على نصرت بك مديرا عليكم لما رأيناه فيه من الاهلية والصداقة وحسن الروية فامتثلوا أوامره على الاصول المرعية وبادروا باداء أشغال المديرية لتفوزوا بزيادة التفاتنا اليكم ورضانا عنكم وقد علمتم قوله تعالى أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم وأنت أيها المدير المومأ اليه المعول فى حسن ادارة هذه المديرية عليه قد علمت رغبتنا فى البر والسداد واتباع سبل الرشاد وعمار البلاد وراحة العباد ونشر لواء الأمن والامان فى جميع القرى والبلدان ومحبتنا العدل وأهله وكراهتنا الظلم وفعله وشغفنا برفاهية الرعية وحسن حال البرية الذين هم وديعة الله ذى الجلال والاكرام فى أيدى الولاة والحكام فاعمل أنت أيضا على حسب ذلك سالكا فى جميع أحوالك أحسن المسالك واجتهد فى حسن الادارة وتيسير أمور الزراعة والصناعة والتجارة ومزيد التمدن والعمارة وتأمين الطرق والجهات فى جميع الحالات والاوقات وصيانة الاجانب المتوطنين فى المديرية والمترددين عليها والاهالى المقيمين بها والواردين اليها وسرعة انجاز القضايا وفصلها وتوصيل الحقوق الى أهلها وأداء الاشغال الاميرية وادارة أمور المديرية على حسب الاصول

المعتبرة

المعتبرة والقواعد المقررة ودم على الاستقامة والصداقة التامة والعدل بين الخاصة والعامة فان العدل سبب السلامة والظلم ظلمات يوم القيامة فقم على قدم الاقدام وشمر عن ساعد الاهتمام فى اجراء ماشرحناه على الدوام باذلا كل جهدك واستطاعتك كما هو المأمول فى حسن براعتك لتنال زيادة التفاتنا اليك ودوام اقبالنا عليك وليسلك أيضا الجميع على هذا المنهج البديع وليسعوا فى اجراء ماشرحنا ويساعدوا فى انفاذ ما أوضحنا فبادروا بامتثال هذا الامر الواجب وليبلغ الحاضر منكم الغائب نسأل الله الاعانة والعناية وحسن الهداية فى البداية والنهاية

وكتب منه منشورا الى كل من أعيان الاهالى الذين انتخبوا الى مجلس النواب سنة ١٢٨٣

قدوة الوجوه المعتمدين والاعيان المنتخبين فلان زيد إقباله ودام كماله

قد علم آل الوطن العزيز وفهم أهل الفطن والتمييز دوام شغف فؤادنا واشتغال أفكارنا بما فيه معمورية بلادنا هذه وسعة منفعة ديارنا ومايقدم أهلها فى مدارج التمدن ويصعد بهم فى معارج التمكن وقد علمت أن ترتيب مجلس الشورى الوطنية مما يعود على ديارنا هذه بمزيد المزية كما جرب فى سائر الدول المتمدنة وشوهد بين جميع الملل المتمكنة فان تلاحق الافكار وتصادق الآراء والانظار يستنتج ثمرات الالباب من أغصانها ويستخرج محسنات الصواب من أفنانها وقد رأيت فى أهل وطننا المبارك بحمد الله تعالى وتبارك من مزيد الاهلية والاستعداد مايكون عونا على حصول هذا المراد فلذا رسمت بترتيب المجلس المذكور وانشائه وأصدرت لائحة مخصوصة فى كيفية انتخاب أعضائه بحيث يكونون من وجوه أهل أوطاننا لينوبوا عن سائر أهالى مدائننا وبلداننا وقد كمل أمر الانتخاب الآن ممن يصلح لهذا الشان وأنت ممن انتخبوا لهذا الخصوص وصدق عليهم فى قرار القومسيون المخصوص وعرض ذلك بواسطة رئيس المجلس الينا فقوبل بقبوله واستحسانه لدينا فأصدرت هذا الإعلام اليك بأنك ممن حاز شرف الامتياز بالعضوية فى ذلك المجلس « مجلس شورى النواب الوطنية » وذلك بمدة ثلاث سنين شمسية حسبما تقرر فى اللائحة الانتخابية وكلكم أصحاب روية وأهلية وأرباب فطنة جلية وكمال معرفة بالمصالح الداخلية والمنافع المحلية فأملى فى سمو أفكاركم وعلو أنظاركم أن يكون فى اجتماعكم هذا ماتزيد به أوطاننا إفلاحا وتعدينا وتجارى به غيرها من الممالك المعمورة والمدائن المشهورة إصلاحا وتحسينا فتعاونوا فى النظر

الصائب وتبينوا الفكر الثاقب وخذوا فيما يتعلق بهذا المجلس من المصالح الداخلية والموادّ التى ترى الحكومة أنها من خصائص هذه الشورى الوطنية وأدّوا وظائف هذه الجمعية على وفق حدودها وأبدوا من شرائف الآراء البهية خير موجودها وتبصروا بما فيه اعلاء أقدار نا بأقطارنا وامتلاء أوطاننا بأوطارنا ومزيد الرفاهية لاهاليها وساكنيها على وفق المطلوب وانتظام حال الزراعة والتجارة والصناعة فيها على أحسن أسلوب فنسأل الله دوام التوفيق وبلوغ الآمال وحسن الحال والمآل فهو مولى الخير ومولى الكمال

وكتب منه بيورلديات الى أرباب رتب من يوزباشى الى مساعد

بما أن من عاداتنا المرعية مكافأة أهل الصداقة والحمية وقد سرّنى ما أبديتموه فى مكسيكا من حسن الاجتهاد وما أدّيتموه من واجب الخدمة على وفق المراد باعلاء شأن الراية العسكرية واعلان شرف العساكر المصرية مع غربة الاوطان وتباعد المكان كما سرنى الآن عودتكم للديار حاملين رايات الفخر والاستبشار فلزم أن أكافئ كلا منكم على صدقه واهتمامه وأعامل كل واحد بما يستحقه من مزيد اكرامه فشرفتك برتبة كذا تحسينا لخدمتك ومكافأة لك على حسن استقامتك فاعرف قدر ذلك ودم على أحسن المسالك واجتهد فيما يزيد به حسن حالك ومآلك

وكتب منه بيورلديات أيضا الى أرباب رتب بكباشى وصاغقول أغاسى

قدوة الاماثل والاقران من ضباط الاورطة السودانية المصرية التى كانت بمكسيكا زيد قدره

بما أن عادتنا مكافأة ذوى الاجتهاد ومعاملة أرباب الصداقة والحمية بما يبلغهم المراد وقد سرنى ما بدا فى جهات مكسيكا من الفرقة المصرية التى أنت من جملتها وما ثبت لها من البراعة على مقتضى الشجاعة المذكورة فى جبلتها اعلاء لشأن الراية العسكرية واعلانا لشرف العساكر المصرية مع غربة الاوطان وتباعد المكان وسرنى أيضا ما شهدت لها به الالسن من الاخلاق البهية والسيرة المرضية والاستقامة الكلية كما سرنى الآن عودة هذه الفرقة الى الديار رافعة أعلام الفخر والمسرة والاستبشار وهذا أوان مكافأة كل أحد على حسن اهتمامه ومقابلة كل واحد بما يستحقه من مزيد اكرامه فشرفتك برتبة كذا استحسانا لخدمتك التى أدّيتها ومكافأة لك على حسن همتك التى أبديتها فاعرف لهذه النعمة حق قدرها ودم على الصداقة والاستقامة قياما بشكرها واجتهد فيما يزداد به حسن حالك وترقيك فى بلوغ آمالك الى غاية كمالك

ما كتبه الى بعض أصحابه وهو بالاستانة العلية

كتب وهو بالاستانة العلية الى صديقه المرحوم على مبارك باشا بعد الديباجة لو أخذت فى الثناء على تلك الشمائل الزاهره والاطراء لمحاسن تلك المكارم الظاهره بما ملأ الخافقين ويصل بين المشرقين لما كنت مع ذلك الا كثير التقصير والقصور مفرطا فيما يجب على فى هذه الأمور فالاكتفاء بالدعاء أجمل والاختصار أبلغ وأكمل أما الشوق فما من ساعة تمر ولا لمحة عين تكر الا وتصور تلك الذات الشريفة مرآة ناظرى وتذكر تلك المسامرات اللطيفة حلية خاطرى

وانى والذى خلق البرايا وان قصرت فى مدحى وشكرى
فلا يسلو على حلالك قلبى ولا ينسى حُلى علاك فكرى

١٥ جمادى الاولى سنة ١٢٨٨

وكتب وهو بالاستانة العلية أيضا الى صديقه المرحوم السيد صالح مجدى بك مأمور ادارة المدارس الملكية اذ ذاك ما صورته بعد السلام

وبعد فالشوق اليك أدام الله نعمته عليك شوق يكل القلم منه وتقل الكلم عنه ونور ضميرك لمعرفته أقرب من لسانى لصفته فدعنى أختصر فى هذا المجال وأقتصر على شرح الحال خرجنا عشية الخميس من ثغر الاسكندريه فى وابور مسير من سفن البوستة الخديويه المصريه والوقت صفو والجو صحو والبحر راكد والموج راقد والهواء مساعد فسرنا حتى صرنا الى اللجه فى أكمل ما يكون من السرور والبهجه وراحة البدن والمهجه فلما توسطنا ظهر ذلك الدأماء ولم يبق فى النظر غير السماء والماء ابتدأنا نسمع للريح دويا وحفيفا ونرى للبحر اضطرابا وان كان خفيفا وأخذت تلك الباخرة تمايل فى مشيها كالعروس العذراء تختال فى وشيها ولا حيلة لمحتال فى سوداء وتختال فلا جرم احتملنا سوء هذه الحالة النكراء وحمدنا الله سبحانه على السراء والضراء فمما تفرد به تبارك خيره أنه لا يحمد على المكروه غيره وسرنا على هذه الحال ثلاث ليال وأصبحنا يوم الاحد فى سيره بالسين أو هى شيرة باعجام الشين لا أعرف أيهما أصح ضبطا فقد اختلف فى اسمها الناس لفظا وخطا على أنه أعجمى يلعب به العربى كما شاء ولا يلتزم أن ينطق به كما جاء والحاصل انا أرسينا عليها وخرجنا فى زورق اليها فاذا هى مدينة لطيفة المبانى ظريفة المغانى محجرة الطرقات بحجارة حسنة الوضع متقنة الصنع متلاحمة التركيب متلائمة الترتيب نظيفة ظريفه وهذه المدينة فرضة بلاد يونان ومركز

تجارتها الآن وفيها من حسان الروم مايهوى القلب ويروم مما يروق الناظر ويشوق الخاطر ويستوقف السائر ويستهوى الطير الطائر ويأسر اللسان والخاطر

ولكن الفتى العربي فيها غريب الوجه واليد واللسان

ملاعب جنة لو سار فيها سليمان لسار بترجمان

وكان معنا في الوابور رجل من أهل تلك الجهات رمته صروف المقدور بالبين والشتات وطوحت به يد الاقدار الى سائر الديار والاقطار حتى صار منظره عبرة لمن يعتبر ومخبره أضحوكة لمن يختبر فأخذناه بحكم الضرورة معنا ترجمانا واتخذناه في تلك الحاضرة لنا لسانا ولكنا تخالفت أحوالنا وتباينت أغراضنا وآمالنا فكان همه البحث عن الحشيش والافيون وأنواع ذاك المجون وان كان يبدى التورع في الظاهر عن ابنة الزرجون وهمنا الاطلاع على الاحوال والمعانى والمبانى والمغانى والاغانى والغوانى كما قال الاول « رفيقك قيسى وأنت يمانى »

جهد البلاء صحبة الاضداد فانها كى على الفؤاد

فكنا نفترق أكثر مما نتفق ونختلف أكثر مما نأتلف وكان الرجل قد فارق تلك الاوطان وهو دون الحلم لم يجر عليه القلم وعاودها الآن وهو أقدم من أبى الهول وأطول عمرا من الهرم فكان يعبر لهم عن بعض ما يريده من الاشياء بمجهول من قديم الأسماء قد ثقل عليهم استعماله واستحسن لديهم استبداله فلا يعرفونه حق المعرفه الا بالاشارة أو الصفه وهو يلوم عليهم فى ذلك ويكرر ويدمدم(1) ويزمجر ويقول تعس الزمان ولعن الشيطان ياقوم مالكم سرتم على غير هدى وأضعتم أصول لغتكم سدى فأدخلتم فيها الدخيل وأخرجتم الاصل الاصيل أما لكم فى المحافظة على هذه اللغة من أرب أم تريدون أن تكونوا من الترك أو العرب والقوم يضحكون عليه ويجتمعون حواليه والشيخ ينكر ويزجر ويهذر ويهدر وأنا أتخيل أن الله أنشر لهم بعض قدمائهم من القبور فجاء يعلمهم من لسان آبائهم القديم المهجور ثم مازلنا نطوف وندور الى أن دنا قيام الوابور فخرجنا من البلد مسرعين وعدنا الى الوابور راجعين فرفعت مراسيه وسار بنا الى مانقاسيه وكان المساء قد أظل والليل قد أطل فاودعنا هذه الدور حتى استقبلنا البحر بالطبول والزمور وعجائب الاهوال وغرائب الامور فعصفت العواصف واشتدت الرياح القواصف وهاج الماء وماج وتعاظمت الامواج وصار الوابور يغالبها وتغالبه ويحاربها وتحاربه

ترى الصرارى والامواج تضربه * تعلوه طورا ويعلو فوقها تيرا

(1) من دمدم فلان على فلان كلمه مغضبا

فلو

فلوترى الوابور والامواج تدفعــه وترفعه ثم تضعه فينزل حتى تقول وصل الى قرار الماء

ويصعد حتى يظن الجهول   بأن له حاجة فى السماء

وهو مع ذلك يتقلب من جنب الى جنب ويتدافع من غرب لشرق ومن شرق لغرب ويرتعد ارتعاد المحموم ويتململ تململ المسموم ويتحرك حركة المذبوح ويخفق خفقة البرق الملوح

كريشة بمهب الريح ساقطة   لاتستقر على حال من القلق

والبحر يرش داخل الوابور بمائه ويقلب على من فيه أنواع بلائه حتى ساءت الظنون وسالت العيون وبلغت القلوب الحناجر وسرنا من القلق على أمثال الخناجر ومازال الوابور يضطرب ويعور ويئن ويخور والبحر يظلم ويجور ويغلى ويفور حتى أشرق الصبح بالنور وهزمت جنوده عساكر الديجور فسكن الهواء وركد الماء وأطمأنت السفينه ونزلت السكينه وسرنا فى ريح لينه وحالة هينه حتى ألقينا ليلة الثلاثاء مراسى المسير فى ساحل البلدة الشهيرة بازمير فخرجنا اليها مصبحين ودرنا فى أسواقها غادين ورائحين فاذا هى قطعة من اسلامبول فى تركيبها ووضعها وترتيبها وأسواقها ودورها وعامــة أمورها واللسان العام بها لسان آل عثمان فلم نحتج بها الى استصحاب ترجمان وجلنا فيها ساعات من اليوم المذكور وعدنا بعد ذلك الى الوابور ثم قمنا منها ورحلنا عنها وسرنا وليس فى الريح نفس ولا مقدار ما يطفئ القبس والبحر أصفى من المرآة وأنقى من خد الفتاه فوصلنا اسلامبول فى يوم الخميس الماضى أول النهار وألقينا بها عصى التسيار ونسينا مامضى من الاخطار ونحن بها الآن والحمد لله فى صحة وعافيه ونعمة من الله وافيه لايهمنا سوى الشوق اليكم وسلام الله تعالى وبركاته عليكم ﻫ ١٥ جمادى الاولى سنة ١٢٨٨

وكتب وهو بها الى صديقه المرحوم محمد قدرى باشا

سلام الله على سيدى وأخى الاعز أعز الله قدرى وقدره وأنار فكرى وفكره وهذا دعاء عملت فيه بالسنه ليكون أقرب للاجابة مظنه والله المسؤل لسيدى ومولاى أن يسمعنى من ناحيتــه مايسرنى من أخبار راحتــه وصحتــه وعافيته والمرجو من مكارم شمائله الزاهره وشمائل مكارمه الباهره أن لايقطع عن محبــه محاسن كتبه وقد كتبت هــذا من الاستانة وأنا بحمد الله أرفل فى ثوب الدعة وأجرر أذيال الراحة والرفاهية والسعه لايهمنى سوى استطلاع محاسن أخبارك والشوق الى اجتلاء باهر أنوارك

والله يبقيك لنا سالما بُردائى تبجيل وتعظيم

وغاية الآمال أن تنوب عنى فى تقبيل أذيال صاحب الدولة والاقبال والفضل والكمال أفندينا المشير الجليل الخصال حرس الله معاليه وأسعد أيامه ولياليه ووالى مواليه وأعز به مواليه وأدام توفيقه للرشاد والخير والسداد م

غاية جمادى الاولى سنة ١٢٨٨

وكتب وهو بها يداعب المرحوم الفاضل الشيخ حسين المرصفى

سلام الله تعالى ورحمته وبركاته على سيدنا الفاضل العلامه الشيخ حسين المرصفى حسن الله به أيامه وأدام له السلامه

وأرانى أوردت هذا السلام صرفا ولم أذكر فى صفته كلمة ولا حرفا وعادة أرباب الاقلام أن يوسعوا فى صفة السلام دائرة الكلام فتراهم يقولون سلام أبهى من كذا وأشهى من كذا وألطف وأحلى وأجل وأجلى وأعلى وأغلى وهكذا فلا يبقى أفعل تفضيل ولا كلمة تبجيل الا جلبوها اليه وحلوها عليه وأرسلوها تترى بين يديه وربما جعلوا قبله دهليزا طويلا وأشبعوه توسعا وتهويلا وأنا انما أوردته عاريا عن هذه الكرامه لا وراءه كما يقال ولا قدامه ولكن لا سبيل لسيدنا الشيخ أطال الله عمره أن يستقبله بهذه الحالة ويحتقر أمره فقد أضفته الى الله سبحانه وكفى بالاضافة الى اسمه شرفا ثم ذكرت الرحمة والبركات من بعده فعطفتهما عليه عطفا وقد أضفت كليهما الى ضمير الجلالة وناهيك بها فخامة وجلالة واذا رجعنا الى الحق فهذا كله تعليل بعد الوقوع وقد علم الشيخ أنه عند قلة غيره من العذر غير ممنوع والحق أنى ابتدأت فى تحرير هذه السطور وقد قرب وقت ارسال البوستة الى الوابور فقصدت الى اختصار الكلام وابتدأت باختصار السلام ثم أردت أن ألعب وذو الشيب يلعب فانجر الكلام وانفسح المقام فهذا ما كان من أمر السلام قد أنهيناه والحمد لله وبقى علينا شئ آخر جرت عادتهم بذكره فى رسائل الاخوان وأوجبوا على أنفسهم توفيته حقه من إشباع الوصف وإطالة البيان وهو الشوق وما أدراك ما الشوق فهذا أمر مشكل وخطب معضل فانى اذا قعدت أطنب فى صفته قام الوابور واذا تركته عاطلا من الصفة أخللت بالواجب المذكور فكيف يكون العمل فى هذا الامر الجلل نرجو من الشيخ أيده الله إفتاءنا فى هذا السؤال والتكرم علينا بحل هذا الاشكال فانه كثيرا ما يجر اليه الحال فهل اذا ضاق الوقت كما هو الآن ولم يبق لاجالة الفكر فى صفة الشوق زمان وخيف أن يسير البريد قبل أن يتم الانسان منه ما يريد وكان فى الحقيقة من الواجب فى هذا

الباب

الباب ماأوجبه الكتاب فهل يرجح ارسال الكتاب من غير صفة الشوق أو صفة الشوق من غير ارسال الكتاب أفيدوا الجواب ولكم الثواب

ثم إني بعد أن حررت ما حررت رجعت فتذكرت أن الشيخ ربما يقول لم لم تكتب في سعة الزمان وحالة وجود الامكان فقعدت أتفكر لهذا في عذر ألفقه فما تيسر وجواب أعقه عن هذا السؤال فتعذر فالمرجو من الشيخ أدام الله حفظه أن يتفكر لنا في هذا الامر قدر لحظه ويسلفنا جملة أعذار لهذا الشان نعتذر بها في بعض الاحيان لمن يلوم علينا من الاخوان ثم يختص نفسه بأقربها للصواب وأصوبها في الجواب فان الاعتذار بالاشغال قد تداوله الناس وابتذلوه وسئموه من طول ما استعملوه ولم يبق الا أن يجتنبوه وصار كما تقول العامة بات وكبوه والكسل ان ذكرته عذرا كان من الذنب شرا وإن كنت أعرفه (أبعده الله) في نفسي سرا فهذا أيضا لا محل له من الاعراب وقد حضر وقت البوسته فختمت الجواب ٥ غاية جمادى الاولى سنة ١٢٨٨

وكتب عليه حاشية

أرجو تبليغ السلام والشوق على الدوام لسعادة سيدي الباشا المبارك الأكرم وحضرة سيدي البيك السيد المحترم ثم كل من يسأل عنا فردا ومن شئت أيها الاستاذ ممن لا يسأل عنا أيضا فعندك الاذن العام بصرف ما شئت من جواهر السلام ولك التصرف التام في خزائن الكلام خزائن لا تنفد ذخائرها ولا يعرف أولها ولا آخرها فكل من طالبنا بشيء من ذلك جعلنا أمره أيها الفاضل المليّ اليك وكل من لام علينا من قلة السلام أو الكلام فعليك به فانه لا يعظم عليك

وكتب وهو بها كتاب هزل ومجون باللغة العامية الى حضرة الشيخ عثمان مدوخ

السلام عليكم

اترك الاعراب لما تقرا الجواب وسيب سيبويه يحرق له نفطويه وخلي زيد يضرب عمرو ولما يقلع عينيه اوعا تقل عقلك وتدخل بين عمرو وبنيه أحسن كنت أسمع من الكتاب ماينوب المخلص الا تقطيع الثياب شوف لما أقول لك أنا راجل طول عمري ماأحبش أقول الا الدوغري يه اصبر قبله هي الدوغري تنكتب بالضاد ولا بالدال ولا يه امال صحيح أنا كنت من زمان نكتبها لكن دي الوقت نسيت ازاي ما نكتبها لما نفتكر فيها حاجة أحسن دي عايزه لها غلبه هيه أيوه أديني افتكرت حاجة حلوه الكلمة دي أصلها بالتركي ماهياش بالعربي والترك يكتبوها في كتابتهم بالطاء لكن ينطقوا بها دال تخينة تخنها تخن الطاء ورنتها رنة الدال

وتقلها تقل سبعة أرطال تعرفشي زي ايه أهي زي الضاد أو الظاء اللي تنطق بها في مصر في كلامنا العادة يعني اذا كان واحد يجي يتطع ويخبطك بالكلامية في وسط ضهرك ولا تكونشي تقدر تخبطه زيها تقول ايه موش تقول آه يا ضهري أهي زيها سوى ولو أن دي أصلها ظاء ما عليهشي قاموا الترك لما حبوا يعملوا لهم كتابة أخدوا حروف العربية خلي بالك دي العربية اللي بتكلموا بها او يكتبوها ما هياش العربية اللي ركبوها ولما أخدوا حروف العربي لبسوها التركي بصوا القوا الحرف اللي هو أول الدوغري بين الطاء والدال لا صح لا طبلة ولا طار قالوا نعمل ايه نعمل ايه نكتبها ايه فضلوا في حيره آخر ما غلبوا كتبوها بالطاء وفضوها سيره تعرفشي دي زيها ايه خد على ايدك أهي زي قولة طوله اللي معناها الحشو بعيد عن حنكك أهي زيها سوى يكتبوها بالطاء وينطقوا بها دال تخينة ملو الفم زي الضاد بتاعة مصر لما تقول مثلا ضب وضم اذا قستها تلاقيها قدها حكم لكن يا ترى اللي زي الكلمة دي لما دخلت في تعريب المولدين أو توليد المعربين تكون كتابتها بقا ازاي في الاستعمال يا ترى نكتبها بالضاد والا بالطاء والا بالدال أدي محل الاشكال ان كان نكتبها دال الدال رفيعة ودي تخينه وان كان نكتبها بالطاء يمكن يتلخبط فيها اللي ما يكونشي يعرف بالتركي وان كان نكتبها بالضاد الترك ما عندهمشي ضاد وليه كان الترك ما كتبوهاشي بالضاد من زمان بالله عليك افتكر لنا في دي شويه ولو على قهوة[(١)] الحاج حسن أفنديه واللي يجي على بالك فيها تبقى تقوله للقلم والقلم يقوله لحتة ورقة والورقة تخطف رجلها وتيجي هنا تقول لي لاجل ما أقعد شي أتخلبط فيها تاني مرة أحسن النوبة دي لما جيت أكتب لك جات الكلمة دي قدام القلم عطلته شنكلته كعبلته دق في خناقه دقت في خناقه فلفص منها مسكت فيه ما عرفشي يخلص منها قعدت أنا أتفكر فيها قت نسيت الكلام اللي كنت رايح أقوله لك والله ما ني عارف هو ايه اسم كده ان كنت جدع وابن نكته تعرف أنا كنت رايح أقول لك ايه ؟

٥ جمادي الثانية سنة ١٢٨٨

وكتب حاشية عليه

أنا كنت كتبت للسيد بيه على صورة السفرية وأحب أكتب لك أنت راخر لحسن تاخد على خاطرك بقيت أحكي لك من طأطأ السلام عليكم خرجت من باب المبتدا لقيت كان وأخواتها قاعده مشغولة في البنا عمالة تخانق ويا الفاعل قلت

(١) قهوة معلومة بحروسة مصر بقرب الجامع الازهر

انخبرايه

الخبرايه قالت دارا جل حاله بطال ماعندوش تميز بصيت لقيته هو كان مفعول من جهة
قلت العبارة دى لابد لها من إنه أخدت الذى قدامى ودنى ماشى ماشى أفتكر فى دى
المعانى لما حصلت باب القصر رأيت المسند اليه قاعد يتخانق ويا المسند حيث
الفصل بناتهم بصيت لقيت متعلقات الفعل قاعدين على جنب رأيت واحدة
مساويه طلبت منها الوصل لفتت لى ضهرها لقيتها زعلت بالحقيقة ماسالتش عن
زعلها وحطيت إيدى على المجاز الموصل الى المكنية وتعكزت على الاستعارة مسكتها
القرينة قالت لى روح بقا بلامشاكلة قلت لها ان كنت عايزة الازدواج مالك الا
أوكلك حشو اللوزينج تلاقيه فى الطباق أشكال وأجناس قامت فهمت الكلام
بالمقلوب صرفت العبارة لقيت قلبها مليان وجوفها معلول ولاهياش ناقصة من الهم
حاجة أخدت منطق لسانها لقيت العبارة ما لهاش نتيجة بالكلية فتهت ورجعت أسأل
على باب الاعراب بصيت لقيت روحى فى بلاد الاترالتوته توته فرغت الحدوته حلوه
والاملتوته ان كانت حلوه عليك غنوه وان كانت ملتوته عليك زغروته

وكتب منها الى سعادة صديقه المرحوم على باشا مبارك جوابا عن كتاب ورد منه

سلم الله سيدى وأجزل له السرور والانس والحبور كما سرنى بعزيز كتابه
المبشر بصحة جنابه فلقد شممت منه عرف تلك الشيم العواطر وشرفنى بما عرفنى
من دوام خطورى بذلك الخاطر فأبقى الله سيدى لمحبه شرفا وعزا ولجميع من ينتمى
لرحابه حرزا وكنزا ولابرحت أحاسن الشيم تتعلم من شمائله الزاهره والايام والليالى
تتباهى وتفتخر بمحاسن فضائله الباهره ثم ان تعلق ذلك الخاطر العالى بفضل
السؤال عن حالى فأنا بحمد الله فى نعمة أساسها حسن أنظاره الكريمه وراحة أقوى
أسبابها بركات توجهاته العظيمه لا يهمنى سوى هذا البعاد والشوق الملح على
الفؤاد فالله تعالى يمتعنى بشرف لقائه ويستجيب دعائى بحفظه وبقائه وههنا
قضية جزئية أحب أن أسوقها اليه أوكما تقول الافرنج أستسمح خاطره الكريم فى
عرضها عليه ولكن لها مقدمة تتقدم عليها فى الذكر كتقديم الغزل على المديح فى
قصائد الشعر وهى أن النحرير الشهير صاحب الجوائب من المخلصين للحكومة المصرية
حق الاخلاص المحبين لجميع من يتكلم بالعربية على العموم والمغرمين بمصر وأهلها
على الاختصاص فهو وان لم يكن من أهل مصر ولادا فهو من أهلها محبة ووددادا
وحضرته هنا محط رحال أهل الفضل والادب وكل من له فى هذه اللغة الشريفة
العربية أرب فهو جدير بأن يسمى فى هذه الحاضرة شيخ العرب وجوائبه تجوب
سائر البلاد شرقا وغربا وتجول بين جميع العباد عجما وعربا ولديه ما لامزيد عليه من

الرغبة فى روضة المدارس ويريد أن ينوه فى صحائف الجوائب ببعض مافيها من النفائس لزيادة اشتهارها وتعميم آثارها ويود أن ترد اليه أعدادها على التوالى متواصله ويأخذ نسختين منها بنسختين من الجوائب مبادله فهذا هو آخر المقدمة المذكورة والمقصود أن يصدر أمركم بترتيبها على هذه الصورة مع ارسالها من أولها اليه تتميما للمنة علىّ وعليه أدام الله سيدى حلية للأيام والليال وشرفا للفضل والافضال والمجد والكمال

أسأل عن أحوال حضرات الانجال أنبتهم الله نباتا حسنا وأبقاهم فى صحة وهنا وراحة ومنى وأبقاكم لهم ولنا ١٠ جمادى الثانية سنة ١٢٨٨

وكتب منها أيضا الى صديقه المرحوم السيد صالح مجدى بيك جوابا عن كتاب ورد اليه منه قال بعد الديباجه

وبعد فلو كان قسم الانسان من قرب الاحبه على مقدار قسمته فى الوداد والمحبه لكنت أكثر الناس لسيدى قربا كما أنى أرانى أكثرهم له حبا ولكنها عجائب التقدير وهو على جمعهم اذا يشاء قدير وقد ورد علىّ كتاب مولاى أبقاه الله مورد تكريم فأولانى مزيد السرور بخطورى على ذلك الخاطر الكريم وأظهر الى من بدائع البلاغة غررا ونثر علىّ من روائع البراعة دررا وقص علىّ ما كان من حديث الحمام وما جرى فيه بين سيدى وبين القسيس من الكلام مما أذكرنى مقالة أنشأتها فى بعض أسفارى الى هذه الديار بقدر ما أمكن من الاختصار على لسان من لا تسعنى مخالفته من الاحبة بناء على اقتراحه وشديد الحاحه ولو قرأت ما ورد فى تلك المقالة عن حمامات هذه الحاضره وما بها من الوجوه الناضره من كل بدر تكسف ببهجة جماله الشموس وتفعل ألحاظه بالنفوس ما لا تفعل الكؤس لشغلت عن المجادلة فى ذلك الشان وذهلت عن ذكر الحور والولدان وتعوضت عن محاورة ذلك البهيم بمغازلة كل غزال كريم

هذا وقد ابتدأت فى هذه الجهات أوائل المطر والبرد وأخذت السيول تلعب بحصى جبالها النرد ولكن كان هذا المطر على الريق أى من غير تقدم رعود وبروق ثم أخذت الشمس بعد ذلك فى الشروق وقد دام المطر فى الاسبوع السابق نحو ثلاثة أيام لم تخرج فى خلالها الشمس من أستار الغمام والجو الآن فى صحو وصفو والناس فى زهو ولهو ودرجة الحرارة نحو تسعة عشر وقد تكون أقل وأكثر وذلك بالميزان المئينى المعتاد والبرد كل يوم فى ازدياد وقد كنا توجهنا الى جهة بيولداطه فى يوم السبت السابق للتفرج على مسابقة القوارب والزوارق ومنها النوع المعروف هنا باسم قايق

وكان

وكان يوما مشهودا اجتمع فيه كثير من الخلائق فكان موسم خلاعة وسرور وطرب وحبور وأنس وحضور ولكن ألمّ بالناس ألم في آخر اليوم قد شمل أكثر القوم وهو مغص مصحوب في بعض الأحيان بإسهال ولم يعلم على الحقيقة سبب هذا الحال فمن قائل انه من فساد اعترى الهواء في أثناء ذلك النهار ومن قائل انه من أكل نوع من حيوان البحر يقال له عند الافرنج همار ومن قائل انها من عدم تبييض ما في اوكانة الجهة من آنية النحاس ومهما كان سببها فقد انصرفت بحمد الله من غير باس وقد كنت ممن أصابه بعض ذلك في جملة الناس ولكن الله سلم ومنّ بالشفاء وأنعم وكلنا الآن والحمد لله في عافية وصحة وسلامة نسأل الله أن يديم انا ولكم الخير والكرامة وأن يرينا وجوهكم في أحسن الاحوال بجاه رسول الرحمة ونبي الكمال ص ٢١ جمادى الثانية سنة ١٢٨٨

وأجاب منها على كتاب ورد اليه بها من صديقه المرحوم محمد قدري باشا

سرت مثل سرى البرق في البر والبحر — وحلت محل القطر في الماحل القفر

ووافت فوفت ذمة الود حقها — وحيت فأحيت سنة الكرم الحر

تحية خل لم يخل بوده — بهجر وان شط المزار ولا هجر

أخ سيد سبط الشمائل ماجد — رفيع منار المجد عالي ذرى القدر

تتيه المعالي كلما ذكر اسمه — فخارا وتزهو في مناقبه الغر

فيا الحيا دارا يحل بربعها — حيا الخير لا أعني به وابل القطر

فان ديارا بينها النيل ماجها — الى نيل أمواه السحائب من فقر

ولا زال موصول السرور ممتعا — بتوفيقه جسم العلا دائم البشر

واني وان شطت بنا شقة النوى — على الود طول الدهر لم ينسه فكري

سيدي سلمك الله وحياك وأسعدني برؤية محياك وزاد عزك وعلياك وحرس دينك ودنياك وجمعني على بساط المسرة واياك ولا حرمني دوام لقياك ولا برح الدهر مبتسم الثغر بمحاسن معاليك مباهيا أعصار الاوائل بأيامك ولياليك محليا أجياد المفاخر بزواهر لا ليك ورد علي كتابك الكريم مورد اعزاز وتكريم فبل بعض ما في الجوانح من الصدى وأنعشني ولا انتعاش الزهر بباكرة الندى وجلا علي روضا من البلاغة غضا وأدار لدي صفوا من سلاف المحبة محضا وهزني هزة النشوان شوقا وطربا واستفزني بمعجز آياته الحسان عجبا وعجبا ونثر علي من محاسن لفظك الحر وكلماتك الغر ما يخجل الدراري ويفضح الدر

كلام كسته بهجة الحسن رونقا — هو السحر لا بل جل قدرا عن السحر

وأثنى علي كما اقتضاه حسن أخلاقك وطيب أعراقك بما هو من شمائلك وخصائص

فضائلك التي هي حلية الايام ونخبة شمائل الكرام فلا عدمت وفاءك ولا حرمت اخاءك ولا زلت مغتبطا بودك قرير العين بدوام مجدك

ثم ان تفضلت بالسؤال عما أنا عليه من الاحوال فاني في عناء شديد وجهد جهيد بسبب ما أقاسيه من شدة البرد في هذه الديار وما بها من الرطوبة بمجاورة البحر وكثرة الامطار فقد ابتدأ ههنا موسم البرد والمطر ونزلت درجة الحرارة الى حد ثلاثة عشر واثني عشر وقد تكون أقل وفي القليل النادر أكثر والجسم نحيف والتحمل ضعيف والبرد كل يوم آخذ في ازدياد فأنا أسير الوساد كثير السهاد عليل الجسم والفؤاد والهواء الآن ههنا وبيل والماء صعب على المعدة ثقيل فهو في الاناء ماء وفي الاحشاء داء أراحنا الله منه وأغنانا بفضله عنه وقد خفف عني بعض ما أنا فيه من الشقاء وأشمني روائح العافية والشفاء منسرتي بكتابك وصحة جنابك وما سررتني به من حسن الالتفات والرعاية من حضرة صاحب الدولة والعناية أبقاه الله وأدام علاه وما بشرتني به من منصبه الجديد وصحة جنابه السعيد فوجب علي أن أهنئه بأبيات تنوب عني في لثم راحته والقيام بفرائض الشكر حين تحل بساحته وان كان قد حال الجريض دون القريض فعملت أبياتا حصرت فيها الفكرة وان كانت خامدة وعصرت عليها القريحة وان كانت جامدة وها هي واصلة طي هذا الرقيم لناديك آملة أن تتشرف بلثم أياديه وأياديك فالمرجو توصيلها لابوابه وعرضها على أعتابه ولا زلتم في قبول وإقبال ودوام سودد وكمال

وكتب منها على لسان المرحوم مصطفى بيك العناني وكان بها وقتئذ الى أمير من كبار أمراء مصر

المعروض على ساحة سيدي الامير لا زالت عيون الاقبال لجاهه نواظر ورياض الآمال بنداه نواضر ونسائم البشائر بطيب أخباره عواطر وسحائب المفاخر بحسن آثاره مواطر اني وكنت من قديم الزمان خليع العنان أجري مع أبي مرة شريكي عنان وفرسي رهان لا أرى صهوة خلاعة الا كنت راكبها ولا ذروة رقاعة الا تسنمت غاربها ولا موارد لذة الا استطبت مشاربها ولا داعية شهوة الا قضيت مآربها ولا سوق فسوق الا كنت كنفيها ولا حانة مجانة الا حزت أوفر نصيبها ولا غاية عماية الا كنت لها من السابقين المقدمين ولا راية غواية الا تلقيتها باليسار وباليمين اذا حيعل داعي الفلاح قلت حي على الراح واذا قاموا الى الصلاة والصلاح قمت للاقداح في أكف الملاح فما ذكر الفرح الا ذكرت ولا حضر القدح الا سكرت ولا ورد الطرب الا وردت ولا شهد الخير الا شردت فلولا أن ابليس وهو امام الخلاعة

ورئيس الجماعة في هذه الصناعة وعد بالخلود وأنظر الى اليوم الموعود لجعلني من بعده وصيا كما اتخذني صفيا وكان لي وفيا وبي حفيا بل لو أنصف وخالف هواه وترك الكبر وهو أول باواه لاتخذني له معلما وقام بين يدي متعلما

اذا العلمته من أصل صنعته ... مالم يكن قط يأتيه على بال

ولكنني الآن قد تنسكت فمن تنسك وتمسكت بطيب أذيال التقى فمن تمسك

وقلت للقلب كف وارجع ... واحذر من النار أن تمسك

فانا الآن باسم الله ماشاء الله لاقوة الا بالله بين خشوع وخضوع وسجود وركوع وصلاة وصلاح ونجاح وفلاح وأوراد وأذكار وبركات وأسرار لا أعني أسرار الشيرة فقد تركت هذه العشيرة واغا هي أسرار الانفاس وان كانت هذه أيضا لاتخلو عن إلباس والحاصل أني لزمت الخير والتقوى وتمسكت من طاعة الله بالسبب الاقوى فمن رأى الآن صلاح شاني لم يشك أن أبا نواس انما قال عن لساني

ارعوى باطلي وأقصر جهلي ... وتبدلت عفة وزهاده

لو تراني ذكرت بي الحسن البصري في حال نسكه أو قتاده

من خشوع أزينه بنحول ... واصفرار مثل اصفرار الجراده

التسابيح في ذراعي والمصحف في لبتي مكان القلاده

فاذا شئت أن ترى طرفة تعجب منها مليحة مستفاده

فادع بي لاعدمت تقويم مثلي ... وتفطن لموضع السجاده

ترا اثرا من الصلاة بوجهي ... توقن النفس أنها من عباده

لو يراها بعض المرائين يوما ... لاشتراها يعدها للشهاده

فهذه الآن حالي وان كانت تستغرب على أمثالي ترى علي سيما الابرار وعلائم المتقين الاخيار السبحة في كلتا يدي والسواك خلف أذني وزبيبة الصلاة بين عيني والدراويش حوالي ووجهي من نور العبادة كأنما دهن بالزيت وأنا من البيت الى الجامع ومن الجامع الى البيت أقوم الليالي الى الاسحار في ذكر واستغفار وأطوف بالنهار على مقامات آل البيت الاطهار ليسعف الله رجائي ويقبل صالح دعائي بحسن عودتكم سالمين مع الموكب الشريف رافلين في ظل الاقبال والتشريف فهذا غاية المسؤل ونهاية المأمول

وكتب منها الى بعض أصحابه ما عثرت منه على ماصورته

سيدي سلمك الله وحياك وأسعدني برؤية محياك فقد زاد الشوق وشب عن الطوق وما حيلتي وقد خلقت ألوفا لاصحابي مشغوفا بمخاطبة أحبابي حتى إني لما طوحت بي

الاقدار وساقتني الى هذه الدار وتعذر علينا المشافهة بالمخاطبة أحببت أن أستعمل لسان المكاتبة فما استقر بي القدم حتى ابتدرت القرطاس والقلم وحررت لكل واحد كتابا كما اتفق وكما جاء وجلست أنتظر ما يرد من جهتكم صباح مساء فمنهم من تكرم وأجاب ومنهم من أمسك عن الجواب فكنت أبقاك الله أول من أجابني من الاخوان وكان من الطراز الاول فلان وفلان وغيرهما من الخلان ممن تركوا الجواب رأسا ولم يروا في السكوت بأسا

ولما وصلنا من الاستانة الى الاسكندرية في ١٢ رجب سنة ١٢٨٨ وكنت معه في هذا السفر وضربت الكرنتينة على السفينة التي كنا فيها وطالت مدتها علينا نحو عشرة أيام كتب الى صديقه المرحوم أحمد خيري باشا مهردار الحضرة الخديوية اذ ذاك ما نصه

سيدي سلمه الله وحرسه وأدام مسرته وأنسه وحفظ عليه ما أولاه وزاد مجده وعلاه وبعد فان تفضل مولاي بالسؤال عما نحن فيه من الاحوال وعن الكرنتينة ومقامها وطول لياليها وأيامها فلها حديث يخلد في صحائف المجون ويكتب على ورق الكرم بابنة الزرجون فان من معنا من الناس لما سمعوا بأمرها وتكدرت خواطرهم بخبرها كان معنا العناني البديع المعاني فصبر حتى دخل الظلام وشمر عن ساعد الاهتمام وانتخب من ضمن الموجودين مطبلين ومزمرين وسخرية ومقلدين لا أدري كيف عثر عليهم وكيف تهدى اليهم والحاصل أنه حشدهم اليه وجمعهم حواليه ودار الهنك والرنك حتى نسي الناس ذلك الضنك وحتى أوجبت خفة النشاط وسورة الطرب والانبساط أن رقص بعض الاجانب مع نسائهم وبناتهم وأبنائهم وأصحابهم وأصدقائهم كما يكون في البال(1) من أمثال تلك الاحوال وحتى طاشت العقول وفعل الطرب بالناس ما لا تفعل الشمول وحتى وحتى الى غايات شتى ثم لم يزل حياه الله يزيد المطربين عددا وعددا ويمدهم كل يوم مددا ويجدد لهم في اللهو طرائق قددا حتى أحضر لهم جماعة الاتية من الخارج كاملي الادوات مستكملي أسباب الحظوظ والمسرات فأدخلهم في الكرنتينة معنا وكثرت وجوه الخلاعة حسا ومعنى وانتخب أيضا راقصا يجيد الرقص اتقانا واستعار له ثيابا حسانا وشعرا ومنديلا وفستانا وجعل له شارة وشانا فزاد في الطنبور نغمة وصاروا يتناوبون المجون أمة بعد أمة ففي جنح الظلام وجلس الناس للطعام ارتفعت الاغاني ورنت المثالث والمثاني ودارت كؤس

(1) البالو

التهاني

التهانى ثم يدور الزمر والطبل والمجون والهزل والرقص والقصف والصفق على الكف والعزف بالدف وهناك تعدّ الخلاعة باعها ويستوفى الناس أجناسها وأنواعها والمومأ اليه مشمر عن ساعديه مهتم غاية الاهتمام قائم على قدم الاقدام يحض جميع الجماعة على الطرب والخلاعة ويتفنن لهم فى الاساليب ويخترع لهم غرائب الاعاجيب بألفاظ لم تطرق قبلها ذهنى ولم تكن سمعتها أذنى ولم أكن أتصورها قبل هذه المرّة بل أظنها لم يكن تصوّرها قبله أبو مره والقوم حوله مجتمعون ولقوله مستمعون والضحك متصل بمناط العيوق(١) والطرب فى سوق وأىّ سوق فكأنّا كل ليلة فى مهرجان أوفى عرس بوران وما هذه الانفعات مغناطيس الخلاعة وامام المجون وأعجوبة الدهر فى هذه الفنون وهو أبودرويش العنانى فما أعجب فنونه فى هذه المعانى فانى أتخيل أنه لو كان فى قرار الدأماء أو فى افاق السماء لسخر الله له من حيتان الماء وطيور الهواء من يزمر له ويطبل ويمجن ويهزل وقد كنت أظن أنى عرفت قدره قبل هذه السفره ولكن هيهات هيهات ليس لمعانيه غايات والحق أنه أنسى الناس ما فى الكرنتينة من الباس ومهما نسيت فلا أنسى مساعدته للمسافرين فى الوابور وملاطفتهم فى جميع الامور ومواساة فقرائهم بقدر المقدور وقد ولدت امرأة من الجراكسة فساعدها فى ذلك الضيق وحشد لها النساء من كل فج عميق ومن غرائب الاتفاقيات أن وابورنا هذا ولدت فيه جميع أنواع الحيوانات فانا لما جئنا اشبره ولدت فيه كلبة صيد أحد عشر جروا وذلك من الغرائب فلما سرنا منها وصرنا الى اللجة ولدت أرنبة بها ثمانية أرانب فلما روى الفنار ولدت قطة أيضا كانت فى الوابور فلما دخلنا البوغاز ولدت جاموسة كانت أيضا فى الوابور المذكور وولدت تلك الجركسية وتمخضت للولادة امرأة رومية فزادت بحمد الله الاعداد وكثرت البنات والاولاد وأخاف ان طال عليهم الامد أن يقعوا فى الطويل العريض ولا يبقى فيهم أحد حتى يبيض أو يلد أو يحيض فأسعفونا بسرعة الخروج قبل أن تضيق بكثرة هذا النسل المروج ويبلغوا الى عدد يأجوج ومأجوج فقد بلغ طول المدة المنتهى وكل شئ بلغ الحدّ انتهى

وكتب من الكرنتينة أيضا الى صاحبه المرحوم محمد نوربيك

أهدى اليك مزيد السلام وأسأل عن عزيز خاطرك على الدوام وأشكو اليك لاعجة الاشتياق وما دفعت اليه من هذا الافتراق وأتمثل بقول ابراهيم بن سهل الاشبيلى

---

(١) العيوق نجم أحمر مضئ فى طرف المجرة الايمن يتلو الثريا لا يتقدمها

وتالله ما فارقتكم عن ملالة ... ولكن فراق السيف كف شبيب

وقد قال قبله أبو الطيب المتنبي

برغم شبيب فارق السيف كفه ... وكانا على العلات يصطحبان

وبعد فان تفضلت بالسؤال عما عندنا من الاحوال فقد خفف الله وله الشكر ما كنت أشكوه من الضر فذهب منه الكثير ولم يبق الا اليسير وقد كنت أرى أن ما أصابني في اسلامبول اغما هو من بردهوائها فلما شربت من ماء النيل السعيد علمت أن في ذلك مدخلا عظيما لمائها وقد سرنا من اسلامبول مع مساعدة الهواء حتى وافينا الاسكندرية صبيحة الاربعاء فرسم علينا بالكرنتينة أيام كانت أشق من السفر ولحق المسافرين منها ما الاهم يدفوقه من الضجر والقلق والكدر ولكن كان معنا العناني وباقيه نحو ما تقدم

وقال في آخره

فنسأل الله تعالى سرعة الخلاص من هذا الباس فقد اشتد الكرب بالناس وكادوا يصيرون الى الياس وقد صاروا في هذه الكرنتينة كقوم السامري يقولون لمن رأوه لامساس فكل من لمس القوم أولمسوه أدخلوه معهم في الكرنتينة وحبسوه وقد بلغ الامر النهاية وكل شيء ينتهي لغاية

وكتب من الاستانة العلية قديما الى بعض الاخوان بعد الديباجة

وبعد فلو أن لي من فضل البيان والقدرة على القول ما أصف به بعض أشواقي للقياكم ومشاهدة نور محياكم لبلغت النفس من ذلك مناها وأطلقت أعنة اليراعة في ميدان البراعة الى مداها ولكن في شهادة ضميركم الاجلى ونور فهمكم الاعلى ما يغني عن مد أطناب الاطناب والتشبث باذيال القول في هذا الباب وحسبي من المبالغة والاطراء أن أقول ان لدي لكم من الشوق بقدر ما علي لكم من الآلاء والمسؤل من فضل الله أن يطوي شقة البعاد ويقرب أمد اللقاء بمنه ويمنه وان سألتم عني فاني بحمد الله في صحة وعافية وراحة ورفاهية وأما أحوال هذه الديار فالسماء لم تزل هاطلة الامطار والغيم منسدل الازار والجو مكفهر والافق معتكر والسيل منهمر والبرد منحدر والبرد مستد وصوت الرعد ممتد والبرق وارى الزند وقد طال مغيب الشمس عنا حتى كدنا ننساها ونسأل عن اسمها ومعناها وكأن الصيف وهو قادم الى هذا الجانب نالته في الطريق احدى المعاطب أو ضل سبيل الوصول أو غاله في سيره غول

أو الغزالة من طول المدى خرفت ... فما تفرق بين الجدي والحمل

ولكنى مع ذلك لا أهمل فرص اللذات وقنص شوارد الطرب والمسرات فمتى أغبّت السماء وأقلعت الانواء انتهزت غفلة الزمان وجريت فى حلبة الخلاعة طلق العنان وقصدت مراتع الغزلان ومرابع الحور الحسان فى معاهد أنس وسرور بين شموس حسن وبدور

فهم شغفاعن لاقيت منهم سواء ذو العمامة والخمار

فمن فى كفه منهم قناة كمن فى كفه منهم سوار (١)

فانا أهيم فى كل واد ولا أخص أحدا بوداد ولا أفرق بين سعد وسعاد بل أكون مع من حضر عف الضمير ولكن فاسق النظر وهذه حكاية أسوقها اليك وان كانت لا تخفى عليك ولكن اقتضاها الاستطراد واستدعاها موقع الاستشهاد وذلك أن بعض الارقة رأى رجلا فى بعض الازقة يساير مليحين كلاهما قرة عين فقال له ما اسم سيدى الماجد قال أنا عبد الواحد فقال اخرج اذا من البين فأنا عبد الاثنين وأما الفواكه فانا عاكفون منها على الالذ الاطيب أعنى الكريز والشليك الذى هو توت الثعلب وهما ماهما وما أدراك ماهما منظر زهى ومخبر بهى ومطعم شهى ونكهة تعطر الافواه ولذة تبقى فى الشفاه الى ماشاء الله وما أشبه الاول الا بمراشف الاحباب جادت برشف الرضاب ولا الثانى الا بخدود الخود الكعاب أخجلها العتاب وقد بدأت أوائل الكمثرى واغتنى الروض من نضارها وأثرى وفاحت روائح التفاح مؤلفا من الشهد والراح وظهرت طلائع التين بين أفنانه يزهو بمحاسن ألوانه فمن أخضر كأنما صيغ من الزبرجد وأصفر كأنما طلى بالعسجد وأسود كأنه حدق الغزلان وأحمر كأنه شقائق النعمان الى غير ذلك مما يعجب الفؤاد ويجل عن التعداد « ان هذا الرزقنا ماله من نفاد » وهنيئا لمن هناك بالكيبيس وأمثاله والجميز النفيس وأشكاله

كذلك السوق اذ صفت فواكهه للتين قوم وللجميز أقوام

ودعنا من ترمس انبابه الذى يغلب اللوز وان كان فى النفس شئ من الموز وهذه مفاكهة جرأنى عليها الوداد وجرنى اليها طلب التسلى على لوعات البعاد ولولا اشتغالى باجتناء المسرات واغتنام أوقات الحظ قبل الفوات وخوفى من الملالة بالاطالة ويجزى عما ارتضيته لسيدى من المقاله لأرخيت للقلم فضل عنانه ووفيت القول حق بيانه وهذه عجالة الفكره وبنت الوقت ومسارقة الفرصه فالمأمول من فضل

(١) دخله الاقواء وهو اختلاف الروى بالرفع والجر كما هنا والاقواء بالرفع والجر كثير فى كلام العرب والبيتان من كلام العرب ماعدا الشطر الاول

سيدى ستر الهفوه والاغضاء عن الكبوة والنبوه وقبول المعذرة واقالة العثرة والله يديم اقباله ويحرس كماله

وكتب منها قدعا الى بعض الاخوان بعد الديباجة والسلام مانصه

انى بعد أن وصلت لهذا الطرف كما كتبت لكم فيما سلف قد عرض لى مرض أقعدنى عن كل غرض فألزمنى الفراش وصيرنى أنحل من الفراش وصحبه نزيف مع اسهال عنيف حتى أضنى جسدى وأفنى جلدى وحتى زالت قواى وزادت بلواى وتنغصت على حياتى وتكدر صفو أوقاتى وانضم الى آلام الاسقام كربة الغربة ووحشة الوحدة وحرقة الفرقة

ولو كان هما واحدا لاتقيته ولكنه هم وثان وثالث

وصرت أعانى الاهوال من مكابدة هذه الاحوال

ومن العجائب أن لى صبرا على هذى العجائب

ومازلت أصارع الهموم وأنازع الغموم وأتضرع الى الحى القيوم الى أن تداركنى بنعمه وأجرانى على عوائد بره وكرمه فمازال يقابل إساءتى باحسانه ويفيض على غيوث انعامه وامتنانه فالحمد لله الذى بحمده تدوم النعم وتزيد وتزول النقم وتبيد فقدمن على بالشفا بعد أن صرت على شفا وألبسنى ثوب العافية قشيبا وأعاد غصن مسرتى رطيبا فأنا الآن بحمد الله فى حسن حال وصفاء بال وعيش رغيد وخير مزيد وعلى الخصوص أنى مقيم بمحل مخصوص قد دخلت غصون الورد من طاقاته وأهدت الى حسن منظره وطيب نفحاته وربما تردت على هذه الغصون البلابل فأزالت بتغريدها البلابل فلا أدرى هل دخلت للتفرج أم ظنت الروض من داخل وهذا المحل ينظر من أحد جانبيه الى البحر وقد انتظمت بسواحله المنازل انتظام القلائد على النحر وجرت عليه مواخر البواخر والجوارى المنشآت الزواهر فكأنها حصون سائره أو بروج دائره أو هى شامات على خده الاسيل أو دعج فى أجفانه وتكحيل أو هى أسود كاسره أو جنود زنج مسافره ومن الجانب الآخر ينظر الى روض أريض فى طيب نسيمه العليل شفاء المريض قد كساه الغمام خضر بروده ونثر عليه درعقوده فاختال فى أنفس ملابس من حلل السندس والاطلس مزررة من الزهر والشقيق بأزرار اللؤلؤ والعقيق

ان فصل الربيع فصل عجيب تضحك الارض من بكاء السماء

ذهب حيثما ذهبنا ودر حيث درنا وفضة فى الفضاء

وقد أفصح الطير وصاح بالالسن الفصاح بعد أن صفق بالجناح ونادى ما على أهل الخلاعة جناح

فى

في روضة غناء غناها الصبا فترقصت طربا غصون البان

وترنم البلبل على العيدان فتمايل تمايل النشوان أو القيان الحسان وقد دارت خلاخل الماء على سوقها واستبشرت المسرة بنفاق سوقها هذا الى ما أحاط بهذه الروضة الزاهية من جبال بديعة عالية قد كسيت جميعها بالخضرة وامتلأت بهجة ونضرة وقد خلعت من الثلج فروها الابيض ولبست ثوبا قد ذهبه الربيع وفضض وملئت من أنواع الازاهر وألوان النبت الباهر بدرر زبرجد وفضة وعسجد فحيث تطلعت تمتعت ومهما تدرجت تفرجت ومتى سرحت انشرحت وأين سعيت رأيت منظرا معجبا وسمعا مطربا وطيرا صادحا وزهرا فائحا ووردا نافخا وورداسائحا ولقيت وجها صبيحا وقدا مليحا ومنزها فسيحا فأنا أتنزه في هذه الجهات وأتفكه بهذه الطيبات وأنزه خالق الكائنات «ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات» فلو رأيتني والياسمين يترامى على أقدامي وعساكر الاشجار مصفوفة قدامي كأنها خدامي وقد شد الليل الهمة دهم خيله وشمر السرو للخدمة فضل ذيله وسعى بريد النسيم ليأتيني من أقاصي الروض بأخبار طيب الشميم وقد خفق فؤاد الماء وارتعدت مفاصل الهواء واصفر وجه الزنبق وجلا واحمر خد الورد والشقيق خجلا وأشارت الى بالبنان أصابع المنثور وابتسمت نحوي ثغور الزهور «لرأيت نعيما وملكا كبيرا» ولاقيت فضلا جسيما ومنظرا نضيرا فالحمد لله رب النعمة السابغه والحجة البالغه والفيض العميم والفضل الجسيم اللهم ان الامر كله بيديك سبحانك سبحانك لانحصي ثناء عليك وغاية الامر أنه لا عيب في هذا المكان سوى أنه ينسي الاهل والاوطان والخلان أستغفر الله حاشا أن ينسيني حسن أخلاق سيدي وفضائله وشمائل كرمه وكرم شمائله فانه لا يسليني شيء عن لذيذ مجالستكم واقتطاف ثمرات الانس من رياض مؤانستكم وما أشد احتياجي الى لطف مكالمتكم وظرف منادمتكم وطيب مسامرتكم وحسن محاضرتكم ومليح كلماتكم وفصيح عباراتكم وبديع اشاراتكم فلا لدي أنيس يجالسني ولا جليس يؤانسني سوى ليل أطاوله وأمل أحاوله ونظر أصعده وفكر أردده وشوق أراجعه وصبر أنازعه وكتاب أضعه وأدعه ثم أرجع اليه وأسترجعه فأبيت أساهره وأسامره وأناظره وأحاوره وأزامله وأزايله وأحاوله وأجادله وأكالمه وأحادثه وأباحثه وأنافشه (١) وحبذا الكتاب النفيس من جليس وأنيس يقل عليك مؤنته ويجل لديك معونته ويخف حمله

(١) من نافشه منافشة سارّه وكالمه .

وظله ويستلطف افضاله وفضله وتؤمن بوادره وتستحسن نوادره فهو يبدى لديك محاسن الاخبار ويهدى اليك بدائع الاشعار ويجلو عليك غرائب الآثار وعجائب الليل والنهار ثم هو مع ذلك ان سئمته امتنع وان استرجعته رجع وان أبعدته بعد عنك وان قربته قرب منك وان أسكته صمت ولزم الأدب وان طلبت كلامه أفصح عن العجب وان استفدته أفادك وان استزدته زادك وان تعلمت منه علمك أحسن تعليم وأرشدك الى صراط مستقيم ودلك على حسن السلوك وأتحفك بسيرة الملوك فأعاد لك الامم الماضيه والايام الخاليه فأوقفك على جميع ما كان حتى كأنك عشت من أول الزمان الى هذا الاوان فتراني ربما نظمت من الكتب كل مجمع حافل غاص بأكابر الافاضل والعلماء الاماثل فأحضرت الزمخشري بكشافه ومعه العلامة ابن المنير بانتصافه ودعوت الخطيب القزويني بتلخيصه وايضاحه وجعلت قدامي السعد بديع شراحه وأجلست الى جانبه السيد بحواشيه الرائقه وأدنيت منهما عبد الحكيم بباهر أفكاره الفائقه ثم استحضرت مولانا العصام الفاضل بلطيف انتقاده فتقلدت بسيف اجتهاده ثم حشرت اليهم من أفاضل العلماء الاعلام وأعاظم الفضلاء الكرام كل من ينخرط فى سلكهم ويلتف فى حاشية ملكهم ثم انتقلت الى المؤرخين فأحضرت ابن خلدون بمقدمته والفاضل مترجما ببديع ترجمته ودعوت ابن خلكان بوفيات الأعيان ثم طلبت الشعراء فجاء امرؤ القيس بمعلقته وعنترة عبس بشدة حماسه ولين رقته وحضر معهما من العرب العربا وأكابر الفصحاء النجبا من انضم اليهما واجتمع عليهما ثم نظرت الى من تأخر عنهم واستفاد البلاغة منهم فجاء مسلم بن الوليد بمحكم أبياته وتبعه أبو نواس بخمرياته وحضر ابن المعتز بتشبيهاته ثم جاء أبو تمام بفخامة مقاله وصحبه البحتري برقة مدائحه وأغزاله وانضم اليهما المتنبي بحكم أمثاله ولا أزال هكذا أدعو واحدا بعد واحد وأتحرى الغائب والشاهد حتى يجتمع المجلس ويحتفل وينتظم عقد الجمعية ويكتمل فاجلس بين الجميع فى هذا الحفل البديع فأتعلم من هذا مسألة أستفيدها وأسمع من ذاك نادرة ربما أستلذها فاستعيدها ويتحفنى الآخر بقصة غريبه فيتبعها صاحبه بحكاية عجيبه ويطربني بعض الشعراء بقصيدة نضيدة ويجيئ غيره بأبيات فريدة وربما يعجبني أحدهم فاقدمه على أصحابه وأبادر بتفضيل كتابه على غيره من بابه وقد أجد من بعضهم ما أنكره وأستبرده فأبعده عن المجلس وأطرده ولا أزال هكذا حتى يجيء نسيم السحر ويصعد مؤذن البلبل على منارته من الشجر فهنالك ترى الجمعية قد انتهت وقد بلغت النفس

ماأشتهت فأصرف أولئك القوم وأبادر الى استدعاء النوم فيقبل سلطان المنام وأتنقل فى دولة الاحلام وهلم جرا على هذا المنوال فهذا تفصيل جملة الحال وقد طال لسان القلم واستطال ودعا الى الملال وان كان قد جرى على جناح الاستعجال غير أنى قصدت تسلية الخاطر وتنشيط الذهن الفاتر فالمرجو من الاخوان قبول المعذرة واقالة العثرة والمعاملة بالمسامحة والعفو والاغضاء عن الخطا والسهو فقد تركت التفكر واسترسلت من غير تدبر اعتمادا على حسن ظنهم وكرمهم واطف شمائلهم وحسن شيمهم ومنا اليهم على الدوام مزيد الشوق والسلام ١٠ غرة محرم سنة ١٢٧٩

ومما كتبه من الاستانة العلية قديما أيضا الى صديق له يصف حالة الشتاء بها فى يوم شديد البرد كثير الامطار ويصف حماما لجأ اليه فى ذلك اليوم وحديقة بجواره تشرف عليها حجره قال بعد الديباجة فى وصف الشتاء

كتبت اليك والامطار ساجمة بطلها ووبلها وعساكر البَرْد والبَرَد هاجمة بخيلها ورجلها والسماء متلفعة بأذيال السحاب وكأن الشمس خافت من الطل فتوارت بالحجاب والجو مسكى الرداء عنبرى الارجاء كأنه وعليه ثوب الغيم مزرور قد وجل من صولة البرد فلبس فروة السمور والغمام أناخ على الافق بكلا كله وهز من البرق بيض مناصله ونشر فى الجو طرائف مطارفه وجاد على الارض بتليده وطارفه وثقل على كاهل الهواء كالطير بل جناحه بالماء وقرب حتى كاد يمسك باليدين ويعتصر بالراحتين

وكأن البرق مصحف قار فانطباقا مرة وانفتاحا

أوكأنه مرآة مذهبة تبدو وتخفى أو جذوة ملتهبة توقد وتطفى أو رايات من أطلس تحملها طلائع جنود الخصب أو مناديل من سندس خضر تشير بالامان من الجدب والرعد يهدد بزواجر زماجره السحائب فيبكيها والطير يتلو سطور الندى فى طروس الثرى فيمليها ويطرب بافنان الالحان أفنان البان فيميلها ويثنيها ويقرأ على رؤس الاغصان أوراد الحسان فيقربها ويرقيها وقوس السماء يرمى بسهام وبله جنوب الشقائق فيصميها ويدميها والريح تمسح أخلاف الغمائم فتمريها وترضع بدرتها بنات النبات فى حجور أرضها فتربيها وتربيها وترصع بدرتها تيجان القضبان وتارة تجعله عقودا فى تراقيها أو دموعا فى أماقيها وكأن الحرخاف من بنادق البرد ومدافع الرعد ففر الى مصر ونواحيها وأصبح نزيل من فيها الكرم أهليها وكأن غيرها بخلت عليه فلم تقبله عندها ضيفا أو غلط الناس فى حساب الفصول فظنوا شتاءها صيفا

أو الغزالة من طول المدى خرفت　فما تفرق بين الجدى والحمل

وقال فى وصف الحمام

فبينما أنا أقفقف من البرد وأتأفف من البرق والرعد اذ نادانى نجى الالهام أن ليس لمثل هذا الحال الا الحمام ورأيت قوما قد تسللوا لواذا واتخذوا الهم من شدة الرعد ملاذا فألقيت القلم والدوات وأخذت ما لزم من الادوات وانسللت انسلال الحسام حتى وصلت الى حمام فودعت رعدة الشتاء عند الباب ودخلت فاذا باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب به ماء كقضبان اللجين أصفى من انسان العين وأضوأ من جبين الشمس وأعذب من منى النفس تكسر ذلك الماء الفضى على ألواح من المرمر الوضى متناسب الترتيب متلاحم التركيب مستحكم الوضع فائق الصنع قد أجيد جلاؤه وراق العيون بهاؤه ولمعت صفحاته وصفت مرآته كأنما جسد من الماء أو تجسد من الهواء أو اشتق من أديم السماء فلو رأته بلقيس بين يديها حسبته لجة وكشفت عن ساقيها

الى أن قال فى وصف الحديقة

ثم خرجت الى حجرة خاليه أعدت فيها فرش عاليه وأدوات غاليه وسطعت بها روائح الطيب والغالية وقد أكملت وجوه تحسينها وأتمت أسباب تزيينها وهى مشرفة على حديقة ذات أفنان وأنواع من الزهور وألوان وثمرات حسان قد فاح الطيب من مجامر أزهارها وصاح خطيب العندليب على منابر أشجارها

رياض كديباج الخدود نواضر　وماء كسلسال الرضاب برود

فجلست أجيل فيها النظر وأتأمل محاسن الروض غب المطر وأطالع مارقمه الطل فى صحائف الغدران وأرى خواتم الزهر حين تسقط من أنامل الاغصان

من قبل أن ترشف شمس الضحى　ريق الغوادى من ثغور الاقاح

فرأيت الغمام قد سقاها فرواها وجلا للنواظر بدائع محياها وأبدع فى بساط البسيطة من النقش والتصوير ما يكل دونه يراع التحرير ويرتد الطرف خاسئا وهو حسير فأحيا به الله الارض الموات ودبت الروح فى أجساد النبات فكأن فى هذه الشهور حشر عالم الزهور الى معالم الظهور وأصغيت للبلابل وهى تسجع بالحان صوتها وتقرأ «فانظر الى آثار رحمة الله كيف يحيى الارض بعد موتها» وقد انفضت من الارض الكنوز ومحت الشمس من بقايا الثلج شيب برد العجوز وترنحت معاطف البان كما يترنح النشوان ومالت قدود الاغصان فقبلت خدود الغدران وسارت نسمات الصبا متعثرة باذيالها وأدارت السحب على زهرات الربا كأس جريالها وانتبه

الزهر

الزهر من المنام على صوت الحمام واحمرت وجنات الورد خجلا من ذلك النمام وضحكت ثغور الزهور في الاكمام من بكاء الغمام

وكأن الطل أوراق الشقيق ضحى كما تكلل خد الخود بالعرق

وظهر النيلوفر من خبائه يتباهى بسندس قبائه واهتز كل غصن رطيب وأطرق تلبنفسج لمنطق العندليب وشمر السرو أردانه راقصا من الطرب وفتح النرجس أجفانه شاخصا لهذا المنظر العجيب وقد أعد له من الزنبق الرومي مكاحل فضة فيها أميال من الذهب والاقحوان أوراق لجين رقت بعسجد ونشرت على كراسي من الزبرجد وقد سمت قامة اللوز للسماء واتصلت هامة الجوز بالجوزاء فكأن زهر النجوم من زهره وعنقود الثريا من بعض ثمره والجدول ينعطف ويعتدل ويتمشى بين الحدائق مشية الثمل فجلست أسري عن القلب بقايا الحزن برؤية ذلك الماء والخضرة والرواء الحسن حتى انقضى النهار ولزم الانصراف على غير اختيار فقمت أجر الاقدام متمنيا لو أن ذلك الحال دام وخرجت عازما على أن أعود وهكذا الدنيا نحوس وسعود

ما كتبه للاستاذ المرحوم الفاضل الشيخ على الليثى

كتب الى صديقه الموما اليه

مولاى الاستاذ

سلم الله سيدى وأدام له السياده وحفظ ما أولاه ومنحه الزياده وقد كتبت وأنا مقيم مع الدعاء أكرره والثناء أوشيه وأحبره والود أورده وأصدره والوجد أطويه وأنشره والزمان أعذله وأعذره هذا وان لم يكن سمع مولاى بمن يحسد ما يخط من كتابه ويبعث به من جوابه فها أنا ذا أغبط كتابى هذا على المسير وفى رحابه والمصير ببابه وأود لو كنت مكان نجابه لأسعد بلقاء جنابه وانما أتسلى بانى أصل بالقلب قبله وأحل من خاطر مولاى موضعا ان يحله وهذا فن من الغبطة يستغرب ولكن ما عندى من الشوق أغرب وقد وافى كتاب سيدى فملأ القلب مسرة والعين قرة والمكان بهجة ونضره وصحبته الهدية فوصلت ورد وعاؤها وقبلت وأما تبليغ السلام لسميكم الباشا الهمام وسمى طبعكم سامى المقام فسيحصل ان شاء الله عند لقائهما متعنا الله ببقائكم وبقائهما وأنا أعلم أنهما على غاية الشوق اليكم وفلان وفلان يقبلان يديكم ه‍ ٩ شعبان سنة ١٢٨٧

وكتب الى الموما اليه

السلام على سيدى الاستاذ أسعد الله شهوره وأيامه وتقبل فى شهر الصوم الشريف صيامه وقيامه وأحياه لكثير من أمثاله وأدامه متمعا من الله تعالى بكل ما رامه وبعد فقد جاءنى كتابه الآن فأقر عيننا تتشوف اليه وسر نفسا ترفرف عليه وجلا على من بديع البيان ما أنسانى بديع الزمان ومن معانيه الحسان ما أعاد احسان حسان فلا عدمت من مولاى أخا وفيا وخلا حفيا وصديقا صفيا وان عندى من الشوق اليه ما يقصر لسانى عن صفته وحسبى استنارة ضميره الكريم فى معرفته فليترجم عنه ان شاء بنفسه لنفسه فليس لدى براعة براعته ولا جودة نفسه وعلمت ما عزم عليه سيدى من احياء شهر رمضان بتلاوة القرآن والدعاء للخلان والاخوان فالله يوفقه ويديم توفيقه ويجعل التقوى سبيله والقبول رفيقه وينفعنى باسرار دعواته وآثار توجهاته فى خلواته وجلواته وايم الله لقد نبه منى كتابه قلبا كان غافلا وأطلع عليه من نجم الانابة ما قد كان آفلا والله سبحانه المرجو أن يوفق ويقبل وأن يشيع بالعفو كل شهر مضى ويهل بالهدى كل شهر أقبل وأما ما أشار سيدى اليه فى خطابه الشريف من طلب ما عساه يلزم داعيه من أمور الريف فأنا لا يلزمنى الآن سوى أن يمدنى ببركات دعواته الفاخره ولا يقتصر فى الدعاء لى على

هـذه الدنيا الحاضره بل يجمع بين الدنيا والآخره فانما يطلب من كريم لا يستنفد الطمع ما لديه ولا يرد عبده المنيب اذا رفع نحو بابه يديه فان كان لابد من اعانة لاخيك فهذه سبيلها والله هادى كل نفس ودليلها وسلام الك من سيد على القدر مبارك الطلعه وماجد محمود الطبع سامى الرفعه وأمين وأخوه يسلمان عليك ويقبلان يديك وسلام الله تعالى ورحمته وبركاته عليك فى ٢٨ شعبان سنة ١٢٨٧

وكتب اليه أيضا

السلام على سيدنا الشيخ أدام الله له السلامه وأعلى فى ذرى المعالى أعلامه وملكه لياليه وأيامه بجعل الليلة جارية بما يحب واليوم غلامه وبعد فانى لو ملكت من البيان ما يجب وسلكت فى هذا الشان ما يجب لبلغت ما أردت من وصف ما وجدت فى كتب الشيخ أبقاه الله من لمحة أنس وفرحة نفس وقرة ناظر ومسرة خاطر ثم ارتقيت فانتقيت ما أصف به براعة عبارته وحسن شارة إشارته وتماديت فأديت بعض ما يجب على من شكره لامرارى فى على فكره فأجريت البراعة فى هذه الغاية الى منتهاها وبلغت النفس من هذه البغية مشتهاها ولكن بضاعتى قليله ويراعتى كليلة فماذا عسى أن أصنع ولست بما لدى من القول أقنع فان أعفانى الشيخ من هذا الفصل وله مزيد المنة والفضل عوضته به دعاء يبارى نسيم القبول ويجارى حسن الاخلاص الى أبواب القبول فانى أرانى من هذه البضاعة مليا وان لم ألك تقيا اللهم غفرانك ولم أكن بدعائك رب شقيا وأما ما يقوله الشيخ من جهة التسلى بالطين فقد كنت قلت قبل هذا الحين

أرجو من الله لى طينا أعيش به ... فى أرض مصر على حال السلاطين

مازال ما عشت لى فى الطين كل هوى ... وانما خلق الانسان من طين

ولكنها حاجة فى نفس يعقوب ان أراد الله سبحانه قضاها وانما الخير للعبد فى كل حال اختاره مولاه وارتضاها فالعمدة عليه والامر منه واليه

لو كان لى أو لغيرى قدر أنملة ... من التراب لكان الأمر مشتركا

نسأله أن يرزقنا كمال التسليم والرضا بما يقضيه ويوفقنا لما يقربنا اليه زلفى ويرضيه وقد عرفت ما عاهد عليه سيدى الشيخ ربه من أنه لا يعلق بالركون لغير الله قلبه فما أجل هذه النيه وأكمل تلك الحال السنيه إى والله ما أربح معاملة الله سبحانه وأربحها ويا ظالما بجر بنا معاملته فشاهدنا والله مربحها ويا حسن ما يتودد الينا باحسانه ويا قبح ما نتبغض اليه بعصيانه وهو الغنى عنا ونحن الفقراء اليه ... وهو الغنى عنا وما الناغى عنه وهو الخالف

من غيره وماسواه خلف منه « أأرباب متفرقون خير أم الله » أوليس حسب العبد مولاه « ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل هل يستويان مثلا الحمد لله » فندعوه أن يسلك بنا مناهج رضاه وتقواه ويوزعنا أن لانقصد سواه بل لانشهد سواه ويعلى نفوسنا بجوده فى حضرات شهوده الى أعلى درجات قربها حتى يكون بصرنا الذى نبصر به وسمعنا الذى نسمع به ويدنا التى نبطش بها انه سميع الدعاء القادر على مايشاء وأما المصحف الشريف فقد أعطيناه للمجلد وفهمناه حسب التعريف وبعد فكه ونقض حبكه رتبنا له الاوراق التى كان فيها بعض تقليب وعرفناه أن يعتنى برعاية الترتيب وأخبر أنه يتم ان شاء الله قريب العيد جعله الله من أفضل عيد وموسم سعيد ويسلم عليكم سيدى الباشا المبارك وسمىّ قدركم السامى أبقاكم الله تعالى وتبارك وفلان وأخوه يقبلان يديكم والسلام عليكم . ٥١ ٧ رمضان سنة ٨٧

وكتب اليه

ورد كتاب سيدى الشيخ كتب الله له الخير وكبت من يريد له الضير وسررت باتمام البنيان فى أقرب مايمكن من الزمان جعله الله بناء سعد وعز ورفعة وراحة ودعه وعمارة قائمة ومسرة دائمة هذا مايقال فى مثل هذا الشان فى العوائد الجارية بين الاخوان ولكن اذا محضتك الصدق وصدقتك البيان قلت لايكمل سرورى الا باتمام المسجد مؤسس البنيان على تقوى من الله ورضوان تقام فيه الجماعة والاذان وشعائر الاسلام والايمان وتعلم فيه من حولك من الناس أمر دينهم وعباداتهم وتجتهد فى النصح لهم وتفهيمهم وافادتهم بلسان يعقلونه ويعونه ويعرفونه ويتبعونه فتكون من هداة الخلق والدعاة الى الحق « قل هذه سبيلى أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى وسبحان الله وما أنا من المشركين » وقد كفاك الله وله الحمد أمر دنياك فاعمل لآخرتك وانصح لقومك وعشيرتك وجيرتك واخدم رسول الله صلى الله عليه وسلم باقامة شعائر ملته والنصح والتعليم لامته وأدّ بذلك بعض الحق الواجب له ولله عليك « وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله اليك » ثم اذا كان المانع من بناء الجامع أنك تريد تشييده وتمكينه واتقانه وتحسينه وكان ذلك يحتاج لادوات غير عتيده ويتوقف على مدة مديده فابنه بأسهل مايتيسر ولو كان باللبن الاخضر تقطع بذلك على الشيطان طريق مكره وترد سهام كيده فى نحره فلا يبعد أن يكون تأميل اتقانه

والرغبة فى تحسين بنيانه حيلة منه دسها وخديعة أسسها يسوقك بها الى التسويف والتأخير ويعوقك عن هذا الخير الكثير أعاذنا الله من شره ووفقنا للاحتراز من مكره ولعل المسجد كلما كان أقرب للبساطة والسذاجة كان أقرب للاخلاص وأبعد عن المباهاة وأليق بالخضوع والخشوع فانه محل مسكنة وخضوع واستكانة لله تعالى كما أن اتقان بنائه أدعى لطول بقائه والله يبقيك على ما ترضاه ويوفقنا واياك لما فيه رضاه م ٥ ذى الحجه سنة ٨٧

وكتب اليه

سيدى الاستاذ الاجل والملاذ الكريم الامثل سلمه الله وأدام له السلامه وحفظ نعمته ووالى عليه انعامه وبلغه من الخير له ولاحبته كل ما رامه وبعد فقد سررت بورود الكتاب الزاهر وشكرت الله على دوام خطورى بالخاطر وهذا العبد الكاتب لا يخلو ضميره من تذكر مولاه ولا لسانه من الثناء على محاسن شمائله وكرم سجاياه ولا ناظره من التشوف لما يرد من كتب حضرته ولا سمعه من الترقب لتعرف أخبار مسرته وعندى لحضرتك من مزيد الشوق ما هو الغاية وكفى بنور ضميرك الكريم فى ذلك آية وقد كنت عولت على المسير لزيارة حضرتك العليه ثم عاقنى استخدامى من أول هذا الشهر بوكالة ديوان المكاتب الاهليه وسعادة سميك الباشا مبارك الطلعة يسلم عليك وهو منذ مدة على نية المسير معى لزيارتك وهو فى غاية الشوق اليك الآن فى يده بعض أشغال يريد أن يقضيها وسنقصد معا زيارتك بمشيئة الله بعد أن ينهيها وعند التصميم على يوم معلوم نبادر باخبارك مقدما لا زلت محفوظ الجناب متعما م ٢٢ محرم سنة ٨٨

وكتب اليه

سلام الله ورضاؤه وبركاته ونعماؤه على أخى ومولاى وسيدى الاستاذ وبعد فانى أحمد الله سبحانه على ما من به من الفرج والخلاص من أقفاص الحرج وأشكره على العافيه وعلى نعمه الكافية الوافيه وأسأل عن أحوال سيدى الاستاذ أدام الله جمالها وحرس بعين عنايته كمالها ولا أرى من حاجة للافاضة فى صفة الشوق لعلمى بانه ليس يخفى عليه كعلمى بان لى مثل ذلك لديه

فقد تعب الشوق ما بيننا فمنه الىّ ومنى اليه

والله المسؤل من فضل عطائه وجلائل آلائه أن يبل غلة الشوق باللقاء كما من بالخلاص من جهد البلاء ودرك الشقاء ولقد كانت المحنة عظيمه والشدة

ألمه لولا ما اندرج فى تضاعيفها من فضل الله ولطفه وما وفق له فى أثنائها من العكوف على كتابه المجيد والحفظ لما يقرب من نصفه وهى نعمة عظمت بها المنه وهانت بها المحنه وقد عرفت فى خلال تلك الشدة حال كثير من الاعداء اللابسين لثياب الاصدقاء المرتدين بأردية الاوداء فانجلت الغفلة وتجلت الحقيقة وامتاز التبر من الحبر والترياق النافع من السم الناقع وايم الله انى وان لم أكن كثير الركون لخلان الزمان واخوان الخوان ولكن ما كان الظن والتخمين ليبلغ ما بلغه اليقين ومن الذى كان يظن أن من كنت أرى نفسى أكثر الناس انتصارا له ودفاعا عن عرضه ومخاطرة فى وده لا يقنع فيما نابنى بالمباعده عن المساعده حتى يكون هو الذى تولى كبره وأضرم جمره ويقرب من ذلك ما وقع فى حق مولاى الشيخ على ما بلغنى فى هذه الاثناء ولكنى أحمد الله على أن هذه الشدة كما كشفت لنا حال هؤلاء أسفرت لنا أيضا عن صفوة من خيار أهل الخير والبر على الضد من حال أولئك جعلهم الله ثمال الآمال وجمال الايام والليال ف‍ ١٨ صفر سنة ٣٠٠

وكتب اليه ضمن مكاتبة

سلام الله وتحياته ورضاه وبركاته على سيدى الاستاذ الملاذ

وبعد فانى أحمد اليه الله تعالى وأشكره على آثار كرمه وبره شكر المعترف له بالعجز عن تأدية حق حمده وشكره وأسأل عن حال سيدى الشيخ وصحته وعن أحوال من يلوذ بحضرته وأسأل الله سبحانه أن يكونوا جميعا على ما أحب صحة وعافية وراحة ورفاهية وقد مضى على زمن لم يصلنى فيه شئ من أخبار الشيخ لانى كنت متغيبا عن محروسة مصر فى بهتيم مدة تقرب من أسبوعين قبلها نحو منها وسأعود اليها ان شاء الله عن قريب لملاحظة أشغال التخضير اذ ليس هنالك من أثق برأيه وتصرفه وخبرته وان كنت أيضا عديم الخبرة بأشغال الزراعة حديث العهد بهذه الصناعة ولكن العمدة على الله سبحانه فى الارشاد والتوفيق لموارد السداد ولا يظنن سيدى الشيخ أنى هنالك فى قلق من عدم سماع الحوادث والاخبار وقلة الندمان والسمار فانه كما قيل مأرب لا حفاوة ومشرب لم يبق عندى له حلاوة فلا أرى فى نفسى شغفا بسماع تلك الاخبار وانما أسامر ما معى من الكتب والآثار وأنادمها فيما خلا عن الشغل والرياضة من أوقات الليل والنهار وبعد ذلك

أنام ملء جفونى عن شواردها والخلق تسهر جراها وتختصم

حالة لو خيرت والله بينها وبين ملك الدنيا بحذافيرها لاخترتها وآثرتها وما غادرتها فالحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات وبارادته وقدرته تتوالى الخيرات والبركات

ولا يعز

ولا يعزّ عليّ غير بعدى عن أخى وسيدى الشيخ من جهة وعن والدى الامين وولده عبد الله من الجهة الأخرى ولكن صبرا يانفس صبرا لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا

عقيب حضورى هذه المرة من بهتيم حضر لى عبد الله بيك وهو عبد الله أفندى الذى كان يجتمع عليه عند المرحوم طوسون باشا فسح الله له فى جنته وغفر له كل ماندم عليه من زلاته وأخبرنى أن أنجال المرحوم وأمهاتهم يلحون فى طلب نسخة من المرثية التى قيلت فى المرحوم لتكتب وتذهب وتوضع عندهم وانه من أجل ذلك توجه الى منزل سيدى الشيخ فى طلب تلك المرثية (أو المرسه) على لغته فلما لم يجد الشيخ حضر الىّ فوعدته أن أكتب لحضرتكم بطلب تعجيل ارسالها فوعدنى أو توعدنى بأن يلزمنى لزوم الظل أو الغريم الممل للمدين المقل حتى يحصل الارب من ذلك الطلب فليغنم مولاى الشيخ غير مأمور بالبحث عن مسودة المرثية المذكورة والتعجيل بارسال نسخة منها مصححة منزهة عن كل تحريف من تحريفات النساخ يعسر معرفة أصله قياما بحق مودة المرحوم وبرا بأهله فان لم توجد فلا يبعد على تلك القريحة التى تكرمت بها من فضلها أن تأتى بخير منها أو مثلها وقد وعدته بذلك والمرء رهن وعده وضمنت والله لايخفر ضمان عبده ﻫ

١١ صفر سنة ٣٠٢

وكتب اليه

سلام الله على سيدى الشيخ الاستاذ الملاذ لازال من عون الله وعنايته فى خير عياذ وبعد فانى أحمد اليكم الله سبحانه على مزيد آلائه وجلائل نعمائه التى من محاسنها أن أعان على إتمام مناسك الحج والعمرة ويسر الوصول الى هذه الحلات المباركة الطاهرة وقد تكرر منى بتوفيق الله تعالى الدعاء لكم عند الملتزم وتحت الميزاب وخلف المقام وطلبت لكم الفاتحة عقيب تلاوة الحزب فى الزاوية المباركة بجبل أبى قبيس والنية على التوجه غدا ان شاء الله تعالى الى المدينة المنورة زادها الله سبحانه نورا وشرفا الى الآخرة بصحبة المحمل المصرى كما أشار به سيدى حامد نرجو الله سبحانه أن ييسر الوصول ويبلغنا من زيارة سيدنا الرسول مافوق المأمول وهناك ندعو لكم ان شاء الله بما ييسره الله تعالى ونقرأ السلام منكم على المصطفى الاعظم صلى الله عليه وسلم ونرجوكم أن لاتنسونا من الدعاء وأن تسلموا لنا على أخيكم وأولادكم وكل من يذكرنا عندكم بخير

سيدى وصل شريف كتابكم على يد الشيخ عبد المنان الحكيم فاذا هو كما وصفتم فى كتابكم ذكاء ونباهة ونشاطا وعلو همة وكرم أخلاق وقد وجدته عائدا الى مصر

فأصحبته هذه الاحرف كتب الله السلامة لناوله ولكم وحفنا برضوانه واحسانه وآلائه بجاه خاتم رسله وأنبيائه

كانت الصحة العمومية فى الحج على أحسن ما يرام ولعل ذلك بلغكم ولم يحصل غلاء فى الاقوات والاشياء الضرورية فهنا أقة اللحم الضأن سعرها ﭗ دارجة وقس على ذلك وانما زادت أسعار بعض أشياء غير ضرورية كالسبح ونحوها وزادت أجر الجمال قليلا فبلغت أجرة الجمل الحامل للشقدف من مكة الى المدينة الشريفة ومنها الى الوجه ٣٥ ريالا ولم يحصل شئ والحمد لله مما كان يرجف به المرجفون والله يتم بالخير بمنه ويمنه ٥ا ٢ محرم سنة ١٣٠٢

وكتب اليه

بسم الله الرحمن الرحيم

سلام من الله العظيم على سيدى الاستاذ الجليل لازال مقره الكريم محل اجلال وتبجيل وبعد فانى أحمد اليه الله سبحانه على ما وفق ويسر من نوال المنى وحقق أشكره وأحمده وأشهد به وأشهده أن ألهمنى خير الدعاء لسيدى الأخ العزيز فى ملتمسات الاجابه من المواطن الطاهرة والاماكن المستطابه بجوف الكعبة وتحت الميزاب ولدى الملتزم وعند مقام ابراهيم صلى الله عليه وعلى نبينا وسلم والامل فى القبول عظيم فالمدعو أكرم كريم وما تفضل سيدى الشيخ به من بيان المعذرة قد سبقه اليه شهادة الفؤاد وشواهد الوداد بل الاخاء بل الاتحاد ولقد آلمنى مزيد الايلام ما ألم به حفظه الله من الآلام فالله يعجل شفاءه ويتولى دواءه ويصرف عنه ما ساءه ويوالى عليه آلاءه ويوفر عليه من مزيد فضله المنحه ويجمع له بين الاجر والعافية والصحه ولولا ما أجده من بقايا تعب السفر وما أورثه برد الليل فى أثناء العودة من الاثر لكنت أسرع اليه من ايماء لحظه ورجع لفظه وأرجو الله أن يسعفنى بقرب رؤيه محياه ولو كما قال فى ظل شجرات بهتيم أوان تأخر ولا يكون ان شاء الله الا الخير فى ظلال ناديه الكريم لازال مشمولا بعناية الكريم المتعال مأهولا بالجمال والكمال ٥ا ٢٥ صفر سنة ١٣٠٣

وكتب اليه

سيدى الاستاذ

سلم الله ذلك المقام السامى وأسبل عليه غيث فضله الهامى وألهمه مقدار ما عندى من الشوق الى حضرته والتشوف الى معرفة صحة حاله وحال صحته

وتقبل صالح دعائى لجهته والحمد لله أولا وآخرا على ما أسبغ علينا من نعمه باطنا وظاهرا هذا وانى أطالع مولاى بأنى منذ حضرت من الاقطار السوريه الى الديار المصريه مشتغل البال مرتبك الحال لما حدث فى أمر المعاش من أمر الاستبدال لا أعلم ما آتى وما أدع وما يضر وما ينفع لكونى عديم الخبرة بالاطيان والزراعه صفر اليد من معرفة هذه الصناعه وهى صنعة تحتاج الى فضل كياسه ومزيد ممارسه وقوة مهاره وحسن اداره وكد وجد وسعادة جد وعلى الله المتكل واليه مرجع الأمل ورجائى من سيدى الشيخ متعنى الله بطول بقائه أن يمدنى بما عودنى من صالح دعائه ويسأل الله سبحانه أن يتولى لى اختيار الانفع والاسلم فانى أرانى لا أجيد الاختيار فيما أعلم فضلا عما لا أعلم وقد استشرت سعادة شريعى باشا فى هذا الامر فرأيت من حضرته حسن الاعتناء ومزيد الاحتفاء بالسؤال والاستقصاء وابداء الآراء وبلغنا وجود قطعة أرض من أطيان الدومين فى ناحية الدوالطة على نحو ثلثى ساعة أو ساعة من مدينة بنى سويف تسقى من ماء الابراهيمية استحسنا ما سمعنا من صفتها وها أنا متوجه اليوم لمعاينتها وكنت أحب أن أعرج على جهة سيدى الشيخ أمتع برؤيته النواظر وأجلو ببهجته الخاطر لولا أن معى فلانا من أعضاء شورى القوانين وأصحاب الزراعة بجانب ذلك الطين أسترشد بدلالته وأنتفع باشارته وأنظر بفكره وأبصر ببصره وقد استأذن من المجلس لخصوص هذه الحال ورخص له بمدة غير فسيحة المجال ولعلى أعود يوم الجمعة غدا ان شاء الله ان لم يضطرنى الامر الى التوغل فى الصعيد وأظن أنى فى أثناء العودة لا يتيسر لى التوجه الى ملاقاة سيدى لان الوابور يصل الى تلك الجهة آخر النهار فيتعسر أن يتحصل ما به أتوصل وليس لى علم جازم بيوم العودة حتى أطلب الى سيدى اعداد ما يلزم لذلك فأنا أكل الامر الى القسمة وعندى من الشوق لحضرته ما يغنى عن الاطناب والاسهاب فيه نور سريرته وبصر بصيرته وقد حضر حضرة القبودان وسلم الى كتاب سيدى الشيخ وعلمت ما وقعت الاشارة اليه من طلب السماح له فيما سلف وحقيق بشفاعة سيدى الشيخ أن يسمح حتى للزمان فيما اقترف لولا أنه أتى باساءة لاحقه قد أربت على كل سابقه وهى أنه حين قدم من ذلك الجانب نزل فى بعض الفنادق كافراره ولم يلاحظ أن له هنا صديقا يأنس بلقائه ويحافظ على إخائه فلم يسمح بالنزول عندنا الا بعد الالحاح والتكرار والايراد والاصدار ولكنى مع هذا أعرضت عن مؤاخذته فرعاً لودّ الشيخ أن تكون هذه داخلة فيما طلب من مسامحته فان أراد سيدى أن يصفح عن هذه الهفوه ويضرب صفحا عن تلك الجفوه سمعنا آراءه واتبعنا ما شاءه والا فرأيه أعلى ونظره أولى

ولدنا الامين قد تحسنت ولله الحمد حالة صحته وسيتوجه ان شاء الله يوم الاحد الى طنطا المحل مأموريته وهو يهدى تحية الاحترام ومزيد السلام ٩ ٢٣ محرم سنة ٣٠٤

وكتب اليه

سلم الله سبحانه على سيدى الكريم سلام الحنان والتكريم وبعد فانى أحمد اليه المولى على حسن ما أولى وقد قرأت ما حرره وله الحق ولى المعذره وما أنا بالذى يرضى لزورته بديلا لو أتاحت لى الفرصة اليها سبيلا ولكن للضرورة أحكام وما كل حكمها كما يرام والقلوب متدانية وان كانت الشسقة متنائيه والنفوس فى جميع الاحوال متواصلة وان كانت جمعية الاجسام غير حاصله ولم يكن فى الطاقه غير تلك البطاقه ولو أحسن حاملها البلاغ لوجد الاستاذ طريق المساغ فلسيدى العذر فيما استعجم فالمرسل أعجم والمرسل أبكم ورأى مولاى أحكم وقرأت النظم الوارد فاستجليته واستملحته وتفرست فى السبب الموجب فلمحته وبعثت به فى الحين الى حسيبك الأمين والله سبحانه وتعالى المعين وإياه نسأل أن يوسعنا من الصبر ما يثلج به الصدر ويحسن مغبة الامر ويوزعنا امتثال النهى والامر ويتولى تدبير أمورنا بكرمه فنعم المولى الكريم ان ربى لطيف لما يشاء انه هو العليم الحكيم ٩ ١٤ محرم سنة ٣٠٥

وكتب اليه

سلام الله على سيدى الاستاذ الفاضل جليل الشمائل بارك الله له فى جميع أيامه وضاعف له من فضله الجزيل أجر صيامه وقيامه وهنأه بالعيد السعيد الذى أظل إقباله وقارب أن يطل علينا هلاله أهله الله علينا جميعا باليمن والحبور وأعاد أمثاله فى الخير والسرور وأجزل ثواب سيدى الشيخ الجليل على تذكره لاخيه بالدعاء الجميل وهو من خير ما أعتده لحضرته من افضاله ومنته وأرجو مزيد بركته تقبل الله منه خير دعائه وأحسن مكافأته بازائه أما حضرة القبودان المحمود الخلال فقد شرفنا بعض ليال كأنها طيف الخيال وقد أطلعته على الكتاب الوارد وعرفته ما نجم عن تأخير الطاوبة المطلوبة من المفاسد فزعم أنها أرسلت وجزم بانها لابد أن تكون وصلت وعزم على أن يتوجه الى حضرة الشيخ ليحظى بزيارته ويقضى ما بقى من الشهر فى ساحة سماحته وسألته أن يؤخر السفر عن يوم الجمعة فلم يفعل وبكرت النزول فى اليوم المذكور فاذا به قد رحل وسألت عنه القوم فمن قائل خرج حين قام من

النوم على عادته كل يوم ومنهم من يقول سافر الى الصعيد ومنهم من ينقص ومن يزيد ومن يقول لا أعلم ويرى أنه أسلم فلما اشتبهت علينا الاخبار انتظرناه وقت الافطار فلم يفد الانتظار ثم أخرنا السحور انتظار الحضور فلم يحضر ولم يظهر وانتظرناه وقت الصلاة فلم نقف على خبر يؤثر وكان قصدى أن أحمله هذه الرساله فوجدته ولى على تلك الحالة فعددناها من فعلاته وحنظل نخلاته فان كان قد لزمه شيء من الجزاء فى أمر الطاوسية المذكورة فضموا اليه أيضا جزاء ما جناه فى هذه الصورة والا فنوابارساله عن يد من لا يمكنه من الهرب ولا يتأخر به عن الطلب حتى يتم من محاكمته الارب فهو فى ضمانك أيها الاستاذ الى أن يعود ليرى غب ماجرى أمذموم أم هو محمود فاجرأه على أمثال هذه الفعائل سوى كثرة التساهل الحاصل

فوضع الندى فى موضع السوط بالفتى * مضر كوضع السوط فى موضع الندى

وأيا كان فالرأى فيه ما يراه مولانا الشيخ الاستاذ موفقا ان شاء الله تعالى

ومن كتاب كتبه اليه

سلم الله تعالى العلامة الامام وأدام له السلامة والسلام ولقد سرنى كتابه واردا فبذا الكتاب وافدا ومرسله أخا وسندا وساعدا كان الله على مقاصده مساعدا وأصحب عمله القبول صاعدا ووفاه أجر صيامه وقيامه ناماوزائدا ومتعه بالعيد السعيد مقبلا ومودعا ومعاودا وهنأه بأنجاله وآله وكمال آماله

كان قد ألم بى من قبل وصول كتاب الشيخ ألم ووجدت منه بالامس راحة فى النفس وأجدها اليوم أتم وأعد ذلك من بركات تلك النفحات والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات

وكتب له بعد الديباجة

ورد كتاب مولاى الشيخ أيده الله فسر القلوب وورد أيضا ما تكرم بارساله مع الشيء المطلوب وقد أكثر سيدى الاستاذ فى أفانين بره كما أكثر محبه من التقصير فى واجب شكره وكلانا بلغ فى بابه الغاية أو تجاوزها بالكثير مولاى أيده الله فى التطول وداعيه أعانه الله فى التقصير وما أدرى أى الغايتين أكبر وهل تقصيرى أو تطول الشيخ أكثر مسئلة صعبة الجواب يتعسر فيها إصابة الصواب والكتاب المطلوب سنبادر الى استنساخه وارساله اليه وكذلك كتاب سيبويه فقد عثرنا بالامس عليه وانما الصعوبة فى وجود الكاتب الذى لا يخل فى الكتابة بالواجب والباشا العلى والامير السامى يسلمان عليكم

وكتب اليـــه أيضا

ورد كتاب الاستاذ يسر الله شفاءه وسر بصحبته أودّاءه وجعـل أعداءه فداءه ولقد ساءني ما شكا من ألمه أضعاف ما سرني من حسن كرمـه فأسأل الله الشافي أن يشفي ويعافي وما وصف مولاي من علاج أهل الريف لا يستغرب عدم تأثيره في جسمه الشريف فانه وان أقام بين القوم لم يلبس جلدهم ولم يصبره طول العشرة أحدهم فليسارع الى الحضور ليغير تلك الطريقه ويأخذ بالاسـباب والله الشافي على الحقيقه والامل في محاسن مساعيه أن يكون حضوره الى دار داعيـه والله يعجل صحته ويجزل من العافية منحته

وكتب اليه أيضا بعد الديباجة

ورد خط الشيخ زاد الله حظه وأدام رعايته وحفظه فأنبأ عن علو قدمه وسمو هممه وتفرده في طريق كرمه ومحاسن شيمه فلا عدمت هذا النفس الطيب ولا حرمت هذا الكرم الصيب وما ذكره من الاخوة له فيه الفضل الاكبر ولي فيه الحظ الاوفر وهذه منة ساقها الله الى أعتدّها من محاسن نعمه علي وانما أريد من الشيخ أدام الله له الشرف أن يتحفني ببيان ما عساه يلزمه من هذا الطرف ليكون كالبنان لما حرره والبرهان على ما قرره وقد سررت بما أشار اليـه في خطه السـعيد من تصميمه على التشريف ان شاء الله في أيام العيـد وها أنا أعدّ الايام لانتظار وعـده وأترقبه ترقب الغيث بعد بعد عهده وفلان وأخوه يقبلان يديه وقد بلغت السلام لكل من أشار اليـه وكلهم يشتاق الشيخ على الدوام ويخصه بمزيد الثناء والتحية والسلام

وكتب اليـــــه

سلام الله على سيدي الاستاذ الهمام خلد الله معاليه في صفحات الايام قرينة الدوام

وبعد فاني أحمد اليك الله مولاي على نعمة السلامة ونعمت الكرامة وأشكو لوعة أشواق أججها ألم الفراق وهيجها أمل التلاق فطالما بشرتنا الاخبار بقرب اللقاء وسوفت الايام بانجاز موعـد الوفاء فصرنا نتجرع مرارة الاصطبار ونصلى حرارة الانتظار وتختلف علينا وفود السـفار وجنود السمـار بمختلف الروايات ومختلق الاخبار بين مبعد ومقرب ومشرق ومغرب وحسبك الامين ينتظر قدوم

حضرتك لياتي فيتملى بنظرتك و يتمنى لزوم ساحتك في مقامك وسياحتك وهذه كتبه تترى مستعمله وتتوالى أجوبتها معلمه تخبره بما يكذب آخره أوّله و يعارض مفصله مجمله حتى كان آخر كتبي اليه أن الشيخ حرسه الله يحفظ ولا يقاس عليه فاهذا التسويف ومتى يكون التشريف وهاهو واصف محامدك قد حضر وأخذ لنفسه أهبة السفر والباشا الشريعي حفظه الله قد استبطأ مواعيد الاخبار وكأنه اشتاق الى رؤية الديار واستطال مدّة الاقامة فودّعنا وأودعنا سلامه وسافر مصحوب بصحة وسلامه وجارنا السميّ لقدرك السنيّ المشترك في اسمك السميّ مساهمنا في الانتظار ومقاسمنا في استعلام الاخبار طرفي النهار وقد طلب مني أخيرا أن أشفع رجاءه برجائي في استدعاء همتك لاتحافه بنبذة شافية وافية بترجمتك تشتمل على بعض محاسن أخبارك الشائقه وأحاسن أشعارك الرائقة الفائقه ومراده أن يحلي بها جيد كتابه الخطط لما نحا نحوه فيه من ذلك النمط حيث التزم توشيحه بأخبار مشاهير المصريين وآثار المتقدمين منهم والعصريين لتكون آثار الشيخ فيها بيت القصيد وقلادة الجيد وفريد الدرّ النضيد وكرّر عليّ حتى وعدت بتسهيل طلبته وتعهدت بتحصيل رغبته ثقة مني بقبول الرجاء كما عهدت في تلك الشيم الغرّاء وقد طالبني عن نفسي بمثل ذلك فامتثلت الطلب وعهدت الى ابن أخيك الامين أبقاه الله فكتب فلعل مطلعا على الكتاب في مستقبل الاعصار يذكرنا بخير ونحن في هذه الدار أو بتلك الدار فتدعوه الذكرى للترحم والاستغفار أو يذكر بشر فيخفف من بعض الاوزار فيكون ان أحسن الذكرى أو أساء من المحسنين فان الذكرى تنفع المؤمنين وأحب أن تكون ترجمة سيدي الشيخ أيده الله مشتملة على أخبار رحلاته وتنقلاته وأسانيده في رواياته وبعض منتخباته من شعره ونثره ومراسلاته وسائر ما يعن ذكره ويطيب نشره شكرا على النعمة باظهارها وإسفارها من أستارها وابقاء لذكرى خير تتداول في الاولاد والاعقاب وتتوالى بتتالي الايام والاحقاب يسرّ لها المحب الودود ويكمد بها العدوّ الحسود وإجابة لرجاء على رجاء واخلاء الذمة ذي إخاء من عهد مطلوب الوفاء وادخالا للمسرة على قلوب الاخلاء كما هو دأب الاجلاء فبحق حرمة الادب وذمة العرب الا أجبت الطلب بحصول هذا الارب لنكون من الذاكرين الشاكرين ويجعل الله لنا لسان صدق في الآخرين

وكتب اليه وهو بأرض زراعة له

سيدي الاخ

أسعد الله جميع أوقاتك وأسعدني بملاقاتك هذا ويصل بهذا الرقيم الى

حتى ناديك الكريم الحاج ابراهيم أو أبو جهل على اسمه القديم وهو من أهل الثور لا الثوره وممن أشربوا فى قلوبهم حب العجل والبقره وقد قصد الحضرة طالبا أخاه لا أمه (على احتماليه) ليقارنه فى أشغال بهيم ويكون مؤانساله فى الليل البهيم راغبا فى معاشرته خاطبا لمصاهرته فاجعله له نعم القرين وقل بالرفاء والبنين وشوقى فى مزيد اليك وسلام الله وبركاته عليك

ان نشط الخاطر الشريف الى التفضل بالتشريف فرافعه بالمسالك بصير ولا ينبئك مثل خبير

ان نشطت للبيت فعندى زيادة عن حاجتى ناموسية تعد من حفظ الناموس حفظ النفوس من صيال الناموس وان صحبك أحد فعلى الرحب والسعة لكن لابد أن تكون ناموسيته معه والا وقع بينه وبين الناموس حرب داحس وحرب البسوس وتكون مع الحيادة من نظارة القتال لا من أرباب النزال الا أن يكون من الاجسام اللطيفة القابلة للخرق والالتئام فحينئذ نقول بتداخل الاجسام ونذهب فى هذه المسألة خاصة الى الحلول والاتحاد وان كان على خلاف الاعتقاد ونجعل قبول الحيز الواحد للمتحيزين معا ممكنا أو بالحرى نقول بقول أرباب المحو والفنا وننشد

أنا من أهوى ومن أهوى أنا * نحن روحان حللنا بدنا

أو جسمان حللنا فراشا من غير قافيه ودمتم بخير وعافيه

مضى لى هنا مدة أيام لا إلمام لى بشئ من حوادث الانام الا أخبار الماء والطين والزرع والمزارعين على أنى لقربنا من المحروسة دار الدار وجدار الجدار كنت أظن أن لو سعلت بها نمله أو صاح برغوث فى أنف قمله لأتتنا أخبارها جهارا فاذا بنا لا نسمع المدافع الاسرارا

كان الناس هنا من قلة الماء يضجون ويعجون ويشكون ويبكون ويتمنون لو بالت لهم سحابة ففاجأهم الطوفان وجاءهم الغرق من كل مكان فهم ليلهم سهارى ونهارهم حيارى وترى الناس سكارى وماهم بسكارى وقد قال الاول

كان النيل ذو فهم ولب * لما يبدو لنفع الناس منه

فيأتى حين حاجتهم اليه * ويذهب حين يستغنون عنه

كذا كان ذاك النيل قبل هذا الجيل

وهذا النيل ذو طيش وجهل * لما يبدو لهذا الخلق منه

فيذهب حين حاجتهم اليه * ويأتي حين يستغنون عنه

فمن أين جاء هذا النيل الجديد في غير وقته السعيد فان الوقت وقت تحضير ولا يخفى غوائل التأخير والله ولي الامر والتدبير فيما جرت به المقادير

ومما كتب اليه أيضا بعد الديباجة

وبعد فقد علمت أيها الاستاذ أدام الله نعمته عليك أن ما أدّعيه من الشوق اليك والشغف بقربك والاغتباط بحبك ليس من قبيل ما جرى مجرى العادة والرسوم المعتادة في مكاتبات الاحباب ومشافهات الاصحاب فأتكلف العبارة لبيانه وأتعمل لتفخيم شانه ولكنه أمر طويت عليه السرائر وحنيت عليه الجوانح وشهدت به الخواطر فان سكت اللسان ترجم الفؤاد وان أوجز القول أطنب الاعتقاد فما علىّ أن أطيل المقال في هذا المجال وانما أسأل عن كنه حالك وراحة بالك وأدعو الله أن يسمعني من ناحيتك من أخبار صحتك وعافيتك وراحتك ورفاهيتك ما يملأ القلب سرورا والعين نورا ويتقبل منك صوم هذا الشهر العظيم ويعيده عليك وعلى سائر المؤمنين بالخير العميم وقد رأيت ما ورد لاسمعيل من شريف خطكم الجليل ولو كان ما عندي من حسن الاعتماد على إخائك والاعتقاد في حسن ولائك مما يقبل مزيدا لأورثه هذا الكتاب توكيدا وقد سألت حين حضرت من السفر عن جنابك السعيد فأخبرت بغيابك منذ مدة في بعض نواحي الصعيد الى أن علمت أبقاك الله بإيابك قبيل ورود كتابك

وكتب اليه أيضا

سلام الله على سيدي الاستاذ الملاذ لازال مشمولا بسلامته مكفولا بكرامته وبعد فاني أحمد اليه الله سبحانه على صحة ضافية الاذيال وراحة صافية الجريال لا يشوبها سوى شوق لحضرته ليس يخفى عليه وقد وافاني بهتيم كتابه فأكد ما أعلم كذلك لي من الشوق لديه

لقد تعب الشوق ما بيننا * فمنه اليّ ومني اليه

فلما أتيت مضيت بالامس الى حضرة علي بيك مع حضرة الدكتور محمد بيك عامر للموافقة على المرافقة الى زيارة ذلك المقام الناضر واستقر القول على أن نتوجه يوم كذا من هذا الاسبوع الحاضر

وصادفنا عند البيك من سيدي الشيخ كتابا واردا وطاهيا عائدا الى أن قال بعد كلام طويل

أما الطهي فالصعب فيه سهل والعقدة وشيكة الحل فعندي طاه عجيب الطهي

غريب الامر والنهي لو تناول لحما وحاول أن يطبخه فحما لتيسر أو أعطيته سكرا واقتضيته مسكرا لما تعسر أو منحته رطبا واقتضيته حطبا لم يتأخر أو جهزت له لبنا حليبا وأوعزت اليه أن يجعله دما صبيبا لفكر وقدر فقتل كيف قدر وله صبي وضيء كالقمر ليلة الثلاثين من الشهر ومطلع الفجر قبل السحر حال غيبة البدر بوجه كصفحة الشمس حين يغشاها تمام الكسوف ونور القمر الزاهر اذا انطبق عليه كمام الخسوف ويد أخف من نسيم الصبح وأطول من ظل الرمح وعقل أقصر من عنفقة البقه وأبعد من شقة الرقه وذكاء كتوقد النار ألح عليها وابل المطر وفهم أنقب من السهم اذا سقط نصله أو انكسر ونظافة كأسافل القدر حين تلقيها الأثافي عن الجمر ورزانة كأنها أبو رياح في صدور الرماح وهما رهن الطلب لكل من طلب فمن أرادهما أو أحدهما آثرته احتسابا ولا أناقشه حسابا ومن تعلق له بالمشاركة في أحدهما أمل تركته لشريكي ولا أمل هذا وقد سلكت هذه المرة كاشارة سيدي البيك طريق المجون والحديث ذو شجون والباقي في المشافهة يكون ان شاء الله تعالى

مكاتباته لحضرة الاستاذ الفاضل الشيخ عبد المجيد أفندى الخانى

أصل التعارف والصحبة بين سيدى الوالد المرحوم وبين حضرة الاستاذ الشيخ عبد المجيد أفندى الخانى الخالدى النقشبندى من أفاضل علماء دمشق هو كتاب أرسله حضرة المشار اليه الى سيدى الوالد ذكر فيه أنه حل لغزا كان كتبه منذ سنين كثيرة فكتب اليه سيدى المرحوم كتابا ردا لكتابه واستمرت المكاتبة بينهما والصحبة الى أن توفى سيدى الوالد المرحوم وها أنا أورد الكتاب المذكور من كتب حضرة الاستاذ الخانى فقط لكونه أصل التعارف ثم أورد ما كتبه سيدى الوالد ردا عليه وأقتصر بعد ذلك على ايراد ما عثرت عليه من مكاتبات سيدى الوالد الى حضرة الاستاذ المشار اليه وقد أرسل حضرته أكثرها الىّ بناء على طلبى لها منه حين شرعت فى جمع هذه الآثار وأنا شاكر فضله على ذلك

قال حضرة الاستاذ الخانى المشار اليه

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله مجيب المتوسلين وسلام على الانبياء والمرسلين الى مقام الامام الذى تنفذ دون اطرائه الارقام وترتعد عند الاقدام على مدحه رواسى الاقدام العالم كل العالم والمفرد الصادق بجمع العرفان السالم باعث ثنائى وشكرى سيدى عبد الله بيك فكرى أدام الله فى الدارين سموه وألهمه أن يتقبل منى هذه الاخوة أما بعد التحية الوفية المرصعة بجواهر الوداد الزواهر فالذى أوجب ارسال حديث العبودية الاولية أولا رجاء دخولى فى حيز مخلصى محبة أرجائكم العلية ثانيا انى كنت مع عصابة من أولى الأدب ينسلون الى الاصابة من كل حدب فجاذبتهم الالغاز المستحسنة حتى اذا مررت بهم على لغز كم فى قمر وهلال وبادر وبدر المطبوع فى الجوائب منذ خمس عشرة سنة ذكرت لهم أنى استخرجت جميع الملغز فيه من قولكم فى أوله (ماشىء رفيع المقدار) وبينت لهم أن عدد ماشىء خمسة الميم والالف والشين والياء والهمزة وفيه من النقط خمسة فالجملة عشرة فاذا ربعت صارت مائة وهى عدد القاف واذا ضعفت صارت مائتين وهى عدد الراء واذا أخذ خمس المائتين رجوعا الى أصل عدد الحروف كان أربعين وهى عدد الميم ومجموع الحروف الثلاثة اسم قمر وقوله رفيع حروفه أربعة كلها عقود فاذا نزل كل منها درجة كانت الراء عشرين والفاء ثمانية والياء واحدا والعين سبعة ومجموعها ستة وثلاثون وهى عدد هلال بحذف أحد المكررين وقوله المقدار سبعة أحرف فاذا ضمت لمجموع العدد

المتقدم كانت احدى وعشرين وهى ثلث ذلك العدد فاشتملت على الثلاثة مخرج الثلث والسبعة التى هى عددها فاذا ضربت سبعة فى ثلاثة كان أحدا وعشرين فاذا صعدت العشرين كانت مائتين والواحد عشرة تسقط منها الثلاثة التى ضربت فيها السبعة يبقى سبعة تضمها الى المائتين تصير الجملة مائتين وسبعة وهى عدد حروف بادر واذا نظرت الى مقدار بغير أل وجدتها خمسة أحرف تقتصر منها على عدد الكلمتين السابقتين وهو اثنان وترقيهما مرتين يكون ذلك مائتين وتضعف الثلاثة الباقية تكون ستة تضمها الى المائتين يكون المجموع مائتين وستة هى عدد حروف بدر فهذه جملة الاسماء الملغز فيها فصاروا بين مكذب ومصدق وزاعم ومحقق وراقص ومصفق حتى فرط من أحدهم يمين أن حضرة المؤلف لم يقصد هذا التضمين فرددت عليه وحلفت أن هذا هو الذى اعتمد حضرة المؤلف اليه كيف لا وبرهان فضلكم العالى مسلم المقدمات والتوالى بين السادات والموالى وطالما أخبرنى الاديب الثقة المرحوم السيد أحمد محيى الدين مفتى غزة أنه لم يرمدة حياته أبعد من غور فكركم الصائب وغوص ذهنكم الثاقب باستخراج دقائق المسائل وادراج حقائق الفضائل سيما وانكم مولعون بالاقتباس العجيب وهذا الذى أخذ منى بالتلابيب وكان يؤسفنى على بعدى عن مقامكم الكبير ومما يزيدنى أسفا أنى تشرفت فى الديار المصرية نحو أسبوع ولم أحظ بذلك الكوكب المنير فأحببت أن أخطر لكم هذه الواقعة ضمن ثنائى وأعيذكم بالله أن تعاملنى معاملة فلان فانى اذ كنت فى مصر زين لى رب الدار أن أحيى فلانا المذكور نجل السادة الاطهار فلم يسعنى الا الموافقة فى المرافقة فلما وافيناه بشر بى وملك بمحبته عنوة حبة قلبى فما زلت أرعى عهده ومقامه ريثما أحلنى الله دار المقامه شكرته بمقالة موشية بالذهب شبيهة بالمقامه

صغت فيه مقامة قد توارت عن بديع الزمان قبل الحريرى
زينته بحلة من ثناء حاكها الفكر من لباب الحرير

واختطبت بها خطابه واستجلبت عنها جوابه وخلته من الادب بمنزل ولم أعلم أنه فى جفوة منه ومعزل فغض عن الجواب الاجفان وكأنه زعم أنى من أحلاس الجفان ثم أردفتها بقصيدة فريدة النظام ولا أقرئ مادح نفسه السلام

مطلعها

رحماك ان أخا الاشواق قد تلفا لما غدا طبعك المألوف مختلفا
أصبحت تبخل فى رد السلام له والجود لولاك بين الناس ما عرفا

فزاد

فزادوقفا وعادوفاوه عن الجفا ونبذها ظهريا وقال لها قد جئت شيأ فريا وهو خبير انه لا عائد لهذه الصله بل هي من مقولة فان لم تكافئوه فادعوا له وهو في ذلك على يقين من اختباري ولكن عليه لشقوتي وقع اختياري نعم أنشدني لسان الحال عند الوقوف في هذا المجال

أما وليال مسن ذوائبها عشر ومانسخت بالفرق من سورة الفجر
وما كتبت بالمسك في وجناتها نخالاتها تختال بالشفع والوتر
وسين جبين فوق نون حواجب على قمر والليل فيه اذا يسرى
ومانفثت بالسحر من لحظاتها وذا قسم لاريب فيه لذي حجر
اذا كان عبدالله نحوى مقبلا فلا أقبلت نحوى الانام الى الحشر

سيدي أخبرني مفتي غزة المشار اليه أنكم وضعتم على بديعية الفاضل محمود أفندي صفوت شرحا هو في هذا الباب المعول عليه أرجو الله ان تم التشرف بمطالعته «وما ذلك على الله بعزيز» سيدي وقع لى ديوان الابيوردي الكبير فهل تعلق به نظركم الاكسير سيدي كثرما رأيت جريدة مصر المطبوعة في الاسكندرية تنوه بمدح السيد جمال الدين الافغاني بما هو فوق عادة البريه وان كان قلمه في العلة الحقيقية التي توصل بها الذم الانكليز شهيد بفضيلته واذ لم نسمع به قبل أرجو التفضل بالاعراب عن حقيقته سيدي أستمنح بعض رقائقكم في الاقتباس وأسألكم بروحانية حضرة السيد أن لا تجعلوا ارجائي في حيز الامهال او الاهمال فاني أرتقب تلقيها بالتكريم «وما يلقاها الاذو حظ عظيم» لازلتم مظهر العز القويم رافلين بالعز والاقبال والمهابة المزينة بالكمال آمين

٢٧ محرم سنة ٩٦ من خادم العلماء في دمشق الشام
خاني زاده عبد المجيد
النقشبندي

وهذا ما كتبه سيدي الوالد مجاوباله

بسم الله الرحمن الرحيم وبحمده وصلاته وسلامه على سيدنا ومولانا محمد نبيه وعبده ماشيء رفيع المقدار بديع الآثار جميل المنظر جليل الخبر والمخبر أرفع مقدارا ولا أبدع آثارا ولا أجمل منظرا ولا أجل خبرا ومخبرا من رقيمة ود باهر وغيقة فضل زاهر وإشارة حسب طاهر وإثارة أدب ظاهر

سرت من رياض الشام مسرى نسيمها مضمخة الأردان طيبة النشر
يـنم عليها حيث حلت شميمها كأنم بالحسناء طيب شذا عطر

فرحت بها نشوان أهتز صبوة ... كأنى ولم أفعل رشفت لمى خمر
صحيفة ودّ من أخ متفضل ... كريم السجايا سيد ماجد حبر
سما فى سماء المكرمات مكانة ... تقاصر عنها موضع الشمس والبدر
أخ لى بالغيب ارتضانى لودّه ... فياحبذا بالغيب ودّ أخ حر
سقى الله أرضا حل من سرواتها ... بحيث يحل العقد من لبة الصدر
وحياه ماحيا الحيا كل ناضر ... من الأيك مخضل الافانين مخضر
وشكرا لأيام سمحن بودّه ... وان قل للايام فيما أرى شكرى

وقد أحطت بما تفضل سيدى أيده الله ببيانه وما طرزته من حلل الافضال والفضل صناع بنانه فرأيت ما يسحر النهى ويسخر بالقمر البدر فكيف بالسهى ولو كنت سلكت ما سلكه مولاى أعزه الله فى حل المعمى وتضمين أول جملة منه جملة ما استودعه من الأسما لمكنت حاشيتى الاطراء والاطراب وسلكت ناحيتى الاعجاز والاعجاب. ولكن من أين لى هذه الفكره وكيف لى تلك الفطنة والفطره وانما تجرى كل سابقة الى مداها ولا يكلف الله نفسا الا ما آتاها ولوشئت لانتحلت وحبذا لو فعلت ولكنى مع اعترافى بقصورى عن الكمال ومحاسن الخلال لا أريد أن أعمد للانتحال فى حال من الاحوال نعم ذلك اللغز فى الكلمات التى استنبطها سيدى ومولاى وسردها غير أن منها فيما أردت لفظ « حاسن » بدل كلمة « بادر » التى أوردها والحاسن كما فى علم سيدى من أسماء القمر أهمله صاحب القاموس واستدركه فيما استدرك عليه صاحب تاج العروس وقد أورده فى صحاحه أبو نصر الجوهرى وذكره فى لسان العرب محمد بن مكرم الانصارى والى هذه اللفظة وقع الرمز بقولى فى اللغز (ثالثها من ذوات الاربع وقد حازا لحسن أجمع الى أن قلت

ومليح لم يثنى عن هواه ... قول واش ولا ملامة عاتب
جاء يزرى ضياؤه كوكب الليل ويزهو بطرة وبحاجب)

وغير خاف على تلك الفطرة الالمعية والفطنة الأصمعية تضمين العبارة النثرية حروف لفظة حاسن وإعادة التنبيه عليها فى هذين البيتين وان لم يكونا من المحاسن واذا تبعث فى استخراجها من الجملة الاولية ما نحاه مولاى من طريقته الانيقه اذ صرت الآن مريد الشيخ فى هذه الطريقه وان لم يكن ذلك مرادى من قبل فى الحقيقة أمكن فى استخراجها طرق عدة ضمنتها الرقعة المطوى عليها هذا

الكتاب

الكتاب(١) مخافة أن أثقل على خاطره الكريم بزيادة الاطناب في الخطاب فجعلتها محدقة بشملها على نظره ان شاء والا نبذها بالعراء وجر عليها ذيل الاغضاء فانما كتبتها مقلدا له لا مجتهدا وصليت خلفه مأموما لا إماما ولا منفردا فان كنت أحدثت فمنه استمددت والا فلي من المعذرة محل «ليس التكحل في العينين كالكحل» أما ما نقل في عزيز

(١) وها هي الرقعة المذكورة بنصها

استخراج حساب لفظة «حاسن» من قولنا «ماشئ رفيع المقدار» على منوال الغير هاية تأتي فيه جملة طرق منها ان تقول ان لفظ المقدار ليس فيه من الحروف المعجمة الا حرف واحد منقوط بنقطتين وهو القاف وحسابه ١٠٠ ضعف حساب الحرف المنقوط بنقطة واحدة في حاسن وهو النون فاذا أضيف الى المائة المتقدم ذكرها ٩ بعدد حروف الكلمات الثلاثة المتقدمة قبل المقدار و ١٠ بعدد النقط الموجودة في الجملة كلها يكون ١١٩ وهو حساب حاسن أو نقول حساب المقدار ٣٧٦ يطرح منها ٣٠ وهو عبارة عن ٣ عدد الكلمات المذكورة مضروبا في ١٠ عدد النقط الموجودة يصير الباقي ٣٤٦ وهو حساب حاسن ببسط حروفه

ومنها ان عدد ٣٧٦ المتقدم ذكره اذا طرح منه ١٩ وهو عبارة عن تسعة بعدد حروف الكلمات السابقة وعشرة بعدد النقط يصير الباقي ٣٥٧ فيقسم على ٣ عدد الكلمات المذكورة ينتج ١١٩ عدد حاسن كامل

ومنها أن ٣٧٦ عدد المقدار اذا أسقط منه ١ بعدد الحرف المكرر وهو الالف يبقى ٣٧٥ يقسم على ٣ عدد الكلمات المتقدمة ينتج ١٢٥ يطرح منه ٦ عدد حروف المقدار بدون المكرر يبقى ١١٩ كعدد حاسن

ومنها أن المقدار اذا نزل كل من عقوده وهي اللام والميم والقاف والراء درجة يكون حسابه ٤٣ يضرب في ٣ عدد الكلمات المتقدمة يصير ١٢٩ يطرح منه ١٠ بعدد النقط يبقى ١١٩ بعدد حاسن

ومنها ان عدد ٤٣ هذا اذا طرح منه ١ عدد الحرف المكرر يبقى ٤٢ فيضرب في ٣ عدد الكلمات المتقدمة يصير ١٢٦ يطرح منه ٧ بعدد حروف المقدار أو بعدد حروف شئ رفيع يبقى ١١٩

ثم ان قولنا ماشئ رفيع المقدار فيه الحروف المكررة ٤ وهي الميم والالف اللينة والياء والراء ومجموعها باسقاط مكرره ٤ وهي الشين والياء والفاء والقاف وكلماتها أربعة والالفاظ الملغز فيها أربعة ومربع الاربعة ١٦ وهو عدد حروف الجملة كلها وهي قولنا ماشئ رفيع المقدار وأيضا هذه الجملة عدد حروفها باسقاط المكرر ١١ وكذا الكلمات الملغز فيها عدد حروفها باسقاط المكرر ١١

ثم الحروف المنقوطة من الجملة المذكورة باسقاط المكرر ٤ كما مر وعدد النقط ١٠ فالمجموع ١٤ وهو عدد حروف الكلمات الملغز فيها ثم حروف لفظة شئ ٣ مثل قمر و بدر وحروف رفيع ٤ مثل هلال وحاسن ومجموع ٣ و ٤ يكون ٧ وحروف لفظة المقدار مثلها ٧ فالمجموع ١٤ كعدد حروف الالفاظ الملغز فيها

خطابه مما أنهاه المرحوم السيد محيي الدين لجنابه فاللهم عفوا وغفرا أنا بحال نفسي منه أدرى وانما أثني عليّ بما كان فيه والمرء كما قيل مرآة أخيه فقد شهدت منه حين زار هذه الديار ما يملأ العين جمالا ويملأ النفس جلالا وكمالا ويشنف المسامع فضلا وأدبا ويستخف السامع عجبا وطربا فرحم الله تلك النسمة اللطيفة وروّح تلك الروح الشريفة وأبقى مولاي وأطال بقاءه وجعل أعداءه من كل ما يكره وقاءه وأما شرح البديعية فقد كنت شغلت به أياما خالية ونجزت منه جملة وافية اذ الوقت مساعد والمانع مباعد ثم توالت أحوال وأهوال وحالت دونه أسفار وأشغال فطرحته غير ناظر اليه حتى خيمت العناكب عليه اذ الوقت مشغول وعقد العزم محلول وزمن الفراغ متعسر وجمع الخاطر غير متيسر وأما كلامي فقد تركته نهب أيدي الضياع لعلمي بأنه من سقط المتاع ولكني أرفع لعلي ناديه رسالتين من آثار داعيه أحرزتهما الطباعة من الاضاعة لكي أنسب للطاعة بقدر الاستطاعة ولكيلا يظن من ظن أني آخذ برأي من ضن والأمل أن يصادفهما نسيم القبول اذا أسعدهما الله بشرف الوصول وأما ديوان الابيوردي هنا فهو نحو ١٧ كراسة في نسخة الفقير ولعل هذا هو ديوانه الكبير وأما السيد جمال الدين فقد أخذت ترجمة حاله من بعض الاحباب وهي واصلة ان شاء الله في طي هذا الكتاب والامل من شيم سيدي أدام الله توفيقه للرشاد أن يدوم ما تفضل بابتدائه من الوداد لازال آية فضل وافضال وغاية مجد وكمال م ١٥ صفر سنة ١٢٩٦

ومما كتب اليه

بسم الله وبحمده

سلام الله على سيدي المولى الاستاذ الاجل الاعلى ملك البلاغة وامامها وبدر لياليها وشمس أيامها لازال قلمه الحر واسطة عقدها وسلك نظامها وكلمه الغر براعة استهلالها ومسك ختامها

وبعد فاني أحمد اليه الله سبحانه على منحة الصحة ورفاهية العافية وكرامة السلامة وأسأل عن حال تلك الحضره وأتمنى لها دوام البهجة والنضره وقد تشرفت بالرقيم النضير العديم النظير فكان حلية اليد وتاج الرأس وقرة العين ومسرة النفس وحظيت قبله برسالتين كريمتين بل آيتين عظيمتين لو وقعت احداهما لبديع الزمان لاعترف لها بفضل البيان أو للحريري لما أنطقه الله بالمثان بعد تلك المعاني الحسان وما أدري لعمري أتقصيري أكبر أم برمولاي أمده الله أكثر فقد بلغ الغاية كلاهما حتى اشتبه حالاهما فان رأى أدام الله اغتباطي بوفائه وارتباطي بحسن ولائه أني

بعد هذا الاقرار يجمل بى ترك الاعتذار ومن بالعفو غير مشوب بتثريب فذلك من شيم كرمه غير غريب وان أبت شيمة حزمه ولم تشأ حكمة حكمه الا مناقشتى فى الحساب ومطالبتى بالوجوه والاسباب لجأت بحكم الاضطرار الى تلفيق الاعذار أسردها سردا وأعدها عدا فأولها وهو أولاها فى الجواب وأحراها بموافقة الصواب أنى رأيت مولاى أعزه الله لا يشق له غبار ولا يطمع مثلى معه فى لحاق الآثار فوقفت للفرار من أول المضمار كى أستريح وأريح وآمن من العثار وقد أجاد الذى يقول

اذا لم تستطع شيأ فدعه وجاوزه الى ما تستطيع

ثانيها أنى رأيتنا فى التخاطب وان لم أخرج عن حد الواجب قد دفعنا الى معاوضة الثناء ومقايضة المدح والاطراء وهذا مع كونه ربا فى المقال ربما جعل كالربا فى المال قد صار كلانا بالاخذ فيه كالطالب لمدحه بمدح أخيه وهو فيما أراه لا يحلو بالتكرار ولا يستملح للاستمرار وان كنت أنزه مولاى دامت معاليه عن ذلك القصد وأحاشيه ثالثها تكدر البال رابعها اختلال الاحوال خامسها كثرة الاشتغال ولو أشاء لقلت سادسها وسابعها وثامنها وتاسعها وهلم جرا ليرانى من هذا الخط موسرا وان كنت فيما يجدى من القول معسرا فليتقبل غير مأمور ما يراه أقرب للسداد وليطلب غير مالا يرضاه ان أراد

هذا وما بالى أرى سيدى لم يزل على صاحبه الذى أشار اليه متغضبا وفيما رآه من فعله مخالفا لاسمه المعروف متعتبا ولا بأس أن أذكر بالمثل المعلوم « لعل له عذرا وأنت تلوم » وأرى الاجمل بفضل مولاى والاكمل أن يجعل المعول على قول الاول

اذا ما بدت من صاحب لك زلة فكن أنت محتالا لزلته عذرا

لاسيما وقد أتت على هذه البلاد أوقات طويلة من أيام الاستبداد كان يخشى فيها ضعاف القلوب من أبنائها أن يكون لهم مراسلة أو مواصلة فى غير أرجائها توهما أن ذلك يخالف مقتضى الوقت وزعما أن العثور عليها يجرهم الى المقت ولم تزل بلايا ذلك الزعم الفاسد مؤثرة فى النفوس وبقايا ذلك الوهم الكاسد دائرة فى الرؤس وللوهم سلطان على أتباعه لا يجدون لهم بدا من اتباعه ولا يزال يتمكن الوهم ويتوطن حيث يتسلط الاستبداد ويتسلطن حتى يكون والعياذ بالله معبودا من دون الله لا يبقى على أصحابه امرة ولا حكما لشيء سواه وحتى ترى أحدهم خاشيا أن يتكلم خاليا خيفة أن تسمعه آذان الحيطان أو يسعى به الشيطان للسلطان وأزيد على ذلك أن هذا الشاب ليس له فيما أظن باع فى الآداب وليحط علم

مولاى أنى لم أفه له فى هذه القضية ببنت شفه وماذاك الا لعدم التردد والمخالطة بينى وبينه مع وجود المعرفه وأيا كان فالتماس المعذرة له أجدر بأمثال سيدى وكرم طبعه السليم « وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم »

أما الكتاب الذى تفضل مولاى بارساله مضافا الى سوابق بره ولواحق افضاله فهو غرة شهية تجتنى ودرة بهية تقتنى وذخيرة فاخرة تدخر يحق أن يتباهى بمثلها ويفتخر وقد أحللته من القبول محله ومنزله وشكرت فضل من أوصله بعد شكر من أرسله ويصل مع هذا الرقيم ان شاء الله تعالى لعلى ناديه مختصر فى جغرافية مصر من آثار ولداعيه اذ تصادف قرب تميمه فأحب أن يتيمن بتقديمه ولم أرد أن يكون فى مقابلة الكتاب الذى تفضل سيدى باهدائه لانى لا أرى هذا المختصر أهلا لأن يجعل بازائه الا اذا حظى بالوصول الى ساحة ذاك النادى الاعلى وارتفع الى درجة القبول لطفا ومنة وفضلا فان شاء سيدى مسرة أخيه وابن أخيه بالقبول فذاك الغاية الملتمس من لطف سجاياه ونهاية المأمول ٩ ف غرة رجب سنة ١٢٩٦

وكتب اليه أيضا

سلم الله تلك الحضرة وأدام حفظها وأجزل من الكرامة والنعمة حظها ولا زالت حالية الاندية بالانس والبهاء مطرزة الاردية بالشكر والثناء

أما حال صحة المخلص فالآن ولله الحمد أخف من ذى قبل والامل متعلق بكرم الله سبحانه وله الامر والفضل وخير ما أرجوه من سيدى نفع الله به أن يمدنى ببركات أنفاسه وصالح دعائه لاسيما فى رحاب من تشرفت بهم تلك البقعة من أهل الله وأصفيائه هذا وكنت حين وقفت على ما تفضل مولاى بتحريره فى أسبق كتابيه الاخيرين بخصوص رسالة الدخان النابلسية أردت أن أكتب له عن غيرها ثم أنسيت وقصدت الآن أن لا يفوتنى ما أردت وذلك ان عندى نسخة من كتاب فى إعجاز القرآن لا أعرف اسمه ولا مؤلفه أولها «الحمد لله المنعم عباده بما هداهم اليه من الايمان والمتمم احسانه بما أقام لهم من جلى البرهان» وهو كتاب لطيف الاسلوب الا أن تلك النسخة ناقصة وفى المكتبة العمومية الخديوية نسخة ناقصة أيضا بحيث لا يتأتى تكميل احداهما من الاخرى ولم نجد نسخة غيرهما وكذا فى المكتبة المذكورة نسخة من كتاب التنبيهات على أغاليط الرواة لابى القاسم على بن حمزة وهو كتاب كثير الفائدة أنبأ عن سعة اطلاع مؤلفه وغزارة مادته ودقة ضبطه وتضمن التنبيه على ما فى نوادر أبى زياد الكلبى الأعرابى وأبى عمرو الشيبانى وكتاب النبات لابى حنيفة الدينورى والكامل للمبرد وغير ذلك الا ان فى تلك النسخة من كثرة السقط والتحريف

والغلط

والغلط زيادة على سقامة الخط وقلة النقط مايرفع الثقة بمافيهما ويحول دون حسن الانتفاع بهما فان كان يوجد في تلك الجهة نسخة من هذين الكتابين أو أحدهما ويتيسر لسيدى الاطلاع عليها فليتنعم بالاعلام ومنى لحضرته الشريفة مزيد التحية والسلام في ٢٤ الحجة سنة ١٢٩٦

وكتب اليه

سلام الله الجليل على سيدى الأستاذ النبيل أدام الله سلامته ووالى عليه كرامته وبعد فانى أحمد الله جل اسمه على لطفه وعونه وأسأله أن لا يزال مولاى فى وقاية رعايته وصونه وقبل هذا بعثت برقيمين متواليين الى ناديه المنير مجاوبا بهما عن عزيز كتابه الاخير مخبرا بما اعترانى من السقام الذى عادت به الايام مستمدا من بركات دعواته مستهديا من نفحات توجهاته مستفهما عن كتابى التنبيهات وإعجاز القرآن لندرة وجودهما بهذه الاوطان فلما تأخر على خلاف عادته ورود جوابه خامرنى الريب فى وصولهما لجنابه فان العادة كما فى علم سيدى محكمه ومحاسن سجاياه فى بره ووفائه مسلّمه فالتزمت بالاستفهام مؤملا أن يتفضل علىّ بالاعلام متوسلا بذلك الى استطلاع محاسن أنبائه والاستمداد من بركات أنفاسه الطاهرة وخير دعائه وقد خف والحمد لله بعض ماأشكوه وهو المسؤل أن يحقق من العافية ماأرجوه وان يديم سيدى ممتعا بالعافية والآمال محفوفا بمزيد الانعام والافضال

وكتب اليه

حيا الله نادى سيدى الاستاذ الهمام الامام العلام ووالى عليه سجال الانعام ولازال مجده قرين الدوام

وبعد فقد سرنى ماحرر بنانه وحبر بيانه لابرح مسرة أودائه وحسرة أعدائه ووصل الكتاب السابق كريم وعده بارساله الحاقا بسوابق بره وافضاله فعظمت المنة لدىّ وتحتمت فريضة الشكر علىّ وفى فضل مولاى مايسع تأخيرى لرد جوابه كما وسع تقصيرى فى شكر جنابه أما شغفى بتعرف سار حالاته وتشوقى لمواصلة مراسلاته فيكفى فى عرفانه نور جنانه مما يغنى عن بيانه

وكتب اليه

بسم الله الرحمن الرحيم

أبدأ بتحية الاخاء متلوة بخالص الثناء مشفوعة بخير الدعاء وأشكر دوام انعطاف تلك العواطف الغراء الى التزام حقوق الوداد جريا على سنن الوفاء ورعاية لسنن الاجلاء من الاخلاء وحظيت بمحرر البنان وما استوعب من درالبيان

وسرني والحمد لله سلامة المولى والاستاذ الوالد وشكرت محاسن تفضلاته بتذكري بصالح دعواته لازلنا مشمولين بنفحات بركاته وصادف تحرير هذا موسم خروج ركب الحجاج الى الاقطار الحجازية الطاهره أبقاكم الله الى شهود أمثال هذه الاوقات الزاهره ودمتم

وكتب اليه

سلام الله على سيدي الاستاذ الجليل العلامة الهمام اسبغ الله تعالى عليه ظلال الانعام

وبعد فاني أحمد الله سبحانه على العافية والسلامة وقد عدت ليلة الاربعاء الماضية الى عاصمة مصر المحروسة بعد انهاء المرور على مدارس الجهة البحرية فوجدت كتابي سيدي الاخيرين بعد الاولين فاخجلني والله ترادف هذا البر والافضال مع افراط داعيه في التفريط والاهمال حتى لقد كدت أمسك عن مكاتبته حياء وخجلا لولا أنني أوجست من ازورار خاطره الشريف وجلا على أن لي من الثقة بعفوه وعدم تطرق الكدر ان شاء الله لموارد صفوه ما يخفف عني من تلفيق المعاذير ثقل الاعباء ويقف بي على حد الثناء والشكر والدعاء طامعا في أن يدوم ما تعودت من جميل التفاته والمباهاة بمحاسن توجهاته مهنئا بالعيد السعيد والعام المبارك الجديد أمتع الله الايام والاعوام ببقاء مولاي مهنئا بالدوام لاستقبال عام وتشييع عام ما ١٥ محرم سنة ٩٨.

وكتب اليه

كتابي لسيدي أمتعني الله بطول بقائه وأدام شرف المعالي بدوام علائه وألهمه التماس المعذرة لاخ مخلص في موالاته وان جاوز تقصيره الغاية في أداء واجباته لآراء وان تلفع ببيان حسان واشتمل بدلائل أبي حنيفة النعمان يكفي للنيابة عني في اقامة حجة العذر والقيام بأداء فريضة الشكر واني وان كنت في المدة الخالية عن شرف المراسلة لتلك الاندية الحالية قد ترادفت على شتى أشغال شتتت مني البال ولم تزل متصلة الاذيال متتالية الاتصال منضمة الى أسقام توالت بها الآلام وتطاولت فيها الايام بل الاعوام لا أراني الا مبالغا في التقصير مخلا بالقليل من حقوق مولاي والكثير فان آخذ أخذ بالحق والعدل وان عذر وعفا فمن فضله فهو أهل لكل فضل والساعة قد حظيت بكتابه حسنة على حسنات سلفت ومنة الى منن ترادفت بازاء اخلال مني بالحق الواجب الاداء وان لم أزل مقيما على الاخاء والولاء قائما بفرائض الثناء والدعاء وقد عودته أن أقصر وأهمل وعودني أن

يتفضل

يتفضل ويجمل وعين الله عين البار لا الفار انى لأجل ذلك من مولاى الاعلى صفاء سريره يؤيده نور بصيره صيرت له الغيب عيانا وجعلت لديه السكوت بيانا فحسبه وحسبي أن نور بصيرته من حزبي والله يتولى رعايته ويديم عليه عنايته ١٤ صفر سنة ١٢٩٩

وكتب اليه

بسم الله وبحمده وصلواته على محمد نبيه وعبده

وبعد فقد حظيت يدى بما تفضل بتحريره أخي وسيدى تهنئة بما منح الله سبحانه من الفرج غب الحرج والمنه عقب المحنه ولقد كان الخطب عناء والكرب عياء لولا ما اندرج فى خلاله من لطف الله وافضاله ببركات تلك الدعوات المجابه والتوجهات المستطابه حتى كشف الله بها البلاء وصرف اللأواء جعلها الله كفارة لما مضى وداعية للغفران والرضا والطف بنا فى كل ما جرى به القضا ولقد كنت فى مدة بحران الشده أود لو يعلم أخي ليسعفنى بأسرار دعواته ويسعدنى بأنوار توجهاته فالحمد لله على أن حقق المأمول وأعطى المسئول وجزى أخي خير ما جزى أخا عن أخيه ومولى عن مواليه وشكر فضل أياديه ولا أراه الا ما يرتضيه ويرتجيه فلقد برنى وسرنى على بعد الدار وشحط المزار اذ أخل بودادى أدنى الخلان وخاننى أقرب الاخوان ويا ليت بعضهم قنع بترك الاساءة فى موضع الاحسان بل بالغوا فى الوشايه والسعايه والغمز والهمز حتى أوغروا الصدر وأوعروا الامر وأوقدوا الجمر بما اجترحوه واقترحوه من أعاجيب الاكاذيب وأباطيل الاضاليل بما لا أعلم لهم فيه فائدة ولا عائدة إلا حب العدوان وابتغاء مرضاة الشيطان حاشا صفوة من أهل البر والفضل وشرف الاصل ألهمهم الله الحق وحبب اليهم الصدق وجعلهم معادن للبر مفاتيح للخير مغاليق للشر يعامل الجميع بعدله ويكافئ كلا بقوله وفعله والعذر فى عدم مجاوبتى لاخى عن سابق كتبه الشريفه وما جاء منها مع هديته اللطيفه ما كان من اشتغال البال واضطراب الحال والشرح طويل والخطب جليل وحسبنا الله ونعم الوكيل وفى صدق فراسة سيدى الكفاية ونور ضميره الغاية والنهاية ٦ ربيع الاول سنة ١٣٠٠

وكتب اليه

أخص مولاى وسيدى الاستاذ من تحايا الوداد والولاء وأحاسن الثناء والدعاء بأسماها وأشفاها وأصفاها وأوفاها وأبدأ بالسؤال عن حال طبعه الكريم ومزاجه القويم وأحمد اليه الله سبحانه على صحة وعافيه ونعمة صافية ضافيه

أسأل الله دوامها والتوفيق لشكرها والعصمة من الجهالة بجلالة قدرها وقد حظيت بورود كتاب مولاى مبشرا بصحة حضرته وأنى ولله الحمد لم أزل فى دارة مفكرته وكان موردة على حين فرط تشوق وغاية تشوق وتلهف ولا يعدن سيدى الاخ فترة المراسلة من أخيه دليلا على خلاف مايدعيه لاسيما وقد اعتدت أن أقصر وأهمل كما اعتاد أيده الله أن يتفضل ويجمل فقد كان للفتره سبب فى هذه المره وذلك أنى فى اثر انفراج الشدة وانحلال العقدة بادرت الاعلام بما من به الله من عفو حصل ولطف وصل والتفات من الجناب العالى الخديوى قد اتصل وكان فى بعض المكاتبه مايقضى بالمجاوبه فلبثت أنتظر مايرد حتى طالت مدة الانتظار ورأيت ذلك على خلاف العادة والعادة تثبت بالمرة فضلا عن المرار فخامرتنى الريبة لافى وداد سيدى الاخ أمتعنى الله ببقائه ولا حرمنى الارتباط بصدق إخائه والاغتباط بحسن وفائه فان هذا مما لايعتريه الريب ولا يتغير بحال ولا سبب ولو كان وده حاش لله مما تغيره الغير لكان الاجدر بذلك وقت الشدة وقد عرفت ترادف مكاتيبه الشريفة متتالية فى خلال تلك المدة وانما الريبة فى وصول رسائل الطرفين الى الجانبين أو عروض عارض يسقطها من البين فهذا هو السبب فى هذه الفترة فالمرجو قبول المعذرة وإقالة العثرة وأهنئ بالعام الجديد أعاده الله عليه أمثاله عددا عديدا وأمدا مديدا راشدا سديدا موفقا سعيدا وأرجو أن لايحرمنى أنوار التفاته وأسرار توجهاته لازال نور جمال وبدر كمال

وكتب اليه (١)

بسم الله وبحمده

تشرفت بكتاب أخى وسيدى ومولاى حياه الله عنى بأحسن مايحيا صديق عن صديق وأخ عن شقيق وحبيب عن محب شفيق ولازال مهنأ بكل ماشاء مصروفا عنه كل ماساء ولقد أتحفنى بمزيد السرور وأوقفنى موقف الحامد الشكور ماتفضل به أدام الله علاه من التهنئة بما يسره الله من حج بيته المعظم وزيارة نبيه صلى الله عليه وسلم وان ساءنى مافاتنى من لقاء حضرة الوالد الماجد جم المحامد أمتع الله مولاى بامتداد حياته ولا حرمنى من نفعات بركاته ولمحات توجهاته على أنى لم أكن بالقافلة التى ذكر فى الكتاب الوارد أنه كان بها جناب المولى الوالد وانما كنت مع ركب المحمل المصرى فى الذهاب والاياب باشارة من بعض الانجاب تحاشيا عما يحصل لقوافل الاغراب من تعرض الاعراب ولكن

(١) هذه المكاتبة اشتهرت بالرحلة المكية وهى التى أشير اليها فى الترجمة

كان

كان اللقاء لو عرفت بتهيأ أيام المقام في بلد الله الحرام أو في مدينة النبي عليه أفضل الصلاة والسلام ولو أني علمت بحضرته في أحد الحرمين لشرفت بالسعي لزيارته القدمين وأقررت برؤية طلعته العين وطهرت ببركته القلب من الغين ولعلي اذ فاتني لقلة الحظ لقاؤه لا يفوتني بحسن الوساطة الاخوية دعاؤه كما أني لم يفتني ولله جزيل الفضل والثناء تذكر سيدي بخير الدعاء في مقر الاجابة من تلك الانحاء ولم أهمل في تعطار أندية الفضل بنشر تلك الفضائل الغراء حين كان يضمني مع بعض الافاضل ندى أو يتفق لي منهم في بعض الآونة نجى وان لم يكن هذا في أوائل الامر الا من قبيل اليسير النزر وذلك لاني حين عقدت نطاق النيه على تيمم هذه المواطن السنيه وقع في القلب أن الاجدر بها ايثار شعار الخمول والاستتار واطراح دثار التظاهر والاشتهار فتجنبت معتادي في هيئة الملابس وتنكبت عن غشيان المحافل والمجالس طلبا لحضور القلب واجتماع الخاطر وهربا من الدخول تحت نير العادات والمظاهر أمنية نزعت النفس بادئ بدء اليها ففاتني بسببها القاء مثل الوالد ولم يمكن كمال الحصول عليها فلما شددنا للزيارة رحال العزيمة كان ذلك العزم لم يتغير وكل شيء من الحضرة الازلية كما في علم مولاي مقدر وكان لي في المدينة المنورة أدام الله أنوارها ونور بها سكانها وزوارها جملة أصدقاء من أفاضل الاخيار سبقت بي اليهم من حيث لا أشعر وفود الزوار بالاخبار فلبثوا في الانتظار حتى بلغ أحدهم بل أوحدهم أني سأنزل عنده فاستعد لذلك جهده وهيأ لي عنده المكان والقرى وأقام ينتظر مجيئي من أم القرى وصار يستقرى القوافل ويتتبع المحامل مستعلما مستفهما مستخبرا عني مستفسرا وبث لذلك الرواد والقصاد والاتباع والاشياع ولم يكن ذلك لي في حساب ولا قصدت النزول عند أحد من الاصحاب ولم يكن نصب الخاطر الا قول الشاعر

يا أيها السائل عن منزلي نزلت في الخان على نفسي
يغدو على الخبز من خابز لا يقبل الرهن ولا ينسى

وأنا أجد ذلك أرفق وأوفق وأحرى براحة السر وأخلق وأقرب الى حضرة الحق وأبعد عن كثرة الاختلاط بالخلق حتى اني لم أتخذ على العادة مدعيا ولا دليلا خيفة أن يكون ذلك للظهور والشهرة سبيلا فلما قرب ركب المحمل من طيبة المشرفة زاد الله شرفها وطيبها وأجزل من الخير والمبر الى قيام الساعة نصيبها سبقت اليها مبكرا من عند أحد ودخلتها متنكرا لا يشعر بي أحد وكانت القافلة المقدمة الذكر سبقتنا اليها بأيام فوجدناها عند وصولنا على أهبة القيام وتقويض خيام المقام

والغاية أني بدأت قبل كل شيء بزيارة سيدنا النبي المختار منغمسا في غمار من كان ثمة قبلنا من الزوار متلبسا بأطمار الخمول والاستتار واستقررت بعد أن قضيت من الزيارة الأوطار في دار بقرب المسجد الشريف نزلتها بالاستئجار مبتهجا غاية الابتهاج بالجوار وقرب المزار مقدرا أني لا يعرفني هنالك الا من أتعرف اليه ولا يستدل على موضعي الا من أدله عليه وقلت في نفسي أقيم أياما على هذا الحال ثم آخذ في زيارة من أحب من الناس عند قرب الارتحال فبينما أناجي النفس بهذا الحديث اذ أقبل من طرف صاحبي المشار اليه كل داع حثيث يدعوني للتحول الى داره ويخبرني بما كان من انتظاره فلم تطع النفس على مفارقة ذلك الموضع لقربه من الحرم المحترم ولم أستطع أن أنقل عنه الى موضع آخر قدما عن قدم فاستعفيت واستقلت واعتذرت وتنصلت وظللت حيث نزلت فتغير خاطر صاحبي ثم صفا ولولا بركة خلوص النية لجفا وعلى اثر ذلك أخذت تتواتر على السادة الاحبه وتبعهم آخرون ابتدأت معهم وقتئذ المحبه والخيرة فيما اختاره الله والخير كله فيما أراده وارتضاه فلقيت من الاخوان والخلان والافاضل والاماثل والادباء والنجباء من تعقد على محبتهم الخناصر وتتهافت على صحبتهم الخواطر وتتجمل بشمائلهم المحاضر ويستفيد من فضائلهم الحاضر فكنت أطرز بمحامد مولاي أردية السمر وأعطر بنفحات شمائله الكريمة أندية السمر وقضيناها ليالي وأياما كأنما كانت أحلاما فما أحلاها وما أعذبها وما أحسنها وما أطيبها وما أشرف موقفي بين يدي الحضرة الشريفة متمثلا باسطا يد الاستكانة لذلك الجناب العزيز متذللا وفيض الدموع يساعد ويسعد ولسان الخضوع ينشيء وينشد

يا أكرم الثقلين دعوة آمل ... عان ضعيف جاهد مجهود

يا أكرم الثقلين ضيف وافد ... وبذاك أجدر بالقرى لوفود

يا أكرم الثقلين هذا سائل ... وافى لسدة بابك المقصود

يرجو لبانته[(1)] ويشكو ضره ... ويرى منال السؤل غير بعيد

وعد كف الذل روما للعطا ... وللاعتصام بحبلك الممدود

فامدد اليه يدا تعود جودها ... أن لا ترد يدا لطالب جود

أسأل الله ذا الجلال والاكرام أن لا يحرمنا من مدده وبركته على الدوام وأهنئ سيدي بعود الوالد الهمام أبقاه الله حلية للايام وبركة للانام وأرجو إبلاغه مزيد التحية والسلام ٩ غرة ربيع الثاني سنة ١٣٠٣

(١) اللبانة بالضم الحاجة

وكتب

وكتب اليه وهو يستعمل كثيرا فى كلامه لفظ المنعش ولفظ المدهش (١)

سيدى الاستاذ

أهدى اليك من منعشات التحية والسلام وأتلو عليك من مدهشات الشوق والغرام ما يجمل إجماله لواصفه ولا يلزم تفصيله لعارفه وأحمد اليك الله سبحانه على كرامة السلامة ومنحة الصحة حمدا أستفيض به عمام عطائه وأستفيد به دوام نعمائه وأقص عليك من أمر الرحلة البعلبكيه نظير ما سلف من خبر الرحلة المكيه وذلك أنا سرنا يوم زرنا من دمشق فى طريق دمّر نستحث اليها الضمر بين مياه تتكسر فى مجاريها ونسائم تتعثر فى مساريها وأشجار تميد بأغصانها كما تميس الخود بين أخدانها وأحاديث عن الشام ومبانيها وبهجة مغانيها ولطف أهليها لا سيما بيت خانيها تستطيبها الشفاه وتتعطر بها الافواه

فان ألك قد فارقت نجدا وأهله ... فما عهد نجد عندنا بذميم

وأقول

يا أهل جلّق لازالت مفاخركم ... فى المجد تسمو علاها فوق كيوان

أغنت مكارم خانيها نزيلكم ... عن أن يعرج فى المثوى على خان

ورب واصف خان لى ألمّ به ... فقلت حسبك ما قصدى سوى الخانى

فلما جاوزنا دمر عرجنا نعريجه نبتغى الطريق الى الفيجه وبين يدينا مكار جاهل بها ممار لا يهتدى اليها سبيلا ولا يستهدى عليها دليلا فمشى يخبط بنا خبط عشواء فى بهماء دهماء لا يدرى فى أى أنحائها يسير ولا الى أى أرجائها يصير فما زال يخطو بنا ويخطى ويسرع ويبطى حتى وافينا على طريقنا شجرا ألفينا عنده نفرا فسلمنا عليهم وجلسنا اليهم وعرّفناهم ما نحن فيه وعرفونا الطريق الذى نقتفيه ثم أكلنا ورحلنا وانبرى معنا شاب منهم خفيف الخطا وأهدى من القطا فمضى يتخلل بنا شجر التين ذات الشمال وذات اليمين حتى أوصلنا الى درب دمثته الاقدام وقال لنا الأمام الأمام فقال المكارى عرفت الدرب بشاراته وفهمت إشاراته فلا تخافوا دركا ولا نضل من بعد مسلكا فلم يك الا أن غاب الشاب فى خلال الغاب وسرنا نحو ما قصدنا قاب قوسين أو أدنى وتفرقت على المكارى الشعاب فأخطأ صوب الصواب وأضل الاسباب فسلك ذات اليمين طريقا ترجح عنده وانقلب على عقبه فسلك ضده ثم ارتد ثانيا ولوى عطفه ثانيا ولعن الحصان الذى تحته وسبه وألحق به دينه ومذهبه ومن باعه ومن ركبه وأمواته وأحياءه وعشائره وأحباءه

(١) هذه الرسالة اشتهرت بالرحلة البعلبكية

ووقف بين الطرق وقفة المتحير والاحرى فى العبارة أن تقول وقفة المتحير يتنفس حسره ويتلفت يمنه ويسره بنفس يائسة بائسه بين جبال يابسة عابسه فى معطشة تجفف الريق فى الحلوق وتكاد تسيل الدم من العروق فصرنا نتردد بين تلك الجبال ترددا لحب بين جوانب الغربال

كريشة بمهب الريح ساقطة لا تستقر على حال من القلق

ثم جازفنا الى طريق توخيناه فاهتدينا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله فوافينا خضرة ونضره وجمال سمعة ونظره وأشجارا وأنهارا وأثمارا وأزهارا وحدائق ذات بهجه وحقائق تنعش المهجه حتى انتهينا الى موضع غدير من ماء غير غزير الموارد عذب بارد غير مزدحم بالصادر والوارد ونهر أحلى من لمى العذراء يعرف بالعين الخضراء وجدناه (دع النهر الاسود)[1] أبهى من العين السوداء وأشهى من الوجنة الحمراء وأغلى من البيضاء والصفراء وأحسن ما تحت الزرقاء وفوق الغبراء تحف حافتيه أشجار بديعة الائتلاف والاصطفاف مكللة بالآلاف من الفاكهة متنوعة الاصناف عاليها من رونق الورق المونق ثياب سندس خضر واستبرق ومن الثمر والزهر أنواع زمرد وجوهر والنهر بفرط صفائه ورقة مائه ينم على ما بأسفل أجزائه من رمله وحصبائه كأنها در منثور فى باطن بلور أو كافور مذرور فى غلائل من نور يظفر فيه كل من الخمسة الحواس بحصته من نعيمه ولذته فالباصرة بحسن رؤيته وبهجته واللامسة بلطف ملمسه مع برودته والذائقة بعذوبته والسامعة بخرير تياره والشامة بعبير أشجاره وأزهاره فلم نتمالك أن ملنا اليه وترامينا عليه لائذين من خطر مامر عائذين به من ضرر الظما والحر لنتبوأ به مقيلا ونتفيأ منه ظلالا ظليلا ونتلو «ألم تر الى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا ثم جعلنا الشمس عليه دليلا» ونتمثل بقول الاول

وقانا لفحة الرمضاء واد ... سقاه مضاعف الغيث العميم
يرد الشمس أنى واجهتنا ... فيحجبها ويأذن للنسيم
نزلنا دوحه فحنا علينا ... حنو المرضعات على الفطيم
وأرشفنا على ظما زلالا ... ألذ من المدامة للنديم
تروع حصاه حالية العذارى ... فتلمس جانب العقد النظيم

وبالجملة فلا عيب يذكر لهذا المنظر سوى إعجاز واصفيه عن وصف ما فيه

(١) النهر الاسود نهر قذر بدمشق

اذا تغلغل فكر المرء فى طرف من وصفه غرقت فيه خواطره

فلما أخذنا بغيتنا من الراحة والاستقرار وخشينا أن ينهار جرف النهار نهضنا الى الترحال فشددنا الرحال وملأنا المزاود من ذلك الماء الزلال ونزعنا عنه والنفس نازعة اليه حائمة عليه مرفرفة حواليه ثم سرنا نخبط ونصعد ونهبط والنهر يبعد ويقرب ويشرق نوره ويغرب حتى وصلنا الفجة فوجدناها مغلقة الابواب خالية الدروب والشعاب لايرى سالكها من أنيس ولا اليعافير ولا العيس الا كما قال الاعرابى

عجائز امثل السعالى خمسا يأكلن ما فى رحلهن همسا

لاترك الله لهن ضرسا

كأن الانسان يمر بها فى جبانة قبور أو أرض متناسقة الصخور أو مساكن قوم بور فجاوزناها واستمر سيرنا فى المسير وان كنا لاندرى كيف يكون المصير نسأل عن الدرب والسؤال ذل ان وجد فى طريقنا من يدل ومازلنا فى صعود وهبوط ورجاء وقنوط حتى وصلنا الى رأس السوق وكأنا قد ظفرنا ببيض الأنوق فصادقنا بها مجمع فئام بين قعود وقيام فزعموا أن ليس بها دار للمقام غير ما سبق اليه مأمورو الحكام فأخبرناهم بأنا لسنا من أولئك الاقوام وأنا لانبخل ببذل الحطام فمضى معنا بعضهم الى دار لبعض أهاليها من خير مبانيها على ما فيها وسألنا عما ينبغى للأكول من اللحم والبقول فلم نجد غير دجاجات أضلتهن أيدى الحدثان وأفلتتهن مخالب أنسر لقمان قد وعين الطوفان وتطاول عليهن تقادم الزمان فمازلن يصاولن الايام ويواصلن الصيام حتى يبسن وسمجن وفنى عليهن الحطب ولم ينضجن فرغبنا عنهن ويئسنا منهن وملنا على بقية ما معنا من الزاد وسارعنا بعد ذلك الى الرقاد فهاجتنا بالسير الحثيث جيوش البراغيث تدب الضراء وتمص الدماء ولله القائل

وليلة بتنا لدى معشر قد غرت الناس أحاديثهم

فما أكلنا عندهم قدر ما قد أكلت منا براغيثهم

ولكنا غلب علينا النوم من تعب ذلك اليوم حتى عطس الفجر بالأذان وتنفس الصبح باذن الرحمن وأقبلت جيوش النهار من شرقها وولت رايات الليل الى غربها وأشرقت الارض بنور ربها فبادرنا الى المسير يدلنا على الدرب فارس خبير جمعنا معه فى الطريق لطف التقدير لا عمل التدبير حتى انفصل عنا منحرفا لبعض القرى بعد أن أشار لنا الى طريق واضحة المسالك لمن يرى فمضينا حتى انتهينا الى الزبدانى وهى قرية كثيرة الغراس عامرة بالناس فمكثنا بها حينا للاستراحة

من تعب السفر وأخذنا منها اللوازم الغذاء بعض ما حضر وأردنا أن نستأجر من أهلها من يرشدنا الى المسالك فكان المكارى أنف من ذلك فزعم أنه لن يضل بعد الآن وأنه يعرف باقى الطريق حق العرفان وأكد الكذب بالايمان

وأكذب ما يكون أبو المثنى اذا آلى يمينا بالطلاق

نفر جناحتى وصلنا رأس عين سائغة صافيه لدى ظلال سابغة ضافيه فنزلنا وأكلنا واسترحنا وانشرحنا ثم سرنا أميالا نعدها طوالا فصادفنا رجلين من السفار من أهل تلك الاقطار فعرفنا منهما أننا قد انصرفنا عن القصد بعيد وانحرفنا بالكلية عن الطريق ولله الأمر من قبل ومن بعد فاستصحبنا منهما من ردنا الى الطريق المقصود بعد بذل المجهود فى الهبوط والصعود ثم وصلنا سرغاية فنزلنا واسترحنا وبتنا حتى أصبحنا فاتخذنا دليلا من أهلها لما عرفنا مما أسلفنا فلا يلدغ المؤمن من جحر مرتين بل مرارا ولا يلقى المرء بيده الى مهالك التيه اختيارا والحاصل أنه مشى معنا ساعات من الزمان بين جبال ووديان فى طريق تتلوى تلوى الأفعوان يضل فيها الخريت ويخاف بها العفريت الى أن وصلنا الى الصراط المستقيم بعون الله الكريم فقال من ههنا طريق بعلبك واضحة الاعلام ثم ودعنا وانصرف بسلام وسرنا حتى وصلناها بنية المقام فيها بعض أيام وأعدنا المكارى بالدواب وباقى الاجرة الى دمشق الشام وتلونا بعد مفارقة طلعته وإن يتفرقا يغن الله كلا من سعته وفى العزم الجولان أياما فى جبال لبنان ثم العودة لبيروت ومنها ان شاء الله للاوطان والله المستعان وعليه التكلان

هذا وأرجو من فضل سيدى القيام بالنيابة عنى فى تبليغ المولى الهمام الاستاذ الوالد مزيد السلام وسائر من تشرفنا بزيارتهم وتعرفنا بحضرتهم أثناء المقام فى دمشق الشام من العلماء الأعلام والأماجد الكرام وحسن الوساطة فى ابلاغ جميعهم عنى جزيل الشكر ومزيد الاحترام ليكون ذلك من مولاى اجزال الفضل والانعام واكمالا للاكرام ومثل ذلك لحضراتهم ولمولاى من ولد أخيه الامين دوام الشوق والتحية والسلام

سيدى

أشكو من هذا المداد الجامد ما لا أشكوه من المكارى البارد فانى لا أقدر أن أكتب الا اذا وجدت مدادا سيالا منقادا يسرع مع القلم ولا يقف فى طريق الكلم وهذا المداد الذى وجدناه ببعلبك ولم نجد سواه أبعده الله يمسك بالقلم مسكة الأعمى الأصم فيعتقله ويعتنقه ولا يعود يطلقه فيقف عن جولانه وقفة الحمار فى المدار

ويثبت

و يثبت فى مكانه ثبوت المسمار فى الجدار فاذا حرك به الانسان يده أتعب ساعده وعضده كأنما يحمل جندلا أو يحاول أن يجر جبلا وكم أفرغت على اناء هذا الحبر من الماء بالدلاء وعالجته بجميع ما أعلم لعلاج المداد من الدواء حتى حال من صبغة بنات حام الى صفة نسل سام وابيض وجهه بياضا هو فى المعنى أشد سوادا من السخام كما يحكى أن رجلا كان له عبد أسود وكله بضيعة من ضياعه وأوصاه بحفظ ما بها من ضياعه فاتلف الحقل وأهلك الحرث والنسل ثم جاء يوما السيده بكوز من لبن فى يده يتودد اليه ويتقرب بما لديه فامسك السيد الاناء وأقبل يسأل العبد عما شاء فلم يخبره الا بما ساء فكسر الكوز فى رأس العبد غيظا وحنقا وجرى اللبن يتصبب على وجهه الاسود الحالك أبيض يققا فتهلل العبد وانشرح واستخفه الفرح وقال قد دعت لى العجوز حين خرجت بهذا الكوز وقالت أخذ الله يا بنى بيدك وبيض وجهك عند سيدك فأجاب الله دعاءها ولم يخيب رجاءها وأفاض على ما أفاض من نعمة هذا البياض فكانت استحالة لون هذا المداد كابيضاض وجه ذلك النحس بعد السواد ولم يزد بعد ذلك الا جمودا زادت به القريحة على جمودها جمودا وفى النفس أن أجرد القلم عن هذا النقس وأودعه غيابة الحبس وأحول بينه وبين الطرس حتى يرزق الله عبده مدادا منقادا لما يراد برىء من العناد أو تخترع آلة بخارية تحرك الأطواد وتجر القلم بمثل هذا المداد وحينئذ أعيد اليه من حلية بنى العباس سواد اللباس وأخلى بينه وبين القرطاس للعب البرجاس والاحرام عليه أن يتلمظ من الحبر بذواق وعليه من حلال الله المحابر الطلاق الى يوم التلاق

مولاى

قد وجدت نفسى بعلبك منفردا عن الاخوان والخلان فلم أر ما أقطع به الزمان غير خلاعة المجان فكتبت هذا المكتوب على هذا الاسلوب فان أعجب فنى الخدمه والا ففى السبعة الانهر بدمشق ما لا يبقى به ولا كلمه فللمولى رأيه فى ذلك موفقا ان شاء الله تعالى ٩ يوم الاثنين ١٦ ذى القعدة سنة ٣٠٣

وكتب اليه

أحمد الله سبحانه اليك أيها الاخ الوفى والسيد الحفى على ما أفاء من منه وأفاد من نعمه وكف من محنه وكشف من غمه وأثنى على محاسن شمائلك الغراء وان جلت عن الاحصاء والاستقراء وأداء حق الاطراء

ولو كان مما يستطاع استطعته * ولكن ما لا يستطاع شديد

وأسأل عن حال حضرتك داعيا بدوام مسرتك وأبث من لاعج الشوق اليك مالا يخفى كنهه لديك أدام الله نعمته عليك هذا وقد تقدم الكتاب اليك مولاى من بعلبك بما كان فى المسير اليها الى أن وصلناها بسلامة ولله الحمد والمنة ثم انا أقمنا بها ليالى وأياما تتدرج فى نواحيها ونخرج أحيانا الى ضواحيها ورأينا رأس عينها وعين زينها فقل ماشئت فى لطف الهواء وحسن الخضرة والماء وهنالك منتزه أهلها وسكانها وملعب ولدانها ومرتع ظبياتها وغزلانها ومجتمع فتياتها وفتيانها ومبتغى الطرب والارب لشيوخها وشبانها ومجرّ العوالى ومجرى السوابق لفرسانها وقصدنا فى أثناء أيام المقام بمدينة بعلبك رؤية العمارة المشهورة القديمة الموجودة بها المعروفة بالقلعة ولم تكن قلعة فى الاصل وانما جعلت قلعة فى بعض الاعصار المتأخرة وكانت أقيمت فى أيام الجاهلية الاولى معبد الشمس وبها عرفت المدينة باسم بعلبك أى معبد الشمس فيما قيل ويقال انها من آثار بعض كهنة المصريين وفيها زيادات لغيرهم وأية كانت فهى على ما أصابها من الدمار والاندثار والهدم والردم وتعفية الآثار قد بقيت منها بقية تغالب الايدى المتغلبه وتقاوم القوى المخربه وتصادم الاحزاب المتحزبه وتلوى عنان الحوادث وتدفع فى صدر الكوارث صابرة على آصار الأعصار سافرة لانظار النظار عبرة لأولى الأبصار فرأينا بها من رونق اللطف والظرف وأبهة الضخامة والفخامة مايشهد لأصحابها بالمهاره فى العماره والسعة فى الصنعه والقوة والرفعه حتى يمهد العذر لمن يقول عن لم ير غيرها من البرابى المصرية العظيمه والمبانى الاثرية القديمه انها لم يكن على وجه الأرض أعجب منها وكم على الأرض من عجائب ثم رحلنا من بعلبك الى زحلة ثم الى البارولة الى دير القمر الى بيروت وكان فى العزم إرداف المكاتبة السابقة بلاحقة أوفى منها تفصيلا لما شاهدناه فى مسيرنا من المشاهد والمعاهد والمناظر والمآثر والمتاعب والمصاعب لولا ما عرض لولدنا الأمين سلمه الله عند البارولة من سقم امتدت أيامه واشتدت آلامه حتى أشغلت بالى وأشعلت نار بلبالى وحيرت أفكارى وكدرت ليلى ونهارى الى أن لطف الله سبحانه وخفف ومن بالشفاء وأسعف فابتدأ منذ أيام بنزل معى الى البلد للفسحة وتنشيط الخاطر باختلاف المناظر واختلاط الوارد بالصادر على أثر نحافة فى الجسم وضعف فى القوة وان كانت العلة قد زالت وانتهت معالجتها بفضل الله وصارت حالته تحسن وقوته تتزايد يوما فيوما ولله الحمد والشكر وهو المسؤل من فضله وكرمه أن يمن بمزيد الصحة والعافية والقوة والمرجو من سيدى الأخ الممجد والأستاذ الوالد الأمجد إمدادنا بصالح الدعوات وأحاسن

التوجهات

التوجهات وكان ماذكرهو السبب الذى أخرنا عن العودة الى مصر قبـل الآن كأنه حال بيننا وبين ما كان فى النية من تقـديم المكاتبـة الى مولاى أبقاه الله وقد وصلنا جواب الكتاب السابق إثر وصولنا الى بيروت على يد حضرة محيى الدين أفندى حماده سلمه الله فكان جلاء خاطر ومنعش ناظر ومدهش مناظر ومجموع أدب وينبوع أرب سلم الله يدا حررته وفكرة حبرته وهمة أصدرته وقد عقدنا النية على المسير من هنا ان شاء الله يوم الثلاثاء القابل آخر الشهر الحاضر الى مصر سائلين من الله المعونة والسلامة فى البر والبحر ومن سيدى الفاضل ما عوّدنيه من تواصـل التراسل ومنى ومن حسيبك الأمين اليك أيها السيد والى الاستاذ الوالد وسائر الأحبة السادة الأماجد ثناء تردده الأيام وأزكى تحية وسلام ما ٢٦ الحجة سنة ٣٠٣ من بيروت

وكتب اليه

باسم الله أستعين على أداء الواجب من حمده وأستوهبه سبحانه وتعالى المزيد من عنده وأسأل عن خاطر سيدى الأخ أدام الله حفظه وأجزل من الخيرات والمسرات حظه وأهديه تحيـة المشتاق وأبث اليه تباريح الاشتياق هـذا وقد أسلفت التحرير الى حضرته من مدينـة بيروت بعقد النية على براحها يوم الثلاثاء آخر الشهر الماضى وقد حصل فلما كان اليوم المذكور نزلنا باحدى بواخر البوسطة الخديوية آخر النهار قاصدين هـذه الديار والهواء خفيف والموج ضعيف والبحر غير عنيف فأقلعنا بتلك الجارية السوداء تتبختر تبختر الحسناء وتمشى مشية الخيلاء وقد يرى الرائى أنها من الأولياء لانها تمشى على الماء فلما قربنا الى يافا أخذ الهواء يشتد والبحر يحتـد والجزر والمـد يتوالى ويمتـد وتجيـد كفوف الأمواج السوارى على دفوف تلك المنشآت الجوارى فنون الضرب والنقر وتزمر الرياح فترقص تلك الخرد الخود من تلك البيض والسود على نغمة الزمر فلما وصلنا الى مينا يافا لم نجسر أن ننزل الى البر خيفة من غائلة البحر وكان لنا عند بعض الصحب فيها وديعة أودعناها اياه فقلنا اذ تعذر علينا طلابها نستودعها الله فاذا بصاحبنا أقبل بها يشق بفلكه أمواه الامواج ويغالب منها الأفواج بعد الأفواج من فرادى وأزواج فسلمها الينا وانصرف راجعا الى البلدة بسلام وبعث أنا برمان من رمانها الاملسى يطفئ حر الأوام وينشق عن مثـل حب الغمام والثغر الاشنب البسام فكان من أطيب ما رأيناه من فاكهـة بلاد الشام اذ كان أكثر ما أصبناه منها لجفا لم يتم على أصوله نضجا ثم أقلعت بنا الباخرة من مرفا يافا والبحر على غلوائه يتخبط فى أهوائه ويهيم بسودائه ترميه بشرار نارها ويرميها برشاش مائه فلما قاربنا بورسـعيد سكن

جأش الهواء وهدأ روع الماء وخف نبض الموج واعتدل مزاج السفينة وعلت على البحر زينة الطمأنينة والسكينة حتى أشرفنا على المدينة فأرسينا فى مرفئها المأمون على الطائر الميمون وقلنا ما شاء الله كان وما لم يشأ لا يكون ونزلت أتيمن بترب الوطن ومائه وأرضه وسمائه وأتلذذ باستنشاق طيب هوائه متمتعا بحسن رُوائه وأترشف من ثغر النيل سلافة الراح لا أسمع ملامة اللاحى (وأشرب الحلو من أكواب ملاح) ثم سرنا من بورت سعيد الى الاسكندرية فوصلناها صبيحة الجمعة بغير عناء ولا مقاساة شدة هواء وكان الناس يخوفونا تلك المسافة فيما تقدم ويتكلم عليها كل واحد بما يعلم وما لا يعلم ولكن الله سلم وله المنة والحمد والعظمة والمجد وبمنه ويمنه وصلنا الى المحروسة بعونه وصونه فتشرفنا بزيارة سبط سيدنا الرسول وبضعة السيدة الزهراء البتول وقمنا الكم بالدعاء وتلاوة الفاتحة ومن الله القبول وحظينا بلقاء الجناب الخديوى فأحسن اللقاء أطال الله تعالى له البقاء ولدنا أمين بك قد تحسنت ولله الحمد صحته الابقايا دمامل يرقيها بسورة الفجر ويتلو عليها بعد الفتح سورة العصر وهو يهدى تحية الوداد عن طوية الفؤاد اليك أيها الاخ الماجد والى حضرة مولانا السيد الوالد ومنى مثل ذلك اليكما وسلام الله وبركاته عليكما وكل عيد وكل عام وأنتم بخير وصحة وسلام

تكرر منك أيها الاخ العزيز التنصل عما كان من المكارى المعهود أثناء المسير من دمشق الى بعلبك وانى وحياة حبك وودك وبحق من أسأله حراسة مجدك لم أنسب الى حضرتك فى هذا الحال شيأ من التهاون أو الاهمال ولم يخطر لى ذلك بخاطر ولا مر لى على بال فى حال من الاحوال ولو خطر ذلك بخاطرى أو هجس بضمائرى لعددت ذلك منى والعياذ بالله زيغا فى الاعتقاد وضلة عن سبيل الرشاد وكفرانا لحق الوداد وكيف وليس فى قلبى لذات الرجل شئ من الغيظ والحقد اذ لم يأت بشئ مما كان على عمد ولا عن قصد وانما أخطأ فيعذر ولا يؤاخذ ولا يشكر وهذا القدر أردت لا أكثر وكنت ذكرت ما ذكرت من قبيل الحكاية لا على سبيل الشكاية ولا بقصد النكاية فليصف خاطر مولاى من جهته وليُعدّ عن مؤاخذته وان كان له مع رئيسه سابقة معاملة فليعد الى معاملته وصلته فالرجل فى الحقيقة معذور وذنب الخطا مغفور

وصلنى من رسائل الحضرة الأخوية أدام الله حفظ مهجتها (ثلاثة تشرق الدنيا ببهجتها) وقد سبقنا اثنتان منهما الى مصر مطوية احداهما على كتاب الى سعادة طلعت باشا سلمه الله ثم وردت الثالثة بعد وصولنا ومعها كتاب آخر اليه فأوصلناهما

لسعادته وبلغناه بالمشافهة عن حضرتكم مزيد الثناء وصالح الدعاء فتهلل وجهه بالمسرة لاسيما حين أخبرناه بتلاوة الفاتحة له فى الحضرة ويصل فى طى هذا جواب كتابه ان شاء الله

سيدى

قد سقط من المطلوبات التى كنا اقترحناها عليكم كتبناه من بيروت بيان المشاهد المباركة التى تشرفنا بزيارتها فى جهة الشام وما حملت ذلك الاعلى السهو والنسيان الذى منه نصف الخبر عندى بل تمامه فأرجو إكمال الفضل ببيانها واتمام الكمال ببيان محل كل منها

فأتمم ما مننت به وأنعم * فما المعروف الا بالتمام

وكتب اليه

باسم الله وبحمده

سلام الله على سيدى ومولاى هنأه مولاه خير ما أولاه وحرس حلاه وعلاه وبارك له فى جميع أوقاته وأيامه وأجزل له فى هذا الشهر الشريف أجر صيامه وقيامه وبلغه الكثير من أمثاله فائزا بمرامه هذا وقد اختلف أهل الآفاق هذا العام فى ابتداء شهر الصيام فمنهم من تأخر ومنهم من تقدم ومنهم من نقص شعبان ومن تمم أما عندنا فقد نقص كل من رجب وشعبان وما ندرى ما سيكون فى شهر رمضان وكان أوله هنا ليلة الاثنين ولعله يسلك فى النقصان سبيل سالفيه الاثنين فان تم فعلى الرأس والعين وان زاد مجاراة لنزلائنا فى زيادة الشهور فلا بدع قد جارينا أوضاعهم فى كثير من الشرور وليت شعرى ماذا صنع عندكم أيها الاخ السيد أجاءكم قبل الأبان وجاوركم فى شعبان أم تأخر عن الاوان وقال العجلة من الشيطان وأيا كان فهو الآن يتجهز للارتحال ويتحفز لشد الرحال يسر الله له سبيل ما أراد وبلغنا وإياكم فى الخير أعيادا بعدها أعياد وقد وصلنى كتاب مولاى لاحقا بأمثاله من قبل جاريا فيه على جميل عادته فى الفضل مهنئا بالاطيان وشهر رمضان ولقد أحسن القران فهما مزرعتان غاية الامر هى مزرعة بر وهو مزرعة بر وتلك مزرعة شعير وهذا مزرعة أجر الاطيان مزرعة مال ورمضان مزرعة أعمال فعسى الله أن يضع فى هذه الاطيان ما أودع من البركة فى شهر رمضان لا نكنى بالبركة عن اسم الطول كما صنع ابن الرومى حيث يقول فى بعض الفصول

يا صدق ما قيل أوقات مباركة * لو كان يكنى عن اسم الطول بالبركه

ثم أسعد مولاى رأيك أسعد الله آراءك وأدام سراءك أيلزمنى أن أدخل فى سوق

المعاذير من أجل ما أسلفته من التقصير بحكم المقادير فان كان فهل يكفى فى العذر أن يقال قد كنت الى الآن من أمر هذه الاطيان فى شغل بال وحل وترحال واحتيال واختبال وقيل وقال من محب وقال على غير خبرة بالزراعة ولا طول ممارسة لهذه الصناعة ولا معرفة للصعيد الطيب والزلق والرواتب من الارض والملق ويراد بالاول ما يمنع الماء ويمنع حسب الاراده وبالثانى ما ليس برويه غير فيض النيل فى العاده ولم يكن لى قديما كما قضى الله بالملق من الارض تعلق كما أنى والحمد لله ليس من مشربى فى التخلق تملق وان كان فى مصر يقول الاندلسى سامحه الله

ويعجبنى منها تملق أهلها * وقد زاد حتى نيلها يتملق

وقد يسر الله لنا هذه المرة من النوع الاول وليس لنا الا على لطفه معوّل هذا وقد كدنا نتجاوز الحد وكأنا خرجنا عن الصدد فنرجع ونقول هل يكفى من العذر مثل هذا القدر النزر أم لابد من فنون وأفنان وأشكال وألوان ولو بزور وبهتان أما رأيى فى هذا الباب فطى أطناب الاطناب وطرح أسباب الاسهاب والاستغناء عن الاعذار بأنوار تلك الافكار والاجتزاء فى المطلوب بسفارة القلوب ذهابا مع الثقة بالمقه والاعتداد بالوداد فليس لسوء الظن بالاخاء موضع اصبع حتى يحتاج لان يحتج له بالأدلة ويمنع فان كان رأى مولاى كذلك فذلك والا فحيث كان رأيه الشريف كنت هنالك ولقد ساءنى ما كان قد ألم بالوالد من الالم لا أراه الله ما يكره ولا أسمع أحبته عنه الا ما سرّهم وسرّه ولقد كدّرنى وأضجرنى خبر المرحومة أسكنها الله غرف الجنان وبوّأها مقاعد الرضوان وروّح روحها بالروح والريحان لولا أن خفف الأمر بتوجيه الفكر الى كونها قدمت على رب كريم بر رحيم وانتقلت من مقام الاسقام ودار الاكدار ومعمر الاسفار الى دار السلام ومقر المقام وجوار ذى الجلال والاكرام فهنيئا لها النعيم المقيم والمقام الكريم وأجزل الله لسيدى الصبر وأجزل له الاجر وصرف عنه كل شر ولا أراه بعدها الا ما سر وحسبك الامين يهدى تحايا الاحترام والاكرام والمرجو أن تبلغوا عنى وعنه حضرة الاستاذ الوالد الهمام دام فى ظل الانعام أحاسن التحية والسلام

وكتب اليه

سلام الله على سيدى ومولاى

بارك الله فى جميع أوقاته وأجزل عليه من بركاته فى سكناته وحركاته ولا زال يشيع عيدا ويستقبل عيدا يخلعه خلقا ويلبسه جديدا وهو فى كل حالاته موفور الآمال مبرور الاعمال مسرور الخاطر معمور الباطن والظاهر وقد وصلنى الليلة

خط

خط بنانه الكريم مؤرخا فى غرة الشهر الحال فطلع على طلوع الهلال ليلة عيد شوال بل زارنى زورة الحبيب على حين غاب الرقيب فأقبلت عليه أقبله وأضمه وألثمه وأشمه حتى خفت على طرسه ونقسه ما خفت فخففت وكففت وبت أناجيه وأناغيه وأسامره وأساهره فذكرلى من الود ما لا أزال أذكره وأشكره وهيج بى من الوجد ما أظل أبديه وأضمره وأطويه وأنشره وزاده تجلة لدى ومنة على ما عرفت من صدوره عن تلك الساحة أسبغ الله ظلاله عليها من قبل وصول جوابى عن كتبه السابقة اليها فاكسبنى حق اليقين أن لم يزل من الدنيا والحمد لله حسن الوفاء وان لم يصب الشاعر فيما عد من المستحيلات الان يكن فى الغول والعنقاء فهكذا يكون الخلق الغض والوفاء المحض والكرم الحر والشيم الغر ومن هذا تتعلم محاسن الشمائل وأحاسن الفضائل لو تأتى أن يتطاول لهذه الغاية المتطاول وأين الثريا من يد المتناول ولقد كدت أتشكك وأتردد هل نحن فى آخر الزمن مثل ما نعهد اذ جف ماء الوفاء حتى لم يبق فى موضعه بلال وذوى غرس الكرم حتى ذهب أدراج الرياح مع الصبا والشمال واندرست مباني المكارم حتى لم يبق منها ولا الاطلال أم نحن الآن فى صدر الزمان والوفاء ضارب بالجران والكرم رحب المكان والمكارم رصينة الاركان لا لا نكذب النفس(١) وان قال لبيد

(اكذب النفس اذا حدثتها) فليس لنا فى الكذب مشتهى ولا نكذب الحس وان قال التهامى

وفشت خيانات الثقات وغيرهم * حتى اتهمنا رؤية الابصار

فليس فوق ذلك فى المبالغة منتهى بل نقول الزمان هو هو الذى ألفناه والحال هى هى ما قد عرفناه وانما المولى أدام الله سبحانه حفظ جنابه واحد يحفظ ولا يقاس عليه فى خصائص آدابه فأسأل من فضل الله الذى أجزل له هذا الفضل أن يبقيه حلية لهذا الزمن العاطل مصون الفرع والاصل وله ولهما من أخيه وأمينه مزيد التحيات والمرجو دوام ما عودناه من مواصلات المراسلات والاتحاف بصالحات الدعوات ودام مأنوس الخلال محروس الكمال ٦ شوال سنة ١٣٠٤

حضر أثناء تحرير هذه حضرة الامير الخطير طلعت باشا سلمه الله وأدام علاه فسلمته الجواب الوارد باسمه وكنت على نية المضى لساحته لهذا الصدد وما هى بأول كراماتكم

(١) قوله لا نكذب النفس أى لا نكذب عليها قال أبو الهيثم فى قول لبيد (اكذب النفس اذا حدثتها) يقول منّ نفسك بالعيش الطويل لتأمل الآمال البعيدة فتجد فى الطلب لانك اذا صدقتها فقلت لعلك تموتين اليوم أو غدا اقصر أملها وضعف طلبها اه

ياذوى خالد فجعلت حاشيته تاجا لهامتها وحلية للبتها وأخذنا نتجاذب من الثناء على محاسن تلك الشيم الغراء ماتتأرج به الارجاء وان كانت مما لا يحيط به الاحصاء

سبق الالماع فى الكتاب السابق ببعض البيان عما كان فى أمر الاطيان وقد حان أوان الشروع فى ادارتها ومباشرة زراعتها على غير خبرة فى الفلاحة أجدها ولا سابقة ممارسة يعتد بها أمنى بها النفس وأعدها والزراعة ان لم توف حقها اجاده لم تجد إفاده لاسيما والمقدار كما قدمناه قليل فلا اتكال الا على الله الجليل فهو الذى يقول للشئ كن فيكون وهو الذى يقول أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون ويقول أأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشؤن فأرجو مساعدتى أيها الاخ بدعواتك المستطابة فهى تثمر ان شاء الله من فضل الله حسن الاجابة

وكتب اليه

أحمد الله تبارك خيره ولا اله غيره الى سيدى الاخ الامجد الاوحد على نعم الله الوافرة وآلائه المتضافرة وأعد فى جملتها ومن طراز حلتها انعطاف خاطره على مواصلة كتبه السارة الىّ تجاوزا عن افراطى فى التقصير واخلالى بقليل الحقوق والكثير شيمة لطف منه أوجبت عليه وله الفضل أن يوازى تقصيرى بالتطول ويجازى فضولى بالتفضل وكان له أن يطيل أطال الله بقاءه العتاب ويسئ لولا حسن شمائله الخطاب ولكن أبى ذلك طيب العناصر وشرف الاوائل والاواخر فلا عدمناها شمائل تغار الشمال من لطفها أدبا فتختال عجبا حتى تهز من عطفها طربا ولا برح أخى حرسه الله قرة عيون اخوانه وخلانه والقدوة فى شيم الكرم وكرم الشيم عن أهل زمانه هذا وقد سبق كتابه أيده الله مهنئا بشهر الصيام ملما والحق معه ببعض الملام وكتبت فى جوابه ما لعله وصل الى جنابه ثم وصلنى كتابه الآن فى زراعتى بناحية تل حوين مرسلا من طرف ولد أخيه الامين فأحببت أن لا أخليه من جواب أسد به من الاخلال ثلما وأرفع نفسى عن حضيض التقصير سلما وأسلك به فى الوفاء محجته وأتخذه لدى الحاجة جنته اذ لم يخل الكتاب الأخير من لذعة ملام وان كان على طرف الثمام ولكن ليس ينفعنى مثل ضميرك نصيرا فاسأل به خبيرا وأنا أسأل الله سبحانه ولى الانعام أن يهنئك الأعياد والاعوام والمواسم والأيام ويجزل أجرك على ما قدمت فى شهر الصيام من الصوم والقيام وسائر أعمال البررة الكرام ويبلغك غاية المرام

يهدى الأمين تحية الاجلال والاجلال لحضرتك والكل من يلوذ بساحتك وينتمى لجهتك ولاسيما مولانا الوالد الكريم أطال الله بقاءه ومن مثل ذلك

وكتب

وكتب اليه

أدام الله سبحانه وتعالى على سيدى الاخ الجليل المفضال ظلال الافضال بنوال الامال وتقبل منه فى هذا الشهر المبارك صيام الايام وقيام الليال ومتعه بالعيد السعيد مستتبعا عود الامثال بعد الامثال يشيعها بأحاسن الاعمال ويستقبلها بالقبول والاقبال طوال الاحوال فى كمال الاحوال وقد ورد عزيز كتابه يتضمن حسن عتابه على انقطاع سلسلة المكاتبه وحصول الفترة فى مداولة المخاطبه ولسيدى على كل حال العتبى وبيده أزمة الفضل واليه المعذرة وان قل العذر أوجل وله العفو وان آخذ بالعدل ولقد مضت تلك الفترة فى شغل شاغل وهم حاصل وفكر متواصل بسبب ماصرت اليه من تبديل المعاش بأرض الزراعه على حداثة العهد بهذه الصناعه وقلة الاستعداد لما يلزم لها من المواد وهى تحتاج فى إدارة دولاب أشغالها وانتظام حركة أعمالها الى بذل واصطبار وأمل وانتظار وغيبة عن الدار فى فكر بالليل وعمل بالنهار وهلم جرا حتى تدر أخلافها ويقل إخلافها هكذا يضطر من يأتى هذا الأمر استئنافا ولا يقدر أن يغترف إسرافا أو يصرف الا كفافا ورد عاورد بعض رسائل الاحبة الكرام فى خلال هذه الأحوال فحال دون وصولها فى وقتها الغيبة عن المستقر أودون جوابها تشتت البال لاسيما وقد أصبت فى تلك المدة بما غلب على التجلد والصبر وفت فى العضد والصدر من فقد حفيد لى من ولد ولدى أمين تجاوز سنه عشر سنين وكان قد سبقه من مدة أعوام أخ له أورثنى فقده جزعا وهلعا وسقما ووجعا الى ان أنسانى ذلك السابق هذا اللاحق وأربى عليه فرط ذكاء ونجابة وبهاء فكان لى ولأبيه موضع سلوة وراحة نشوة ومنى نفس ومنتهى أنس حتى استأثر به الله سبحانه وله الحكم والأمر فلا تسل عن دمع سال وغم طال وهم استطال وحزن لم يزل فى الحشا ناره وفى الصدر أواره وعند الله سبحانه وتعالى نحتسبه ونستمنحه أحسن الصبر والعزاء ونستوهبه وعنده من الثواب مايحل على كل مصاب ومنه المبتدا واليه المنتهى وهو رب الآخرة والأولى وله ماسلب وماأعطى وماأخذ وماأبقى ولاشك أنا جميعا فى هذه السبيل نسعى وإن الى ربك الرجعى ثم انى لا أحاشى أن أرفع الى شريف علمك أيها الأخ العزيز المشفق أنى لا أحب تجديد المقال فى هذا المقام بكلمة أو حرف فى تعزية أو تسلية ضمن خطاب الى أو لولدى المومااليه أولمن يظن أن نطلع عليه كراهة أن يحرك ذلك ماعساه ان يكون فى بعض سكون ولقد أخفيت عنه بعض رسائل الأحبة وبعضها لم أفض خاتمه وا عاجر الكلام هذا الحديث لوضعه من العذر فى فترة المراسلة والله سبحانه

وتعالى يصرف عنا وعنك أيها السيد كل سوء ومكروه انه سبحانه خير من نسأله ونرجوه ثم ولدنا المومأ اليه يهدي لحضرتك السنية تحية التكريم والكل من بضمه ناديك الكريم ويرجو وأرجو معه أن تقوم عنى وعنه أيها الأخ الماجد لدى السيد الوالد طراز الأماجد مقام القائم بواجب تحياته الملتمس محاسن توجهاته وتوشيح مستجاد دعائك بمستجاب دعائه ولكم منا مثل ذلك ان شاء الله تعالى ٢٠ ن سنة ٣٠٥

وكتب اليه

باسم الله وبحمده

كتبت والود والله بحاله وأوفر والشوق مثل ما علمت أيها الأخ وأكثر وفترة المراسلة وان وقعت من الجانبين فاللوم على هذا الطرف أكبر ووافى الكتاب الشريف فطلع طلوع القمر الزاهر على الساهر وزار زورة الحبيب الهاجر للغرم الحائر فبل غلة الصدر بعد فراغ علة الصبر واني وان كنت وحياتك أبغض كل البغض أن أكون غلوما كما تكره أنت حرسك الله أن تكون ظلوما الا أن عندي نعمة على نفسي أريد أن أنعمها اليك ثم أجمل الحكم بعد ذلك رهين يديك غير أني ترددت بين أن اختصرها اختصارا مخلا أو أطول فيها تطويلا مملا اذ رأيت الاعتدال عسرا وحد التوسط مركبا وعرا (ونحن أناس) على مذهب أبي فراس فقلت أدع الكلام يجيء كيفما جاء والقلم يسير حيثما شاء فاسمع أو فدع لما فترت المراسلة هذه الفتره وتأخرت كتبك الشريفة بالمره قلت للنفس ترين هذا السيد طالما كان يستبد علينا بالتقدم وحده ويجعل السبق دأبا عنده وليس الأمر عبده فهو يطوقني المنة طوق الحمامه ويجعلني وان ترفع عن العتب تحت الملامه وها هو الآن قد تأخرت كتبه وان كان له عذر ومضى على تأخرها الموسم يتلوه الموسم والشهر بعده الشهر فلا بد لي أن أنازعه فضيلة السبق ولو مرة في العمر فأنا أبدؤه بالكتاب حتى اذا سمع بالجواب أسرعت في الرد فيجيء خطابه من بعد وهكذا أغتصب منه فضل التصدر ولا أرضى لنفسي بهذا التأخر فطرحت رداء الكسل جانبا وقمت مغاضبا كأني أحاول أن أسوق جحفلا أو أفتح بلدا مقفلا ثم جمعت الخاطر وانتقدت الحاضر وأخذت عنان القلم بيمين التعظيم وقلت بسم الله الرحمن الرحيم واذا الباشا الجليل حفظ الله طلعته أشرق نوره وطلع طلعته وبيده المباركة كتاب الحدائق الوردية يفوح عطره وكتاب الحضرة الاخوية يتأرج نشره فقلت يا نفس هذا أمر قدر لغيرك وكل ميسر لما خلق له فأجابني لسان الحال متمثلا بقول من قال

خل الطريق لمن يبني المنار به واقعد فانك أنت الطاعم الكاسي

أمضيت مدة شهور من الفترة الماضية بالابعادية مهتما بالحقل وبالحرث لا النسل ثم عدت لمحروسة مصر مشتغلا بتأهيل ولدنا الأمين واخوته على حسب رغبتهم ورغبته فاخترت له كريمة صديقنا الأريب الحسيب السيد أحمد باشا السيوفي من أعيان مصر ولأخيه حسين فكرى قريبة لنا تربت معه عندنا صغيرة ولأخته أختها الثالثة القريبة نشأ معها عندنا أيضا واشتغلت قبل ذلك باعداد ما لزم من المهمات والأدوات وقبلها بعمارة البيت وتجديد بعض المحلات الى أن يسر الله المراد فوق ما رمت وكما أراد من غير اشتغال بولائم وأعراس مما جرت به عادة الناس فاستحسن ذلك لدى العقلاء ولم نبال بمقالة الجهلاء وفى خلال الاشتغال بهذه الأحوال ظهر أمر السفر الى بلاد أوروبا وقد من طرف الحكومة اخترت أن يكون معى منهم ولدى أمين بيك سلمه الله لحضور المؤتمر العلمى المزمع انعقاده ببلاد السويد والنرويج آخر ممالك أوروبا من جهة الشمال وان شئت قل آخر الدنيا بالاجمال وهذه البلاد فى قول من زارها يمتد فى بعضها اليوم الواحد أياما وفى بعضها أسابيع بل شهورا بحسب اختلافها فى العرض وامتدادها فى الطول وقد توقفت فى هذا الأمر كثيرا وترددت الى أن قبلت وتوكلت على الله الواحد الصمد الذى عليه المعتمد رب كل اقليم وكل بلد وسيكون انعقاد المؤتمر فى أول سبتمبر القابل الموافق أوائل المحرم ومدة انعقاده اثنى عشر يوما ونحتاج سوى هذه المدة نحو شهرين للسفر والتلبث ببعض البلاد وعزمنا على أن نسافر من محروسة مصر ان شاء الله فى آخر هذا الاسبوع بعد غد (أعنى يوم الجمعة بعد الصلاة) ومن اسكندرية فى أول الاسبوع القابل يوم الاحد والنية ان نعرج أولا على تريسته من بلاد أوستريا (النمسا) بساحل البحر ثم على فينيسيا من بلاد ايتاليا ثم على بلاد سويسرة ثم على باريس للاقامة بها أياما للمعاينة المعرض العمومى ثم على لوندره ثم وثم الى محل المأمورية ان شاء الله ثم نرجع على طريق برلين عاصمة المانيا الى ويانا عاصمة أوستريا الى تريسته حيث ابتدأنا بعد البحر ثم الى اسكندرية ان شاء الله تعالى وله المشيئة وبيده الملك واليه مرجع الامر كله سبحانه وتعالى أقول هذا خضوعا لعزته وقدرته ورجوعا اليه وبراءة من كل حول وقوة سوى حوله وقوته لا تعريفا بالعارف وغاية الرجاء إمدادنا بالدعاء منكم ومن حضرة الاستاذ الوالد حفظه الله وأبقاه ومنى ومن حسيبه أمين بيك مزيد السلام لحضرته وحضرتكم والانجال الكرام ما ١٨ ذى القعده سنة ١٣٠٦

سيدى

أرسل مع البوستة نسخة من كتاب كنت كاتبت به حضرتكم من بعلبك وكان

السبب فى تعدد نسخه أن لى صاحبا قديما ومحبا حميما لابد أن تكونوا سمعتم به من صاحبنا السيد العبيسى حرسه الله وهذا الصديق هو أحمد أفندى الفحماوى من أهل نابلس حفظه الله فاتفق أن زارنى مرة على عادته وكنت أقلب فى بعض أوراق وجد فيها بالمصادفة مسودة ذلك الكتاب فاطلع عليها وأفرط فى استحسانه وتقريظه لما ذكرت من المحبة بينى وبينه والمحبة كالمنظرة المعظمة تبدى الحقير عظيما والصغير جسيما وغاية الامر أنه طلبه لاخذ نسخة فأجبت وحمله فرط استحسانه على أن كتب منه عدة نسخ أهداها لخواص أصحابه ثم تكرر الطلب فطبع منه على مطبعة الحجر بخطه نحو المائة أو المائتين وأرسل لى نحو الثلاثين فلما رأيت ذلك وان لم يكن على خاطرى من قبل لزمنى أن أبعث منها لحضرتكم وها أنا مرسل اليوم أو غدا ما أجد قد بقى عندى من نسخه وهذه حقيقة الحال

وكتب اليه

بسم الله الرحمن الرحيم

أجزل الله العظيم بفضله العميم لحضرة الاخوية من التحية والتسليم أجزل ما حيا به الاخ الكريم عن الاخ الحميم ولازال مشكور الفضل والافضال مأهول رحاب الجلال والجمال محروس الكمال فائزا بنوال الآمال ونشكر اليك من فضل مولانا الكريم المفضال الكبير المتعال نعما سائغة الزلال سابغة الاذيال شاملة للاحبة والآل من أحاسن محاسنها وأيامن ميامنها الاطمئنان على سلامتك أيها الاخ الماجد وعلى سلامة حضرة الاستاذ السيد الوالد وقد ورد الكتابان الاعزان السارّان الابران شكر الله الهمة والاخاء ولاعدمنا هذا الوفاء والاحتفاء ونظن ظنا قريبا من التحقيق أن لابد قد سقط بعض مكاتبات هذا الجانب فى أثناء الطريق وكيف كان فالصفح مأمول والعذر لدى الكرام مقبول ولقد ساءنا ما شكوت أيها الاخ من رمد وقى الله شره وصرف ضره وأجزل عليه أجره وأتم بالخير أمره أدام الله بعده العافية ضافية والنعمة وافية صافية وجعل الاخبار عن تلك الناحية دائما سارة والنعمة فى أرجائها المباركة مستمرة قارة

هذا وكتاب الحدائق الذى هو أثر فيض ذلك الطبع قد سلم من مدة الى احدى المطابع لغرض الطبع ويوشك إن شاء الله بآثار تلك الاسرار أن تصبح تلك الحدائق بادية الانوار زاهية الازهار دانية قطوف الثمار ومنا لحضرة الاستاذ الوالد جزيل التحية راجين دوام توجهاته القلبية ودعواته الخيرية ودام ودمتم لنفع العباد فائزين بأتم ما يراد ما ٤ غرة رجب سنة ١٣٠٧

وكتب

وكتب اليه عن لسان سعادة الامير أحمد طلعت باشا

باسم الله والحمد لله

حيا الله تعالى حي ذلك المقام تحية الاكرام ولا برحت بهجته السنية على مدى الايام خالدية الدوام وتقبل الله صوم هذا الشهر المبرور مضاعف الاجور وأعاده عليكم أمثاله باليمن والسرور مستتبعة مواسم الحضور ومقاسم الحبور ولازالت تجرى الخيرات على يديكم وتسرى البركات منكم واليكم وبعد فلما كان طبع كتاب البهجة السنية فى اداب الطريقة الخالدية النقشبندية قد اتسق بدر تمامه وعبق نشر ختامه ولم يبق الآن يشرق على المستفيد نور طالعه السعيد وتجتلى سناه الانظار المتشوفة تشوف الصائم الى هلال العيد لاجرم استبقينا بقدر الكفاية من نسخ الكتاب ووزعنا بعضها على بعض الاحباب والطلاب وبعثنا بخمسمائة نسخة منه فى داخل صندوق الى حضرة الماجد الكريم سعد الله بيك حلابه من أكابر تجار الاسكندريه وحررنا فى هذا التاريخ الى حضرته ابرسلها بمعرفته الى ساحتها كم المحمية لتكون تحت تعلق نظركم السديد وتصرف أمركم الرشيد فالمأمول عند وصولها التكرم بقبولها والتفضل على بما أرجوه من صالح الدعوات فى الخلوات والجلوات والله سبحانه يمتعنا بأنوار الافضال ولا يحرمنا من أنظار أهل الكمال ٩ رمضان سنة ١٣٠٣

وكتب اليه عن لسان سعادة الامير المشار اليه أيضا

حضرة الفاضل الجليل الفضائل والكامل النبيل الشمائل مظهر التجلى الاقدس ومصدر الفيض الانفس الاخ فى الله لازالت العناية ناظرة اليه وسلام الله تعالى وبركاته عليه وبعد فقد حظيت بنميقة التهنئة بالعيد السعيد وتلاها رقيم التهنئة بالعام الجديد أدام الله لذلك الجناب محاسن التهانى وبلغه أحاسن الآمال والامانى ولا برحت أيامه مواسم حظ وسرور وأعوام مغانم حضور وحبور وقد تضمن كلاهما من حسن احتفائه وقيامه بحقوق اخائه ما جعل القلب رهين منته واللسان قرين محمدته والناظر قرير وداده ومحبته واغتنمت من خير دعائه ما اعتقدته حرزا وذخرا وسألت الله سبحانه أن يجزل له به ثوابا وأجرا ورجائى من كرم الشيم المستطابه أن يدوم اغتباطى بما تعودت من تلك الدعوات المجابه موصولا بتواصل هذه الرسائل البارة مشحونة بمحاسن أخباره السارة وأهنئ المقام الاخوى بالعام الجديد والقادم السعيد أعاد الله عليه من أمثاله بقدر ما يرضاه ممتعا بشهوده ومحبته ورضاه ومثل ذلك للاستاذ الوالد حفظه الله وأبقاه

محرم سنة ٣٠٤

وكتب اليه عن لسانه أيضا

بعد تقديم تحية الاخوة الوديه خالطها عاطر شميم الحدائق الورديه أسأل عن المزاج الشريف أدام الله صفاءه واعتداله مخلص الدعاء للجناب المنيف حرس الله بهاءه وكماله وأبقاه للمعارف والعوارف بهجة لحدائقها ناضره وللمكارم والاكارم بهجة لحقائقها ناصره ولرجال الطريق العليه الخالدية ردأ وعونا وكم تشكر لهمته رجال هذه العائلة الزكية آباوابنا ولقد سرني ما بشرني به الكتاب الوارد من استكمال الكتاب الجم الفوائد العذب الموارد الذي صرفت أيها الاخ في الله أجزل الله وشكرك العناية الى تأليفه وتصنيفه في تراجم رجال السلسلة المباركة الخالدية وسميته عند تمامه مؤرخا لاتمامه (الحدائق الوردية في حقائق أجلاء النقشبندية) ووعدت أنجز الله وعدك من إفضاله بارساله حين انتهاء التبييض لمدى كماله واني وكل من علم بحاله ولو على اجماله لفي شوق لوصاله واجتلاء نور جماله وحبذا لو أن صاحب الكتاب مصاحبه وان غواص الدر جالبه لنشاهد مجمع البحرين ومطلع النيرين ونقتطف الثمره من الشجره ونغترف الماء من الدأماء ولكن ما حصل الاعتذار به من القيام بخدمة الاستاذ الوالد الهمام عذر مقبول بل أمر محتوم وكلنا رضاءه وراحته نروم على أن القلوب متواصله والجمعية حاصله وان تناءت الجسوم والله أسأل أن لا يحرمنا الاجتماع في حرم أنسه وحظائر قدسه وحضرات تنزلاته وتجليات ذاته وصفاته وأشكر لذلك الجناب ما عطف على هذا الكتاب من عنان عنايته مهنئاله بما وهبه المنعم الوهاب من حسن توفيقه لمثل هذا من مقاصد الثواب وهدايته وأهنيه بشهر الصيام المبارك الايام أجزل الله له الفضل والبذل به حلا وراحلا ثم بالعيد بعده آتيا وماضيا وبالعام الجديد آيبا وذاهبا يستقبل ويشيع ويؤهل ويودع من أمثالها وأمثال أمثالها عددا عديدا وزمنا مديدا يكون له كله سعيدا وكل يوم من أيامه عيدا أماما ألم به حفظه الله من العتب والملام وان لم يخل عن مبالغة شعرية بذكر الاعوام فهو فضل مقبول وفضل مبذول نشكره عليه ونعتذر اليه وكان من العذر توزع البال وكثرة الاشتغال بالحط والترحال والسفر والانتقال بين الصعيد والجهة البحرية الى مواضع الزراعة الخصوصية لمناظرة عمالها وأعمالها ومباشرة أشغالها وأحوالها على أن مواصلة القلوب كما أسلفنا موجوده وممازجة النفوس حاصلة غير مفقودة ولا مجحوده والشاهد على علائق القلوب ليس من ضروري المطلوب اذ لا حاجة لبينة أو عين فالمدعي لا عين والمطالب أمين والامر يقين

والدعاوى هنا فيها أقضيتها وشهادة القلوب معها تزكيتها وطلب كلا المتداعيين لدى صاحبه مقبول وحكم الواحد على الآخر نافذ مفعول وأمر الاغضاء عن هفوات الاخلاء لاسيما عند الاجلاء مأمول هذا وأرجو ابلاغ حضرة الاستاذ الجليل الوالد النبيل تحية التجبيل مع رسوم التبريك والتهانى أدام الله عليكما وكل من ينتمى اليكما ظلال المنن وبلوغ الامانى بمنه وعونه م ٩٦ ٢٨ رمضان سنة ٣٠٥

وكتب اليه عن لسان المشار اليه أيضا

حيا الله حضرة الاخ الماجد خير التحيات العاطرات وأفاض على محيه الكريم من الخير والبركات غيوث الحيا الهاطلات وشكر له عن أخيه من دوام تذكره ما ليس يحسن أن يقوم بواجب تشكره وقد وافانى كتابه على عادة لطفه مشحونا بمآثر عطفه مهنئا بشهر الصوم هنأ الله أخى أجره موفورا وأعاد عليه العدد الكثير من أمثاله مسرورا محبوّا محبورا وبلغه العيد السعيد يستقبل أمثاله أعواما ويستجدّه ويخلقه عاما فعاما ولقاه التهانى وبلغه الامانى دواما وأرجو من كرم تلك الشيم الاخوية حرسها الله تبليغ تشكراتى وأشواقى لحضرة الاستاذ الوالد دام علاه مصحوبة بتحية الاجلال والاجلال مستمرا ما عوّدت من كمال الخلال وخلال الكمال

وكتب اليه عن لسانه أيضا

أخص الحضرة الاخويه بنفحات الحقائق الورديه من عواطر التحايا الوديه وأحمد الله سبحانه على الصحة كاملة شامله والنعمة حاصلة واصله وأسأل عن خاطرك أيها الاخ فى الله أدام الله لك العافية واقية وافيه والنعمة ضافية صافيه ووافانى الكتاب العزيز فعسر علىّ ما تضمن من انحراف كان قد ألمّ بالصحة وقى الله شره وصرف ضره وضاعف عليه أجره ولا أرى الاخ بعده إلا ما سرّه ووصل كتاب الحدائق الورديه فسرحت الطرف منه فى حدائق حقائق وروضة شقائق ومجموعة رقائق تتناهى دونها الاوصاف ويعجز عن وصفها الوصاف والحق الانصاف وسأتخذه ذخرا أتبرك بوجوده وأتيمن بسعوده وأترقب الفرصة ان شاء الله لنشره وتضوّع نشره والله غالب على أمره وماذكر من فترة المراسلة فى البين وان كان أمرا مشتركا بين الجانبين الا أن التقصير من هذا الجانب أكثر وكرم تلك الشيم بالصفح الجميل أكبر والود على كل حال ظاهر معلوم وهو لمرآة تلك السريرة المستنيرة بنور الله أظهر جزى الله الاخ عن صفاء وده ووفاء عهده أحسن الجزاء وهنأه نعمة الشفاء مصونة من جميع الأدواء والاسواء مقرونة بدوام النعماء وسلامى على الاستاذ الوالد نخبة السادة الاماجد أبقاه الله ممتعا بالانجال مسرورا بالاقبال آمين م ٩٦ ١٩ ذو القعدة سنة ٣٠٦

مكاتباته

لحضرة الفاضل على بيك فهمى رفاعة وكيل نظارة المعارف المصرية سابقا

كتب الى حضرة الاخ الفاضل على بيك فهمى رفاعة وكيل نظارة المعارف المصرية سابقا

باسم الله تعالى وبحمده الى سيدى الاخ أدام الله حراسة مجده
قد كنا أيها الاخ البار من قبل أن يرد كتابك السار فى اتفاق متين مع أخيك الامين على الذهاب الى الذهبية فى الصباح لننادم حضرتك على الاصطباح بماء النيل لا الراح ونشرب الحلو من أكواب ملاح ولكن مع هذا كانت النية من الاول أن يكون على رأى حضرة الرئيس المعوّل فقد اعتاد أن يأمر واعتدنا أن نمتثل والعادة كالطبع أمر غير منتقل وسنتوجه اليه ان شاء الله مباكرين ونستصحبه الى ساحة حضرتك النضرة مبادرين فان نشطت لموافاتنا عنده لرؤية الكتب الموجودة لديه والمضى من هناك الى الموضع الذى يستقر قراره عليه فذاك والا سبقنا اليك ان تأخرت وليكن حضورك من جهة طريق الفجالة اذا حضرت لئلا تختلف بنا الطريق والله سبحانه ولى التوفيق

وكتب اليه

سلام الله على سيدى الاخ الماجد كثير المحامد حفظه الله وسلمه وأدام عليه أنعمه

وبعد فقد حظيت بكتابك السار أيها الاخ البار فلو كشف لك وما هو ببعيد من السلالة الهاشمية أنى يوم تحريرك له كنت مشغول القلب بتذكارك متشوقا لاستطلاع أخبارك متشوقا لرؤيتك مستوحشا لفرقتك لحققت أن القلوب متواصلة والمزار بعيد ومتراسلة ولا منة للبريد وقد سرنى كتابك أيها الاخ لجهات شتى لا أقول أخصها خطورى بخاطرك العزيز لما علم من أن هذا حد مشترك بين الطرفين ولكنه صادف الامنية ووافق البغية فعظم وقعه وبشرنى والحمد لله بصحتك وراحتك فتم نفعه فبورك من كتاب برّ وسرّ وأفاد وأجاد وبوركت يد حررته وفكرة حبرته وهمة أصدرته ولا زلت مغتبطا بوفائك مبتهجا بحسن احتفائك هذا وانى عقب ارتحالك صحبك الله بالسلامة فى سفرك وبالبركة والنعمة فى حضرك

منيت

منيت بخراج أدهى من فتنة الخوارج وأخبث من شر شيطان مارج لولا أني اعتصمت في ليل شدته بسورة الفجر وتلوت سورتي الفتح والعصر حتى استأنست منه ببعض الملاينة ولم أزل الى الآن في إسارة هذا الخارجي اللعين أعامله بالمداهنة وأسأل الله أن يحسم شره ويكفينا أمره أما حامد خلالك ورفيقه فقد اتفق سفرهما للفسحة الى بعض جهات الريف من قبل ورود كتابك الشريف والامين يهدي مزيد السلام ويشكو لاعج شوقه على الدوام

وكتب اليه عمار خاو كان قد أهداه ديكا

سلام الله على سيدي الاخ والاخ السيد أدام الله سلامته وكرامته

وبعد فقد حصل من الأنس بما وصل من ديك الأنس ما يقصر عن بيانه ديك الجن كما يقصر في صفته من الحسن ولو رآه ديك الجن لانتفخ مرحا أو ابن عصفور لطار فرقا أو فرحا أو ابن قلاقس لانتهى اليه أو الخبز أرزي لاحتوى عليه ولكن لا أدري لم اختلفت به الاحساب وتدافعته الانساب فترى الناس في مصر يسمونه روميا وفي بلاد الروم يسمونه مصريا والافرنج يسمونه هنديا ولعل أهل الهند يسمونه بالطيا وكأنه هو عيل لهذا الاخير حتى انه اذا ذكر له غراب مالطة يقيم التكبير وقد تردى من سواد اللباس شعار بني العباس وامتاز عن ذوات نوعه على العموم بما فيه من صفة الخرطوم فان لم يأتني في حقيقة حسبه ونسبه بالخبر اليقين لاعذبنه (بالجوع) عذابا شديدا أو لأذبحنه أو ليأتيني بسلطان مبين هذا ولا بد أن قد صار في علم أخي الامجد خبر مصير المرحوم سلطان باشا الى دار الخلد السرمد وأحب أن آتي مأتمه في ليلة الجمعة الحاضرة قياما بحقوق ما كان من المودة الغابرة والناضرة وأود أن يشرفني سيدي لهذا المطلوب وأن يكون تشريفه في هذا اليوم قبل الغروب وأقسم ان سمحت همته بهذا المرغوب ليجدن من العدس الصعيدي والارز الرشيدي والعنب الفيومي والبطيخ الشامي ما يأتلف الآكلون به ولا يختلف القائلون في نسبه وغاية الكلام ها أنا في الانتظار والسلام

وكتب اليه

أيها السيد الأخ

حيا الله طلعتك ولا حرمني طلعتك مضى لي في بهتيم أيام قليلة وان كانت طويلة فهي كالخط طول بلا عرض ولا سمك وقد انقطعت الاخبار عني حتى لا أدري أأنا على الفلك أم على الفلك وذكرت بما ذكرت قول الرئيس ابن سينا في جوابه لبعض أصحابه وقد قال له أراك منهمكا على اللذات مسرفا في الشهوات وأنت أعلم

الناس عما لذلك من الآفات في تقصير أمد الحياه وتقريب مسافة الوفاه قال نعم إني أعلم ما تقول وفوق الذي تقول وإنما أريد حياة عريضة وان لم تكن ذات طول وهذه الايام على عكس ما رام كما قلت

تمنى ابن سينا قبل يوم حمامه ... وما كل من رام المرام ينال
حياة باحيان السرور عريضة ... وان نقصت في الطول فهو كمال
وقد جاءت الايام في عكس ما اشتهى ... قليلة ذات العرض وهي طوال

على أني في بهتيم أقصر طولها بمطالعة كتب الزراعه ومراجعة بعض من أراه من أهل هذه الصناعه فانا من الكتب والقوم بين صامت يفضل ويجمل ويفصل ويحمل ويقنع السائل ويقيم الدلائل على المسائل وناطق غير عاقل لا يُفهم سامعا ولا يَفهم من قائل حرت في الامر وصرت متردد الفكر أقول أهذا الحيوان الناطق هو الانسان أم تعريف هذا النوع بذلك الجنس والفصل من غلط أهل الميزان كما أن تعريفهم له ببادى البشرة الماشي على قدميه كان قد صدق على الديك المنتوف قبل ما زادوه عليه وضموه اليه وهذا ناطق لا كالناطق وحيوان لا كالحيوان مقحم في نوع الانسان والحاصل أني اشتهيت أن أرى واحدا من ذلك النوع الشريف لغرض أن أقابل عليه التعريف وأريه هذا الحيوان ليطلع عليه ويحكم معي فيه فيما انسبه اليه فأعزم عليك أيها الفاضل والانسان الكامل أن توافيني هذا الاسبوع يوم الجمعة القابل لعلي أتوصل الى ازاحة هذه الشبهة القائمه وأعود معك بعد ذلك الى العاصمه ففيها من ذلك النوع العالي فيما يقال شيء كثير وان لم يكن فيما عهدت غير نزر يسير وأيا كان فلا أحب أن أساكنه في مسكن حتى أعرف تعريفه ما أمكن فان من جهل شيأ عاداه وعلمي بالشيء خير من جهلي اياه وقد قال الزجال

ان كان عذولي شبهك بالهلال ... يا بدر من لا يعرفك يجهلك

وقد قال بعض أهل النظر كن ممن لا تعرف على حذر فاجعل العيان بيانا وذاتك الشريفة برهانا فان البيان دون العيان ورؤية البصر فوق الحجة والنظر ثم يوصل البرهان لليقين ويأتي بالحق المبين

ولكن للعيان لطيف معنى ... له سأل المعاينة الكليم

فعجل أيدك الله بالحضور غير مأمور وليصحبك صاحبنا الدكتور لتمام الحبور فاني أرى أنه من النوع المذكور ولا بأس بتعدد المثال لاسيما في مثل هذه الحال من مواضع الاشكال على أني لا أتكلف لكم في القرى تعبا ولا أكلفكما أن تقولا

آتناغداء فالقد لقينا من سفرنا هذا نصبا فالأدم الذى اشترطته لنفسى فى رمضان متيسر والبارد من الماء وغيره الآن غير متعذر ولا متعسر والمثل الذى كنت به تمثلت عن حضرة الدكتور قد نقلت وطريق العربية اليوم شارع لا يرى فيه ان شاء الله مانع وأنا فى الانتظار لليوم المذكور وبالله تعالى التوفيق فى جميع الامور

ومن بعض كتاب اليه

سلام الله عليك وحواليك وعلى أحب قومك اليك وقد حظيت برقيم بنانك المشرق بنور بيانك فكان أول ما سرّنى منه ما بشرنى به من تقدم صحة السيدة الكريمة أجزل الله من العافية حظها وتولى بحسن الرعاية والعناية حفظها ولقد كنت لهذه البشارة متشوقا ولتأخر ورودها الى حين وفودها قلقا فوردت مورد الماء من ذى الغله والشفاء من ذى العله فأعظمت بها البر وأوجبت على الشكر ثم أخذت أيدك الله تستنهضنى مع أخيك الامين وصديقنا الحبيب الطبيب لزيارتك فى طهطا حرسها الله وتصف ما بها من قصب السكر وزهر الفول الاخضر ومالها من حسن الرواء والمنظر وطيب الخبر والمخبر متصرفا فى أفانين[1] البراعة تصرف المليّ متقلبا فى أفانين[2] الخلاعة تقلب الخلي فتطولت بما أطلت ولو اقتصرت ما قصرت فان لنا جميعا من الانس بك والشغف بقربك ما يكفى وحده باعثا وداعيا مستحثا للعاول بحضرتك واغتنام مسايرتك ومسامرتك أين وجد جنابك وفى حيث حل ركابك

وكتب اليه

سيدى الاخ

مرحبا بك وأهلا وسهلا ثم مرحبا بكتابك وما فيه من البشرى بإيابك بعد طول غيابك وبانعطاف خاطر جنابك الى حظوة هذه الجهة بحلول ركابك مع أعز أحبابى وأحبابك عامر رحابك وحبذا البشرى ونعم الامل لو صحب العزم الجزم وتبع القول العمل ثم مرحبا بعذرك فى تأخير المجاوبة عن سابقة المكاتبة لفقته تلفيقا ونمقته تنميقا وابتدعت له فى مناهج البلاغة طريقا أردت به أن لا تدع فيه مطمعا للباحث ولا مطمحا للعبث عابث فصيرته لا يعرف رأسه من ذنبه

(١) أحاديث (٢) أفانين الخلاعة من اضافة المشبه به للمشبه أى الخلاعة المشبهة بالافانين أى الغصون اهـ .

ولا جدّه من لعبه فهلاً أيها الاخ السيد مهلاً فلو تأملت لوجدت الخطب سهلا ان لدىّ من حبك والشغف بك والمسارعة الى هواك وايثارك على سواك ما يدعونى أن أقبل عذرك على علاته فى جميع حالاته وأطويه على غره ولا أكشف عن سره ولا أزحزح عنه من ستره ولا أمسه بيد مناقشة تعكر ماءه وتكدر صفاءه بل أتناوله صفوا وأستسيغه حسوا حتى لو نسبت الىّ أمر التأخير وجلت علىّ وزر التقصير لما رأيتنى منازعا ولا ألفيتنى الا مطاوعا لا سيما والاجدر بى أن أتلقف حتى أحظى بزيارتك على ما فى ملامح اشارتك وصريح عبارتك فذلك بى أوفق وأحرى ثم أدع المناقشة الى مرة أخرى ولا شكر فى بلادنا هذه على من عاق ومن لم يكن ذلك من خلقه تشبه أو تخلق

تملق يا نفس فى مصر ولا تخلقى
أما رأيت نيلها يشالها بالملق

وعلى هذا الآن نقتصر ونطوى ذيول الاطالة هنا ونختصر وننتقل بالمقال الى غير هذا الكلام كمسئلة طول المقام « فى طهطا » كل هذه الايام والنسيان أو التناسى لاصحابك الخواص فضلا عن العوام وكم فى ذلك من احتمال وما كل ما يعلم يقال ولعل من أسبابه وناهيك أنك استطبت مطعم طاهيك

وماذقته غير ظنى به وبالظن يقضى على ما اكتتم

فأردت أن تستبد به فى الجهة القبلية متفردا وتبتعد عن أصحابك البحريين صائما مفطرا معيدا وهذا الباب أيضا يحسن الآن أن ندعه ولا نوسعه حتى نجد فيه مكان القول ذا سعة لئلا نكون ممن عادتهم فى مسالك الخلاعة اذا أبصروا خرقا أحبوا اتساعه بقى علينا توفية العبارة فى قضية الزيارة فنقول ما الذى أوجب أيها الاخ ان صح عزمك ترددك أيدك الله وأسعدك وقوى فى العزيمة يدك وأنت تعلم ما عند أخيك من الشوق اليك بالقياس على ما عندك قياسا تؤيده الفراسة الاسلامية وتؤكده الكياسة الهاشمية وتعهده الصحبة الادبية والنخوة العربية والمحبة القوية والصحبة القويمة السوية ولا بد أن يكون قد أخبرك الاخ الدكتور بما كان يدور بيننا من مراجعة المقال فى هذا المجال ومجاذبة حبال الآمال على تطاول الايام والليال وتداول الاحوال حالا بعد حال فهل من عذر تلفقه لجواب هذا السؤال وتأويل تتمحله لحل الاشكال اللهم لا عذر الا ما كان من وعثاء السفر وطول الغيبة عن المقر وهو عذر يعتذر به ويتنصل ويقابل بالتسليم والرضا ويقبل الا ان جريت أيدك الله على سننك الاقوم من طلب الغاية فى كرم الشيم وعدم رؤية

الكفاية فمادون النهاية من شمم الهمم وطالما والله ذكرتك على شاطئ بحر موس وما أدراك ماهو هو ترعة لم أر ماءها أعلاها أو يدانيها في أرض مصر بجميع نواحيها من أول رشيدها الى آخر صعيدها لطف منظر وظرف مخبر نعم كنت أتذكرك ويشوقني تذكرك وأحب أن تساهمني غنة السهر والسمر على وجه الماء ومنظر القمر قبل أن ينقص قدر الماء ويعبس بغيبة القمر وجه السماء نعم كنت أتشوق وأتوق وأرى دون أمل المشوق اصطياد الأنوق وارتياد تناول العيوق فالحمد لله الذي قرب البعيد ويسر الامل السعيد والبحر بحاله والبدر في كماله والجو رائق والوقت موافق والحر قد انكسرت حدته والبرد لم تأت مدته والمحلات موجودة بقدر اللزوم وفوق اللزوم وهي وان لم تكن مثل التي رأينا في طهطا فليست دون التي نزلناها في الفيوم والموسم الآن موسم الذرة شيا وأكلا شهيا وثمر النخل أحمر وأصفر ورطبا جنيا والقطن يزهو بحسن منظره في أخضره وأبيضه وأصفره وطالما تشوقت أيضا بشاطئ هذا البحر الانيق حضور حضرة دكتورنا الصديق بل أخينا الشفيق الشفيق ولكن كنت أرى انفراده في هذا السفر وهو براه السفر البعيد أبعد من حضورك أيها الاخ من أقاصي الصعيد وقد وجد والحمد لله من يرافقه ويوافقه وينهضه ويحرضه ويحدثه ويستحثه فالحمد لله الذي جمع شمل الامل وسهل مالم يكن في المحتمل فهلم أيها الاخ لانجاز وعدك ولا تطل على مسافة بعدك واعمل في استصحاب الدكتور غاية جهدك وكفى مامضى ولعل أمد البعاد انقضى ولا تجمع على أخيك بين مرارة الاصطبار وحرارة الانتظار فعيني الى الطريق حتى أرى لمع نوركما وأذني الى جهة الوابور حتى أسمع خبر حضوركما وكنت أود أن أزيد في الاسهاب وأمد أطناب الاطناب الى أن حضر فلان خديمك أو عبدك الرقيق وان شئت قل العتيق يتعجل التوجه الى الزقازيق ليسلم الجواب الى البوسطة في أثناء الطريق فقطع على طريق الكلم وأخذ بعنان القلم فتعين أن أقطع الكلام وأختم بالتحية والسلام ما ١٦ محرم سنة ٣٠٥

وكتب اليه

أيها السيد الاخ

سلام الله عليك وتحياته ونعماه وبركاته وبعد فاني أحمد اليك الله جل اسمه على ماتوالت به نعمه وترادف به كرمه وحظيت بالرقيم الكريم الوارد على تشوق اليه وتشوف له واستبطاء لوروده واشتغال بال بسبب تأخره حتى أزمعت التحرير أستعلم أسباب التأخير فلما ورد هذا الكتاب والحال ماذكرت وقع موقع الماء الناقع للغلة

والدواء النافع لذى العلة فكفى وشفى ووفى وكان سرورى عا يسره الله سبحانه لحضرة سميك الاستاذ من الشفاء العاجل مكافئا التأثرى عا كان قد ألم بجنابه (حماه الله) من الالم الزائل وكذا ما يتعلق بالمنزل العامر حرسه الله من الادواء وباعد عنه جميع الاسواء فالحمد لله على ما لطف فيما قدّر ولا أرى من نحب الاما سر لا ما كدّر وكنت بعد عودتكم بالسلامة الى مصر أصبت بألم فى الجنب والرأس والفم استمر أياما وأمرّ عيشى إيلاما ثم منّ الله وأنعم بشفاء السقم وزوال الالم وقد انتفعت فى أثنائه بالادهان بالافيون منضجا فى الليمون والتغرغر بمغلى المر وقشور الخشخاش ممتزجا باليسير النزر من صبغة الافيون وهو علاج استنبطته بالتقريب من سوابق التجريب واستخرجته من بقايا الدواليب اثنائى الصيدلانى والطبيب فوجدته سريع الاثر جيد المغبة والخبر مع تكرر استعمال المعرّقات وترك التعرض لبرد الهواء فى جميع الاوقات فبلغوا حضرة الدكتور الرئيس الماجد أنى صرت بعده طبيبا وصيدلانيا معا أو (كما يقول أصحابنا المتفرنجون) فى آن واحد وما أظنه والله يحرسه يرى عجيبا أن يكون مثلى فى مثل تلك حوين طبيبا وقد قال السعدى فى كتاب كلستان أنا يوسف ولكن لا فى كنعان وصانع نحل ولكن لا فى البستان وكذا أنا صرت طبيبا ولكن لا فى مصر وصيدلانيا ولكن لا فى القصر فلن يرى منى مزاحما فى الصناعة ولا مساهما فى البضاعة الا اذا جمعتنا القرى فهنالك يرى ولو لم تشغله ادارة عمارة الفعاله ونظارة من بها من الشغاله عن تعرّف ما كنت عليه فى تلك الحاله وأنا أجد مضغ الخبز اللين أمر اليس بالسهل الهين وأقاسى من أكل الثريد ما يعانيه من عضغ الجريد وأفزع الى المهلبية لطراوتها فتتألم الاسنان من حلاوتها فالحلو على الاسنان المتألمة ضرّ وألمه فى الفم مر أذاب الى ورق لحالى ولكن الله رأف ولطف وخفف وأسعف ما ١٦ صفر سنة ٣٠٥

وكتب اليه بعد الديباجة

الحمد لله على السلامة قدمت مقدم الكرامة ورحبت الدار وقرب المزار وقرت عيون الاخلاء وسرت قلوب الاجلاء وصاحبك الانس قادما والاقبال ملازما ووددت وحياتك ومحاسن اياتك لو هززت الى رحابك قادمة جناح أو امتطيت الى جنابك نسمة صباح فتعت نفسا تنافس فى قربك وقلبا يتقلب فى حبك وناظرا ينتظر لقيالك واجتلاء نور محياك لولا شغل أخرت ضرورته المرتجى وجعلت الباب دونه الآن مرتجا (ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين) ولقد سرنى كتابك واردا فرحبت به وافدا ومتعت الطرف فى محاسنه مشاهدا وجعلته على

حسن

حسن وفائك أيها الاخ شاهدا لاعدمت اخاءك ولا حرمت وفاءك وزاد سروري خلو أشغالك الحالية كما ذكرت عن الرهن والاستدانة وأسأل الله سبحانه أن يتولاني واياك بالتوفيق والاعانة وأن يقرب لنا كل ما نتمناه ويباعدنا بحوله وطوله عن كل ما لا يرضاه وبودي لو عرفت هل صرفت النظر عن الشغل الاول الذي كان ببالك خطر ورأينا الدخول فيه وقانا الله واياك السوء ذا ضرر وخطر فتقرر استبداله الآن بما تذكر من الاشغال أم تلك حال انقضت وتمت وهذه حال

أيها الاخ الابر مثل ذلك الامر المر والخطب النكر قد تلجئ الضرورة اليه العاقل الحر بحكم الجبر والقسر والغصب والقهر وهو يتضجر به تبرما ويتململ منه تألما أما السعي وراءه بالطوع والاختيار من غير الجاء شدة الحاجة والاضطرار فذلك مما يأباه مثل نفسك الابية وشمم شيمك الشريفة العربية والله المسؤل في أن يلهمني واياك الصواب ويسهل لنا بقوته ومنته الصعاب ويفتح لنا خير الباب وهو الكريم الوهاب

وأما صاحبنا الدكتور أرشدني الله وإياه للرشاد وسلك بنا في مناهج رضاه سبل السداد فقد جرى لي معه العجيب الغريب مما ليس له في ضروبه ضريب وكان بدا لي أن أسبل على هذا الحديث سترا ولا أبدي فيه أمرا حتى أحدث لك منه ذكرا اذ لم أحط به خبرا ثم أزمعت أن أطويه طيا وأجعله نسيا منسيا الى أن هاجني ما ذكرت من اجتناء ثمر السمر واجتذاب أهداب الآداب في العشيات والبكر ورأيته سلمه الله قد أعاد في كتابك ذكر ما أبدى ونشر طي ما كان قد ألحم وأسدى فأخذت أتردد بين اصرار على الاضمار أو عدول الى اظهار ما وراء الاستار ثم ذكرت أن من حقوق الوداد أن لا أخفي عنك أعزك الله بعض ما يجن الفؤاد فها أنا أورده في الورقة المطوية على هذا مجملا ثم أسرده عند اللقاء ان شاء الله تعالى مفصلا على شريطة أن لا تضمن هذا الحديث كتابا ولا تعيد لي فيه من قبل أن نلتقي خطابا فان فعلت فلن ترى من جهتي عنه ولا عما يكون معه جوابا واكتب ما شئت من غيره مجابا

أرجو تبليغ سلامي للاديب البارع السيد أحمد رافع ولحضرة الدكتور أيضا ان تيقنت أنه لا يستخرج من ألفاظ السلام ما ليس في المرام مما يقضي بالاتهام ويفضي الى الملام كما فعل بغيره من الكلام وعليك الضمان والسلام

٢٦ شوال السنة ٣٠٥

وكتب اليه ثانياً الكتاب المتقدم فقال

ملخص ما أشرت اليه فى الكتاب

ورد لى من صاحبنا أرشدنى الله واياه كتاب ذو أربع صفحات مشحونة كلها بأدق ما أذكر من خطه وأكثره اندماجاً بحيث لا يكاد يظهر منها قدر اصبع من البياض وسأطلعكم عليه ان شاء الله تعالى ابتدأ فيه بعد السلام بقوله تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق وثنى بعد ذلك بتلاوة تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض الى قوله عز وجل ورفع بعضهم درجات وقال على اثر ذلك أجمعت الامة على أن بعض الانبياء أفضل من بعض وعلى أن محمدا صلى الله عليه وسلم أفضل من الكل ولم يذكر لفظة (سيدنا) عند ذكر اسم النبى صلى الله عليه وسلم فى هذا الموضع ولا فى مواضع بعده كثيرة وفى هذا كلام يأتى ثم أخذ فى سرد ما استدل به على تفضيل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى قبيل انتهاء الصحيفة الرابعة فذكر أنه نقل ذلك كله عن الفخر الرازى وانه ما ذكره الا لكثرة الصلاة والسلام على النبى فيه فأحب أن أكون مصليا ومسلما عليه كلما ذكر اسمه صلى الله عليه وسلم الى آخر ما قال فهذا الكلام فى حد ذاته لا يرى فيه ما يبلغ الحد الذى أشرت اليه الا أن له مقدمات يحتاج فى الحكاية اليها ويتوقف فهم سر الشكاية عليها

ذلك أنى جمعنى وصاحبنا سلمه الله مجلس خاص جرى فيه الحديث شجونا والكلام فنونا الى أن جرى تسلسل القول وارتباط بعضه ببعض الى ذكر المدائح النبوية وذكر مادحيه صلى الله عليه وسلم وتفننهم فى المديح حتى أفضت مناسبة الى الافاضة فى ذكر ما وقع لبعضهم من المقارنة بينه صلى الله عليه وسلم وبين غيره من الانبياء المكرمين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فى معرض الفضل والمسلك الذى انتهجه بعضهم من الكلام فى تفضيله عليه الصلاة والسلام فأخذت أمهد القول وأقرره فى هذا المقام وأوردت ما ورد عنه صلى الله عليه وسلم من حديث أنا سيد ولد آدم ونحو ذلك وقلت هذا أمر مسلم لا نزاع فيه ولا دفاع ولم يختلف فيه اثنان الا أن الخوض فى تفضيله على غيره من الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم جميعا يلزم أن لا يكون على وجه يشعر بالاستهانة باحدهم ومخلا بشىء مما يجب من التعظيم والاحترام والادب والاحتشام بالنسبة لجليل مقادرهم عليهم الصلاة والسلام وأوردت قوله صلى الله عليه وسلم لا تفضلونى على يونس بن متى وحكيت ما قال العلماء من أنه ليس المراد أنه غير مفضل عليه بل معناه النهى عن تفضيل يؤدى الى تنقيص المفضول وهكذا استمر الجرى هذا المجرى ثم اجتمعنا فى مجلس بعد هذا واذا به حرسه الله يورد على

بعض

بعض ما جاء فى تفضيل سيدنا النبى صلى الله عليه وسلم وربما كان مما ذكرناه فى المرة السابقة ثم يقول ما تقول فيه فأقول من أى جهة فيقول من جهة الكلام الذى كان فيه فأقول يا أخى لم يقع فى الكلام مماراة فى تفضيله صلى الله عليه وسلم ولا منازعة فيه حتى تعارضنى بهذا وانما كان الكلام فى كيت وكيت وقلنا كذا وكذا وأقول له أنت تعرف الفرق بين قولنا مثلا زيد أفضل من عمرو وبين قولنا أين عمرو من زيد وأين الثرى من الثريا وكم بين أطباق السماء وأعماق الماء ففى مثل هذا من الازراء بعمرو ماليس فى الاول فهذا ونحوه لا أستحسن استعماله فى حق الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم ولا يحسن أن يكون الكلام فى حقهم بالجزاف وكما يجىء بل كما ورد موزونا بميزان الذهب والجوهر لا بميزان الخشب والحجر وأقول له مقصودى ان هذا هو مشربى والذى أراه ولم أرد التعريض بأحد ولا التعرض لما وقع فى كلام بعض الشعراء المشاهير فربما كان بعضهم قد وصل فى فرط المحبة الى درجة أذهلته عما يطلب من التوقى والاحتراس أو كان له مشرب لم نرده ومدرك لم ندركه الى نحو ذلك

ثم نجتمع مرة أخرى فيتكرر السؤال والجواب على هذا المنوال الى أن اجتمعنا أخيرا فى شهر رمضان ووقع مثل ذلك وكانت قد تقدمت أشباه ونظائر كما يأتى فأخذنى الغيظ كل مأخذ وقلت سألتك بالله تعالى هل سمعت منى كلمة واحدة فى انكار تفضيل رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تكرر مثل هذا القول فى معرض المعارضة ان كنت نسيت فذكرنى فكأنه تذكر أن لم يحصل شئ من هذا القبيل فقال لا فقلت وما وجه هذه المعارضة وايراد السؤال بصورة المناقضة فى غير موضع نزاع فاعترف بالخطا واعتذر وتنصل فقلت لا أكتفى بمثل هذا حتى تتعهد لى أن لا تعود لمثله فحصل وذهب ما كان فى نفسى ثم بعد مدة من حضورى الى هذه الجهة جاءنى الكتاب المذكور على وجه ما ذكرت فيا هل ترى ما الذى أفهم منه بعد ما مر أحقيقة هو لقصد الصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم لا غير كما يقول فان كان كذلك فما وجه اختيار هذا الاسلوب بعد ما تقدم من الكلام ولنا من صيغ الصلاة عليه ما ورد عنه صلى الله عليه وسلم فى الصحيح ومنها ما يذكر أنه أفضلها فهى بالضرورة أولى وأعلى لا سيما والكلام قد تكرر فى الافضل ومثل هذا من أنفع ما يعرف فيه الانسان الافضل من المفضول ليعمل بالافضل فيكون من قبيل الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الالباب وان كان المراد أمرا غير الصلاة والسلام عليه صلى الله عليه وسلم أو معه فما هو

هل المراد اقناعى والزامى بأفضليته صلى الله عليه وسلم فان كان كذلك فتى أنكرت هذا وأى كلمة سمعت منى فى انكاره فهذا اجهاد فى غير عدو ومحاجة لغير خصم ومجادلة لغير مخالف وقد كان الكلام فى أوله وأوسطه وآخره فى التصديق بهذا وحصر الانكار والتحذر فى الازراء بمقام أحد أيا كان من الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم وهذا الأزال أنكر عليه أشد النكير واستبشعه واستشنعه وأنكر على ما يراه وأبرأ منه

أم هل يمكن أن يحمل ايراده هذا الكلام على أنه للاستدلال به على جواز التفضيل ولو من غير مجانبة ما يؤدى الى التنقيص والاستهانة ويراد الرد على فيما ذكرته فى هذا المعرض فما أرى صاحبنا ممن يرى ذلك أو يريده أو يقول به حاشاه وحاشا دينه فقد علم حكم الشرع فيمن ينتقص واحدا من الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم

وقبل هذا سبق الكلام فى ذكر لفظ (سيدنا) عند ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى تشهد الصلاة وكان ابتداء الكلام فى ذلك بمنزل حضرتكم بناء على سؤال حضرته عقيب صلاة مغرب أو عشاء لا أتذكر أكنتم حاضريها أم لا فذكرت له أقوال العلماء فى ذلك وأن المشهور فى الكتب الفقهية المتداولة فى الايدى أن ذكر هذه اللفظة أفضل بناء على أن رعاية الادب فوق امتثال الامر لان فيها امتثال الامر وزيادة أى اذا أتينا بهذه اللفظة وهى غير واردة فى الحديث فقد أتينا بالوارد فى لفظ الحديث وزيادة هذه اللفظة التعظيمية الناشئة عن رعاية الادب ومنهم من يلتزم ذكر هذه اللفظة مع غيرها من الالفاظ التعظيمية كثيرا فى غير التشهد ولا يأتى بها فى التشهد اقتصارا على اللفظ الوارد لان الصلاة يراعى فيها من المحافظة على الوارد والاقتصار عليه ما لا يراعى فى غيرها الا ما يذكر من حديث لا تسودونى فى الصلاة فقد قيل انه موضوع لا أصل له الى نحو ذلك مما حضر

ثم أرى صاحبنا بعد مدة يورد على من باب المعارضة بعض النصوص الواردة فى اثبات السيادة له صلى الله عليه وسلم واثبات الافضلية فأقول له ليس الكلام فى هذا فانه مما لا نزاع فيه انما الكلام فى ذكر هذه اللفظة فى تشهد الصلاة خاصة لا فى غيره وقد أعيد القول فيه أو نحو منه

وفى مرة من المرار وكان ذلك بمنزل حضرتكم أيضا قلت له فى هذا المجال أحب أن تسرد على الاذان فابتدأ يسرده الى أن وصل الى قول أشهد أن محمدا رسول الله فقلت له لم لم تقل أشهد أن سيدنا محمدا فقال لان الوارد فى الاذان هكذا فقلت له والذى يقوله من لا يرى ذكرها فى التشهد هو هذا ثم بعد ذلك يعود الاستشكال ويعود

المقال.

المقال في أن ذلك لم يكن المجال وهكذا الى أن جاءت مسألة التفضيل وانتقل اليها القال والقيل

فبالله عليك هل يحسن أن يظن بي أخص اخواني وأخلص خلاني أني أنكر سيادة رسول الله صلى الله عليه وسلم والعياذ بالله سبحانه وتعالى حتى يورد علي مرة بعد مرة في معرض المعارضة والمناقضة بعض النصوص الدالة على ثبوتها وأنا في كل مرة أتنصل وأتبرأ من نفيها فلا يجدي ذلك نفعا ويعود القول رجعا

يا للعجب أخاطب حضرتك وحضرته في مكاتباتي قديما وحديثا بعنوان السيادة (وقد تركت ذلك هذه المرة قصدا لئلا يظن أنه لمعنى) ويظن بي ما يظن فهل أقبل سيادتكما وأستنكف من قبول سيادة سيد ولد آدم صلى الله عليه وسلم أليس هذا بعجيب

ثم أظن أنه لم يتقادم الزمن بحيث ينسيك ما صار في مسئلة المشيئة والجبر والاختيار

فيا أخي اذا كان الكلام في كل مسئلة يثمر هذا الثمر فهل هذا معنى قولك اجتناء ثمر السمر واجتذاب أطراف اختلاف في مشاكل مسائل تؤدي الى اجتلاب ائتلاف بالله دعنا من هذا وخذ بنا في غيره

أما هذا الثمر فقد شبعت من اجتنائه واقتنائه ولمه وشمه وتخمت من كثرة الشبع وزدت على التخم وتبت من الشره والنهم

هذا ثمر أصبح لا يغوص فيه السن ولا يعضغه الضرس ولا يسيغه الحلقوم ولا تهضمه المعدة ولا يشرب عليه الماء ولا يبلع عليه الريق

يا أخي اذا كان صاحبنا قد تغير وتكدر بقدر ما علمت من أجل عبارة ذكرها حضرة السيد الفاضل التقي النقي الشيخ علي الببلاوي وحلف عليها الايمان والاقسام وهو من علمنا دينه أنه لم يرد بها سوأ ثم قال ومع هذا فحيث انها غيرته فانا محقوق ولم يرض صاحبنا مع هذا الا بعد اللتيا والتي وهي كما يقال لا في الدين ولا في العرض أفما ترى أن صاحبه يتكدر من أمر يمس دينه لا سيما اذا تكرر الكلام فيه

نعم لا أنكر أن هذا الامر بتكرره كاد كرغصني ونغصني وغيرني وكدرني ومازج دمي من فرق رأسي الى باطن قدمي حال كوني قصدت الخير والاصلاح والله العليم ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

مكاتباته

لحضرة المرحوم الدكتور محمد بيك عامر
حكيمباشي الجيش المصرى سابقا

كتب الى صديقه الدكتور محمد بيك عامر حكيمباشي الجيش المصرى سابقا مداعبا مستعملا بعض العبارات العامية المشتملة على بعض ألفاظ العوام وأمثالهم

حضرة أخى الاكرم أبقاه الله ووقاه وبلغه كل ماتمناه

أهدى من السلام والتحية لحضرتك بقدر تعطشى لمحاسن رؤيتك وبعد فما فرح الظمآن بالماء البارد وقد زاد الحر وقلت الموارد فاشتد به الظمأ وعدمت المياه ثم أغاثه الله بماء الحياه أشد من فرحى بورود سابق خطابك المبشر بصحة جنابك وقد رويت القلب من عذب زلاله ورشفت صفو الود من خلاله وتمتعت من أحاديثك النواضر بما يثلج الصدور ويجلو النواظر وشكرت الله على وصولك بالسلامه الى جهة مركز الاقامه غير أن ما حكيتموه من حرها وشدة ضرها وشرها قد كدّر فكرى وضاق به صدرى وانضم ذلك الى ألم الفراق وما أجده من لواعج الاشواق فكان قرحا على قرح وجرحا فوق جرح ولكن لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا أسأل الله الذى لا يخيب دعاء راجيه وسائله متوسلا اليه بحبيبه الشفيع المشفع فانه أقرب وسائله أن يجعل ردكم الى مصر سالمين غانمين آمنين ويعيد لنا أوقات الانس فى أحسن حالة آمين هذا وأما الزير والقلل الواردة فقد أخرناها للصيف لان استعمالها فى الشتاء حاجة باردة وقد أوصلنا فلانا حصته على حسب مكاتبتكم وكلنا شربنا على ذكر محبتكم وقرأنا الفاتحة على سبيل النيابة عنكم الى كل ولى لاسيما سيدى أبو شباك وأبو السعود والشيخ القناوى والشيخ القللى وجميع من لهم الزيارة من الابطال الساكنين فى سهول الارض وفى قلل الجبال وقد أرسلنا كتابكم للافندى الموحى اليه ثم قرأنا الكتاب المحرر لنا أيضا عليه وطالبناه بالمجاوبة فوعد بتحرير مكاتبه ثم صرنا نذكره ونستعجله ونفكره وهو يحاول ويسوّف ويحلف ويخلف ويحيل من يوم الى يوم وتارة يعتذر بكثرة السهر وتارة بقلة النوم ومرة بالبرد ومرة بالحر ومرة بالكسل وهو الواقع ونفس الامر وقد كنا سمعنا نقلا عن الجرنالات الافرنجية أن بعض المتريضين فى الديار الهندية تصل به الرياضة الى ترك الشرب والطعام حتى يعيش ألوفا من الاعوام لكن يكون حاله مثل حال الميت فاذا أريد أن يكلم دلكت أعصابه مدة

بالزيت وقياساً على هذا اصرنا ذلك بالزيت أعصاب المومأ اليه ونقرأ بعض ايات مجربة من القرآن الشريف ونتفل عليه ونشممه روح النوشادر وما أشبهه من المنبهات وهلم جرا من مثل هذه الحالات حتى أفاق من الكسل بعض إفاقة وأخذ فى يده بعد كل مشقة قطعة بطاقة وكتب نحو الكلمتين أو الثلاث ثم رماها وقال الغياث الغياث لا يحل لكم من الله أن تتعبونى كل هذا التعب دعونى فى هذا اليوم وأنا فى غد أكتب له مكاتبة تعجب ثم ضرب تلك الورقة فى جيبه وصارت فى علم الله وغيبه وثانى يوم اعتذر بان ولده الصغير مزق تلك الورقة كما شاءت المقادير فسألناه أن يكتب غيرها فقال لا والله هذا كلام فى الزير وهكذا من مثل تلك الاقوال وصار يضرب بالقلة مثل الجمال فتركناه وبعد مدة أيام ذكرناه وأعدنا عليه العمل السابق وكررناه فصار يكتب كل يوم كلمة أو اثنتين حتى كمل الحد الآن نحو سطرين فاذا انتهى ذلك المكتوب نبادر بارساله لكم وفق المطلوب وأما قصة الحمارة ونسلها فقد عرفنا ما كان من اهتمام حضرتكم لأجلها لاسيما فى مادة الولادة واستكمال لوازم النفاس على العادة فاختار أن يسميها ولادة باسم الشاعرة المشهورة صاحبة النوادر والاخبار المأثورة وقد وصلته الحمارة واجتمع شمله بها وجاءه الجحير فى طلبها وهو الان يخطب لها ولم يجد ما يرضاه أن يكون بعلها ولو تراه اذا ركب صهوة ظهرها وجرت كريمته المصونة على أثرها وقد أخذ فى يده العصى وكأنما هو راكب العصى وهى فرس الملك جذيمة الابرش بنت العصية التى قيل فيهما من الامثال السائرة ان العصى من العصية أو كأنه ورث سيدنا سليمان فى الصافنات الجياد أو علا على ظهر النعامة فرس الحارث بن عباد الذى يقول

قربا مربط النعامة منى ... ليس قولى يراد لكن فعالى
قربا مربط النعامة منى ... شاب رأسى وأنكرتنى رجالى
قربا مربط النعامة منى ... للسرى والغدو والآصال
قربا مربط النعامة منى ... لاعتناق الابطال بالابطال
قربا مربط النعامة منى ... كلما هب ريح ذيل الشمال

أو كأنه ركب جناح الغمامه أو بالحرى بغلة أبى دلامه التى يقول فيها قصيدته المشهورة يصف شر خصالها وكيف باعها وأنقذه الله من سوء حالها ومنها يصف مشتريها وكيف انغش فيها

أتانى خائب يستام منى ... عريقا فى الخسارة والضلال
فقال تبيعها قلت ارتبطها ... بحكمك ان بيعى غير غال

فأقبل ضاحكا نحوى سرورا ... وقال أراك سهلا ذا جمال
هلم الى تحاوبى خداعا ... وما يدرى الشقى لمن يخالى
فقلت بأربعين فقال أحسن ... الى فان مثلك ذو سجال
فأترك خمسة منها لعلى ... بمافيه بصير من الخبال

أوكأنما راكب الابجر وقهر فى الحرب عنتر ولسان حاله يقول مالى وللخيل وهذه تنفع بالنهار وبالليل وهى كاتمة الاسرار ومطية الاسفار ومركب الفخر والعليا وزينة الحياة الدنيا وهذه كريمتها اذا كبرت وربعت فى البرسيم وعشرت جاء الخير الكثير وتسابقت عرج الحمير فأبيع بالسعر الحاضر ولا أقبل الثمن الا نقدا على الحافر حتى تمتلئ الخرابة بالدرهم والدينار بعد أن كانت أخلى من جوف حمار واذا أسعفت المقادير ونطت عليها الخيل لقلة ما يصلح من الحمير فهنالك تلد البغال وتتسع الآمال ويأتى المال من كل طريق ولا أحد يقدر أن يقول البغل فى الابريق وأستغنى عن بغلة العشر ومثل هذا من الفشر وربما يخطبها حمار المسيخ الدجال رغبة لما فيها من الحسن والجمال وربما تكون دابة الارض من سلالتها وما يدريك أن حمار العزير كان ابن خالتها وقد روى قاص عن رماح بن رفاص (١) أن حمار الحجاج كان لها من خير الازواج وأن بعض جدودها فى سالف الاعصار كان من ملوك بنى أمية يعنى مروان الحمار وأخوالها مذكورة فى حمير الشعراء المشهورة حتى ان عمتها كانت عند ابن المعمار وهو الشاعر المشهور الملقب بالحمار وان الحمار الذى قيل فيه

قد بعت عبدى وحمارى معا ... وصرت لافوقى ولا تحتى

كان ابن عمها والحمير التى قيل فيها

بعت فى مصر حميرى ... برخيص وبغالى

كانت من أقارب أمها والحمار الذى قيل فيه (وقف حمار الشيخ فى العقبة) كان يقرب لها عظم رقبه وهذه الورقة المعلقة فى رقبتها مكتوب فيها بيان أصلها ونسبتها وهى ولادة بنت عاقر بن عقيم بن ذى الحوافر بن برطاع بن نطاط بن دقاق بن نهاق ابن ضراط بن شمام بن ضرغام بن الأدغم بن الاسود بن غطيس بن سقط بن وقيع ابن فطيس بن عتراس بن عنيد بن حرون بن بليد وهكذا تنتهى نسبتها المتينة الى الحمار الذى كان مع سيدنا نوح فى السفينة وفى كتاب اصطبل الأخبار ومربط الآثار للشيخ الفشار أنها معشوقة الحمار الذى كان عند بشار فقد حكى فى بعض

(١) قال لها الصاد مجاراة لكلام العامة والا فهى بالسين من رفس أى ضرب برجله

اخباره

أخباره أنه يوم موت جاره رآه فى النوم عشية ذلك اليوم فقال له لم مت وأحزنتنى عليك وقد كنت من المحسنين اليك فأخبره أنه عشق جارة رآها فمات من فرط هواها وطول جفاها وكثرة مالقيه من الوجد والكمد قال ثم رفع الجار صوته وأنشد

سيدى خذ لى أتانا عند باب الاصفهانى
تيمتنى يوم رحنا بثناياها الحسان
وبغنج ودلال سل جسمى وبرانى
ولها خد أسيل مثل خد الشنفرانى
فلذا مت ولو عشت اذا طال هوانى

فقال لبشار بعض السامعين مامعنى الشنفرانى فقال مايدرينى هذا من غريب حمارى فاذا لقيته فاسأله عنه وخذ علم هذه اللغة منه

وكتب اليه

حضرة سيدى وأخى الاعز سلمه الله وسلام عليه ورحمة الله وورد خطابكم رقيق الحواشى لطيف الغواشى فملأ قلبى مسرة وعينى قرة وصرت كأنى تمتعت بمحيا كم الزاهر وسمعت بالمشافهة حلو حديثكم الباهر فالله يديم لنا ولكم جوده ويبلغ كلامنا ومنكم مقصوده وان سألتم عنى فالحمد لله على الصحة وانتظامها والمسؤل من فضله حسن دوامها وانما يعترينى دائما فى اسكندرية القبض أعنى اغير النقود والامساك أعنى غير امساك الصيام المعهود وغير امساك اليد على مال موجود وانما هو قبض الامعاء وامساك المعدة وبالهام ضيقة وشدة فأنا أستعين على ذلك تارة باللبن الحليب ومرة بالسدلس ويوما بشراب الخرنوب وهكذا على هذا الاسلوب فنسأل الله التسهيل فان القبض فى غير الفضة والذهب ثقيل وقد سمعت من قول الأقدمين المريد لك أمره باللين وقد توجهنا مدينة طنطا منذ أيام وزرنا مقام قطبها الهمام وقرأنا عنكم الفاتحة وخدمنا كم بما تيسر من الدعوات الصالحة ووجدنا بها حكيما تجدد ظهوره وراجت فى المولد أموره وأظنه من فرانسا قد استصحب معه صندوقا فيه بعض أجزاء زعم أن فيها دواء من كل داء وقد وقف على مسطبة عالية والتفت عليه أخلاط الناس كاجتماعهم على ابن رابيه وصار يقول بلسانه ويفهمهم بواسطة ترجمانه أن من كانت على عينه غشاوة أزالها ومن كان فى أذنه صمم ولو كان من مسالك أذنه وفتح أقفالها وهكذا من هذه الاقوال وهلم جرا على هذا المنوال فهرعت اليه العامة من كل واد وظنوا أن المسيح قد عاد وقد رأيته وهو يداوى رجلا من الصمم وقد

أحدقت به الجموع من جميع الأمم وآلات الموسيقى تضرب حوله وهو ينادى بما تقدم والترجمان يعرّب قوله وهذا الرجل الذى يداويه ويزعم أنه سيبريه شيخ من فقراء الفلاحين قد ناهز الستين وغالط فى عشرين قد سدّت مسامعه صروف الزمان وقرأت فى ناصيته وان لم ينطق له لسان

إن الثمانين وبلغتها قد أحوجت سمعى الى ترجمان

فرأيته مرة ينكش أذنه بسلك من حديد ومرة يصب فيها بعض أدوية كاون الصديد وتارة ينفخ فيها ببوق صغير كأنما ينادى عليه ببعض المزامير والطبيب فى أثناء ذلك يعبر عن حاله ويعيد سالف أقواله وهو مقبل على أشغاله مشغول بأعماله ويقول فى أذنه لحة ميتة أنا مشغول بعلاجها وقد قرب وقت اخراجها وهذه صنعة موروثة عن أبى وجدى وقد فقتهما بخفة يدى وقوة سعدى وسترون هذا الرجل كيف يسمع ما يقال وينتشل من أوحال هذا الداء العضال والعامة من حوله مصغية لقوله فنهم القائل والله لقد داوى أبا فلان وقد كان به صمم منذ أزمان فأخرج من أذنه دودات عديدة وقد رأيناها على طرف هذه الحديدة وآخر يقول ورجل كانت على عينه غشاوة فجلاها وعادت الى أحسن حلاها وآخر يقول والله ما أظن الا أنه رجل دجال وهذه شبكة لصيد الأموال ثم أتعبنى طول القيام وأضجرتنى كثرة الزحام وعلمت أن هذا الرجل الذى بين يديه بعد امتداد مدة المعالجة عليه لابد أن يقلق ويضجر ويزهق فيرجح بقاء الداء على طول هذا العناء ويحب أن يتخلص وينجو باذنه ويتملص ويقول قد حصل الشفا وهو لم يزل على شفا فانصرفت من حيث أتيت وأنا متعجب مما رأيت وباقى ما كان سنخبركم عنه ان شاء الله باللسان ثم عدنا للاسكندرية ولم نزل بها الى الآن وأما حضرة صاحبنا الفيلسوف فانه لم يزل على عادات كسله المعروف ولذلك لا أراه الا مرة فى جملة أيام وان كان بينى وبين محله مسافة عشرة أقدام وأما من جهة أمين ومعالجته فلا أحتاج أن أوصيكم من جهته لازال الشفاء مقرونا بايديكم وسلام الله تعالى ورحمته وبركاته عليكم ٢٥ ذى الحجة سنة ٨٣

وكتب اليه

سلام الله تعالى وتحياته ورضوانه وبركاته على أخى العزيز سلمه الله وحفظه وأدام حفظه

وبعد ففى غروب الأمس ورد على خط البنان الكريم مؤرخا فى الثانى والعشرين من هذا الشهر الفخيم فوقع موقعه من الاعزاز والتكريم وأحاطنى بالسرور

العظيم

العظيم مع ما اشتمل عليه من المعاتبة على التقصير في المكاتبة وبث العتبى والمعذرة والحجة الظاهرة نعم كانت المكاتبة السالفة عبارة عن كتاب مني لجنابك وردلي عنه عز يزجوابك ثم وقعت الفترة فكان التقصير من الجانبين واللوم على الطرفين الا أن توجه اللوم عليك بهذه الطريقة لا ينفيه عن جهتي في الحقيقة وتقصير أخي في الحقوق لا يقيم العذر لي في العقوق ثم تزيد أنت بأنك سبقت في هذه المرة الى المكاتبة ومن وجه آخر أنك في المرة السالفة وفيت بما عليك من المجاوبة وصارت النوبة علي ان لم أكن كنت فيما بعد لاسيما بعد أن أسلفت ما أسلفت من الوعد كل هذا يقال ويتسع له الاحتمال وأنا أسلمه كله كله وأقبله قضية مسلمه بل أقوله من جهتك مدعيا ومعترضا ومخاصما وألتزم عما يترتب على جهتي فيه مذعنا ومعترفا ومسالما وأفزع الى طلب ما يستوجبه من اعترف من حسن المجاوزة عن كل ما اقترف واثقا بأن أخي بما آتاه الله من نور البصيرة وصدق الفراسة وصفاء السريرة يعلم أني ان كاتبته فانما أكاتبه عن صميم فؤاد وصحة وداد لا لمجرد اقامة رسم معتاد وأمر يراد وان تركت كتابته فما أتركها عن ملل أو قلى لجانبه أو تغافلا عن قديم واجبه وأن القلوب متراسلة وان قصرت الرسل والأرواح متواصلة وان تناءت السبل لاسيما وليس يخلو أخوك من معذرة يعول عليها وحجة يحتج بها وان كانت لا حاجة اليها فاني أحب أن تكون النصرة لك في هذا النضال أهنأ من نصر الترك على الروس في القتال هذا وقد أبطلت البوسطه السعاة الذين كانوا يوزعون المكاتبات وأخاف أن يبقى كتابي اليك حبيسا في محل توزيع الجوابات اذ لا تعلم به حتى ترسل في طلبه ولذا أرسلت في السابق على يد الباشا وأنا أجازف الآن بهذه المكاتبة على سبيل التجريب وأسألك عن الجاري عندك في وصول المكاتيب وقد طال في هذا المجال المقال وأعود فأسألك عن حالك سرني الله من ناحيتك بأخبار راحتك وصحتك وعافيتك

وان سألت عني فقد كان زال ما شكوت لك من ألم المعدة منذ زمان ولكنه عاودني بأخف من الاول في أواخر أيام رمضان ومعظم أسبابه فيما أظنه الاكثار بل الافراط في وقت الافطار من شرب الماء ثم النوم في عقب السحور من قبل هضم الغذاء وقد استغنت بعد شربه (من ماء اربه) باستعمال بيكربونات الصودا عقب الطعام فخف بحمد الله بعض الآلام وقد انقضت أيام شهر الصيام نسأل الله أن يعاملنا فيما افرط فيه بالغفران وأن يجزل قراناً في موسم ضيافته العامة وهو العيد من العفو والاحسان وأن يجعله موسم بركة وحبور ونعمة وسرور وأستنيب

اليك هذه الورقة فى التعييد واقامة مراسم التهنئة بالعيد السعيد أعاده الله بخير وافضال ودمتم ودام الاقبال ٤ غاية رمضان سنة ٩٤

وكتب اليه

سيدى الاخ

واصل الله اليك ووالى عليك من تحياته الحسنى ما يليق بمقامك الأسنى فانك لم تزل أميرا بفضائلك وان لم يكن لك الآن أجناد ملكا فى حسن شمائلك وان لم يكن تحت حكمك اليوم أحد من العباد والبلاد

ان الامير هو الذى يمسى أميرا يوم عزله
ان غاب سلطان الولا ية فهو فى سلطان فضله

أما الفول والبقل فما يغنى عن المعاينة نقل ولأمر ما طلبته بنو اسرائيل قدما وقد كانوا فى لحم وحلوا مما ينزل عليهم من المن والسلوى فمالت الى البقل نفوسهم باهوائها وكان غاية مناها وأول رجائها فقالوا لنبيهم صلوات الله عليه ادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الارض من بقلها وقثائها ولقد ذرته وجبرته وسبرته وخبرته فاذا هو قد تحمل وتجمل وتكامل وتكمل وصار حشو إهابه وملء ثيابه وهو مع كل ذلك لين القشره هين العشره ظريف الشمائل لطيف الغلائل سليم الطويه كريم السجيه ريق حلو وخلق صفو ومنظر زهو وقد أسمر ووجه أزهر وثوب محبر وريح عطر معنبر وخبر ومخبر وزبد ولوز وسكر وقد قام قيام الخدام على الاقدام يدعوكم الى المقام ويحمل لكم الطعام فى آنية من الزمرذ بديعة النظام متقنة الرصف والاحكام يزينها من المسك حسن الختام وهو يقسم عليكم الاقسام العظام منها آية الكرسى والمائدة والانعام وكل الطعام أن تحلوا ناديه وتصافحوا أياديه وتقبلوا اكرامه وتشرفوا مقامه قبل أن يجف عوده ويخف موجوده وتذهب غضارته وتسلب نضارته ويرث ملبسه ويخشن ملمسه ويقسو قلبه ويتصلب حبه ويروح الجرون وينطح بالقرون ويصير كالفحل الحرون أما ارسال الانموذج منه فليس يغنى عنه لانه اذا تغرب فشرق أو غرب يجف ماؤه ويزول بهاؤه ونماؤه فانما لطفه وهو مقيم بأرضه قائم بأداء نفله وفرضه معجب بطوله وعرضه متمتع بحياته متباه بحبه ونباته ولسان حاله يتمثل بقول العامة فى المثل من يجى حدانا يا كل غدانا والغايب مالوش نايب والبعيد عن العين بعيد عن القلب فهذه حقيقة الحال وحلية الامر برأى العين لا باخبار زيد وعمرو فرحم الله امرأ سمع فوعى وبلغ ودعا وان الى ربك المنتهى

مما

مما كتبه فى التهانى

كتب الى بعض أحبائه يهنئه برتبة

أحمد الله جل جلاله وعم إفضاله اليك أيها الخل الساتر والاخ البار على نعم تتعدد وتتجدد ويتحتم الشكر عليها ويتأكد أعدمن أيامنها وعيون أحاسنها مابشر به الكتاب الوارد ووافى به البشير الوافد من اعتلاء رتبتك أدام الله لك الاعتلاء ووالى عليك النعماء والولاء وذلك بعض ماتدعو أهليتك اليه ويوجب استحقاقك المزيد عليه مما سوفت به الايام أزمانا وأخرته عن وقته عدوانا وأطالت به مطلا وليانا حتى وفق الله الجناب الخديوى أدام الله توفيقه ولازال مسهلا فى الخير والبر طريقه فوضع الشئ فى محله وأفاء الحق على أهله وهذا وسمى(1) يجيء بعده الغيث وليا(2) وباكورة يتوالى بعدها الثمر هنيا جنيا ولمعة نور يتضح بعدها الصبح جليا فقد انحلت العقدة وانتبه الحظ من الرقده وأقبل القبول مساعدا ومد اليك الاقبال ساعدا فاسحد لله تعالى كما فعلت شكرا واستقبل بعدها وفود الأمانى والتهانى تترى واهنأ بها رتبة هى بأن تهنأ بك أولى وأحرى والله يديم صعودك فى مراقى سعودك ويجزل بك سرور صديقك وكمد حسودك بفضله وطوله

وكتب الى صديقه المرحوم محمد قدرى باشا يهنئه برتبة أيضا

سيدى وأخى أدام الله سرورى بمسرتك ووالى على المسامع ماينعش فؤاد السامع من أخبار حضرتك وقد بلغتنى هذه البشرى اللطيفه بما سرنى لمولاى من الرتبة الشريفه وان كانت بعض ماهو أهله وأقل مايستوجبه كماله وفضله فوالله لولا مكان الشيبة وحذار الملامة والعيبة لخلعت للطرب عذار الوقار فان نشوة الفرح دونها نشوات العُقار فأدام الله توفيقك لبلوغ الآمال وجعل هذه الرتبة السعيدة كبراعة الاستهلال لما فوقها من مراتب السعد والاقبال والعز والكمال

ودمت محلا للتهانى ممتعا بعلياك مرفوع الذرى عالى الفخر
ونلت بتوفيق من الله كل ما نؤمل فى عز وحسن علا قدر

وكتب تبريكا برتبة لاحد الاخوان

أحمد اليك الله تبارك خيره ولا إله غيره على جزيل عطائه حمد العارف بقدر نعمائه

(1) الوسمى مطر الربيع الاول (2) الولى المطر بعد الوسمى

وقد جاء سروري بارتقاء رتبتك على قدر حظي من محبتك وموضعي بين أحبتك فسجدت لله تعالى شكرا وحمدت وله الحمد سرا وجهرا فاستدم أيها الاخ هذه النعمة بحمده سبحانه فالحمد قيد النعماء واستزده منها بشكره عليها فهو الغني الواسع العطاء الذي لا يؤثر في جنب كرمه كثرة الاعطاء وتهنأ بها رتبة مباركة ميمونة مصونة بسياج الحمد والشكر مضمونة مشفوعة بالتجديد مستتبعة للمزيد فهذا مقدم يتلوه تاليه معقبا وترى من حسن النتيجة ان شاء الله معجبا فالك في سلامة الطبع واستقامة الصنع وكرم الخلال وشيم الكمال وطيب الاحدوثة عن جانبك وسمات الرفعة والسمو من مناقبك وما عودك الله به من الجميل وأهلك له من التأميل بشير صادق وفأل خبر ناطق حقق الله لك أماني الخير وخير الأماني ولازلت مستقبلا ورود البشائر وقبلة لوفود التهاني مرفه الحال ناعم البال مبشر الآمال بحسن الحال والمآل بمنه وعونه

وكتب تهنئة بمولود

سلام الله على سيدي الأعز سلمه الله وأسعده وأكثر بفضله عدده وحفظ له مواهب من نعمه وخوله المزيد من فيض كرمه وقد حظيت بكتابه المبشر والحمد لله بصحة جنابه واستقامة الاحوال لديه وترادف نعم الله سبحانه عليه وما منحه من المولود السعيد القادم عليه ان شاء الله بالرزق الجديد والعمر المزيد فاستوفيت حظي من هذه البشائر موفى موفرا ووجب علي الشكر لله سبحانه وتعالى مضاعفا مكررا وابتهلت اليه تبارك خيره ولا إله غيره في أن يديم على سيدي من نعماه ويزيده من وافر عطاياه ما يديم سروره وسروري لحضرته على حسب حظي من محبته واندراجي في جملته وأن يبارك على هذا النجل النبيل والنسل الاصيل ويمنحه العمر الطويل والخير الجزيل ويبقي سيدي أدام الله علاءه وأطال بقاءه حتى يرى الكثير من أولاده والجم الغفير من أحفاده ممتعا بالسلامة وكمال الكرامة والمرجو من سيدي أدام الله سروره ويسر أموره أن يواصل تعريفي بما يتجدد من سار أخباره لأشركه فيما يقتضيه وأن يعرفني أيده الله بما عساه يسنح في هذا الطرف من أوطاره لأفوز بالانتهاء لغاية استطاعتي فيه موفقا ان شاء الله تعالى

وكتب الى صديق له يهنئه بشهر الصيام

أيها الخل الصديق بل الشقيق الشفيق متعك الله تعالى وتبارك بهذا الشهر الشريف المبارك وتقبل فيه صيامك وأسعد لياليك وأيامك وبعد فاني لو أجريت القلم في ميدانه وأرخيت فضل عنانه على أن يبلغ وصف ما في الفؤاد من عظيم

الشوق

الشوق وقديم الوداد لقصر عن هذه البغية جهده وقصر عن هذه الغاية أمده فكيف لو كلفته بشكر افضالك وذكر محامد شمائلك ومدائح خلالك

فالله يبقيك كما تشتهى ترقى الى أوج العلا والكمال

وكتب تهنئة بعيد

بارك الله لسيدى فى العيد السعيد وأعاده عليه بالعمر المزيد والجاه المديد للامد البعيد وكنت أتمنى لو أهنئه به مشافها وأتيمن بلثم يمينه مصافحا وأسعد برؤية وجهه الكريم كل يوم من أيامه غاديا ورائحا واذ حال البعاد دون هذا المراد استنبت لسان اليراعة فى اقامة رسم التعييد وبعثت بهذه الصحيفة لكى تنوب عنى فى المثول بناديه السعيد وأنا أحسدها على الحلول بناديه وأود لو حظيت دونها بلثم أياديه والله سبحانه يطيل بقاءه ويديم علاه وارتقاءه فى عافية وحضور وأنس وحبور رافلا فى حلل القبول والاقبال نائلا غاية المسؤل ونهاية الآمال

وكتب من رسالة ودادية تتضمن التهنئة بالعيد أيضا

قد وصلنا الى المحروسة بحمد الله وبركات توجهات سيادتكم وحسن أنظار سعادتكم ونحن نتلو من محامد افضالكم ما يخجل الدرر فى أسلاكها ونبث من محاسن خلالكم ما يزرى بالدرارى فى أفلاكها وقد صدرت هذه المكاتبة عن يد ممتدة الى الله تعالى فى الدعاء بدوام معاليكم وناظر لا ينتظر الا ما يرد من نحو ناديكم وقلب لا يتقلب الا فى محبة ذلك الجناب العالى وخاطر لا يخطر فيه غير تذكر تلك الهمم العوالى فعسى تنوب عنى هذه الرقيمة فيما أحسدها عليه من المثول بذلك النادى والوصول الى لثم تلك الايادى الباهرة الايادى والتهنئة بالعيد السعيد المترقب قرب إقباله أبقى الله سيدى الى آلاف أمثاله ممتعا بدوام قبوله واقباله رافلا فى حلل فضله وكماله

وكتب من كتاب اعتذار مع التهنئة بالعيد

أخجلنى والله ترادف هذا البر والافضال مع إفراط داعيه فى التفريط والاهمال حتى لقد كدت أمسك عن المكاتبة حياء وخجلا لولا أنى أوجست من ازورار خاطره الشريف وجلا على أن لى من الثقة بعفوه وعدم تطرق الكدر ان شاء الله لموارد صفوه ما يخفف عنى من تلفيق المعذرة ثقل الأعباء ويقف بى على حد الثناء والشكر والدعاء طامعا فى أن يدوم ما تعودت من التفاته والمباهاة بمحاسن توجهاته مهنئا بالعيد السعيد والعام المبارك الجديد أمتع الله الايام والاعوام ببقاء مولاى مهنأ بالدوام لاستقبال عام وتشييع عام

ممـا كتبه في التعازي

كتب في تعزية

يعز علي أن أكاتب سيدي معزيا أو ألم به في ملمة مسليا ولكنه أمر الله الذي لا يقابل بغير التسليم وقضاؤه الذي ليس له عُدّة سوى الصبر الكريم وقد علم مولاي أجل الله صبره ولا أراه من بعد الا ما سرّه وشرح صدره أن الله جل ثناؤه وتباركت آلاؤه اذا امتحن عبده فصبر أجره وعوضه بكرمه كما أنه اذا أنعم عليه فشكر زاده وضاعف له من نعمه وقد عرف من حال سيدي في الشكر على السراء ما يستوجب المزيد منها والظن بحزمه وعلمه أن يكون حاله في الصبر على الضراء يستجلب الاجر عليها والتعويض عنها ثم نحن اذا أمعنا في التفكر ووفيناه هذا الامر حقه من التدبر رأينا أنا وان تأخرت آجالنا وطالت آمالنا لسنا في دار مقامه وقرار كرامه حتى نحزن على من فارقها وزايلها ولكنا في سبيل سفر ودار كدر يحق والله أن نغبط من رحل عنها وزايل غوائلها فأجلنا حالا أسرعنا ارتحالا وعلى كل حال الجزع لا ينفع وان أغضب الله سبحانه والصبر لا يضر وان جلب رضوانه واحسانه والله يسهل لسيدي سبيل الصبر وتحصيل الأجر ويعصمه من موارد الوزر ومكايد الدهر ويتولى الماضي بالرحمة والانعام والبر والاكرام ويحسن مثواه في دار السلام وينعم له عند نزول الحمام وانتهاء الأيام بحسن الختام

وكتب تعزية لبعض الأحبة بوفاة أخ صالح

سلام الله على سيدي الأعز أحسن الله عزاءه وأجزل عطاءه وصرف عنه كل ماساءه بما شاءه وبعد فقد جرح الفؤاد وقرح الاكباد خبر ما نفذ به القضاء وضاق بخطبه الفضاء من وفاة الأخ الفاضل والانسان الكامل برّد الله مضجعه وأعلى في دار النعيم موضعه فعم بكربه جميع الاخوان والأحبة واختصني منه بقدر حصتي في المحبة فانا لله تسليما لأمره واستسلاما لقضائه وقدره ووقوفا عند الحد الذي حده ورغبة في الأجر الذي وعد وأعده لمن لزم حده واليه نضرع في أن يولي سيدي من سعة الصدر ويلبسه من شعار الصبر ما يجزل به ثوابه ويجعله بازاء ما نابه وتالله ان ما علمناه في ذلك الأخ رحمه الله من كمال الصلاح والتقوى والتمسك من أمر الدين بالعروة الوثقى والسبب الاقوى والاعراض عن أعراض هذه الدنيا الفانية والاقبال على ما ينفع ويقبل في تلك الدار الباقية واستعداده لهذا الأمر من أول الشباب لآخر العمر مع ما لنا من الثقة واليقين بما وعد الله سبحانه أمثاله المتقين لحري بأن يكشف لنا عما صار اليه ويدلنا على أنه أجدر بالغبطة له من

الأسف عليه والله يضاعف له من احسانه ويوسع له فى مقر رضوانه ويلهم سيدى من حسن التسليم مايكون وسيلة للفوز العظيم والأجر الكريم ولا يريه بعده الا مايسره ويسر أوداءه ويجعل أعداءه فى كل مكروه فداءه ويسبغ علينا وعليه من الائه الفاخرة ماينفعنا ويرفعنا فى الدنيا والآخرة

وكتب على لسان بعض أعزائه جوابا عن تعزية وردت اليه

سيدى

اجزلك الله تعالى وشكرك على التأثر لمصابى والتكدر لما بى واليه أتضرع واياه أسأل وبجاه نبيه أتوسل أن يقيك الاسواء ولا يريك ماساء إنه القدير على ماشاء وأن يفرغ علىّ من جميل الصبر والعزاء مايجزى عليه من فضله أحسن الجزاء ولقد أعظمت المنة علىّ بما أسديت من حسن التعزية التى جبرت الخاطر ونشطت القلب الفاتر وقمت فى مقام الارشاد بما وفيت به حقوق الوداد شكر الله لك فهو خير الشاكرين وجعلنا من عباده الصابرين الذاكرين الذين هم فى حسن ثوابه طامعون وبما عنده قانعون فانا لله وانا اليه راجعون غرة ج سنة ٣٠٥

وكتب على لسانه أيضا جوابا عن تعزية

سيدى الاخ

وصلنى أيها البر الوفى والاخ الصفى ماتفضلت به معزيا مسليا ولرسم الاخوة موفيا ولحق النصيحة مؤديا وأسأل الله الذى له ماوهب وماسلب ومابقى وماذهب أن يمتعك بكل من تحبه ويسر لك قربه وأن يلبسنى من جلابيب الصبر مايجبر به المصاب ويزيل الاوصاب ويجزل عليه الثواب وأن يديم اغتباطى ببقائك وارتباطى بحسن إخائك وسأقوم فى اتباع نصائحك الاخوية بما يأتى عليه الامكان والله تعالى المستعان وعليه التكلان غرة ج سنة ٣٠٥

وكتب أيضا

وردعلىّ كتابك أيها الاخ الصفىّ والصديق الوفىّ معزيا الأخيك على مانابه مسليا على ماأصابه موفيا حقوق الوداد قائما بنصائح الرشد والسداد وأسأل الله الذى كلنا له واليه واعتمادنا فى كل حالة عليه أن يهب من جميل الصبر مايجبر به المصاب ويجزل عليه الثواب وأن يصرف عنك كل مكروه ويحقق خير ماترجوه

وكتب أيضاً إلى اسان عزيزله يشكر صاحباً عزاه بالتلغراف
واعتذر له عن عدم الحضور بمرض

وصلني بواسطة التلغراف ما تفضلت به أيها الاخ العزيز من التعزية على ما أصاب من مصيبة أسأل الله سبحانه أن يجبرها ويتلافى أمرها بالصبر يجمله والاجر يجزله وأن يصرف عن ساحة حضرتك كل سوء ومكروه ويبلغك جميع ما ترجوه ويعجل بحسن العافية شفاءك ويديم حفظك وبقاءك

مما كتبه

في الترجيات والتواصي

كتب الى صديقه الفاضل المرحوم السيد باشا أباظه يرجوه في أن يبحث له عن أطيان

بعد الديباجة والسلام ،

قد أحاط علم أخي أدام الله إسعاده وغرس في كل قلب وداده أن الاطيان على ثلاثة أحوال الاولى ما تكون سبب اليسر والغنى والثانية ما تكون سبب العسر والعنا والثالثة لاهناء ولا عنا فالاولى هي بهمة السيد أولى والثانية أعوذ بالله منها والثالثة أنزه تلك المروءة العلية عنها فلينظر الاخ أي الاحوال أليق به وأنتظر أنا ما يحب أن تهديه مكارمه لمحبه وراجيه وانى وان كنت جئت في الزمن الاخير كما اختارت الاقدار وفتحت الكتاب بعد العصر في اخر النهار الا أنى انتجعت الهمة من أهلها وأسندت الآمال الى محلها والتمست الدر من خير مشرع وأنزلت حاجاتي بوادي ذي زرع واثق بنيل الثمرة المطلوبة والوصول الى الغاية المرغوبة وان أمرا يناط بهمتكم لاولى بان ينجح وان امرأ يؤمله لأحق بان يسعد ويربح وكيف لا وأنتم اذا عد أهل الفضل والافضال أولهم وأجلهم وانى لأعلم ما في هذا من المشقة ولكن يقول أبو الطيب (لولا المشقة ساد الناس كلهم) والحر لا يشترى الاغاليا والفخر لا يبتغي الاعاليا فليتشبث الاخ بهذه المكرمة قبل فوتها وليجب دعاء المروءة قبل بح صوتها وليمتلك بهذه المنة لسانا منطلقا بثنائه وقلبا مملوا بولائه وعينا مترصدة لآلائه وأذنا مصغية لمحاسن أنبائه وليتفضل على أخيه وداعيه بخير ما يكون من خير مساعيه موفقا ان شاء الله تعالى

وكتب الى أحد أحبائه يستنهضه في حاجة بعد الديباجة

قد أردت مكاتبة سيدي فأخذت اليراعة بيدي وجلست أفكر فيما أصدر به الكتاب وأفتتح به الخطاب فذكرت أن من عادات أرباب الاقلام أن يبالغوا في وصف ما يهدونه من السلام كقولهم سلام أغزر من ماء الغمام وأنور من بدر التمام والذ من شرب المدام أو وصل الحبيب لمحبه المستهام أو مواصلة الجفن الكرى بعد هجر المنام وأمثال ذلك من الكلام ثم يتبعوه بوصف الشوق والغرام فأردت اليوم أن أتبع القوم فأحتفل لمولاي في سلام أهديه وأستجيد له وصف شوق أبديه فقعدت أستنهض الخاطر وأعصر القريحة وأنفض الفكرة وأتقلب في أساليب العبارة

ثم كررت فراجعت النظر فيما سودته فلم أجد ما استحسنته ولا استحسنت ما وجدته ورأيت هذه الطريقة قد ابتذلتها الالسن ولم يبق فيها ما يحلو ويحسن ووجدت ذلك مثل مضغ الهواء لا يشبع ولا يسمن ومثل مخض الماء لا يزبد ولا يلبن

وبعض القول ليس له عناج (١) كمخض الماء ليس له إتاء (٢)

فعمدت الى ما كتبته فشطبته وقت ما عقته فزقته وآثرت أن أهدى لمولاى سلاما ساذجا عن الصفة مجردا من آثار الصنعة خاليا من الكلفة ليتصوره بالصورة التى يحب ويكسوه من حلى اللفظ ما يحب ويتقبله كذلك من داعيه ويجعله من خير مساعيه ليكون الأمر منه واليه والله يديم نعمته عليه وأما الشوق فيضيق عنه ميدان العبارة ويقصر دونه بنان الاشارة وضميرك لمعرفته أقرب من لسانى لصفته فلم يبق علىّ الا الدعاء أجعله وردا والثناء أستعذبه وردا وأعطر به أردية الأندية طيبا ووردا والله يستجيب دعاء عبده ويمن بالمزيد من عنده وقد انتظرت الجناب يوم الخميس وما بعده كما أسلف به وعده فلما تأخر علمت أن تأخره لكثرة أشغاله كان الله مساعده ومسعده فى جميع أحواله وأما الحاجة المقصودة فانى منذ علقتها بهمته المنيفة وعلقت بها خواطره الشريفة وثقت بحصول الآمال واستبشرت بخير الحال والمآل لا زال محل الرجاء ومحط الرحال وزينة الفخر وحلية الكمال

وكتب الى بعض الاخوان فى مادة يستحثه على اتمامها

أخص ناديك الكريم بازكى تحية وتسليم لا زال موضع تعظيم وتكريم وأثنى على محاسن خلالك بما يقتضيه حسن إفضالك وبعد فان ما بيننا من أكيد الوداد وما بين القلوب من مزيد المخالطة والاتحاد لا يحوجنى أن أتكلف اثباته بتنميق الكلام والجرى على عادات أرباب الأقلام فى تزويق السلام ومد أطناب الاطناب فى هذا المقام بل يحملنى أن أخوض من أول الامر فى حديث المرام لاسيما وقد رأيتك حفظك الله وأبقاك وحرسك ووقاك قد جعلت شغلى كشغلك وتحصيل أملى كحصول أملك على ما اقتضاه طبعك الزاهر وفضلك الظاهر وأصلك الطاهر ففى مثل هذه الحال يظهر مغشوش الود من خالصه وكامل الاصل والحسب من ناقصه وأنا جعلت هذه المادة محك الاخوان ومعيار الود يعلم به النقص

---

(١) مرسل على غير روية (٢) المراد بالاتاء فى البيت الزبد والبيت عربى لعمرو بن الاطنابة أراد السيد الوالد به الاستشهاد

والرجحان

والرجحان ووسيلة التمييز بين البهرج والذهب الابريز « ليميز الله الخبيث من الطيب » هذا فلان سلمه الله قد نهج فى الصحبة مناهج الكرام وقام بحقوق المحبة أتم القيام وتحمل على نفسه فى هذه الايام آلام السفر فى البرد والصيام وعلم أن حقوق المودة ليست عبارة عن مجرد سلام عليكم عليكم السلام وغيره نكص على عقبه وأعرض ونأى بجانبه والغرض من هذا الكلام الطويل أن اعتقادى فيكم جميل واعتمادى عليكم فى هذا الامر الجلل جليل وقد بدأت فى أمور وبقى الاتمام وما المعروف الا بالتمام

وكتب اليه يستحثه أيضا

سلم الله سيدى وأدام صحته وأجزل من العافية والخير منحته وقد كتبت وأنا مقيم على الدعاء أكرره والثناء أوشيه وأحبره وأنظمه وأنثره والشوق أشكوه وأشكره والامل أطويه وأنشره وتشرفت بكتاب أخى فى المادة المعلومة وقد بقى الامر فيها موقوفا على على همته أدام الله علاه وسموه وحقق مأموله ومرجوه فالأمل فى مكارم السيادة وحسن إفضالها إراحة خاطر محبه من هذه المشغلة وأحوالها والله يغرس فى كل قلب حسن وداده ويديم مسرة فؤاده ويبلغه غايات مراده

وكتب الى المرحوم سلامه باشا مفتش الهندسة وقد كان شبه النيل فى ضعفه وما لحقه من سوء ادارة مصلحة الرى بمريض مصاب بالحمى أصابه خراج ثم تغيرت الادارة وزاد النيل وتأخرى أطيان لنا مع ذلك ما لفظه

حيث ان مرض النيل قد زال بحمد الله بُرحاؤه وخراجه أيضا قد انحسم بلطف الله داؤه وتداركه الآن طبيبه الخبير بعلاجه البصير بتعديل مزاجه فماله لا يزورنا زورة الضيف ولا يلم بجينا ولا إلمامة الطيف ومالنا لا نزال نشكو منه رحلة الشتاء والصيف الأمل أن يتداركنا الامير بسرعة اسعافه ولا يذكرنا فى هذه المادة المهمة لخلافه والاهلاك الزرع والضرع وتلف الأصل والفرع والى الله المشتكى ثم اليك وسلام الله ورحمته وبركاته عليك

وكتب الى المرحوم الشيخ يحيى البولاقى ابن المرحوم العلامة الشيخ مصطفى البولاقى يستعير منه تغييرة من شرح الاطول على تلخيص المفتاح للفاضل العصام

مولانا الأعز الاكرم المحترم المفخم حفظه الله

أهدى بديع سلام تتكفل بشرح تلخيص المحبة مبانيه وتتضمن بيان مطول الوجد والمودة معانيه وأشواقا يقل البيان عند تبيان أطولها ويكل البنان عن ايضاح مفصلها ومجملها مع دعاء يحلو إطنابه وإعجازه وينتهى بفضل الله الى حقيقة الاجابة مجازه وبعد فان الداعى قد شرع منذ مدة من الايام فى كتابة شرح الأطول على التلخيص للفاضل العصام غير أن النسخة التى عثرنا عليها ووصلت يد الامكان اليها رأيناها قد هدم التحريف معمور أبياتها وأطفأ التصحيف نور مشكاتها بحيث لا يجد الذهن لباب فهمها مفتاحا ولا يرى السارى فى دياجى غلطاتها مصباحا يقول رائيها حين يجد معالمها تغيرت وبدا عليها الدثور

هذه دارهم أقفرت * أم زبور محتها الدهور

وقد أخبرنا غير واحد أن عندكم نسخة صحيحة من مخلفات حضرة الاستاذ الوالد فالمأمول من همتكم والمسؤل من حضرتكم التكرم بارسال تغييرة من أول الكتاب المذكور ليكون لكم بذلك جزيل الثواب والاجور على يد أخينا الشيخ فلان حامل هذه التذكرة أسبغ الله عليكم من الاحسان أتمه وأوفره

وكتب على لسان بعض أصحابه يستنجز المكاتب وعدا لذلك البعض باعمال مسقى لأطيانه

السلام على سيدى الأمير الاعز أدام الله عزه ولا زال عونه وعنايته وكنزه وحرزه وبعد فالشوق الى ذلك المحيا الزاهر والفضل الباهر شوق المكان الغامر(١) للغمام الماطر والسيل الغامر(٢) والثناء على تلك الشمائل المحببه ثناء الارض الجدبه صادفها النيل بعد أن يبست مزارعها ويئس منها مزارعها وجف ترابها وجفاها أربابها فانقطع منها الحب والأب(٣) وهجرها كل حى حتى الحية والضب فحنى النيل السعيد عليها ضلوع جداوله وثنى اليها ضروع مناهله وجلب اليها من خيره وميره ما أغناها به عن غيره فرويت وشربت واهتزت وربت وأصبحت تثنى عليه بمحاسن شياتها وتشكره بألسن نباتها فهذا حال الثناء عليه وذاك مثال الشوق اليه وهذا أيد الله أميرى وأسعده ولا زال مساعده ومسعده تشبيب كما يقال عقبه مديح وتلويح يجيء عقبه تصريح والقصد من كرم أياديه ولطف مساعيه حرس الله حسن معاليه انجاز ما سبق به الوعد من إعمال المسقى لاطيان راجيه واتمام

(١) الغامر الارض الخراب وهو خلاف العامر (٢) الذى يغمر الارض ويعلوها اه
(٣) هو الكلأ الذى تعتلفه الماشية

المعروف

المعروف فى أمرها بأمرين الاتقان والتعجيل فى عمالها ليفوز الداعى بأمرين الاطمئنان والتمكن من بناء البرج اللازم لاجلها وأنا عائذ بركن مروءتنا العاليه لائذ بحسن همته الحاليه من أن ينوتنى هذا العام كالذى مضى وقد علم أبقاه الله أن وعده مثله دين يقتضى وأمل يرتضى وسيف على عواتق الزمن ينتضى وان كانت مواعيد بعض الانام وحاشاه من قبيل السحاب الجهام(١) وأضغاث الاحلام وأحاديث الأمانى والاوهام وهذا أمر ولا كفران لله كانت العمدة فيه من الاول عليه من قبل أن يصير أمره كما هو الآن بين يديه فكيف وقد صار اليه وهو كما قال أمر سهل وعالى جنابه لكل مكرمة أهل على أنه لو كان صعبا ما صعب على على همه ولا احتاج الا الاعمال بنانه أو حركة قلمه وأنا منذ صدور وعده واثق بالمأمول ما عندى أدنى ريبة فى الحصول فعليه بعد فضل الله المعول ولا يعز على البحر فى الحقيقة جدول ولكن أمر الانتظار صعب ثقيل وقد طلب الاطمئنان بالمعاينة قبلنا الخليل فان رأى سيدى أدام الله سعوده وحقق بمنه وعده وعوده أن يعجل لراجيه المسار باراحته من آلام الانتظار فذلك غاية المأمول ونهاية المسؤل والله يبقيه ريا لرياض الآمال وحليا لاجياد المعالى والكمال آمين

وكتب الى بعض أصحابه يوصيه بمساعدة لحامل كتابه

سلام الله وتسليمه ورضاه وتكريمه على حضرة سيدى الاخ الماجد كثير المحامد أدامه الله وحرس بعنايته علاه

وبعد فان حضرة السيد الاستاذ الكامل العلامة الشيخ فلان قد رأيته عازما على قصد الحضرة المنيفه والتيمن بنور تلك الطلعة الشريفه وبودى من غير حسد لو اتخذت طريقه وكنت فى هذه الرحلة السعيدة رفيقه فاستصحبته هذه الاحرف الوداديه لتنوب عنى فى مصافحة البنان وتقوم من جهتى بصفة بعض الشوق وان كان استيفاء الشرح مما ليس فى الامكان نعم أيد الله الامير وحياه وأسعدنى بلقياه ورؤية محياه أن الشوق اليه مما يستطيل على البيان ويستعصى على القلم واللسان وحسبى بضمير أخى عارفا وبنور بصيرته الزكية واصفا هذا وإنى لما علمت من مودة سيدى الاخ للشيخ المومأ اليه ومارأيت من تمسك حضرة الشيخ بطيب الثناء عليه لم أجد حاجة الى التوصية من جهته والتماس مساعدته فيما عساه يعرض له من الاشغال ومعونته لاسيما بما عرفت من مزيد احتفاله بأمثاله وفرط شغفه

---

(١) الجهام بالفتح السحاب لا ماء فيه

بأفاضل أهل العلم وأماثل رجاله واحاطة شريف علمه بمسرة راجيه فى زمرة محبيه بما يكون منه تيسير أحواله وتسهيل سبيل آماله وانما أردت أن أتخذ لى يدا عند الشيخ بالتماس المزيد فى رعايته وأتوسل بهذه الذريعة الى مراسلة سيدى الامير واستدعاء مكاتبته فارجو أن يسرنى مافيه زيادة سروره والله تعالى يديم على سيدى الاخ أشراق نوره محفوفا بالعناية والاكرام ممتعا بغاية المرام

وكتب موصيا على شخص متعرض للامتحان

أبدأ من السلام بتحية الاسلام وبعد فقد طلب منى بعض المتعرضين للامتحان أن أوصيك به فأوصيك فيه وفى أمثاله على العموم أيها الاخ فى الله بتقوى الله ولزوم جادة العدل والحق وتقديم الاحق فالاحق وفى ثقتى بدينك وكمال يقينك مايغنى عن الوصية فى القضية ولكنى وعدت الرجل اذ جاء طالبا وها أنا قد فعلت وما توفيقى الا بالله عليك توكلت

وكتب الى أمير يترجاه فى قضاء أمر لشخص

فلان لما علم أن لى من الانتساب لذلك الجناب ما أسمو به على البدر وأتحكم على الدهر وان انتسابى لحضرته واحتسابى على علىّ سدّته لاتبليه الايام ولاتفنيه الاعوام رغب أن أترجى له فى حاجة هى لديه خطيره وعلى سيدى يسيره وقد كان بينى وبين المذكور من قديم المحبه وواجبات الصحبه مايوجب علىّ قضاء حقوقه وترك عقوقه واعانته على الزمان ومساعدته باليد واللسان الا أنى ذكرت له من تقصيرى فى حقوق سيدى مايخجلنى عن ترجيه لغيرى مع عجزى عن شكر ماأسداه الىّ من جزيل امتنانه علىّ فذكر لى من حلم سيدى وكرمه ومحاسن شيمه ماتستصغر عنده الخطيئة ويقابل بالحسنة السيئة فلم أر بدّا من موافقته على حسب رغبته وبادرت بتحريرهذه الرقيمه لتنوب عنى فى لثم اليد الكريمه راجيا اسعافه بمطلوبه واسعاده بمرغوبه وقد علمت من مروأة سيدى وكرمه وعلوهممه مالايحوج الى الرجاء والالتماس فى قضاء حوائج الناس غير أنى جعلت هذا وسيلة لمكاتبته واكتساب الشرف بمخاطبته لازالت ملجأ اللائذ وملاذ العائذ والسلام

وكتب توصية أيضا

أبدأ بالتحية والتسليم مع مزيد التبجيل والتعظيم وأرجو الاصغاء لما ينهيه حامل هذا الرقيم وأن يشمله النظر الكريم وهو من السادة الابرار الصالحين

الاخبار ولولا أنى فى انتظار بعض السادة الامجاد بناء على سالف ميعاد لقضيت من التشرف بلقائكم المراد فالأمل أن تشمله العناية لا زلتم لكل خير مبدأ وغايه

وكتب يوصى بشخص بعد الديباجة

رافع هذا الرقيم الى حمى المقام الكريم يذكر أن مسألته طال فيها المدى وبقى فى انتظارها على مثل رؤس المُدى ويشكو من الفقر المدقع والضر المضجع ما أحرج صدره وأخرج عنه صبره وأشرف به على اليأس والاستسلام لمخالب البأس لولا أمل فى مولاى يبقى على حوبائه وينشر تذكاره ميت رجائه ولى فى سيدى ثناء يبارى نفحات الازاهر ويبقى على صفحات الدهر الداهر ثم هو بقية بيت حفظت الايام نسبه وان أضاعت حوادثها نشبه وهو أولى من تعطف عليه عواطف كرمه وتنعطف اليه جياد هممه وأرجو أن يحقق مولاى فى تلك الشيم الكريمة ما أمّله وأهدى من مزيد الثناء أتمه وأكمله

وكتب الى الاستاذ الفاضل المرحوم الشيخ حسين المرصفى

أزكى التحية والسلام للاستاذ الهمام أدام الله سلامته وكرامته وبعد فقد حضر الىّ شاب ينتمى لحضرة الشيخ أيده الله ويذكر أنه ابن أخ له كان ثاويا بحماه متقلبا فى أفناء نعماه الى أن وقع فى أمر أوجب تغير الخاطر من جهته وابعاده على قرب قرابته ويظهر التأسف مما صار اليه والتلهف على ما كان عليه ويلتمس أن أعطيه كتاب شفاعة يتوسل به الى العفو ويتوصل بسببه الى الصفح والصفو ولكنى توقيت الهجوم على اجابة طلبته واسعافه برغبته لعدم معرفتى بصورة ما أتاه وحقيقة ما جناه ومكانته من الشيخ أعزه الله فكرهت أن أخاطب أخى الشيخ بما قد ينبو عنه سمعه وينفر منه طبعه وأحببت أن أبتدئ بمطالعته استطلاعا لرأيه السديد واستنباطا لفكره السعيد حتى اذا كان ما أتاه هذا الشاب أمرا يغتفر وجرما يتنصل منه ويعتذر وذنبا يحتمل أن يتاب منه ويستغفر وزلة قدم يكتفى فى جزائها بلذعة ندم أجبته الى شفاعة حسنه والا صرفته بطريقة مستحسنه فليتفضل علىّ الاستاذ بالتعريف عن رأيه الشريف موفقا ان شاء الله تعالى وحرر ليلة البراءة سنة ٣٠٥

وكتب الى سعادة الأمير حسين فخرى باشا ناظر الحقانية اذ ذاك يوصيه بقاض من قضاة المحاكم الشرعية يلتمس الانتقال الى مركز غير مركزه بعد الديباجة

بعد تقديم تحية التعظيم والاجلال ونشر عواطر الثناء على عواطف تلك الخلال أرفع الى العلم الشريف تذكارا بما تقدم فيه الرجاء بخصوص الفاضل النبيه الشيخ فلان قاضي مركز كذا بأماله سمع الرعاية الى ما تكرر انهاؤه من لدنه بالتماس نقله الى مركز آخر لاستنقاذه مما يكابد من طول التضرر والتضجر من استمرار بقائه فى مركزه لما أوضحه من الاسباب

وأستنجز سابق الوعد باحاطته بأنوار المراحم وشموله بأنظار المكارم استجلابا لدعائه للجناب العالى الخديوى الفخيم وثنائه على ذلك المقام الكريم فبحق علاء تلك الهمم وشمم هذه الشيم الاعوّمل بافضال وقوبل باقبال ودام مولاى بدوام الكمال ٤ ١٥ شوال سنة ١٣٠٦

مما كتبه

في العتاب

كتب الى بعض الاحبة كتاب عتاب

السلام على سيدى الاعز عافاه الله مما به وشفاه أيضا من سوء الظن بأحبابه كان ينبغي لمولاى أن يحمله ما بيننا من الود الصريح والحب الصحيح على أن يأخذ ألفاظى معه على ظواهرها وينهى النفس عما يتبادر اليها من أوهام خواطرها وقد كنت أظن أن سيدى عرف أحوالى مع الناس عموما ومعه خصوصا فانه يرى لى معه مودة خاصة وحالا مخصوصا ولكن الظن يصيب ويخطى والامل يسرع ويبطى وأنا لو كان احترازى من لقائك متعنى الله تعالى ببقائك ما كنت أرسل اليك باستدعاء تشريفك ولا كنت مجبورا أيضا على تعريفك فانك لا ينزل عليك الوحى بحضورى ولا تعرفك الملائكة بامورى ولكنى أنا الذى أرسلت اليك وأخبرت تابعك في طنطا ما أعلم أنه عرضه عليك فارسالى بما أرسلت واخبارى بما أخبرت دليل واضح على أنى لم أظهر خلاف ما أضمرت وأما السبب في استتارى وانكماشى في زاويه دارى فهو الحذر من تزاحم الناس علىّ وكثرة ترددهم الىّ وفي ذلك مجال للقيل والقال فهذه والله حقيقة الحال ولولا ذلك لكنت معك ليلا ونهارا ولازمتك سرا وجهارا وقد كنت حين حضرت سألت قبل دخولى البيت عن صحتك فبشرنى من رآك في جهة كذا بصحتك وراحتك فلذا طمعت في تشريفك وبادرت الى تعريفك وأرسلت لاخبارك وقعدت في انتظارك فدع تلفيق الخطاب وتمويه الجواب وسوء الظن بالاحباب وتفضل بان تكون أنت جواب هذا الكتاب فلى نفس تتشوق اليك وروح ترفرف عليك فهذا الكلام ربما ينطلى على غيرى من الورى وأما أنا « فالذى ربى خير من الذى اشترى » وبقية الكلام والملام عند اللقاء والسلام

وبما كتبه من كتاب معاتبة

أظن صرف الله سوء الظن عن ناحيتك وحقق الامل في سرك وعلانيتك انك لم تنس وان تناسيت ولم يغب عن شريف علمك وان تغابيت كيف تراملنا في الود من قديم العهد وكيف تعاملنا في الاخاء على حالى الشدة والرخاء وكيف

تعاهدنا على بذل المجهود في حفظ العهود لدى الغيبة والشهود وتعاقدنا على الوفاء في السراء والضراء والله جل اسمه يقول « يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود » وكيف مضت لنا الازمان الطوال على هذه الحال ودبت الليالي ودرجت الايام ونحن على حفظ الولاء وكمال الوئام وكل منا بصاحبه مغتبط وبعلائق وداده مرتبط يكون عنه محاميا اذا كان نائيا وله ناصرا اذا كان حاضرا وله في أموره مستشيرا وعليه فيما نابه مشيرا ومعه فيما ظهر وبطن من شؤونه ظهيرا الى أن ساقت الايام ركابك الى الغربه وطوحت بي من بعدك في مهاوي الكربه « والله غالب على أمره » ولاراد لقضائه وقدره فكنت أقول لو حضرني أخي لغمه ما غمني وأهمه من أمري أكثر مما أهمني ولكان لي المعين والمساعد والعضد والساعد فعند الاخطار(١) تتبين الاخطار

وممـا وجدته من كتاب معاتبة أيضا

أناوان قطع مولاى كتبه لا أقطع حبه وان شك في هذا غيره فليسأل هو قلبه
فودادى كما عهدت ودادى وغرامى القديم فيك غرامى

وقد وردت كتبه تترى مفعمة نظما ونثرا فشملت جميع صحبه ولم يحرم منها سوى محبه وليته ذكرني ولو في حاشية وحشرني ولو في زاوية فكنت أقنع في مودته بالنهل في موضع العل وأقرأ قوله تعالى فان لم يصبها وابل فطل « ومن لم يجد ماء طهورا تيمما » ولكنه أهملني بالمرة وأخرجني عن هذه الزمرة وكان اذا عد اخوانه يعدني الاول ويجعل علي المعول فما أسرع ما تحول ولقد جلست ألتمس له العذر وأكره أن أنسب اليه الغدر فقلت لعله كتب ولم تصلني نسخة كتابه ثم عدت فقلت كيف وصل الى سائر أحبابه

وكتب جوابا عن كتاب عتاب

ورد كتاب سيدى أرشده الله وأسعده ولازال مساعده ومسعده يشكو من جفائي وقلة وفائي ما بسط فيه لسانه وأطال به أيده الله بيانه وأداه حقه من البلاغة أداء متفنن متمكن وذهب فيه من سحر الكلام كل مذهب ممكن وغير

---

(١) الاخطار في الموضعين جمع خطر بفتحتين فالاول الاشراف على الهلاك يقال هو على خطر عظيم وقد ركبوا الاخطار كما في أساس البلاغة والثاني القدر والمنزلة قال في لسان العرب خطر الرجل قدره ومنزلته وخص بعضهم به الرفعة وجمعه أخطار اه

ممكن

ممكن حتى انى لقوة تخييله وتصويره وفرط براعته أيده الله فى حسن تعبيره كدت أتوهم أنى فعلت مالم أفعل من الذنب وأنى استوجبت ماأورده أعزه الله من العتب فلما الفحنى حر المعاتبه وخشن على ملمس المخاطبه وأخذنى اللوم ما أخذه إيلاما وبلغ بى مبلغه إنكارا وإعظاما أردت أن آخذ لنفسى بالحجة والدلالة على سواء المحجه لولا أنى رجعت فذكرت أن مولاى أعزه الله وان ركب من المغالطة فى هذه المكاتبة غير دابه وسلك من المواربة فى هذه المعاتبة خلاف مذهبه الا أنه بجلية الامر أعرف وأعلم ومن أن يلتبس عليه الحال بالمحال أحزم وأحكم وانما حمله على هذه الطريقة مع كمال علمه ومعرفته بالحقيقة قصد المبالغة فى تبرئة ناحيته ودفع اللوم عن أن يلم بعلى ساحته وقدر أنه ان خلص من هذه القضية كفافا لاله ولا عليه فقدربح السلامة مما عساه أن يتجه من الملامة اليه فان كان هذا مبلغ ما توخاه من ذلك المنحى الذى نحاه فانا لا أقنع له من النصر بذلك القدر النزر بل أحب أن تكون الغلبة له كاملة غير منتقصه ونصرته حرسه الله مهنأة غير منغصة فانا أخاصم نفسى من جهته وأعارضها بحجته وألزمها أن تنزل على حكمه وتنزع الى سلمه وأعترف له بجميع ما أجمله وفصله اعترافا يزيل الشقاق ويرد الوفاق ثم أسأله أن يعفو ويصفح عارفا بانه اذا ملك أسجح واذا قدر عفا وأصلح فان فعل ذلك فقد فاز مع لذة الظفر والنصر بما يرجوه على العفو من حسن الثواب والاجر وفزت أنا فى الجملة بتحصيل رضاه وعدم الخروج عن موافقة هواه وانفصلنا عن القضية وكلنا فائز بسهمه راض بما حصل من قسمه وان أبى الا أن يناقشنى الحساب ويتمادى حرسه الله على ذلك العتاب فلن يعدم داعيه فى معرض الجدل شبهه اذا لم يجد حجة وقد جاء فى المثل « لا تعدم الخرقاء علة » وما أظنه يرانى أقل من هذه درجة فليختر لنفسه ما يراه أقرب الى الصواب وليتفضل على داعيه ومحبه وراجيه بالجواب موفقا ان شاء الله

مما كتبه عن لسان غيره

قال مداعبا من كتاب على لسان غيره ردا على كتاب مداعبة وصل الى هذا الغير من صاحب يعرّض له فيه بتبديل شمل الصوم بالاسفار وكان منزل هذا الصاحب بقرب جهة «باب البحر» من المحروسة

سيدى ومولاى

وصلنى الكتاب العزيز بل التحفة البهية والطرفة النادرة فلو كان كل ما يلذ ويشتهى مما يفسد الصوم للزمنى بعد مواصلة هذه المكاتبة اعادة اليوم ولكن الله سلم وعندى لك أيها الاخ السيد من الشوق ما لا يساعدنى على الاطناب فى صفته شهر الصوم وان طالت أوقاته وبوركت ساعاته وقال فيه ابن الرومى سامحه الله

شهر الصيام وان جلت فضائله * شهر طويل بطىء السير والحركه
ياصدق ما قيل أوقات مباركة * لو كان يكنى عن اسم الطول بالبركه

فحسبى الاحالة على شهادة الضمير الكريم فهذا تكفى فيه شهادة هذا الواحد كما يكفى عند السادة الشافعية للدخول فيما نحن فيه من الصوم شهادة الواحد وان كانوا لا يكتفون به للخروج منه فكأن هذا الشهر الشريف قد أُغلق عليه باب الهوى الذى يقول فيه القائل

دخولك من باب الهوى ان أردته * يسير ولكنّ الخروج عسير

سيدى

أرى فى خلال مكاتبتك الاسفار عن غبطة من بدد شمل الصوم بالاسفار أو الحسد لمن قابله بالافطار وكلا البابين أيدك الله مفتوح على عقبه فما الذى يمنعك من الدخول به وهو أسهل مدخلا من باب الهوى وأوسع من باب البحر ولكن أين هذا من أخيك الذى ابتلى بالاقامة فى السفر فلا حصل على راحة الاقامة ولا وصل الى رخصة السفر

سبحان من قسم الحظو * ظ فلا عتاب ولا ملامه

وكتب عن لسان بعض الرفقاء يشكو الجوع فى سفر الصعيد على سبيل المزاح

أقبل يدى سيدى الامير وأدعو له بدوام النصر والتيسير وأشكو له أنى خرجت للامتحان فى جماعة من الاخوان خدعونى بأقوالهم وأطمعونى بأفعالهم وأحوالهم حتى ركنت اليهم واعتمدت عليهم وخرجت فى صحبتهم واتقيا بجبتهم

فما

فما هو الا أن فارقنا الدور وركبنا الوابور حتى تنكرت الاحوال وتغيرت الافعال والاقوال فأجاعوني وأضاعوني واشتروني وباعوني وكنت قد صحبت معي لقيمات من الدار أعددتها الضرورات الاسفار فمالوا عليها كل الميل واحتالوا عليها في النهار والليل حتى أفنوها أكلا ولم يبقوا منها شيأ أصلا فحرموني منها ولم يعوضوني عنها وكنت أرى عند سيدي الاكل جزافا والمآكل أجناسا وأنواعا وأصنافا فليتني قنعت بها كفافا وبقيت في وطني معافى ولكن ماذا أصنع في الطمع الذي ضرني والامل الذي غرني حتى طاوعت وخاطرت وتركت ما كنت فيه وسافرت وأنا الآن لا أنال منهم لقمة الا بلطمه ولا شربه الا بضربه حتى ضرني الجوع وهجرني الهجوع وصرت أرق من الفيل جسما وأدق من الجمل عظما فلم يعد علي السفر بغير الضرر ولا الامتحان بسوى الامتهان وشكوت الى الرئيس ما ألاقيه من العناء الذي أقاسيه فكأني لنفسي اشتكيت ولزيادة الخطب استدعيت فانه أمر لي بالسياط بدل السماط وبالجريد بدل الثريد وأشبعوني أكلا من مربى الخيزران وسقوني أكلا من ماء الاجفان فان رأى سيدي أن يشفع لي في شبعة من الزاد تردّ علي ماشرد من الرقاد ثم أقنع عندهم بعد ذلك بنصف المؤنه ولا أطالبهم في سفري هذا بشيء من المعونه فذلك مطلب سنيّ وأمل قصيّ « وحسبي من غنى شبع وري » والله يديم عليه مزيد آلائه الفاخره ويكفيه شر الجوع في الدنيا والآخره

وكتب عن نفسه على ظهر المكاتبة المذكورة مازحا أيضا

سلم الله سيدي وأدامه ووالى عليه إنعامه وإكرامه قرأت ما كتبه هذا الحر وماشكاه من الجوع والضر وسأل الامير أن يشفع له في أن يشبع ونحمد الله جل جلاله على أن شكا لمن لا يخفى عليه حاله ولا ينطلي لديه محاله ولو تأتى لهذا الحر أن يشبع لأكل ما في الصعيد أجمع وهيهات أن يقنع سمعت من الاسرائيليات في سالف الايام عن سليمان على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام أنه لما رأى كثرة ماله وسعة ذات يده وانبساط مملكته وأن الجن والانس في خدمته اشتهى أن يولم وليمة يعم بها نوع الانسان وسائر أنواع الحيوان حتى الطير في جو السماء والسمك في جوف الماء فاختار بقعة من فضاء البر بجانب البحر المحيط الاكبر ثم بث أوامره فيمن تحت حكمه من السلاطين وأمر أيضا أعوان الجن ومردة الشياطين فجمعوا له أنواع المآكل والمشارب من المشارق والمغارب حتى صارت كالجبال الشواهق وظن أنها تكفي جميع هذه الخلائق ثم ارتفع على بساطه في الهواء ينظر

اليه فما هو الا أن أشرف عليه حتى خرجت سمكة من الماء فأكلت جميع ما اجتمع فى ذلك الفضاء ثم سرحت تلتمس أكلا وتقول ما جعت مثل هذا اليوم أصلا وهذا الحر لو أكل هذه السمكة فى الغداء واستوفى أمثالها فى العشاء لرأيته يشتكى المجاعه ويستدعى هذه الشفاعه وقد اشتهر أمره فى هذه الديار كاشتهار الشمس فى رابعة النهار حتى خاف الناس صاحبنا وتحامى كلهم جانبنا وحتى صرنا اذا خرجنا معه للبلد ووقع عليه بصر أحد أنذر الناس بالخطب المهول وتصايح الصبيان على البعد الغول الغول وشالت البهائم باذنابها وهربت الركائب بركابها ودخل الناس فى البيوت وأحكموا اغلاق أبوابها فما يطمئن لهم جنان ولا يستقر بهم مكان حتى يرجع من البين ويبعد عن العين فهذه حقيقة أمره والأمير أدرى بخبره فان سمحت له الفرصة بالمجاوبة عن هذه المداعبه عدّ من افضاله حرس الله حلية كماله

وكتب على لسان بعضهم

بعد اهداء التحية والسلام والثناء على الدوام نحمد الله سبحانه على العافية والسلامه ونرجوه أن تكونوا على ما يسرّ الخاطر من الصحة والكرامه فاما أمر الشوق والمودّة فظاهر لا يخفى وذلك الضمير المنير أصدق شاهد وأوفى والله يعين بسرعة التلاق ويطوى شقة الفراق وأما حال النجلين الكريمين حفظهما الله وأبقاهما وراعاهما ووقاهما وأسعدهما ورقاهما فهما على ما يسر من الصحة والسلامه وحسن الحالة والاستقامه وقد حصل اختبار ما حصلاه فى هذا العام وكان بعض ذلك فى مجلس الامتحان العام فأظهرا ما يسر الفؤاد من ثمرات الاستعداد وحسن الغيرة والاجتهاد وأفصح منطق الحال بالبشارة عن حسن الاستقبال فالله يحقق فيهما الامال ويبقيكم لهما الازمان الطوال مع كمال الصحة وراحة البال لتروهما فرقدى سماء الكمال ونرى مطالع الفضل والافضال والمرجو أن تترادف رسائل الوداد لاجل اطمئنان الفؤاد حتى تنتهى مدة البعاد

وكتب لبعضهم على لسان أحد أصحابه

سلام يعبر عن الوداد طيب عبيره ويخبر عن اخلاص الفؤاد لطف تعبيره وثناء على محاسن تلك الشمائل أرق من نسمات الشمائل وتحية بهيسة تباهى الخمائل بنفحات أورادها وأدعية مرضية جعلتها الالسنة خير أورادها وسؤال عن المزاج الزاهر وصحة الخاطر الباهر لازلتم محل نعمة يتصل على مدى الايام بقاؤها ويزيد على مر الشهور والاعوام بهاؤها ولا برحت ثغور الاقبال اليكم بواسم ورياح

الآمال لديكم نواسم ولا انفكت الايام والليالى متقلدة بحلاكم أجيادها والمعالى متسابقة الى ساحة حماكم جيادها آمين

وبعد فانى بى من الاشواق ماتضعف عن حمله حمائم الاوراق ومن التأسف على ماحرمته من لقياكم والتلهف الى مطالعة أنوار محياكم مايقصر عن وصفه لسان البراعه ويقصر دون رصفه بيان البراعه ويضيق عنه نطاق العبارة ولا ينفسح له ميدان الاشارة وان فى ضميركم الاجلى ونور فكركم الاعلى مايكفى فى الدلالة ويغنى عن الاطالة فى المقالة وان تفضلتم بالسؤال فانا بحمد الله قد بلغنا الآمال والجميع فى صحة وعافية وحسن حال والكل مشتاقون اليكم يسلمون عليكم

وكتب على لسان غيره جوابا عن كتاب ورد من بعض الامراء الى ذلك الغير بعد تأخر مكاتبته

تشرفت بكتاب ولى النعمة أطال الله عمره وأيد بامره أمره وأدام اقباله ولا كشف عنى ظلاله فكان للرأس تاجا وللنفس ابتهاجا وللعين قرة وللجبين غرة وللصدر راحة وشفاء وللراحة جمالا وبهاء وقابلته بالتقبيل وأحللته محله من التبجيل وتقلدت به من الفخر ما أتجمل به اخر الدهر ومن المنة ما أستقل له وافر الشكر وعرفت فيه من حال سلامته ما ابتهلت الى الله جل اسمه فى استدامته وسجدت شكر الله سبحانه على هذه النعماء اذ كان شكره سبحانه سبيل البقاء والنماء ولم يكن تأخر العبد عن المكاتبة لهذا الوقت اخلالا بالخدمة ولا كفرانا للنعمة ولكن ذهابا مع الهيبة والحشمة وثقة بنزاهتى عند مولاى فى جميع الاحوال عن شائبة الظنة ووصمة التهمة وعلما بان السيد أعرف بأحوال الخدم وان لسان الحال أفصح من لسان القلم وليكون اذا أنعم لعبده بالمكاتبة هو السابق لهذه الفضيلة كما أنه السابق لكل مكرمة جميلة ومنة جليلة رعاية لحقه فى عادة سبقه وايثار الجنابه بما هو أولى به لازال حلية للفضل والافضال زينة للايام والليال سباقا الى كل غاية من الكمال تقصر دون أدنى مداها أقاصى الامال وأدام الله حسن إمتاعنا بما يلقى علينا من أنظاره وسرور أسماعنا بما يأتى الينا من سار أخباره والحال هنا على مايحبه ويسر بمعرفته قلبه جمالا وكمالا والتئاما وانتظاما والسادة الانجال بخير الاحوال كما يجب وعلى ما يحب أنبتهم الله نباتا حسنا وزادهم بمنته ويمنه سناء وسنا والامل أن يديم على مولاى ماتعودت من حسن نظره وكل

مالزم فى هذا الطرف من خدمة فهو رهن أمره أبقاه الله محفوفا بالنصر محفوظا من غير الدهر ممتعا بالسلامة وطول العمر والامر لمن له الامر

وكتب عن بعض الاحبة جواب كتاب بوصول هدية اليه

ان أبدع مارقمه بنان البيان وأبرع مانظمه لسان الافتنان وأبهر ماسمعته اذان الأذهان وأزهر ماطالعته عيون الاستحسان سلام يفوح طيب الود من نفح عبيره ويلوح نشر الوجد من طى تعبيره وثناء يجارى نسمات الصبا بلطف الشمائل ويبارى زهرات الربا بظرف الغلائل مع شوق يقصر عن وصفه لسان التقرير ويضيق عن وصفه نطاق التحرير الى حضرة جمال الدين والدنيا وتاج هامة المجد والعليا الفائز من الشرف الاعلى بالقدح المعلى لازالت ثغور السرور باسمة اليه وظلال الاقبال دائمة عليه (وبعد) فما روضة رنحت النسائم زواهر أغصانها ودوحة وشحت الغمائم بواهر أفنانها فباحت فيها الحمائم بترديد أشجانها وصدحت البلابل بتغريد ألحانها واختالت الاشجار من درّ زهرها وفضة غدرانها بين حلى خلاخلها وتيجانها بأبهى منظرا ولاأشهى خبرا ومخبرا ولاألطف موقعا ولا أظرف مسمعا من كتاب استكملت أنواع المسرة بوروده واقتطفت فى حدائق المودة أزهار وروده قد جرى به ماء الفصاحة غير آسن وجمع أشتات الملاحة والمحاسن من كل لفظ أحلى من الشهد وألذ من طيب الكرى بعد طول السهد ان نظم يخجل الدرر فى أسلاكها أونثر يزدرى الدرارى فى أفلاكها وقد وصف بعض ماأكابده من آلام الفراق ولواعج الاشواق فكأنما عبر به عن لسان حالى وان قصر دونه لسان قالى وقد وصل معه ماتفضلتم باهدائه وتكرمتم باسدائه مما هو أثر الوداد وثمرة محبة الفؤاد فالله تعالى يمتع بقربكم قلبا يتقلب فى حبكم ويسر بدوام بقائكم روحا ترتاح لطيب لقائكم ثم الرجاء أن لاتنسونا من مراسلات الوداد التى يطمئن بها الفؤاد فذلك غاية المأمول ونهاية المسؤل

وكتب على لسان صديقه المرحوم على مبارك باشا وكان اذ ذاك ناظر المدارس الى المرحوم سلطان باشا مفتش الصعيد وقتئذ

لايخفى على تلك الفطنة العالية والقريحة الحالية أن تقدم الأمة فى طريق التمدن ورسوخ أقدامها فى ذروة التمكن انما يكون بواسطة عظمائها وعلمائها وفضلائها ونبلائها وهذا انما يمكن الوصول اليه والحصول عليه بنشر آثار بيانهم واستفادة العامة من استفاضة أنوار أذهانهم وهذا أيضا لايتأتى الابالوسائل النشرية أى بوسائط الصحف الدورية العلمية والخبرية وهذه انما تستقيم سوقها

وتنفق

وتنفق سوقها بواسطة أعيان الامة الكرام وترويجهم لها عند الخاص والعام فرجع الامر اليهم ومدار هذا المهم عليهم وهذا كما قال تشبيب بعده مديح وتلويح يعقبه توضيح وتصريح والغرض من ذكر هذه الوسائط المتصلة والوسائل المتسلسلة انما هو روضة المدارس وهى روضة ابتدئ غراسها وجنة أنشئ أساسها فان ساعدها الاقبال باقبال سعادتكم عليها وتوجيه نظر أولى العوارف والمعارف اليها رُويت بماء الفضل والافضال وانتعشت بنسمات الكمال والجمال فعند ذلك تتنوع أشجارها وتتضوع أزهارها وتينع ثمارها وتثبت أصولها ويكثر محصولها وتتسع مزارعها وتعم الأمة منافعها وان نالها من الاغماض سموم الادبار وأصابها من الأعراض إعصار فيه نار خصوصا وهى قريبة العهد بالوجود عاطشة لماء الفضل والجود ذبلت أغصانها وذويت أفنانها وانتثرت أوراقها وسقطت ساقها وأنتم أولى من يغار للفضل وأسبابه وينهض ويستنهض غيره لفتح بابه لاسيما واقليم الصعيد أوّل ماعمر من هذا القطر السعيد وقد صار والحمد لله سلطان الفضل به ظاهرا وصاف من العناية العلية الخديوية قوة وناصرا والمرتب فيه الآن من روضة المدارس نسختان لاغير وهو أقل من القليل بالنسبة لمن بها من أهل الفطنة والخير فاذا نسب هذا العدد للمرتب منها فى الجهات البحرية أو الى الموجود فى الجهتين من عدد النفوس الأهلية كانت النسبة منقطعة ومسافة الفرق متسعة وهذا أمر أغار لتلك الهمة منه وأنزه تلك الغيرة الوطنية عنه فلم يسعنى غير المبادرة للاعلام وتسليم تلك اليد الكريمة هذا الزمام وهذه سفينة نجاح ومركب صلاح وفلاح نروم المساعدة على جرها والمعاونة فى سرعة سيرها فعساها تهب عليها نسيم القبول وتفوز بالوصول الى ساحل المأمول وليس المأمول غير انفساح أذهان الأمة وانتفاع العامة فى ظلال حضرة ولىّ النعمة ويصل مع هذا (كذا) نسخة من الروضة ليكرم بتوزيعها فى تلك الأوطان والتفضل على هذا الطرف بالافادة عما يترتب منها الآن ودمتم فى قبول واقبال ومزيد فضل وكمال

وكتب عن لسان بعضهم أيضا

سلام يتضوع بنفحات الاخلاص عبيره ويخبر عن مزيد الود والاختصاص تعبيره ودعاء يحلو ويكرره ويكون على أبواب الاجابة مورده ومصدره وثناء على تلك السجايا الباهرة والخواطر الزاهرة التى تحلت بها اجياد المعالى وتباهت بها الأيام والليالى

وبعد فأما التشوق الى مشاهدة ذلك المحيا والتشوف الى التشرف بلثم تلك

الراحة العليا فانى أحسد هذه الرقيمة على وصولها لتلك الساحة البهية دونى وأود أنى لو أكون مكانها لتكتحل بأنوار المشاهدة جفونى وأما التشكر على سوابق الهمم الجليلة والمكارم الجزيلة فانى لو حصرت فيها أوقاتى وصرفت عليه أنفاس حياتى فلا أقوم بفرضه ولا بأداء بعضه فحسبى الابتهال الى الله الكريم فى الدعاء فانه ولى المكافأة والجزاء وقد كان فيما سبق من تلك العواطف السامية والمآثر العالية ما يحجبنى عن اعادة الرجاء ويشغلنى بواجب الشكر والثناء ودوام الدعاء ولكن اغترارى بما أنا مفتخر به من قديم المحسوبية وثقتى بتلك العواطف العلية وركونى الى تلك المكارم الوفية واعتمادى على ما يعهده الجميع من معالى الشيم البهية أوجبنى معاودة الرجاء وتكرار الالتجاء فيما سيذكر وهو كذا وكذا وقد جعلناه هذا وسيلة للتشرف بمكاتبة سيادتكم واستجلاب أنظار سعادتكم وتبريك شهر الصيام المترقب طلوع هلاله أبقى الله سيدى لأمثال أمثاله فائزا بجميع اماله رافلا فى حلل إقباله راقيا من السعد الاتم فى درجات كماله آمين

ما كتبه

بناء على طلب

مما عثرت عليه مما كتبه بناء على طلب لينشر

بك اللهم نستفتح باب النجاح ونستمنح أسباب الفلاح وبالثناء عليك بجلائل أسمائك نستوهب المزيد من جزائل نعمائك وباستدعاء صلاتك صلاتك على خير الشفعاء لديك نتقرب له ونستشفع به اليك فانه أكرم الخلق عليك باسطين على أبوابك أكف السؤال متوسلين الى جنابك ببضاعة الرجاء وضراعة الابتهال أن تديم دولة أمير المؤمنين وأمين أمور المسلمين خليفة رسولك الأمين على من استرعيته من العالمين وتعزبه الملك والدين أبد الابدين وأن تمتع بطول الدوام وحصول المرام حضرة عزيز مصرنا وغرة وجه عصرنا وتحفظ له أنجاله الانجاد وتبلغه من حسن أمره ما أراد وأن تديم توفيقه لما فيه صلاح حالنا ومآلنا ونجاح أعمالنا وآمالنا وفوز أوطاننا بأوطارنا وسمو أقدارنا بأقطارنا وأن تعين أمراءه وعماله وأمناءه على معاضدته في أعماله الناجحة ومساعدته على آماله الراجحه وأن توزعنا شكر نعمك وتودعنا بكرمك وتهدينا سبيل الرشاد وتوفقنا للخير والسداد «كي نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا إنك كنت بنا بصيرا» وبعد فلما كان التحدث بالنعمة طاعه والشكر عليها واجب على قدر الاستطاعه كان علينا أن نحلي بنان البراعة ونطلق في ميدان البلاغة عنان اليراعة بذكر ما أنعم الله به على هذه الديار السعيدة الجد في عهد عزيزها الاسعد ووالده الماجد وجده الأمجد وقد أفادت التواريخ العظيمة باجماعها وشهدت الآثار القديمة بلسان ابداعها أن هذه الديار كانت في سالف الاعصار قدوة الامصار في المجد والفخار وكعبة الفضل التي يحجها كل ناجب من كل جانب ومدينة العلم التي يقصدها كل طالب من الاجانب ليستفيدوا من أهلها عوارف معارفهم ويستزيدوا من طرائف لطائفهم ويتعلموا عليهم ما لم يكن لديهم من الصنائع العجيبه والبدائع الغريبه فهم الذين سهلوا سبل البراعة لسالكيها وذللوا أعنة الصناعة لمالكيها على حين كان غيرها لم ينشق عن صبح المعارف ظلامها ولا انزاح عن وجه التمدن لثامها فكانت مصر أم الدنيا تقدما وتقدما وأهلها آباء الناس تربية وتعليما وكان الكل عيالا عليها وأطفالا بالنسبة اليها وناهيك دلالة على فضلها القديم ما حكاه أفلاطون الحكيم أن سولون الفيلسوف الكبير أحد حكماء اليونان المشاهير لما قدم الى مدينة صا الحجر من اقليم الغربيه ليمارس العلوم

والمعارف الحكميه وذلك قبل المسيح عليه السلام بنحو من سبعمائة عام قال له قسوسها یاسولون انما أنتم معاشر اليونان بالنسبة الينا أطفال ليس فيكم من شيخ يعد في الرجال الى آخر ما قال وحسبك من بقاياها ما تراه في خبايا زواياها من بدائع الاسرار المرموزه في روائع الآثار المكنوزه التي سارت بأحاديث فضلها مطايا الايام فهي عجائب وعقمت عن انتاج مثلها حبالى الايام التي تلد العجائب فهي أحدوثة الزمان وأعجوبة الامكان وبكر الفلك الدائر ويتيمة الدهر الداهر وقد طالما حاولت يد الزمن الغالب أن تعفي آثارها وطاولت همم المتغلبين عليها من الملوك الاجانب دمارها فلم تزل منها بقيـة يغالبهم إفناؤها ويعاندهم بقاؤها حتى شاب عنها أيادي الاعادي وملت منها غوادي العوادي وحتى خضعت لديها أرباب الافكار العاليه وتقطعت عليها رقاب الاعصار الخاليه وحتى لقد هرمت الايام وهي متباهية بشبابها وتصرمت الانام وهي باقية بين أترابها ناطقة ببراعة عبارتها شاهدة في اشارة حسن شارتها شاهدة لمصر عما لها من قدم المجد المؤيد وقدم الصدق في السبق الى كل سودد على أنه لو جحد الخصم دعواها وهيهات وطالبها خصمها في محافل الفخر باثبات ما فات لكفاها أن تقيم شاهديها الكريمين من هرميها الهرمين فيخبرا عما كان من قبل الطوفان ويشهدا عما علم من فضلها وما كان من مجد أهلها وانهم كانوا أثبت الناس في التمدن قدما وأسبقهم الى التفنن قدما وأطولهم في أحاسن الفضائل باعا وأميلهم الى محاسن الشمائل طباعا ثم تناولتها الايادي المتطلبه وتداولتها الاعادي المتغلبه فبددوا أهلها وبددوا شملها وأتلفوا ما استطاعوا من تلك المعالم وتفننوا في أنواع المظالم حتى أصبح مزاج الفضل بها فاسدا وسوق العلم فيها كاسدا وربع المعالي خاليا وبيت الاماني على عرشه خاويا ولم تزل كذلك الى أن انتهت للمرحوم محمد على على الشان سقى الله تعالى ضريحه سحائب الغفران وأحل روحه رياض الرضوان فخلصها من مصاعب المصائب واستخلصها من نيوب النوائب وصيرها موطنه ومأمنه وحماه ومنع جانبها من صنوف الصروف وحماه وبذل الجد في لم شعثها ولم يأل جهدا في تسهيل وعثها وأعاد ما سلب الفقر من نضارة نضارتها ورد ما غصب الدهر من غضارة حضارتها حتى ذهبت بحسن علاها وحلاها ونسيت ما كان من بلاها وبلاها الخ

وهذه صورة افتتاح كتاب استدعاه بعض المحبين فكتبه على حسب الطلب

سبحان من جعل اللسان ترجمان أسراره وشرف الانسان بالنطق والبيان اعلاء لمقداره وأودع في اختلاف اللغات من عجائب قدرته الباهره ودلائل حكمته

الظاهره وآيات ربوبيته القاهره ماعبرت عنه الالسن بتفنن أدائها واعترفت به الامم على تباين آرائها واختص كل أمة بلغة تشترك فى فهمها وتعبر عن سرائر الضمائر بكلمها وميز بعض اللغات بمزيد المزيه كما اقتضته المشيئة الازليه هذا ولا شك أن ألطف اللغات وأبدعها وأجلها وأنفعها وأكثرها تداولا وأشهرها تناولا وأهمها تعلما وألزمها تكلما هى اللغة العربيه واللغات الفرنساويه والانكليزية والطليانيه فهذه الاربعة هى لباب اللغات وباب الفضائل والكمالات ومفتاح التمدن والتقدم ومصباح التفنن والتعلم أما الاولى فانها أساس البلاغة وقسطاسها ومقباس البراعة ومقياسها ومعدن الفصاحة وينبوعها ومحمول اللطافة وموضوعها فقد حوت من عذوبة المبانى وتناسب الالفاظ والمعانى وغزارة المواد والفوائد وكثرة المصادر والموارد مااعترف بقدره كل لسان واغترف من بحره كل انسان ثم هى مدار علوم الشرقيين ومناط الاختلاط بالاسلاميين وأما الثلاثة الباقية فهى أعظم الالسن الاوربية وأحسن اللغات الافرنجية وبها يتوصل الى تعلم علوم الافرنج ومعارفهم واستخراج نفائس فنونهم ولطائفهم ومعرفة ماابتدعوه من الصنائع الجليلة واستفادة مااخترعوه من البدائع الجميلة وماأظهروه وابتكروه من عجائب الغرائب التى ملأت المشارق والمغارب فلا سبيل الى تحصيل هذه الفوائد التى هى فى جيد الزمان فرائد القلائد الا بواسطة هذه اللغات الاربعة الجامعة لكل مزية ومنفعة وهذا كتاب قد حوى من اللغات المذكورة جميع مايحتاج اليه وجمع مايعوّل فى تعلمها وتعلمها عليه فى أسلوب مرغوب وتأليف مألوف وشكل بارع وطرز رائع بعبارات سهلة وألفاظ متداولة مستعملة مع ترتيب لطيف وتبويب ظريف على وجه سهل غير ممتنع بحيث يقرب تعاطيه الى كل منتفع قد جمعه الاخوان الشقيقان فلان وفلان ولدا فلان والمسؤل من أرباب الكمال وأهل الفضل والافضال أن ينظروا اليه بعين الرضاء ويسبلوا ستر العفو والاغضاء على ماطغى به القلم أو زلت فيه القدم وهذا أوان الشروع فيما قصدناه ونسأل الله الاعانة على ماأردناه وأن ينفع بهذا المجموع من تلقاه بالاقبال والقبول ويبلغنا من فضله وعميم كرمه المأمول

وكتب بناء على طلب فى بعض المآثر الاسماعيلية لينشر فى الوقائع المصرية

من أحسن ماتشنف به المسامع ويتشرف به السامع وأشرف ماتقلد بحليته الوقائع وألطف مايشهد بصحته الواقع حديث مالم تزل تبديه الافكار السديدة الداوريه وتسديه وتتحف به هذه الديار السعيدة المصرية وتهديه من بواهر المآثر التى أصبح

العالم لهج بذكرها وشكرها وزواهر المفاخر التي أضحى الكون أرجا بنشرها مبتهجا بشرها فانه أسبغ الله عليه ظلاله وبلغه آماله وحفظ أنجاله وأدام توفيقه واقباله منذ شرف حكومتها العالية بمجده واستولى ادارتها الحالية بسعده لم يأل جهدا في تمكينها وتمدينها وتزيينها بعوارف المعارف وتحسينها وتزييد موارد غناها وثروتها وتأييد شواهد علاها وقوتها ولما كان من أعظم وسائل الحضارة وأهم وسائط المدنية والعمارة تقدم أمور الزراعة والتجارة لم يزل صارفا اليهما أنظاره وأفكاره شاغلا عليهما ليله ونهاره أما التجارة فلما كان من أكبر أسباب ازديادها واتساع موارد ايرادها تسهيل السبيل في اصدار البضائع وايرادها بحيث يسهل تنقلها من بلد الى بلد وييسر تداولها من يد الى يد توجهت عنايته السنية الى هذا الامر المطلوب وسهل سبيلها في البحر والبر على أحسن أسلوب فاستحدث في البحر الشركة النافعة البهية المعروفة بالقومبانية العزيزية المصرية فأخذت في الجهة الشمالية من الاسكندرية المحمية الى دار الخلافة العلية وما بينهما من السواحل المشهورة والمدائن المعمورة وسارت في الجهة الشرقية بالبحر الاحمر من السويس الى السواحل الحجازية واليمانية ثم الى القصير وسواكن ومصوع التي هي موارد البلاد السودانية والحبشية ومراكزها التجارية وترددت في بحر النيل بين ثغر الاسكندريه ومصر المحميه والى سائر المدائن والبنادر والموارد والمصادر في الجهات البحرية والقبلية من الديار المصرية مع حسن سلوك من فيها من المأمورين والملاحين ومجاملتهم في معاملتهم لجميع المسافرين من التجار والسائحين فكان بها ما لا يحصر ولا ينكر وما هو أشهر من أن يذكر من المزايا الجميلة والمحاسن الجليلة في تسهيل تعاطي التجارة لطلابها وتيسير أمور السفر والسياحة لرغابها زيادة على منافع أربابها الى غير ذلك من روائع البدائع وقد سبق الالماع ببعضها في صحائف الوقائع هذا بالنسبة الى البحر وكذلك جرى الامر في البر فان المكارم الداورية والمراحم الاسماعيلية أنشأت من طرق الحديد على الوجه الجيد والوضع السديد ما سهل من السفر كل أمر شديد وجعل البلد البعيد أقرب من حبل الوريد حتى صير البلاد البعيدة متجاورة والمسافة الطويلة متقاصرة وكم بلدة كان تحمل اليها السفر الطويل والعناء الوبيل نخوض أحشاء النهار وأجواف الليل ونضرب آباط الابل وأكباد الخيل حتى نبلغها وقد بلغت النفس جهدها واستنفدت من خزائن الصبر ما عندها فصرنا نصل اليها في الساعة والساعتين في راحة قلب وقرة عين فما بقي في ذكري وحصره فكري من هذه الطرق الحديدية

المنشأة فى عهد الحضرة العلية الخديويه الطريق الممتدة من ثغر الاسكندريه الى
مصر المحميه وهى مسافة ١٣٢ من الاميال وهى فى مجاورة الطريق المنشأة من قبل
وعلى موازاتها فى كافة جهاتها نخصصت احداهما للوابورات الواردة الى مصر
والثانية للصادرة عنها وقد كانت تسير الصادرة والواردة فى طريق واحدة فربما
تقابل أحدهما مع غيره فى أثناء سيره لتعددها بين الجهتين بسبب كثرة السفر من
الطرفين فيتعذر ايقاف الوابورين سرعه ومنعهما من الجرى دفعه
فان كلا منهما بعد ايقاف آلاته وصرف البخار من محلاته لا يزال مندفعا
بآثار القوة السالفة كأنه الريح العاصفة حتى يصطدما ويتهشما ويحصل
ما يحصل من الضرر الكثير والخطر الكبير فارتفع بحمد الله هذا الضرر
وامتنع الخوف والخطر فى عهد الحضرة العلية الاسماعيلية بهذه الطريقة
البهية ومنها فرع بلبيس أى الطريق الممتدة من قليوب مركز اقليم القليوبيه
الى الزقازيق مركز الشرقيه ثم الى المنصورة مركز الدقهليه فى خمسة وثمانين
ميلا وفرع محلة روح المتصل منها الى زفتا من اقليم الغربية فى عشرين ميلا
وكذلك الفرع الممتد من محلة روح المذكورة الى مدينة دسوق المشهورة فى أربعة
وثلاثين ميلا والفرع الممتد من سمنود الى طلخا فى ١٢ ميلا والفرع الآخذ من
بنها الى متبره فى ثمانية أميال كل هذه تمت أعمالها وتيسرا كمالها وشرعت
وابوراتها من أزمان متفاوتة ومدد مختلفة فى نقل الناس والبضائع وسائر
المنقولات الى هذه الجهات المبينة وما بينهما من البلاد والمراكز المعينة وكثير من مثل
ذلك جار فيه العمل بغاية الاجتهاد وكمال الاستعداد على وفق السداد وفوق
المراد وقد تم غالب عملها أو كاد فمن ذلك طريق الوادى الآخذة من قليوب اليه ثم الى
السويس فى مسافة مائة ميل ولا يخفى زيادة مزية هذه الطريق على الطريق
الموجودة من قبل بين مصر والسويس فان تلك قد مرت فى أرض خالية واعترضتها
جبال عالية وهذه الجديدة تمر بين بلاد معمورة وعلى مدائن مشهورة فينتفع بها
كل ما فى طريقها من البلاد وتكثر بها التجارة والعمارة هنالك وتزداد ثم انها ليس
فى أثنائها مثل تلك الجبال فهى أربح وأصلح على كل حال ومن ذلك الطريق الممتدة
فى ٢٠ ميلا من مدينة طندتا التى كانت مركز الغربية الى مدينة شبين التى كانت
مركز المنوفية والآن كلتا المدينتين من مديرية روضة البحرين الواقعة بين
الفرعين من النيل السعيد الممتد أحدهما الدمياط والآخر الى رشيد وقد جعلت
مدينة طندتا العظيمة مركز هذه المديرية الجسيمة واتصلت بها من كثير الجهات

طرق الحديد وسهل طريق الوصول اليها لمن يريد لكونها فى الجهات البحرية مركزا للتجارة وموردا للسيادة ومعهدا يقصد من جميع الآفاق للزيارة لاسيما فى الموالد الأحمدية الصغيرة والكبيرة والرجبية ومن ذلك فرع البرية الآخذ من دسوق الى بيلا الى بلقاس الى شربين الى دمياط مسافة خمسة وسبعين ميلا ومنها الطرق الآخذة من نوى الى كفر حجزة ومن دمنهور الى الرحمانية والطريق من قليوب الى القناطر الخيرية وهذه الطريق قاربت التمام والمأمول انتهاؤها فى ظرف ستة أيام وأما الطريق الحديدية الآخذة من مصر للجهات الصعيدية فماذا يصف اللسان من محاسنها التامة وماذا عسى يبلغ البيان من فوائدها العامة ولولا ما كان من أمر النيل المبارك فى هذا العام وافراطه فى الزيادة على خلاف العادة المعتادة فى سالف الأعوام وما ثلمه من جهاتها وهدمه من بعض محلاتها لانها كانت حديثة العهد بالاعمال لم تستوف غايتها من الاكمال لكانت وصلت فى أمد قريب الى منية ابن خصيب ومسافتها بالميل ١٤٠ وكذلك الفرع الموصل الى الفيوم ومسافته ٢٢ ثم ان العزيز مد الله أيامه وبلغه جميع مارامه تدارك بعزمه الجليل وحزمه الجميل ما فرط على هذه الطريق من افراط النيل فبنى مهدومها وشعب مثلومها وداوى عراهم دراهمه ومكارم مراحمه كلومها وها هو لم يزل بها العمل على غاية الاهتمام وكمال الجد والاقدام ومزيد الاتقان والاحكام والاعتناء التام فالمأمول أنها تنتهى بعون الله فى هذا العام وتبقى غرة فى جبين الأيام وقرة لعيون الانام ويدنو البعيد من بلاد الصعيد فتتسع تجارتها وتزداد ويكثر الاصدار والايراد وتتحد عما فى الجهات البحرية من البلاد ويسهل السفر اليها لمن أراد وقد مد فى جميع هذه الطرق الحديدية خطوط الاشارة الكهربائية فسهلت تعاطى الأخبار ويسرت على التجار معرفة الاسعار فى جميع القرى والامصار فصارت سكانها متشافهة بأخبارها على تنائى ديارها متناجية بأسرارها على بعد مزارها وهذه غير الخطوط التى استحدثت فى غير طرق الحديد المذكورة فان خطوط الاشارة الممتدة من مصر الى الجهات القبلية بعد أن وصلت فى الصعيد الأقصى الى مدينة اسوان قد بدئت منها آخذة الى بلاد السودان وبلغنا أنها تجاوزت وادى حلفه ومنها فوق اسوان نحو ثلاثمائة ميل ثم بعد التحاق جهتى مصوع وسواكن بالحكومة المصرية شرع فى مد خط من سواكن الى مدينة كسلة مركز اقليم التاكة أحد الاقاليم السودانية ليتصل من هنالك بالخط الممتد من اسوان الى السودان وقد بلغنا أنه عما قريب يصل خط سواكن الى مدينة كسلة وبين الجهتين ١٥ مرحلة

وباتمامه

وباتمامه تتصل المخابرة الكهربائية بهذه الصورة بين سواكن والسودان واسوان ومصر وسائر الجهات وقد صدر الامر بمد خط اشارة أيضا من مدينة القصير الواقعة على ساحل البحر الاحمر حتى يتصل فى مدينة قنا بالخط المار منها الى اسوان والى بلاد السودان كما سلف البيان فهذا بعض ما أبدته المكارم الداورية فى توسيع دائرة الامور التجارية بتسهيل الوسائط النقلية فى الطرق البرية والبحرية وتيسير المخابرة فى الجهات البحرية والقبلية بين البلاد المتنائية والاقطار الشاسعة والاماكن القاصية وأما الأمور الزراعية التى هى فى هذه الديار المحمية أساس التجارة ومبناها وسماؤها التى يلوح منها سناها وبدر ليلها وشمس ضحاها وقطبها الذى تدور عليه رحاها فما زال الجناب الخديوى يسقيها بنيل افضاله ويفيض عليها غيوث بره ونواله ويمدها تارة بآرائه ومرة بفيض عطائه حتى وصلت فى التقدم درجة لم نكن رأيناها فى الأيام الماضية وصلتها وتجاوزت غاية ما سمعنا فاقط أنها فى الأعوام الخالية حصلتها ومع ذلك لم يزل مشغولا بما يزيدها اصلاحا ويفيدها انجاحا وافلاحا فمن ذلك ما بلغنا بالاخبار اليقينية انه منذ أيام عقدت جمعية خصوصية تحت رئاسة الحضرة السنية الخديوية مركبة من حضرات الامراء العظام أكابر رجال الهندسة الكرام محمد مظهر باشا وكيل الاشغال العمومية وناقب باشا مفتش هندسة الاقاليم القبلية وعلى مبارك بيك المهندس بالمعية السنية وسلامة بيك مفتش هندسة الاقاليم البحرية والغرض من عقد هذه الجمعية الباهرة فى ظل تلك الحضرة الزاهرة مجرد المذاكرة فيما يثمر للزراعة مزيد الفوائد ويعود عليها بخير صلة وعائد فامتدت هذه الجمعية أياما يتجاذب فيها باهداب الافكار ويتفاوض بها فى بدائع الآراء وروائع الانظار حتى استقر الحال على ما سنذكره بلسان الاستبشار وننشره مع المسرة والافتخار ونحلى به صحائف وقائع الاخبار فمن ذلك استحداث القناطر اللازمة فى المحلات المناسبة من جهات الصعيد لاجل انتظام مصلحة الرى والامن عند افراط زيادة النيل السعيد وذلك أن الاقاليم الصعيدية منقسمة الى أحواض فسيحة الارجاء بعيدة الانحاء لكل واحد منها جدول يعرف بالترعة يجلب اليه ماء النيل المبارك لرى الارض وليس فى فوهات هذه الترع قناطر مستعدة لقفلها عند تمام رى الحوض من أجل كف الماء الزائد عنه فكان الجارى عند ازدياد المياه على الحوض زيادة يستغنى عنها ويخشى الغرق منها أن تقطع جسوره بالقصد أو تنقطع هى بنفسها من شدة ضرب الماء عليها فينحدر الماء بقوته الى الحياض السفلى وينـدفع من حوض الى حوض حتى يصل الى

الجهات البحرية بقوة زائدة ودفعة واحدة فلا تلبث أن تنقطع جسورها وتغرق مزارعها ودورها الى غير ذلك من الضرر وصنوف الخطر فاستقر الرأى فى تلك الجمعية على أن يجعل فى فوهة كل ترعة من الترع المذكورة قنطرة تقفل وتفتح بحسب الحاجة وفى جسور الاحواض أيضا قناطر كذلك لاجل تخفيف الماء بواسطتها عند اللزوم وبهذه الكيفية يمتنع اندفاق الماء دفعة واحدة على الاقاليم البحرية ويسهل التخفيف عن كل حوض بالتدريج ولا يحتاج لقطع الجسور كالجارى من قبل وتبقى الجسور مأمونة العواقب مصونة الجوانب ويستراح من تكرار عملية الردم فى كل سنة من أجل هذه المقاطع الجسيمة التى تقطع بالاختيار أو تحصل بالاضطرار وترتفع غوائل الاخطار وتؤمن مخاوف المضار ومما استقرت عليه الآراء الزكية فى تلك الجمعية البهية إحكام منافذ الماء المعروفة بالبرابخ وتمتينها واجادة بنائها وترصينها بحيث يحصل النفع بها ويؤمن حصول المضرة بسببها وقد كان الجارى الى الآن من سوالف الازمان أنه متى وصلت درجة النيل المبارك الى ٢٣ ذراعا يودر الى سد البرابخ الموجودة جميعها سواء كانت فى جسور أصل مجرى النيل المعروف هنا بالبحر الاعظم أو فى الترع العمومية المتشعبة منه وما ذلك الا لعدم الوثوق بمتانتها ومقاومتها الشدة صولة المياه التى تندفع منها فقد طالما شوهد وقوع الضرر منها واقتلاع الماء لها عند فتحها أو عدم المحافظة عليها ولو مع قلته اونشأ من ذلك مقاطع جسيمة لم يمكن تداركها الا بالمصاريف الكثيرة والمشاق العظيمة فكان يلزم سدها او التحفظ عليها خوفا من شرها وتباعدا عن ضررها وبهذا كان يحصل الامن عند وقوع تلك المضار الا أن هذه الصورة كانت تلجئ الى تأخير رى الزروع واسقائها عند استدعاء الضرورة ومعلوم أن الخصب ونمو محصول الزرع لا يكون الا بكثرة الطمى وكثرة الطمى لا تكون الا بجريان الماء على الارض وجودة الرى فكان استدعاء الضرورة لسد البرابخ المذكورة وان كان يدفع تلك المفاسد الا أنه يفوّت هذه الفوائد وحصول الغرضين معا لا يكون الا ببناء هذه البرابخ على صورة هندسية حسبما تدعو اليه أصول العمارات المائية من تمتين البناء بالمونة الجيدة واستيفاء الامتدادات وتقوية الاساسات ونحو ذلك وهذا لا يمكن الحصول عليه بالصورة المرومة الا باجرائه بمباشرة معتمدين ينتدبون لذلك من طرف الحكومة فقد شوهد كثيرا جودة ظواهر البرابخ المذكورة وفساد بواطنها المستورة بحيث تكون مبنية بالمونة الرديئة والطوب الاخضر وربما كان بعضها معروشا بالاخشاب لان الأمر فيها كان موكولا الى أصحابها وبعضهم لا يكترثون بها إما جهلا

بمـا يلزم لها من القوة والمتانة التى تقاوم صـدمات المياه وإما فرارا من زيادة المنصرف عليها فلهذا تعين أن يكون إعمـالها بمعرفة المعتمدين المذكورين بحيث يكون اجراء ذلك من طرف الحكومة كسائر العمارات الأميرية وبعد حصر ما يصرف عليها يوزع على حسب الانتفاع وقبل ذلك يعمل رسم ثلاثة برابخ كبير ووسط وصغير بمعرفة جمعية مخصوصة ليكون ذلك نموذجا لما يعمل منها ويكون البناء على موجب تلك الرسوم الآن البرابخ الموجودة فى جسور البحر الاعظم والترع العمومية بالغـة فى الكثرة مبلغا زائدا عن الحاجـة حتى انها فى مديرية الدقهلية وحـدها بلغت ٢٤٩٠ بربخا بما فيها من برابخ السواقى وبعض البـلاد بها نحو ٤٠ بربخا وأكثر فهـذه البلاد ينبغى تقليل برابخها حسبما يرى لمصلحة تفتيش الهندسة واتصال مياه تلك البرابخ بمسقاة واحدة من وراء الجسور وباقى البرابخ تأخذ المـاء من تلك المسقاة فان بذلك يحصل الامن على الجسور العمومية وتسهل المحافظة عليها وأما برابخ السواقى فهذه يتحتم سدها كلها من غـير استثناء والسواقى التى تكون وراء الجسور ينبغى التحفظ عليها باعمـال حوش عليهـا والبلاد التى يمكن لها أخذ المـاء من الترع العمومية ويكون لها برابخ على البحر الاعظم تبطل برابخها المذكورة وتأخـذ المـاء من الترع لزيادة الامن اذلا حاجـة لها بأخـذه من البحر فباجراء ذلك وإعمـال البرابخ على الوجـه المتقـدم وفتحها فى موسم فيضان النيل وبتقوية جسور الترع التى أفواهها فى البحر الاعظم لاجل أخذ المياه بها على حسب الحاجـة فى زمن ارتفاع النيـل وبتطهير المصارف وتقوية جسورها يسهل أخذ المـاء وجريانه على الارض وتمتنع الاخطار ويزداد الخصب ان شاء الله حسب المأمول وينمو الزرع ويكثر المحصول ويتسنى القصد ويحصـل المسؤل ومما جرت فيـه المفاوضـة بهذه الجمعية كيفيـة القناطر والترع فى الجهات البحريه وتنظيم عمليـة التطهير للترع الصيفية بصورة مرضية وأنفع كيفية فمن ذلك أن ترعـة المنصورية الجارية فى اقليم الدقهليـة تقرر أنها غير كافية نظر الكثرة ما هو مرتب عليها الآن من المزروعات الصـيفية بالنسبة لما كان من قبـل وفضـلا عن كون هذه الترعة مأخذ مياه كل من الجدولين المعروفين بالبحر الصغير وبحر طناح مع ما هو مرتب عليهـما من كثرة المزارع الصيفيـة فان فرش القنطرة التى فى فوهتها مرتفع جدا حتى ان المـاء فى بعض السـنين لا يعلو عليه الا نحو ٤٠ سنتيمتر وفى هذه الحال يتعسر وصول المـاء للبحرين المذكورين ولا يصل اليهـما الا القليـل من مائها بابطال دواليبها فاستصوب أن توسع ترعة أم سلمة وتوصل الى بحر طناح وتأخذ ماءها من البحر الاعظم ويجعـل فيها قنطرة الموهبية التى لا عمـل لها الآن لان ترعتها صارت

متصلة بترعة الساحل وأن يكون اتساع القاع الاسفل فى الترعة المذكورة ثلاثة أقصاب الى انصبابها فى بحر طناح وتعمل ثلاث قناطر وتزاد عين واحدة على قنطرة ميت العامل وتغير القنطرة التى فى فم المنصورية لتكون فرشها مرتفعا كما تقدم ويجعل لها بدلها قنطرة بخمس عيون يكون فرشها منخفضا بقدر متر عن الفرش الاول مع تغيير قنطرة الضابط لما بها من الخلل وتجعل محلها قنطرة بخمس عيون أيضا ويجعل حوض فى كل من القنطرة التى تكون على فم المنصورية وقنطرة الضابط وفى اتصال المنصورية بالبحر الصغير وحيث ان قناطر المنصورية تكون ذات أحواض فبعد تحرير رسم كل منها وقبوله يؤخذ فى استحضار ما يلزم لها من الادوات وتبنى فى العام القابل بمشيئة الله وأما القناطر التى تبنى على ترعة أم سلمة فهذه يتيسر بعون الله عملها فى هذا العام وتحظى بحسن التمام وأما تطهير الترع الصيفية فاستحسن فيه ما سيأتى وهو أن يكون عرض القاع السفلى بترعة الشرقاوية من بعد التطهير أربعة أقصاب بحيث يكون علو الماء على فمها من متر الى متر ونصف وتطهر ترعة الباسوسية على عرضها الآن واغا يراعى تنظيمه لغاية قنطرة التلاقى ويوسع ترعة الفلفلية من القنطرة المذكورة الى قنطرة ميت عاصم بحيث يكون العرض السفلى قصبتين وكذلك الى شبلنجه وأما ما بقى بعد ذلك الى تلاقيها بمصرف أبى الاخضر فيكفى فيه قصبة ونصف ويخفض فرش كل من قنطرة التلاقى وقنطرة ميت عاصم والقنطرة التى على فرع كوم تبين بحسب الموازين المحفوظة عند حضرة سلامه بيك وتعمل التحويلات اللازمة للطريق الحديدية التى عليها هذه القناطر الثلاثة لاجل سرعة مباشرة هذه الاعمال السنية ويطهر أيضا بحر مويس بحيث يستمر فيه الماء على عمق متر واحد فى فمه وقت انخفاض النيل ويكون العرض ستة أقصاب من أسفل وتكون عملية التطهير المذكورة من ١٥ برموده الى آخر شهر بشنس وباستكمال عمليات الترع المذكورة على هذه الصورة يوجد بها من الماء وقت نقصان النيل ما فيه الكفاية لرى الزروع الصيفية من غير أدنى مشقة ولا محذور وتزهر أفانين السرور ويثمر غرس هذا العمل المبرور ومما نظر فيه أيضا بالجمعية ما يلزم لاتمام عمليات الترعة الاسماعيلية فاستقر أن تفتح الترعة المعروفة بترعة الباشا وتجعل فم الترعة الاسماعيلية ويوصل من الفم الموجود الآن من جنوبى شبرا الى الترعة الاسماعيلية بالقرب من ناحية الاميرية وتعمل قنطرة فى محل تقاطع هذا الفم بجسر الطريق الحديد مع اعمال جسر تحويل وقتى للطريق المذكور ولاجل المبادرة الى مباشرة هذه العملية لامكان الحصول على مرور ماء النيل

بالفم المذكور فى هذا العام ويعمل من الخشب قنطرتان للمرور عليهما تكون احداهما على طريق شبرا والثانية فى محل تلاقى الفم الجديد بالترعة المذكورة مع إكمال حفر هذه الترعة من عند الاميرية الى العباسية ويكون اتمام ذلك مع عملية الفم المذكور فى ظرف ثلاثة شهور آخرها اشهر أمشير القبطى الموافق شهر شوال بحيث يشرع فى تلك العملية فى الحال وجميع الادوات واللوازم التى تحتاجها عملية هذا الفم الجديد مع فم الترعة الاصلى الذى عند قصر النيل يقدم علم بيانها من طرف سلامة بيك للعية السنية ويذكر فيه ما يلزم منها يوميا والزمن الذى يلزم احضارها فيه مع الدقة عند البدء فى عملية الخمسة القناطر اللازمة وملاحظة تقديم الاهم على المهم ويلزم قطع الطريق الحديدية الموصلة الى قصر النيل من محل تقاطعها بالترعة الاسماعلية لاجل تصريف المياه ونجاز أشغال القنطرة المزمع اعمالها مستجدة فى الطريق المذكورة وبهذه الوسائط تتم عملية الترعة الاسماعيلية وتوجد بها المياه الكافية على حسب المرغوب ويستغنى عن مساعدتها من ترعة الشرقاوية ومويس والباسوسية وتبقى تلك الترع مختصة بالبلاد المحتاجة اليها المرتبة زروعها عليها وهذه الترعة الاسماعيليه من أبدع الآثار العصريه ومن أنفع الاعمال المصريه التى أجادتها الهمم العلية الداوريه فى ظل الحضرة السنية الملكيه فانها فضلا عما تفيده من تسهيل الوسائل النقليه بدوام سير السفن فيها وما تزيده بذلك فى منافع التجارة لمحترفيها فانها ينبنى عليها إحياء ما لانهاية له من الزروع الصيفية والشتويه فى ألوف فدادين من الاراضى الزراعيه الواقعة فى جانبى الترعة المذكوره من مصر المحروسة الى مدينة السويس المعموره ثم لا يخفى ما يترتب على اتصالها بتلك المدينة من الفوائد العميمه والمزايا العظيمه وازدياد المعموريه فيها وحصول الرفاهية لاهلها وساكنيها واحياء نفوسهم بالماء الزلال وانقاذهم مما كانوا يقاسونه فى تحصيل الماء من شدائد الاهوال ومعلوم أن مدينة السويس المذكورة من أهم المواقع المصريه لانها مجمع الطرق البرية والبحريه لمن يريد الجهات الحجازية واليمانية والهنديه ومن يريد التوصل من البحر الاحمر الى البلاد السودانيسة والحبشيه الى غير ذلك من الجهات والمسالك الا انها كانت فى أرض معطشة للغايه مجدبة الى النهايه لاينبت بها عود رطب ولا تكاد توجد بها قطرة من الماء العذب لكونها فى مكان بعيد عن النيل السعيد فكان يحمل اليهم الماء من بعض الجهات بكثير من المصروف والمشقات مع ملوحة طعم ذلك الماء وثقله على الاحشاء وضرره فى

الامعاء وما يجلبه لمن لم يكن قد اعتاد من الداء فلم يكن يقدم أحد على التوطن بهذا البلد الامن رمت به اليها يد الاضطرار وحكمت عليه صروف الاقدار

فالآن طاب بها المقام وابتسمت لها ثغور الايام وساعدها الدهر بالمرام فى ظل الحضرة الملكيه بهذه المكرمة العليه من الحضرة الاسماعيليه فلا تلبث أن تتحول حالها الى أحسن الاحوال وتنجح بها الاعمال وتسفر بها وجوه الامال وتكثر بها العماره وتزيد فيها الحضاره وتقصد من جميع الآفاق للسكنى والتجاره وتصبح خير وطن عظيم فى جنات وزروع ومقام كريم ومما يزيد فى معاليها وخصول أمانيها وغبطة ساكنيها هذا الحوض الذى تجدد لعمارة السفن فيها بهمم الحضرة الاسماعيلية وحسن مساعيها

ومما حصلت المذاكرة فيه أيضا بهذه الجمعيه حسن استعمال القناطر الخيريه وما يلزم لكمال الانتفاع بها من العمليات لسهولة الرى فى زمن انحطاط النيل فان الماء فى ذلك الوقت ينحسر عن أفمام الترع مع شدة الاحتياج لوجوده فيها لاحياء الزروع الصيفية التى عليها أساس المعاش ومدار الانتعاش فكانت الضرورة داعية لتكرير عملية التطهير للترع المذكورة فى كل عام ليوجد الماء فيها على حسب المرام ألا انها لجسامتها وتعددها وكثرتها وكون عملية التطهير مختصة بأوقات محدودة بحيث لو تعدتها لم تحصل الثمرة المقصودة فكان يحتاج الى جمع كثير وجم غفير ويكون ذلك فى زمن واحد لتلك الاسباب ويتكرر هذا العناء والمشقة على ممر الاحقاب وهذا مما ينبغى العدول عنه الى طريقة أسهل منه بحيث يتيسر بها كثرة وجود الماء فى تلك الاوقات من غير حصول هذه المشقات وقد علم أن القناطر الخيرية اذا أغلقت أبوابها يتيسر حجز الماء بها الى الارتفاع المطلوب فاذا جعلت حينئذ هذه الترع فروعا لاصل واحد يكون فمه من فوق القناطر الخيرية وهو المعروف بالرياح تمتنع هذه المحذورات ويحصل كثير من الثمرات وكان ذلك مما خطر على الافكار الخديوية السديدة وتحقق لدى الجناب الكريم أن هذا الامر العظيم يكون من المآثر الجيدة والمقاصد المفيدة فأمرهم بالتفاوض فيما يلزم لنجاح هذا القصد المبرور وتكثر به المياه الكافية فى الترع التى تكون فرعا للرياح المذكور فاستقر أن يجعل القاع الاسفل للرياح ٦٠ مترا وتكمل القنطرة التى فى تقاطعه بترعة النعناعية ويجعل لها حوض وتجعل قنطرة على فم النعناعية الآخذ من الرياح وتكمل القنطرة التى فى تقاطعه بترعة السرساوية لتكون فى سعته ويجعل لها حوض أيضا وتعمل قنطرة فى ترعة الباجورية فى محل مقاطعته لها ثم قنطرة فى بحر

شبين وذلك لان هذه الترع كلها تكون فروعا لهذا الرياح وربما استدعى الحال ايصاله لكل من ترعتى العطف والساحل وحيث ان هذه المبانى ومايلزم من البناء لقناطر الفم مع تعددها وجسامتها يلزم الدقة فى رعاية متانتها ولايمكن بناؤها واستعمالها فى هذا العام لان تأسيسها لايكون الا فى زمن انحطاط النيل ليتيسر خفض فروشها بحيث يعلوها ما يكفى من الماء فى الزمن المذكور واستحسن الشروع فيها جميعها فى هذا العام وتأسيسها والبناء فيها على قدر الامكان وتأخير اتمامها الى العام القابل وكذلك يؤخر للعام القابل حفر الرياح المذكور ولعدم امكان استعماله الامع استعمال القناطر المذكورة على تلك الصورة وفى هذه السنة تستعمل الترع الموجودة على العادة المعهودة وبما أن هذه القناطر عند اقفالها على هذه الكيفية ينقص الماء و يقل بالضرورة فى المديريات الأخر فاستقر أن يكون عمل الرياحات على التوالى فتى انتهى أحدها يبدأ فى الآخر لمنع المحذورات والتمتع بتلك الثمرات ولما استقرت الآراء على تلك الاوجه المسطورة فى عمل ماعلم لزومه من العمليات والقناطر المذكورة صدرت الاوامر العالية الخديوية باجراء جميع ماذكر على أكمل حالاته وأجمل هيآته مع استكمال مايلزم من آلاته وأدواته وصدر الامر أيضا بان كل قنطرة تعمل على نهر النيل من بعد الآن يجعل لها حوض لاجل الوقاية والصيانة وأن يراعى ذلك على الدوام ويعمل به على توالى الايام وقد شرع بالفعل فى بعض هذه الاعمال الراجحة والمساعى الناجحة وباستكمالها بمشيئة الله القوى وعنايته ثم بهمة الجناب الخديوى أدام الله حسن رعايته تستفيد بها أوطاننا الجليلة من المزايا الجميلة والفوائد الجزيلة فى تكثير المزارع ونمو محصولاتها وانتظام كيفية الرى على أجمل حالاتها والامن عند افراط النيل فى الزيادة وعند تفريطه فيها والاستفادة من القناطر الخيرية بحسن استعمالها على حسب مقاصد بانيها فانها من أبهر مآثر العزيز الاكبر المرحوم محمد على الشان أحله الله حرم الرضوان وقد أفرغ عليها خزائن الاموال وتجشم فيها صعاب الاحوال وصرف عليها الايام والليال حتى أتمها عملا تجاوز نهاية الحد من المشقات وخرج عن دائرة العد من النفقات وماذاك الا لهذه الحكمة البارعة والثمرة اليانعة والغاية النافعة فمن ثم صرف اليها جهده وأفرغ عليها ماعنده وجعلها مجمع البحرين وزينة البرين وتاجا يبقى على مفارق الفخار ومنهاجا لمن يريد محاسن الآثار فرحمه الله ما أبعد موارد أنظاره وما أسعد مقاصد أفكاره وما أكبر مآثره فى الاوطان وما أكثر مفاخره بين أبناء الزمان وأدام الله هذا الجناب الخديوى يتمم مقاصده ويعمم فوائده ويجدد معاهده

و يرفع قواعده و يبنى على ما أسسه و يجنى ثمار ما غرسه فلا برحت مصر معمورة بوجوده مغمورة بفضله وجوده وناهيك بهذه الجمعية التى أزهرت أفنانها بآرائه وأثمرت أغصانها بآلائه ومجلس شورى النواب وانشائه وما يبقى على الاحقاب من محاسن أنبائه وما يعود من نفعه على ساكنى الوطن العزيز وأبنائه وماذا عسى يحصيه قلمى من جلائل أياديه وهل يمكن لفكرى حصر روائح الموج وغواديه كلا ان مآثره الزاهرة ومفاخره الباهرة ليضيق عنها عنان البراعة و يقصر دونها بنان اليراعة فأبقاه الله للاوطان عينا يروى ظماءها وشمسا تنور سماءها وبدرا ينشر سناها وكنزا يزيد به غناها وعزا تبلغ به مناها وحفظ أنجاله الكرام غرر افق جباه المعالى وأبقى دولته السنية مدى الليالى ما ازدهى طالع هلال وانتهى الى غاية كمال

وكتب ليدرج بالوقائع المصرية بناء على طلب أيضا

من أحسن ما يشهد به العيان و يحلى بحسنه بنان البيان و يفتخر به ملاه الزمن الحالى على الاعصار الخوالى وتتباهى بحلاه أجياد المعالى مدى الايام والليالى أن حضرة ولى النعم ومولى الجود والكرم السلطان الاعظم والخاقان الافخم أمير المؤمنين وحامى حمى الدين المبين منذ يوم جلوسه السعيد على سرير الملك بالعز والتأييد لم تزل أنظاره الصائبه وأفكاره الثاقبه منعطفة لما به صلاح الاحوال وحسن نجاح الآمال واراحة العباد وعمارة البلاد وتمكين معالم الدولة وتأييدها وتوطين دعائم الملك والملة وتشييدها بما أبداه من الهمم السنية والمكارم السلطانية والافكار النافعة والآثار البارعة والنيات الجميلة والمشروعات الجليله مما قصرت دونه الامانى وشمل الاقاصى والادانى فأصبح الجميع قائلين فى ظلال جاه رافلين فى أذيال نعماه شاكرين له بلسان الحال والمقال داعين له بدوام العمر والاقبال على أنا لو استغرقنا فى مدحه أوقات الزمان وقصرنا على شكره كلمات اللسان لما وفينا بعض الواجب لحق نعمائه ولا أدينا فرض شكره اللازم حق أدائه فليس لنا سوى الاقرار بالعجز والتقصير و بسط أكف الابتهال الى الله العلى الكبير ببقاء دولته ودوام أيام معدلته محفوفا بمزيد التأييد والنصر الكامل «وهذا دعاء للبرية شامل»

وكذلك حضرة عزيز مصر ومولاها وعين انسانها وانسان عين علاها وروحها السارية فى جميع قواها ومن به فخرها على من سواها الخديو الاكرم الداور الافخم اسمعيل بن ابراهيم بن محمد على أبقاه الله فى حفظه الابدى وعونه السرمدى ولطفه

العلى لم يزل منذ تشريفه لهذه الحكومة الفخيمة وأخذه زمام الادارة بيده الكريمة باذلا جميع أفكاره شاغلا أوقات ليله ونهاره بالقيام على أقدام الاهتمام فى خدمة الدولة والملة ونفع الانام مواظبا على الصداقة وحسن النية لجانب السلطنة السنية ومتابعتها فى مشروعاتها البهية ونياتها العلية ودوام الجد والاجتهاد فيما به نفع هذه البلاد وترقيتها فى درجات المعالى وتمكينها وتحليتها بعوارف المعارف وتزيينها وتنظيم سائر قراها وتمدينها وتسهيل سبلها وتأمينها واصلاح جميع أحوالها وتحسينها ورفاهية أهاليها وسكانها فى جميع نواحيها وبلدانها ودوام تفقد أحوالهم وتسهيل سبيل آمالهم ومعاملتهم معاملة الوالد لولد صلبه الواحد وتكثير موارد الفوائد وطرق المنافع بتيسير أمور التجارة والزراعة والصنائع الى غير ذلك مما يقل دونه التعداد ويستغرق مراتب الاعداد

ولما كانت هذه الاحوال السنية موافقة لمقاصد الحضرة العلية الملوكية لما جبلت عليه من حب الخير لجميع البرية لم يزل الجناب الخديوى متقربا اليها مرعيا فى جميع أموره لديها مشمولا بحسن أنظارها مقتبسا من مشكاة أنوارها فلما وصل فى هذه المرة مقر الخلافة العلية وحظى فى جملة مرات متوالية بمشاهدة الحضرة السنية الملوكية قوبل من أنواع القبول والاقبال وصنوف الاعزاز والاجلال ومزيد الرعاية والاحتفال بما يقصر البيان عن تحريره ويتعثر اللسان فى أذيال تقريره

هذا وحيث كان من الجلى عند ذوى الالباب الغنى عن الاسهاب والاطناب أن حصر توارث الحكومة فى أولاد الاصلاب ورعاية بقاء ذلك على توالى الاحقاب والاعقاب مما يورث أساس المملكة متانة ويزيد بنيان الدولة رصانة ويستوجب المزايا العديدة والمحسنات المفيدة فى تقدم المدنية واتساع دائرة المعمورية فان ذلك مما يلجئ المولى على الحكومة الى مزيد العناية بأمرها وفرط الرعاية للاستكثار من الوسائط الموجبة لنماء بركتها وخيرها وحصر أفكاره فى مواد غناها وثروتها وقصر أنظاره على مقاصد تمكنها وقوتها وفى ذلك من الفوائد الجمة والمنافع المهمة ما يستغنى عن التفصيل ولا يحتاج لاقامة البرهان والدليل لا جرم أن رعاية هذه الكيفية فى جهات الممالك الاوروبية أوصلتهم لما صاروا فيه من التمكن وازدياد آثار المعمورية وحسن التمدن وتقدم الفنون والصنائع وكثرة ما هو مشاهد من روائع البدائع ثم لا مرية أن ذلك غير خفى لدى الحضرة السنية الملوكية وعند حضرات الوزراء الفخام وكلاء الدولة العلية مع فرط شغف مولانا المعظم أمير

المؤمنين الاكرم بمزيد تمكن التمدن والعمار فى أنحاء ممالكها الفسيحة الاقطار التى أهمها هذه الديار ومزيد رغبته فى تكثير خير بلاده وتزايد فوائدها وحسن نظره فيما يتعلق بها من مصادر سعادة الحال والمآل ومواردها حسبما جبلت عليه فطرته الكريمة وجنحت اليه جبلته السليمة وقد أحاط علمه الشريف أن سريان هذه الأمنية فى مصر ونواحيها انما يكون بتعديل كيفية توارث الحكومة الجارية فيها فاقتضت ارادته الناجحة وفكرته الراجحة تعديل الكيفية المذكورة على أحسن منوال يستلزم لاهاليها وسكانها كل خير وحسن حال وذلك بأن تكون وراثة هذه الحكومة الى الاكبر من أبناء الجناب الخديوى أطال الله بقاء مجده ثم من ولى منهم الحكومة فهى لاكبر أولاده الذكور من بعده وهلم جرا على هذا المنوال بالتوالى والاتصال وتقرر ذلك بين الوكلاء الفخام والوزراء العظام واستحسن أيضا بطرف الدول الاجنبية لما فى ذلك من زيادة المعمورية وصدر الفرمان السلطانى الواجب الاحترام برعاية ذلك على الدوام لتكون ثمرة دائمة الاستمرار على مر السنين والاعصار ثم دعى الجناب الخديوى الى المابين الهمايونى فى يوم الاثنين رابع عشر هذا الشهر الحال وسلم اليه ذلك الفرمان الجليل الواجب له الامتنان والتبجيل من اليد الكريمة الملكية الى اليد المؤيدة الداورية فنسألك اللهم يا خير الوارثين ويا مجيب السائلين ويا أكرم المسؤلين أن تبقى حضرة أمير المؤمنين ظلا ظليلا على العالمين مع مزيد التأييد والنصر والتمكين وأن تحفظ لنا الجناب الخديوى وأنجاله الفخام فائزا بجميع ما رام وأن تديم معمورية هذه الحكومة الجسيمة مقرونة بدوام دولته وذريته على ممر الايام بجاه سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام وآل بيته وأصحابه الكرام مصابيح الدجى وبدور التمام

ثم بعد تسليم الفرمان فى اليوم المذكور بهذه الكيفية صنع الجناب الخديوى ليلة الثلاثاء المبارك ضيافة سنية دعا اليها حضرات وكلاء الدولة العلية وحضرات سفراء الدول الاجنبية فأجابه الجميع بالحضور وكانت ليلة أنس وحبور وطرب وسرور وحظ موفور وهنأه حضرات السفراء من طرف دولهم فى الليلة المذكورة بحسن تحويل الكيفية الجارية فى توارث الحكومة الى هذه الصورة وأعلن الجميع بشائر التهانى وانصرفوا داعين بدوام حصول الامانى وقد وردت بذلك الاخبار الحقيقية من طرف الآستانة العلية ولما أشرقت أنوار ذلك الخبر السار وأعلن من طرف الحكومة فى هذه الديار أحاط الفرح بجميع الاهالى والمتوطنين وسائر المستخدمين والمأمورين وكافة الموجودين من غنى وفقير وجليل وحقير فلم يبق قلب الا

داخله

داخله السرور وأحاط به الطرب والحبور ولا لسان الا منطلقا باستحسان هذه الحال ولا يدا الا ممتدة الى الله ذى الجلال بالدعاء والابتهال فان بناء هذه الحكومة على هذا الاساس المتين واحكام قواعدها على هذا الوضع الرصين مما يعود على الجميع ثمراته وتشمل سائرهم محسناته فان ظن بعض الزاعمين أن أهل الممالك الشرقية الى الآن ماوصلوا الى معرفة الفوائد المدنية ولا حصلوا على الاتصاف بمحبة الوطن العزيز بالكلية فاشتمال أهل هذه الديار من الفرح والسرور لمجرد علمهم بهذا الخبر المبرور هو أدل دليل وأوضح برهان جليل على معرفتهم فوائد المدنية ووقوفهم على مزاياها الحقيقية وعلمهم بما يستدعيه ذلك من العمار وما يستوجبه من حسن الاحوال والآثار ولقد طالما شاهدنا تجدد الاحوال وما من حادثة الا لها قادح أو مادح على كل حال الا هذه الكيفية فانها بمجرد شيوع خبرها وانتشار أنوار بشائرها رأينا جميع أهل الديار قد عمتهم المسرة بسببها متفق القلوب والالسنة على الطرب والاعجاب بها وحسبك بهذه دلالة ظاهرة وبرهانا نيرا وحجة باهرة على معرفتهم مايعود من ذلك على الاوطان من المنافع الجليلة والثمرات الحسان

وطلب منه أعيان أهل الصعيد مقالة يقدمونها للجناب الخديوى الاسبق اسمعيل باشا تهنئة بانحصار الوراثة فى ذريته

فكتب ماصورته

يامالك الملك والملكوت ورب العظمة والجبروت نحمدك على سوابق نعمائك وسوابغ آلائك ونصلى ونسلم على خير أنبيائك وواسطة عقد أصفيائك ونشكرك على ما ألهمته حضرة أمير المؤمنين وخليفة رسولك الامين وظلك الممدود على مفارق العالمين من تحويل وراثة مصر الى نسل عزيزها الافخم وتخويل أهلها بهذه المنة الكبرى جلائل النعم والفضل الاعم وهذا شئ طالما لهجت به ألسننا وامتدت الى انتظاره أعيننا واشتغلت به خواطرنا واشتملت عليه سرائرنا فدلت عليها ظواهرنا وماذاك الا من فرط حبنا لاوطاننا السعيدة وولى أمرها وعلمنا بما يترتب على تلك البغية الجيدة لهذه الديار من اتساع خيرها وامتناع ضيرها وارتفاع قدرها واستكمال أسباب غناها وفخرها وتماديها فى التقدم والتمكن وترقيها فى درجات حسن التمدن ومعمورية بلدانها ورفاهية سكانها الى غير ذلك من ثمرات نافعه ومحاسن بارعه نرى العزيز أطال الله بقاءه وخلد فى ملكه أبناءه لايزال آخذا فى أسبابها متوصلا اليها من خير بابها ولعل الله جلت حكمته وعلت كلمته مااختص هذا الجناب الخديوى بتلك المزية العالية بعدما تداولته على غنيها

الاعصر الخاليه وشلت دون تعاطيها الايدى المتناوله وقصرت عن ترجيها الهمم المتطاوله الامااجل عليه جنابه الكريم وجعل حلية طبعه السليم من حب الخير والنفع للخاصة والعامه وبذله فى تقدم هذه الاوطان مزيد الهمم التامه ونحن لو أردنا بيان ما استفدناه من السرور والحظ والحبور والانس والحضور لهذا الامر المبرور لوجدنا كل عبارة قاصرة عن المرام وكل براعة مقصرة عن ايفاء حق هذا المقام فنسألك اللهم لأمير المؤمنين نصرا على العدى وملكا يبقى أبدا سرمدا ولا ينتهى الى مدى ونستوهبك لعزيزنا الاكرم وولى نعمتنا المعظم طول عمر يتمتع فيه بدوام اقباله مسرورا بنجاح أعماله وبلوغ اماله وصحة أنجاله ماتحلى الافق بحلية هلاله وتجلى البدر فى حلة كماله

وكتب بناء على طلب لينشر فى روضة المدارس المصرية (السنة الثانية عدد ٢١)

مما يشهد به العيان وان كان لا يفى به البيان أن أهل هذه الاوطان الباهره فى ظلال الحكومة الخديوية الزاهره آخذون على الدوام كل يوم من الايام فى مزيد التقدم والتمدن والتعلم والاستكثار من العلوم النافعه والصنائع البارعه وذلك من حسنات ولى النعم الجناب الخديوى الافخم اذ لم تزل أنظاره الشريفه وأفكاره المنيفه منعطفة الى تعميم التعليم وتسهيله متجهة الى الاعانة على حسن تحصيله حتى لقد صار ذلك للجميع أمرا معلوما وسرت هذه النية السنية هنا للناس عموما فما منهم الا من صار يرغب فى انتشار نور المعارف بأوطانه ويعمل للمساعدة على ذلك بقدر استطاعته وامكانه لاسيما أهل الخير والاقتدار والثروة واليسار من الامراء الكرام والاعيان العظام فقد بذلوا فى الاعانة على التحصيلات الاوليه وتجديد المكاتب الاهليه ما يبقى لهم ثوابه على الدوام وذكره فى صفحات الايام وثناؤه فى ألسنة الانام ولا يزال ينتدب كل منهم لمكرمة يبديها ومبرة من هذا القبيل يسديها لاهل وطنه ويهديها ابتغاء لمرضاة الله عز وجل واقتداء بمقاصد الجناب الخديوى الاجل فمن ذلك أن حضرة فلان قد التزم فى مكاتبة رسميه حررها لسعادة مدير المدارس الاميريه والمكاتب الاهليه بترتيب مرتبات مائة تلميذ فى المكاتب المذكورة من الايتام والمنقطعين والفقراء والمساكين وأرسل للديوان بالفعل مرتب أربعة أشهر على سبيل التعجيل ووعد بالاستمرار ان شاء الله تعالى على هذا الاسلوب الجميل وهو مزمع وقف ما يفى باستمرار هذا البر وبقائه حسنة جارية على مدى الدهر وحيث ان هذا الخير الجزيل مما يستوجب له الثناء الجميل بادرنا

الى

الى اعلائه متشكرين وبحسن هذه المساعى النافعة مسرورين مستبشرين داعين للجناب الخديوى مصدر البر والكمال والمرشد بمحاسن مساعيه لامثال هذه الاعمال أدام الله توفيقه مدى الايام وأبقاه ممتعا بحضرات الانجال الكرام

وكتب لينشر بانشاء مدرسة البنات بالسيوفية بناء على طلب

قد بلغ من مزيد الاشتهار مبلغ الشمس فى رابعة النهار ما أبداه الجناب الخديوى أيده الله ولا زالت أجياد الايام والليالى حالية بعلاه من الخير العظيم والبر العميم فى نشر أنوار العلم والتعليم بين أبناء الوطن بانشاء المدارس والمكاتب والاعانة على اكتساب العلوم وهى أجل المكاسب وقد عطف أبقاه الله تعالى نظره الكريم الى جهة احتياج النساء أيضا لحسن التعليم فأمر بانشاء مدرسة داخلية جليلة الشان لكل من يريد الدخول فيها من بنات الاكابر والاعيان يتعلمن فيها ما يصلح أحوالهن من كل ما يناسب أمثالهن بالموافقة للقواعد والاصول الشرعيه والآداب والعادات الحلية المرعيه وها هى حاصل فيها مزيد الاهتمام وتمام الاقدام وعن قريب تحصل بعون الله سبحانه على حسن الختام ثم توجهت رغبته الشريفه الى أن تنال هذه المزية اللطيفه بنات الفقراء والايتام فأصدر ارادته العليه لسعادة الباشا مدير المدارس الملكيه والمكاتب الاهليه بأن يجعل لهن فى المحروسة مدرسة من المدارس الاهلية المحليه يقمن بها ويتعلمن فيها كل ما يلزم لهن من الامور الدينيه والآداب والصنائع مما يكون لهن فى ادارة المعايش أجل المنافع و يوقف عليها من مكارمه السنية ما تكفى غلته لحسن ادارتها على خير صوره بحيث يتوفر منها مبلغ يعطى منه قدر مناسب لكل بنت عند خروجها من المدرسة المذكوره ليكون لها كرأس المال تستعين به على اصلاح الحال والمآل فرط رأفة بهن وشفقة عليهن وتتميما للعناية بأمرهن والاحسان اليهن جريا على مقتضيات طبعه الكريم من توسيع دائرة الخيرات والاستكثار فى جميع الاوقات من طرق المبرات اذ لم يزل ذلك لجنابه الفخيم عادة مستمرة على الدوام وطبيعة مستقرة عرفها واعترف بها جميع الانام حتى اقتبس منها كل من يلوذ بجنابه وسرت الى كل من ينتمى لسدة بابه فلما حصل الشروع فى تلك المدرسة الاهليه واتصل الخبر بدائرة الحرم المحترم العليه انتدبت للتبرع ببنائها والنفقة على حسن انشائها حضرة واسطة عقد العصمة والوقار ودرة تاج الشرف والفخار محل التكريم والاجلال والتعظيم جشم آفت خانم افندى ثالث الحرم الخديوى الفخيم وتكرمت باعطاء

خمسة آلاف ومئتي يصرف منها على عمارتها وتحسين شارتها وأن تكون هذه المدرسة منسوبة الى اسمها الشريف مشمولة على الدوام بأنوار نظرها المنيف جارية تحت ظل رعايتها سارية بها محاسن عنايتها وها هو جار العمل في عمارتها بمعرفة الديوان من المبلغ المذكور مع الدعاء للجناب العالي الخديوي ولجنابها الكريم وسائر العائلة الخديوية بدوام العز والسرور والاعانة على أمثال هذا العمل المبرور والسعي المشكور وقد بادرنا باعلان هذا الخبر السار للخاص والعام ليشترك الجميع معنا في خير الدعاء على الدوام أدام الله الجناب الخديوي وأنجاله الفخام وجميع أفراد عائلته الكرام ما بلغ البدر غاية التمام وحسن في فعل الخير البدء والختام

مكاتبات شتى

كتب قديما الى أحد أصحابه

كتبت والذهن فاتر من وهن الدفاتر والتبييض والتسويد والتقييد والتسديد والتقييد والتشديد والترجمة وكثرتها والهمة وفترتها والماهية وقلتها والنفس وذلتها وراتبى لايكفى أجرة البيت ولايفى ثمن الماء والزيت وكيت وكيت وبالامس وعدالوكيل بالزياده واعتذر اليوم بالاصيل على العاده على أنها لوحصلت زيادة فلزيد وعمرو الى آخر الزمن ولله الامر أحوال متبدده ونفوس متبلده وأشغال متعدّده واخوان خوّان وخلان غيلان ورفاق وما أجل الفراق وقلت

إلام أعانى الصبر والدهر غادر * وحتى متى أشكو ومالى عاذر

ولو أننى أشكو عظائم شدتى * لبيت لرقت لى العظام النواخر(1)

محا الله آثار القيود فانها * أضرّ بنا أوراقها والدفاتر

وضيق بى تسديدها واسع الفضا * فان راح منها وارد جاء صادر

وقلت فى ذلك أيضا

أنحلتنى القيود والتسديد * وبرانى التقييد والتشديد

وبلانى تبييض كل كتاب * فى فؤادى من همه تسويد

ضاق صدرى من صادرات توالى * كل يوم لدىّ منها ورود

لودرى دفترى ببعض عنائى * لاقشعرت بذاك منه الجلود

فامح يارب صادر الذنب حتى * لاترى لى يوم المآل قيود

وسألت عن فلان وفلان وهيان بن بيان ممن ينتسب للعلم وأهله ويتظاهر بشعار فضله ولو كان العلم باللحى تعظم وتطوّل وشوارب تحف وتستأصل وعيون على ما بها من عمص ورمص تكحّل وعمامة تعظم حتى ترذل وطيلسان يلف ويسدل وكم يوسع ويسبل ومحفظة تفعم وتثقل وسواك يظهر من العمامة نصفه وكتاب يخرج من الجيب طرفه ثم بتشدق فى الكلام وتباله فى المرام وتعسف فى الافهام وحرص على الحطام ثم يقول الانسان حضرت درس فلان وسمعت من لفظه باللسان وقضيت فى العلم كذا وكذا سنة من الزمان فهم أعلم من أقلته الغبراء

---

(1) وفى نسخة ولو جئت أشكو من عظائم ماأرى * لقبر لرقت لى العظام النواخر

وأفقه من أظلته الخضراء وان كان للعلم غير هذه الآلات فما لهم سوى هذه الحالات غاية الامر أنهم قضوا أرذل العمر فى كتب معدوده وشروح موجوده وهم يكررونها ولا يدرونها ويقررونها ولا يحررونها ويتداولونها ولا يتعقلونها ولو صرف حمارى هذا العمر فيها لأصبح فقيها وأضحى نبيها والذى يظهر بينهم وشينهم وعلامة ما بيننا وبينهم أن يؤمر أحدهم برقعة تكتب لحاجة معهوده ويمتحن بكتاب غير هذه الكتب المعدوده فيه بعض كلام العرب وأشعارها وشئ من وقائعها وأخبارها فان كتب فصيحا وقرأ صحيحا وفهم مليحا عرفنا أنه شم عرف العلم وذاق طعم الفهم وسلمنا لهم ما يدعون وتركنا لهم ما يأتون وما يدعون وان ارتبك للرقبه ووقف حمار الشيخ فى العقبه عرفنا حاله وقلنا له

أيها المدعى سليمى سفاها * لست منها ولا قلامة ظفر

انما أنت من سليمى كواو * ألحقت فى الهجاء ظلما بعمرو

وقد مررت بالامس على أحدهم فى الدرس يقرأ القطر لابن هشام ويلحن لحن العوام ومررت بآخر يدرس الكافى فى علمى العروض والقوافى يقرر قوله

قف على دارهم وابكين * بين أطلالها والدمن

فلا وربك ما أقام له وزنا ولا عرف له معنى مع سهولة مبناه وظهور معناه فحطمه حطم الهشيم ومزقه تمزيق الاديم فقلت سبحانك اللهم كأن الشاعر عنانى بهذا الكلام وعلم أنى أقوم هذا المقام فأمرنى بالبكاء على العلم والدروس وما جرى على معاهده من دروس يا قوم أهذا النحو واعرابه والصرف وأبوابه والعروض وأوزانه وأبحره والمعانى وانشاؤه وخبره والبيان وفرائده والبديع وشواهده وهذه العلوم الموضوعه والاسفار المحموله والدروس المأهوله والاصوات المهوله لمجرد معرفة ضرب زيد لعمرو وقتال خالد لبكر وأن قال أصلها قول ثم لا يدرى ما حصل والطويل من فعولن مفاعيل ثم لا يعلم كيف ينظم والفصل والوصل ولا أصل ولا فصل والحقيقة والمجاز وليس لهما مجاز والتورية والجناس مما يحفظ ولا يقاس اذا والله تكون تلك الفنون من أفانين الجنون ويكون الميل اليها والاقبال عليها عملا حابطا وشغلا ساقطا وهوسا عاطلا ووسواسا باطلا ويكون واضعوها أساؤا الناس وأخطؤا القياس وبنوا على غير أساس كلا انما وضعوا هذه القواعد وشرعوا للناس تلك الموارد ليتكلموا بكلام العرب مثل ما تكلمت ويفهموا من ألفاظها كالذى فهمت ويترجموا عن سائر الضمائر كما ترجمت وينثروا وينظموا كما نثرت ونظمت وقد كانت هذه العرب التى أودع الله

الفصاحة لسانها وشرف بسيدنا النبي والقرآن العربي مكانها تتكلم بهذه اللغة العليه على الفطرة الاصليه والسجية الجبليه من غير هذه القواعد والاصول وتلك الابواب والفصول وكانت تعتد البلاغة مبلغ علاها وتعتقد الفصاحة من محاسن حلاها ثم بعث الله تعالى نبيه الاكرم صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم أفصحها لسانا وأوضحها بيانا وأنزل عليه قرآنا في أعلى درجات البلاغه وأرقى طبقات البراعة في حسن الصياغه فاهتدوا بقرآنه واقتدوا ببيانه فازدادوا بسطة في اللسن وتوسعا في البيان الحسن الى أن اختلطت أنسابهم وتقطعت أسبابهم وانقرضت دولتهم وانقضت مدتهم واختلت ألسنتهم وخلت أمكنتهم وخيف أن تذهب معهم هذه اللغة المنيفه التي هي مدار الشريعة الشريفه وخير لغة العالم وأبرع لسان تكلمت به بنو آدم فقيض الله لحفظها الائمة الاعلام هداة الانام ورعاة الاسلام فرتبوا قواعدها وشدوا سواعدها وصنفوا تلك الفنون العديده وألفوا هذه الكتب المفيده لتسهيل الأرب من لغة العرب والتكلم بلسانهم على بعد أزمانهم ومجاراتهم في بيانهم على سعة ميدانهم والتفنن في أساليب الكلام وصوغه على حسب مقتضى المقام واستمر العمل على ذلك بين الانام وتداولت عليه الايام والاعوام الى أن خلف هذا الخلف الملوم والخلف المذموم والجيل المشؤم فظنوا تلك الوسائل مقاصد ليس بعدها غاية لقاصد وحسبوا هذه الكتب تقصد لذاتها ويكتفى بالتعبد بكلماتها فوقفوا عندها ولم يتجاوزوها لما بعدها واتخذوا الادب وراءهم ظهريا وجعلوا النظم والنثر شيأ فريا فاذا كتب أحدهم رقعة لحاجة أرادها أوابتلى بكتاب غير هذه التي اعتادها فلا تسل عن الغلط الواضح واللحن الفاضح والذهن الغائب والفهم العائب فان وقفته على غلطه وعرفته بعض سقطه قال ما نحن من أهل ذلك الشان ولا من خيل هذا الرهان انما نحن لفهم الكراس لا يسبقنا أحد من الناس فيا أنعام الانام ويا آلام الايام أي فائدة اذا الكراس غير وجع الراس وأي معنى لتلك العلوم غير سفه الحلوم وماذا ينفع الاعراب من لا يعرب عن المرام وماذا يعمل بالصرف من لا يتصرف في أساليب الكلام وماذا يغني العروض عن قوم لا يشعرون والمعاني والبيان عن قوم لا ينظمون ولا ينثرون وقد زارني أحدهم في الديوان لبعض شانه وأعطاني رقعة كتبها لحاجة بخط بنانه فاذا رقعته أنموذج الرقاعة وتمثال الشناعة ومجموع البلاهة وينبوع العي والفهاهة وها هي واصلة طي كتابي اليك لتكون على ما قلته حجة وبينة لديك فقد عرفت قد رتظاهر هذا الرجل بالعلم

وتفاخره بحدة الذهن وجودة الفهم وسترى ما بها من زلل وخطأ وخطل ولفظ بارد ومعنى جامد وتركيب فاسد ورسم خامد وقد كان في يدي معاهد التنصيص شرح شواهد التلخيص فناولته بعض ورقاته وسألته في فهم بعض محلاته لاجهلا بأمره ولكن اظهارا لعجره وبجره ثم جهدت به أن يكتب ما فهمه بعد أن مدحت له ما توهمه وكنت أريد أن أتحفك بغرائب أنظاره ووساوس أفكاره لتعلم أي أطفال في ثياب رجال وأي حمير تركب البغال الا أنه لم يسمح بكتابة ما قال وفي رقعته كفاية فهي في الدلالة على حاله غاية أما فلان وأترابه وفلان وأضرابه فهم أعجوبة الايام وأحدوثة الانام أحوال متناقضة وأفعال متعارضة فكبر وفقر وعجز وفخر وأنف في السماء وآست في الماء وحال تحت التراب ونفس فوق السحاب ان صدقتهم كذبوا وان أرضيتهم غضبوا وان تباعدت عنهم لاموا وعذلوا وان تقربت منهم سئموا وملوا كلاب في جلود أسود وجوه بيض وقلوب سود صغيرة السيئة عندهم كبيرة وكبيرة الحسنة لديهم صغيرة عيون منتقدة وقلوب متقدة وألسنة حداد وأفئدة شداد وأجسام صحيحة وقلوب مريضة وجهل طويل ودعاوى عريضة النصح لديهم خيانة والسوء عندهم ديانة وقد بذلت في مرضاتهم جهدي وأجنيتهم مرى وشهدي وقابلتهم باللطف والعنف وعاملتهم بالنكر والعرف فلا وأبيك ما زادوا الا فجورا وعتوا ونفورا ومكرا وشرورا وكبرا وغرورا فلو وقفت عليهم ليلتي ويومي وهجرت لديهم راحتي ونومي وفديتهم بعشيرتي وقومي ثم أطعمتهم من جسمي وآثرتهم من العافية بقسمي لما بلغت من نفوسهم رضاها ولا أديت من حقوقهم على زعمهم مقتضاها بل لو صاحبهم جبريل وخاطبهم بالتنزيل وأهداهم الجنة في منديل وأنزل الشمس اليهم في قنديل ونظم لهم النجوم عقودا وشق لهم من المجرة برودا وصير الانس والجن لهم عبيدا وجعل الملائكة لهم بعد ذلك جنودا وأطلعهم على غيب السماء والارض وخبرهم بما كان وما يكون الى يوم العرض لما أصبح عندهم الا مذموما ولا أمسى لديهم الا ملوما ولكان منسوبا للقصور والتقصير والاخلال بالقليل والكثير قوم هذه طباعهم وتلك أوضاعهم من ذا يرضيهم بحال ولو فعل لهم المحال أما فلان وما أدراك فهو شرك الاشراك وعار العرب والاتراك وفضيحة الزمان وخزي الكون والمكان صورة كثيفة وسيرة أنتن من الجيفة

ووجه لو رميت به لكلب * على جوع لعاف الكلب أكله

وأخلاق أسمج من السماجة وعقل أضل من الدجاجة وكلام على الراس أشد

مـن قلع الاضراس اذا تجرعتـه الآذان تقيأته الاذهان فهو ذنوب الذنوب وعيبة العيوب وقذى النواظر وأذى الخواطر وبلية النفس وآفة الانس وشر الجن والانس وهو من قوم تقدموا بأعجازهـم لا بأعجازهم وبقيادتهم لا بسيادتهم وبالشمول لا بالشمـائل وبالفضول لا بالفضائل فلا نعم الله بالهم ولا بلغهم آمالهم فليسوا للنعمة أهلا ولا للكرامة محلا

نعم الله لا تعاب ولـكن * ربمـا استقبحت على أقوام

لا يليق الغنى بوجه فلان * لا ولا نور بهجة الاسلام

وسخ الثوب والعمامة والبر *ذون والوجه والقفا والغلام

وقـد طال الـكلام في هؤلاء الطغام واني لأسوف على زمن قطعتـه بأنبائهـم وقرطاس دنسته بأسمائهم وما كنت لأريد أن أطول المقول في فصول هذا الفضول ولـكن حديث الافاعي يطول وقد نذرت للرحمن صوما فلن أذكرهم بعد هذا يوما فهل أطار حك ذكر الوداد وأبثك شكوى ما في الفؤاد من لاعج البعاد فعندي لك من الودّ والشوق والوجد ما ملأ الجوانح وملك الجوارح فلا يبليه البعـد ولا ينسيه طول العهد فالله يديم حسن رعايتك ويسمعني ما يسر من ناحيتك ويتم نعمته عليك بالدوام ويبلغك غايات المرام

وكتب أيضا لبعضهم

كتابي لمولاي كان الله معينه فيمـا عراه وقرن باليمن يمينـه وباليسر يسراه وحرس دينه ودنيـاه وأدام تمكينه وعلياه وأنا أجر ذيل صحة وعافيه وأشكر فضل نعمة من الله وافيه وقد زاد راتبي في الديوان ضعفا وبلغ والحمـد لله تعالى ألفا ولم يكن ذلك بقصد نحوته ولا من أحد رجوته الا الله سبحانه فقد عوّدني إحسانه أسأله الاعانة على شكره والتوفيق لدوام ذكره وأرجوكم تبليـغ سـلامي للخـلان الكرام وتذكري برسائل المودّة والسلام

ومن رسالة لبعض الاحباب

أما فلان وان كنت أنزلت بواديه حاجاتي وقصرت على مسامعـه مناجاتي فلست ذاهلا عن خـلاله ولا جاهلا حاله في إخـلاله ولـكن للضرورة أحكام والغريق يتشبث ولو بالثمام ومن غابت عنه الشمس استنار بالشمع ومن لم يبصر بالعين استناب عنها السمع ومن لم ير العـين اقتفى الآثار ومن لم يجد الجواد اكتفى بالحمار ومن فقد الشراب قصد السراب ومن عدم الماء تيمم بالتراب

لعمر أبيك مانسب المعلى * الى كرم وفى الدنيا كريم
ولكن البلاد اذا اقشعرت * وصوّح نبتها رُعى الهشيم

فأملته بعد رأى تأملته ونظر أجلته وفكر أطلته وقلت هذا آخر مافى القوس من منزع وجهد ماللنفس من مطمع وغاية ماللعين من مطمح ونهاية ماللامل من مطرح وهذه الغايات للتحقير لا للتوقير وللتصغير لا للتكبير فان قضى الله سبحانه بالنجاح شكرناسوقنا بقدر الارباح ثم لاجناح وان كانت الاخرى فليس أوّل أمل خاب ورأى أخطأ صوب الصواب

على المرء أن يسعى لما فيه نفعه * وليس عليه أن يساعده الدهر

والعمدة على الله الكريم فى كل حال ومرام والقصد من مكارم سيدى المساعدة بالدعاء والسلام

ومما كتبه قديما فصل من رسالة لبعض الاعاظم

رأيت فلانا عازما على التشرف بتلك الاندية الحالية والتعرف الى تلك الحضرة العالية فأبثثته من الشوق مايضيق عن ساحته الكتاب ويثقل به كاهل النجاب ويستغرق طرفى الاعجاز والاسهاب ويفوت مراتب الحساب وأوصيته أن يقبل لى من تلك اليد الكريمة لجة البحر وحاشية السحاب وأن ينوب عنى فى القيام بفرائض الخدمة فى الباب فان رأى المولى مكاتبة عبده وتشريفه بما يرد من عنده فالامر لولى النعمة والعبد مستعد للخدمة مستمسك بعروة العبودية على الدوام منتظر لما يصدر به الامر الكريم والسلام

وكتب لبعض الاحبة

لازلت بالله راشدا كاسمك ولازال اقتناء الحمد من قسمك وسلام من الله يحف نديك ولا يزال مدى الدهر يحييك وبعد فقد ورد على أثر يراعتك المشتمل من حسن البلاغة على حسن براعتك فوصفنى ببعض حلالك وماهو من خصائص علائك ولا غرو فى أن المرء مرآة أخيه يرى أوصاف نفسه فيه وأدار علىّ من رحيق آدابك الغر ورقيق لفظك الحر سلافة مزاجها الطفك وظرفها ظرفك وكرمها كرم طباعك وعاصرها بنان يراعك فهزتنى نشوة ومرحا واستفزتنى طربا وفرحا

وغادرتنى وماذقت الطلا ثملا * نشوان أعثر فى أذيال أثوابى

ولكن جرت عادة الدهر أن يعقب حلوه بمره ويتلى نفعه بضره فلم يمض على ذلك

غير قليل من الايام حتى اعترانى ما اعترانى من الآلام فألزمنى الوساد حتى كدت أظنه قطعة من جسمى وحرمنى الرقاد حتى لقد كدت أنسى اسمه وأنسى اسمى فكان ذلك من موجبات تأخير الجواب وقد رفع الله الحرج عن المريض فى محكم الكتاب ثم لطف الله عز وجل فتناقص الالم بالتدريج حتى اضمحل أما ما ذكرت من البخل بالمقال مع عدم البخل بالمال فبين القبيلين بون بين والفرق بينهما أيدك الله هين فكم بين مرغوب فيه ومرغوب عنه وأنا لا أحب أن أنفق ما أكره ولا أحب من القول ما أحب أن أنفق منه وفى المودة ما يغنى عن الاعتذار فى كل حال ودمتم فى مزيد اقبال وعز وكمال

ومن كتاب كتبه الى بعض أصحابه

بكتب الانام كتاب ورد * فدت يد مرسله كل يد
يخبر عن حاله عندنا * ويذكر من شوقه ما نجد

سلام تسفر فى سماء الوداد أنواره وتزهر فى حدائق المحبة والاتحاد أنواره وثناء يزدرى بنسيم الصبا والقبول ودعاء ترفعه أكف الاخلاص الى أبواب القبول مع سؤال عن خاطر الجناب الكريم أسمى الله تعالى أسماه وصان ساحته العليا من صروف الدنيا وحمى حماه وبعد فأما تشوقى لحضرتكم فانه يقل فى تقريره البيان ويكل من تحريره البنان فحسبى فى هذا المجال قول من قال

لى لسان كأنه لى معادى * ليس ينبى عن كنه ما فى فؤادى
حكم الله لى عليه فلو أنـ * ـصف قلبى عرفت قدر ودادى

وبينما هذا المحب متلهب القلب بلواعج الاشواق والوجد مترقب لما يرد من رسائل الود غريق فى بحر الافكار مادّ لذلك أنظار الانتظار حتى لقد أحسب كل شخص ألقاه نجابا وأظن كل شئ أراه جوابا اذ ورد الىّ عزيز خطاب ذلك الجناب فأفاض علىّ سجال المسرة بوروده وشممت عبير المودة من أزهاره وورده فاجتليت باهر أنواره واقتطفت زاهر ثماره فاذا هو روضة بلاغة قد أينع ثمرها وزهرها وسماء براعة قد طلع بدرها وزُهرها وبحار فضل قد فاض جوهرها ودررها وكنوز بيان قد بان ابريزها وتبرها فحمدت الله تعالى شكرا وقرأت ان من البيان لسحرا وفهمت من بديع معانيه ما يحير مناظره ومُعانيه مما يخجل نسمات الشمائل فكأنه استعار لمحة من لطافة تلك الشمائل ورأيت من لطيف سجعه ما يزرى سجع الحمام المطوق وينسى فعل المدام المروّق وأبصرت من براعة عبارته

مالوأبصره ابن العميد لامسى لحبه عميدا أو الصاحب بن عباد وأمثاله لصار واله عبيدا ولو رآه أبو اسحق الصابى لصبا اليه أو العماد الكاتب لما اعتمد الا عليه ولو سمع به صاحب معجز أحمد لآمن برسالة محمد وكيف لا والأدب دولة أنت سلطانها والفصاحة صحيفة أنت عنوانها والمعالى مقدمات أنت نتيجة قياسها والمجد مشكاة أنت نور نبراسها وضوء مقباسها فالله تعالى يبقيكم حلية لجيد المعالى وغرة لجبهة الايام والليالى

ومن كتاب

بعد دعاء يتمسك بأهداب القبول وثناء يتمسك نسيم القبول قد سرني ورود الرقيم الكريم وبشرني بتشريفكم مصرمع الراحة والتكريم فالله يديم حسن راحتكم ويديم مسرتي بأخبار صحتكم وانى شاكر لتفضلكم برسائل الوداد وإبدائكم من دلائل الحب مثل ما انطوى عليه الفؤاد مستيقن أن يدوم هذا الوداد بيننا ويزداد سائل عن صحة ذلك المزاج العاطر مؤمل أن تكونوا فى حسن عافية وصفاء خاطر داع بمزيد العمر والامر لمن له الامر

وكتب

سلام يسفر عن خالص الوداد ويخبر عما فى الفؤاد من كمال المحبة والاتحاد الى فرع الدوحة العلية المحمدية وثمرة الشجرة المباركة النبوية سلالة الاشراف السادة وصفوة أهل المجد والسيادة حفظ الله حضرته وأدام بهجته ومسرته آمين وبعد فان الاطناب فى وصف تشوقى الى حضرة السيد أدام الله علاه وزان جيد المعالى بحلاه من قبيل تحصيل الحاصل وتوضيح الواضح بغير طائل فحسبي أن أكتفى فى هذا الشأن بشهادة ذلك الضمير المنير فانه ينظر بنور الله تعالى ما يضيق عنه نطاق التعبير وبينما هذا المحب مشغول اللسان بالثناء على تلك الحضره مشغوف الجنان بما يرد من أخبار المسره وردت مكاتبة سيادتكم فشكرت المولى على صحة سعادتكم وعلمت تفضلكم علينا بالدعوات الخيرية فى تلك الاماكن العلية وهذه منة جليلة يجب شكرها ومنحة جزيلة لا يجهل قدرها ولا بدع فى صدور محاسن الشيم ومعالى الهمم من ذلك الجناب الاكرم فانكم بضعة النبوة ومعدن الكرم والفتوة بكم تستمطر سحائب البركات وتستفتح أبواب الخيرات وبجدكم يتشفع فى يوم المحشر وباسلافكم الاماجد يستسقى من الكوثر فلا عدمنا تلك الاخلاق العلية ولا حرمنا هذه المكارم الهاشمية ثم انني ببركة دعواتكم وحسن

توجهاتكم أحمد الله على الصحة والسلامة وأسأله أن يديم علينا وعليكم انعامه وقد بادرت بتحرير خطابى هذا وأنا أحسده على وصوله لذلك النادى المبارك قبلى وأود لو أنى أكون مكانه لأقضى من مشاهدة ذلك المحيا الزاهر أملى وغاية رجائى أن لا تنسونا مما عودتمونا من الادعية الصالحة وتلاوة الفاتحة بين يدى حضرة سيد الانبياء المكرمين والرحمة العامة للعالمين صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه وجميع المنتمين اليه ثم فى باقى ما تترددون عليه من الاماكن الطاهرة والمواطن المشرفة الباهرة التى لا يمتد كف الثريا الا لثم ترابها ولا ينحنى ظهر الهلال الا لتقبيل أعتابها وكل ما يلزم لحضرتكم من هذا الطرف رهين الاشارة والاعلام ومنى لناديكم الشريف مزيد التحية والسلام ٦ صفر سنة ١٢٧٧

وكتب

سلام يمازج صفو الوداد آخره وأوله وأثنية سنية لا تصدر الا عن لسان محبة أوله مع أداء الدعاء الواجب وشكوى شوق الفؤاد الواجب قد بلغ الداعى توعك المزاج الكريم عافاه الله وشفا وسر بربئه نفوسا صارت من تلهفها على شفا فقد أورث هذا الامر قلب المحب أسى أساءه وثوى به وتمنى العبد أن يتحمل عن مولاه ذلك الالم ويكون لحضرة السيد خالص أجره وثوابه فالله تعالى يعجل مسرة قلوبنا العافية بقرب ورود أخبار السلامة والعافية والسلام ٦ ٢٠ شعبان سنة ١٢٧٧

وكتب لاحد أصحابه

الشوق الى لقياكم واجتلاء نور محياكم تضعف عن نقله جمائم الرسائل ولا يحتاج فى اثباته للحجج والدلائل فالله يطوى شقة البين ويقر بكم العين ويمتعنى ببقائكم وطيب لقائكم وقد ورد خطكم الكريم فسر أنفسا تعرفه وتألفه وأقر أعينا لا تزال تترقبه وتتشوفه وقد كان مر بخاطرى وخطر لفكرى أن أسابق سيدى ومولاى برسالة أشكو فيها الواعج البعاد وأقضى بها بعض الفروض الواجبة من حقوق الوداد ولكن أبى الله الا أن يكون سيدى هو السابق لتلك الفضيلة والبادى بهذه المكرمة الجميلة وأن أكون المقصر فى جنب تطوله والمفرط فى جانب تفضله على أنى لم أكن مقصرا فى دعاء يصحبه الحب ويرافقه الاخلاص وثناء على محاسن تلك الشمائل أوجبه مزيد الاختصاص وسؤال عن ذلك الخاطر الزاهر أستقبل به كل وارد وأشيع كل صادر والامل اتصال ما يطمئن به الفؤاد من رسائل الوداد حتى ينقضى أمد البعاد ذلك غاية المراد

وكتب الى أحد أصحابه

كان الله لك وتقبل عملك وأجزل صلتك وتولى مكافأتك على ما نهضت به من أعباء المروءة والفتوة وما تعرضت له من أداء حقوق الصحبة والاخوة فهكذا تكون الاخوان وبمثل هذا الحال تعرف الخلان فالحمد لله على مادة هذه الاطيان فقد ميزت الاصحاب والاحباب وفرقت بين التبر والتراب وفصلت بين السحاب والسراب فكانت بالنسبة لى هذه الحال فى معرفة الاحوال والرجال كما قال الشيعة فى على بن أبى طالب رضى الله عنه انه محك أولاد الزنا وأولاد الحلال فالله يكافئ كل أحد بفعاله ويمن بالمزيد من افضاله

وكتب

بعد سلام يغازل عيون الغزلان ويستميل بعذوبته عذبات البان وتحية تلذ بها المسامع ويطرب بها السامع وأشواق تجل عن الحصر والحد وتفوق غاية الاحصاء والعد وسؤال عن الخاطر الباهر وعزيز المزاج الزاهر الى حضرة من سما سماء المعالى وتعالى طالع سعوده على غرة البدر العالى وتحلت بعدائح محامده الايام والليالى وازدرى ببدائع فرائده قلائد اللآلى رعاه الله ووقاه وحفظه وأبقاه آمين بينما أنا مشغول اللسان بالثناء والجنان بالوفاء والولاء أتقلب بين أشواق تزيد ومحبة لاتبيد وأتذكر محاسن تلك الشمائل التى لاأنسى مكارم خلالها ولا تلحق أنامل الاوصاف أن تتعلق بغبار أذيالها وأترقب حصول الوسائل الموجبة لتسلسل الرسائل اذ رأيت فلانا حبيب الطرفين وقرة العين متوجها لذلك الجانب فى هذين اليومين خصه الله بالسلامة والعافية ومد عليه ظلال افضاله الوافية فحملتنى لواعج الشوق والوجد ودواعى المحبة والود أن أصحبه بهذا الرقيم لذلك النادى الكريم عساه ان شملته أنوار الانظار البهية أن ينوب عنى فى تبليغ التحية ومعه هدية دعانى الحب الى تسيارها وقد علمت أن ذلك الجناب يجل عن مقدارها ولكن القصد بارسالها الجرى على مألوف سنن الوداد والتبرك باقتفاء الحديث الوارد فى ذلك عن سيد العباد فالمرجو اذا حظيت بالوصول أن تحفها نسمات القبول مع التكرم بترادف المكاتبات وتواصل المخاطبات ذلك غاية الرجا ونهاية المرتجى ٢٠ رجب سنة ١٢٨٠

وكتب الى أحد أحبائه يستفزه على القيام بوعده من تقريظ سر الليال

أما بعد فالشوق لسيدى حرس الله علاه وأدام عليه آلاءه أوضح من أن أتعرض

لبيانه وحسبى تكفل ضميره العالى بعرفانه وانى وان قصرت فى المكاتبة وأنا أعتدها من الحقوق الواجبة فلم أقصر فى الدعاء ونشر جميل الثناء على أن القلوب بحمد الله متواصلة والثقة بصدق المودة من الطرفين حاصلة هذا وقد كنت رجوت سيدى فى تقريظ كتاب سر الليال وتقليد جيده من جواهر لفظه الكريم بصحاح اللآل لتكون منة منه يسديها الىّ ومكرمة يزيد بها سوابق فضله علىّ جرأنى على هذا الرجاء ثقتى بمكارم شيمه الباهرة وادلالى بمالى من صدق الانتماء الى حضرته الزاهرة وهذا أمر بالنسبة له يسير وموقعه عند داعيه خطير وقد سبق وعده الكريم باجابة المسؤل والداعى الى الآن فى انتظار هذا المأمول والمولى أجل من أن يذكر بالوعد أو يتقاضى الوفاء بالعهد

ومن كتاب كتبه الى المرحوم الشيخ مصطفى سلامه

سلام الله على حضرة سيدى الاستاذ سلمه الله

وبعد فقد علم مولاى تولى الله دواءه وعجل شفاءه وأجزل من العافية عطاءه أن شأن المقصر فى أمر تعسر اتيانه أن يأتى ما يبلغه امكانه ليكون أخف عبأ فى التقصير وأقرب الى قبول المعاذير ولهذا لما منعنى بعض الاشغال أن أنتقل الى حضرته القدم أردت أن أستعمل فى السؤال عن حال صحته لسان القلم وقد كانت الاولى أولى لدىّ وأوجب علىّ وأشهى الى ولكنى أزيد مع الثانية خدمتى بالدعاء وابتهالى الى الله سبحانه وتعالى فى طلب الشفاء فان تفضل سيدى بالعفو عما قصرت فيه من الواجب وقبول ما حررت اليه من العذر كان لى أن أرجو من فضله أن يعوضنى بكتابه ما فاتنى من خطابه ويتفضل بتفصيل ما عليه الآن صحة جنابه والله يسمعنى عنه ما يسر قلوب أحبابه فقد اعتل لاعتلاله الفضل حتى كاد يسمع أنينه وخجل من شكايته الزمن حتى عرق بهذا المطر جبينه فالله يعيد بصحته صحة الفضل والادب ويبلغه من الصحة والعافية كل أرب انه ولى الاكرام ومنى مزيد التحية والسلام

حاشية

أنا وان تهديت الى تلفيق المعاذير فيما قد صرت اليه من التقصير الا أنى بعد أن أتممت هذا الكتاب ووجدته تجاذب طرفى الاسهاب والاطناب رأيت انى ثقلت بهذه الاطالة على خاطره الشريف وذكرت أن أمر العيادة مطلوب فيه التخفيف ولم أر تغييره بعد أن أكملت تحريره فقعدت أتصفح الاعذار وأتفكر فيما أعلل به هذا الاكثار فلم يفتح علىّ بعذر يصلح ولا بسبب يحلو أو يملح فأنا أخبر سيدى بين

ثلاث أحوال يختار أيها شاء اما قبوله مجانا بلا اعتذار أو نظرة الى ميسرة من الاعذار أو أن يسلفني عذرا يقال في مثل هذه الاحوال ويعتذر به لنفسه عن داعيه ثم يتفضل بقبوله من كرم مساعيه وقد أردت بهذه الخلاعة تسلية خاطره الكريم وولدنا فلان يهدى مزيد التعظيم

وكتب

كتابي لسيدي حرسه الله والقلب بالاشواق مشتعل واللسان بالثناء مشتغل ومن حين وافى بشير الحبور ببشرى الحضور والعين الى الطريق في الانتظار والاذن صاغية لمسار الاخبار واليد مرفوعة بالدعاء لمفيض الآلاء أن يبل غلة الشوق بحسن اللقاء ويمين الله جل اسمه يمين البار قسمه الوافر من قسمة المحبة قسمه لقد كان غاية مناى أن لا يكون سواى رسولي لمولاى لو أمكن ممانعة المانع ومدافعة الموانع فمن ثمة ألزمني الحاح الشوق الغريم أن أبعث بهذا الرقيم لينوب عني في مصافحة البنان الكريم ويقوم بتحية التبجيل والتكريم آملا أن يتفضل سيدى والفضل من كرم شيمته بالاعلام عن حال صحته والمسؤل من فضل الله جل ثناؤه أن يسمعني من جهته ما يسرني في زمرة أحبته عنه وعنه

وكتب الى المرحوم أحمد فارس أفندى صاحب «الجوائب»

سيدى الاعز أدام الله بهجته وحرس مهجته وجعل حظى من لقائه على قدر قسمي من محبته وولائه ونصيبي من الخطور بفكره بمقدار اشتغالي بشكره وحسبي بهذا القدر وان كنت مفرطا في الشكر مُفْرطا في القصور والتقصير مخلا من واجب الحقوق بالكثير ولكن في مكارم سيدى ولطف سجيته ما يسع قصور أحبته وتقصيرهم في حقوق محبته على أني وان أخليت مجالس سيدى من تواصل مكاتباتي اليه لم أخل مجالس الاحبة وأندية المحبة من الثناء عليه واني وان كان يمنعني عن الاولى كثرة الاشغال فلا يعوقني عن الثانية حال من الاحوال وقد رايت في احدى الجوائب من مدح سيدى لبعض منشآت محبه ما اقتضاه لطف شمائل سيدى وكرم خلاله في رعاية صحبه وماذا عسى أن تبلغ مكاتبة مثلي حتى يثني بهذا اللسان عليها بل حتى ينظر اليها ولو كان سيدى اكتفى بالاغضاء لكان قد بالغ في الثناء والاطراء ولكن أبت همته الا المبالغة في التفضل وبلوغ الغاية في التطول فليس لي سوى الاعتراف بالعجز عن مكافأة هذا الافضال والله تعالى يتولى حسن مكافأته بخير الاحوال ومن اتخذ الله وكيلا فقد اهتدى سبيلا هذا وقد رأيت الاعز الامجد السيد الاسعد محمد أمين أفندى المدني الحلواني بلغه الله

الامانى متوجها الى ذلك الجانب الكريم مصمما أن يحظى بلقاء ذلك الجناب الفخيم فأحببت أن أصحبه بهذه الرسالة لتنوب عنى فى المثول بذلك النادى وعرض لواعج أشواقى ومزيد ودادى

ومن كتاب كتبه الى المرحوم المومأ اليه أيضا

سلام أبهى من عذار الطل على وجنة النهر وأشهى من لآلئ الطل فى مباسم الزهر وأزهى من شموس الطلا اذا موهت أشعتها فضة الكأس بالطلا وثناء أظرف من وجنات الورد قبلتها ثغور الشقائق وألطف من عيون النرجس اذا حدقت لحسن الحدائق وبعد فبينما أنا مشغول الفؤاد بانتظار مراسلات الوداد ورد الينا عزيز المكاتبة المشتملة على لذيذ المعاتبة فلما فككت ختامها ورمقت بعين الاشواق أرقامها فاذا هى قد جلت من صفاء المودة مدامها وان راشت بالملامة سهامها وجعلت عدم عرض الاشعار المكتسية من حلل البلاغة بأبهى شعار ناشئا من مقالة حاسد ساعده الزمان المعاند مع أنا لو سلمنا وجود الوشاة فصاحبك لا تؤثر فى مودته أقوال العداة فكيف ولا واشى وشى ولا حاسد بيننا مشى

وكتب الى المرحوم الشيخ زين المرصفى وكان فى أوروبا مع صاحب الدولة البرنس حسين كامل باشا

سلام الله على سيدى الأجل الأمثل زين زمانه وعين انسانه سلمه الله وأدام علاه وبعد فقد حظيت برقيم يراعتك المشرق بنور براعتك فلا ألطف منه سوى تلك الشمائل لا نسمات الشمائل على الخمائل ولا أحسن منه موقعا على الخاطر سوى البشرى باعتدال مزاجك الزاهر لا رنات المزاهر بين الازاهر ولا أكثر من مسراتى به الا محاسن سجاياك وأشواقى لرؤية محياك فالله يقرب قربك الاعين ويسر الخواطر كما شغل بثنائك الالسن وبولائك السرائر أما ما ذكره سيدى من حديث اغترابه فمثل المولى وحيد بمحاسن آدابه ولو بين أترابه لعدم أضرابه غريب بفضله ولو بين أهله على أنه لا غربة على المنتمى الى بعض هؤلاء الانجال الكرام ولو فارق العطن

ولا عيب فيهم غير أن ضيوفهم تلام بنسيان الاحبة والوطن

أما ما عرض فى البين فلا شين ممن كله كاسمه زين والماضى هو ماضى وكل ماضى انقضى ولقد غفرت بشيمك الغر وكرم طبعك الحر وشمائلك الطهر المزرية بنور الزهر فأين نور الزهر كل ما جناه الدهر «حتى جنايته بما فعل المشيب بمفرقى» وهب ما وقع كدر صفا فى الانس وكانت بقيت منه حاجة فى النفس فهلم

نستأنف الوداد ونتقارب على حالة البعاد وعلى كل حال فلا يتعدا كم شكرى ولا ينسا كم فكرى ٥٤ رمضان سنة ١٢٨٥

وكتب الى المرحوم ابراهيم باشا أدهم يشكره على بزور نادرة أرسلها اليه

أهدى الى ذلك الندى عاطرا من السلام الندى يتضوع شميمه ويتأرج نسيمه وعندى لسيدى من الشوق الى اقتباس أنواره ما عند المسهد المشوق الى اجتلاء شمس نهاره ومن اظهار آثار افضاله ما عند الروض للنيل ورواء زلاله وقد وصل من ثمرات كرم أياديه ما أودع من نوادر البزور تابع داعيه وليست هذه بأول منة أشكرها ولا تكون ان شاء الله آخر أكرومة أذكرها وانما هى فائدة مستفادة قبلها سوابق وعائدة مستعادة يتلوها لواحق وكان على أن أقابل الهدية بمثلها لاسيما وقد عرفت ما عرفت من فضلها ولكنى قليل البضاعة فى أمور الزراعة حديث العهد بهذه الصناعة فليس لدى الا ثناء أبديه وسلام أهديه ودعاء أسديه وشكر ألحم ثوبه وأسديه فان أعجب مولاى هذه المقايضة فهلم الى المقارضة والا فالنظرة الى الميسرة حتم والسلام على تلك الحضرة يحسن به الختم

وكتب الى المرحوم الفاضل الشيخ محمد بيرم جوابا عن كتاب ورد منه اليه مع رحلته المعروفة «بصفوة الاعتبار بمستودع الامصار والاقطار»

أيها الاستاذ الملاذ حظيت برقيم البنان الكريم وأحللته محله من التعظيم والتكريم ووصل معه «صفوة الاعتبار بمستودع الامصار والاقطار» الذى هو من محاسن الآثار وأخائر ذخائر الافكار فأشرق منهما سنا فرقدى فضل وافضال وضياء نيرى جمال وكمال وأسعدت بهما يدى قبول وصيان ومتعت فيهما ناظرى رغبة واستحسان ولثمتهما بشفتى ثناء وحمد واتخذتهما ذخيرتى بهاء ومجد وكلفت الخاطر باداء واجبهما الثناء وايفاء حقهما الاطراء فلم يبد الا الاباء واعتذر فى ذلك بما بهته من جمالهما وبغته من وصالهما وشغله من النظر اليهما واستغرقه من العكوف عليهما وسيدى سلمه الله أولى من تكرم وعذر ولست بأول من قصر واعتذر

ومن كتاب كتبه الى حضرة الاستاذ الفاضل الشيخ محمد محمود الشنقيطى رد المكاتبة أرسلها المومأ اليه من الاستانه

سلام الله على سيدى الاستاذ الملاذ الامام الهمام وأصل الله عليه السلام والانعام وبلغه من الخير ولا يروم الا الخير كل ما رام وبعد فانى أحمد اليك الله أيها الاخ فى الله على الصحة والراحة وأسأله أن يسمعنى من ناحيتك ما يسر من أخبار صحتك

وعافيتك

وعافيتك ونجاح مطالبك وحصول مآربك وقد وصلني عزيز كتابك فكان بغية نفس ومنية أنس وقرة ناظر ومسرة خاطر ونتيجة ود وإخاء وآية وفاء واحتفاء ذاكرا من الحب مالا أزال له ذاكرا وعليه شاكرا وبفضله معترفا وعليه معولا ولدوامه مؤملا وما قدمني اليك أيدك الله من أني توجهت الى المحطة لوداعك يوم سرت مصحوب السلامة والكرامة هو الذي كان وكان السبب في ذلك ما شوهد في أثناء الطريق بالمركبة التي كنت بها من خطر وقى الله سبحانه ما كان فيه من شر وضرر ببركة جار الحضرة النبوية السنية وسلامة النية فوقفت ريثما حصل تدارك الخلل ففاتني الأمل ولئن حرمت لذة نظرة الى جنابك أتعلل بها الى يوم إيابك فالمرجو من كرم الله أن لا يحرمني من الاجر وأن يعوضها بنظرات تبل غلة الصدر وتجلي مغبة الصبر في خير وسرور وحبور وحضور وأن يهنئك بالاعياد والاعوام ويبارك لنا في جميع الاوقات والايام ٨ شوال سنة ٣٠٤

وكتب الى المرحوم أبي السعود أفندي صاحب صحيفة « وادي النيل » ومحررها كتابا يشتمل على نبذة في بعض مباحث الهيئة على الطريقة المتعارفة الآن وجعل مدار الكلام فيها على البحث عن موافقة هذه الطريقة للكتاب والسنة كما يراه بعض من ذهب ذلك المذهب وخاطب بها محرر الصحيفة المذكورة وجعل بعض القول فيها بصورة مناظرة بين فقيه وآخر من أصحاب الهيئة تقريبا للافهام وتفصيلا للكلام فطبعت في الصحيفة المشار اليها مفرقة ثم تكرر طلبها من الاحبة فجمعها ضاما اليها بعض ما اقتضاه المقام وطبعت «بروضة المدارس المصرية» في عددها الخامس من سنتها السابعة الصادر بتاريخ ١٥ ربيع الاول سنة ١٢٩٣ قال

قد كنت وعدت فيما حررته سابقا أني أكاتب حضرتكم بعد بما تيسر على حسب الامكان ومساعدة الزمان والآن أريد أن أخبركم بمحاورة جرت بيني وبين بعض المتورعين من الناس فيما يتعلق بصحيفة وادي النيل وكتاب الجغرافيا المطبوع في وريقاتها وذلك أني رأيته ينكر على حضرتكم بعض المباحث المندرجة في ذلك الكتاب ككون الارض كرة والقبة السماوية متخيلة وما قيل في كيفية الكسوف والخسوف ونحو ذلك بعد الاعتراف منه بأن الكتاب المذكور كتاب مناسب في موضوع مهم تدعو اليه الحاجة لمعرفة مواقع البلاد ومحالها وأقسام الارض وأحوالها فان هذا لا تنكر مزيته وفائدته في السياحة والتجارة وأمور التمدن والحضارة فقلت له قد علمت أن منشئ وادي النيل ليس مؤلف الكتاب المذكور وانما هو مترجم له والمترجم ناقل ليس عليه عهدة ما ينقله وانما يلزمه صحة النقل وتوفية

حق الأداء على صحته ولا يلزمه ما يترتب على الاصل المنقول عنه من نقد ومؤاخذة بعد عزوه لأصله ونسبته الى قائله فلو سلم أن جميع تلك المباحث مما ينكر فما عليه شيء من ذلك فقد قالوا ان ناقل الكفر ليس بكافر وتقريب ذلك أنك الآن نقلت هذه المباحث عن الكتاب المذكور ولا ترى عليك بأسا فى حكايتها حيث كنت ناقلا وكذلك صاحب وادى النيل قد نقلها بالترجمة وخرج عن عهدتها بعزو الكتاب لمؤلفه . فقال هذا صحيح مسلم الا أنه لو نبه فى تلك المباحث على ما يخالف المعتقد واعتنى بابطاله ورده أو طواه وحذفه بالكلية لكان خيرا فقلت قد اتفقنا على أنه مترجم وناقل وليس شيء مما ذكرت فى وظائف الترجمة والنقل على أنه لو كان هذا الكتاب من تأليفه لما وسعه الا ايراد الفن الذى هو بصدده على حالته وعلى حسب اصطلاح أهله ومذهبهم فى فنهم ليطلع طالب تحصيله عليه كما هو عند أهله ويكون عارفا بأصولهم وقاعدتهم ورأيهم على طريقتهم فان كل طالب فن يحتاج فيه الى ذلك فحذف بعض أصولهم إخلال بالغرض المقصود والتعرض فى كل مبحث من الفن للبحث مع أهله والانتقاد عليهم وبيان ما يوافق الاعتقاد وما يخالفه والاشتغال باثبات ما يوافق وابطال ما يخالف يؤدى الى تشتيت الكلام وتشعب المقام والخروج من فن الجغرافيا الى علم الكلام ولذلك ترى كثيرا من قدماء العلماء الاعلام هداة الأنام حين ألفوا فى الهيئة بل فى الفلسفة مشوا مع أهلها على حسب اصطلاحهم من غير اشتغال بالرد والانتقاد والاستدلال على ابطال ما يخالف الاعتقاد اتكالا منهم على أن ذلك الرد والابطال له محلات أخر مخصوصة به فى مباحث علم الكلام ليسوا بصددها وانما هم بصدد بيان الفن فى ذاته واقتطاف ما يستطاب من ثمراته فنشئ صحيفة وادى النيل له بهؤلاء القوم أسوة حسنة على أن فى التأليف من سعة المجال والتمكن من الحذف والاختصار والزيادة وسائر وجوه التصرف فى القول ما ليس فى الترجمة ثم لا يذهب عليك أن مثل هذه الصحف الخبرية وأوراق الحوادث الدوريه ليس من شأنها أن تختص بأمة معلومة من الناس على رأى واحد من الاعتقاد فى بقعة مخصوصة من الارض حتى يتيسر لصاحبها أن يتقيد بعوائدهم ويبنى على قواعدهم ويراعى ما يكون موافقا لعقائدهم بل الشأن فيها أن تنتقل من بلد الى بلد وتتداول من يد الى يد بين أقوام مختلفى الطباع متباينى الاوضاع متخالفين فى العقائد غير متفقين فى العوائد فالاتيان بما يوافق جميع الآراء ويطابق كافة الاهواء توفيق بين الاضداد وأصعب من خرط القتاد وانما هى كالمطر ينزل على الارض الطيبة والخبيثة ثم تنبت كل على حسب طينتها وكالمغنى يقول ما ينطلق به لسانه وينبعث اليه خاطره ثم كل سامع يذهب فيه مذهبه

ويأخذه

و يأخذه على حسب ماعنده و يتوجه منه الى ماقصده و يوجهه لما أراده على وفق غرضه وهواه وهو على حسب نظره ومرماه وكالبضاعة المعرضة للبيع المعروضة على أنظار العامة يأخذ منها كل واحد ما يعجبه و يستحسنه نظره فربما كان الشيء الواحد مستحسنا عند واحد من الناس لوجه مخصوص مذموما عند آخر لايذمه الا لذلك الوجه الذى استحسنه به الاول والعاقل الكيس يستفيد من كل كتاب يراه مايرضاه ويدع ماوراءه مما يجده خلاف مايعتقده ولايدع كثيرا ينفعه لقليل لايضره هذا تفسير الكشاف فيه مواضع من الاعتزال أفيترك اللبيب المحصل من أهل السنة مافيه من المزايا الجمة والفوائد المهمة والاسرار التأويلية لما معها من تلك المواضع الاعتزالية لابل يستفيد محاسن مافيه ويترك ماوراء ذلك مما لايرتضيه ولذلك عكف عليه المحصلون واعتنى بخدمته العلماء العاملون بل عد فى مناقب بعض علماء السنة السنية أنه عكف عليه أحقابا مديدة من الدهر وصرف عليه مدة طويلة من العمر اغتناما لما فيه من العلم النافع ولم يتركوه من أجل تلك المواضع ومصداق ذلك ماورد من أن الحكمة ضالة المؤمن يلتقطها حيث وجدها فهو أولى بها وماقيل

ان العلوم كأثمار على شجر * فاجن الثمار وخل العود للنار

مثاله رجل وجد فى طريقه عقدا نفيسا فيه جوهر عظيم وفى أثنائه شىء من الخرز فان كان فيه مسكة من العقل وذرة من التمييز أخذ العقد فانتفع بما فيه من الجوهر وما عليه مما فى أثنائه من الخرز وان كان أحمق سيء النظر فاسد الرأى تركه لما فى أثنائه من ذلك الخرز ومن هذا القبيل مانحن بصدده هذا كله على تسليم أن كل تلك المباحث مما ينكر مع أن كون الارض كرة وماقيل فى كيفية الخسوف والكسوف ونحو ذلك قد نبه أكابر العلماء المعتمدين المقتدى بهم فى الدين على أنه لايصادم شيأ من أصول الشريعة الشريفة فمن ذلك قول الامام فخر الدين الرازى فى تفسير قوله تعالى وهو الذى مد الارض الآية ونصه قال قوم كانت الارض مدورة فمدها ودحاها من مكة من تحت البيت فذهبت كذا وكذا وقال آخرون كانت مجتمعة عند البيت المقدس فقال لها اذهبى كذا وكذا اعلم أن هذا القول انما يتم اذا قلنا الارض مسطحة لاكرة وأصحاب هذا القول احتجوا عليه بقوله تعالى والارض بعد ذلك دحاها وهذا القول مشكل من وجهين الاول أنه ثبت بالدلائل أن الارض كرة فكيف يمكن المكابرة فيه فان قالوا وقوله مد الارض ينافى كونها كرة فكيف يمكن مدها قلنا لانسلم لان الارض جسم عظيم والكرة اذا كانت فى غاية الكبر كان كل قطعة منها تشاهد كالسطح والتفاوت الحاصل بينه وبين السطح لايحصل الا فى علم الله ألاترى أنه قال والجبال أوتادا مع أن

العالم من الناس يستقرون عليها فكذلك ههنا والثانى أن هذه الآية انما ذكرت ليستدل بها على وجود الصانع والشرط أن يكون ذلك أمرا مشاهدا معلوما حتى يصح الاستدلال به على وجود الصانع فثبت أن التأويل الحق ما ذكرنا انتهى وقال فى تفسير قوله تعالى ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار الآية ما نصه ومما يتعلق باحوال الارض أنها كرة وقد عرفت أن امتداد الارض فيما بين المشرق والمغرب يسمى طولا وامتدادها بين الشمال والجنوب يسمى عرضا فنقول طول الارض إما أن يكون مستقيما أو مقعرا أو محدبا وأثبت الاخير وأبطل الاولين وكذلك صنع فى عرضها بعبارة فيها طول ثم قال الحجة الثانية ظل الارض مستدير فوجب كون الارض مستديرة بيان الاول أن انخساف القمر ظل الارض لانه لا معنى لانخسافه الا زوال النور عن جوهره عند توسط الارض بينه وبين الشمس ثم نقول وانخساف القمر مستدير لانا نحس بالمقدار المنخسف منه مستديرا واذا ثبت ذلك وجب أن تكون الارض مستديرة لان امتداد الظل يكون على شكل الفصل المشترك بين القطعة المستضيئة باشراق الشمس عليها وبين القطعة المظلمة منها واذا كان الظل مستديرا وجب أن يكون ذلك الفصل المشترك الذى شكل كل الظل مثل شكله مستديرا فثبت أن الارض مستديرة ثم ان هذا الكلام غير مختص بجانب واحد من جوانب الارض لان المناظر الموجبة للخسوف تتفق فى جميع أجزاء فلك البروج مع أن شكل الخسوف أبدا على الاستدارة فاذا الارض مستديرة الشكل من كل الجوانب واحتج من قدح فى كروية الارض بأمرين أحدهما أن الارض لو كانت كرة لكان مركزها منطبقا على مركز العالم ولو كان ذلك لكان الماء محيطا بها من كل الجوانب لان طبيعة الماء تقتضى طلب المركز فيلزم كون الماء محيطا بكل الارض والثانى ما يشاهد فى الارض من التلال والجبال العظيمة والاغوار المقعرة جدا أجابوا عن الاول بان العناية الالهية اقتضت اخراج جانب من الارض عن الماء بمنزلة جزيرة فى البحر لتكون مستقر الحيوانات وأيضا لا يبعد سيلان الماء من بعض جوانب الارض الى المواضع الغائرة منها وحينئذ يخرج بعض جوانب الارض وعن الثانى بان هذه التضاريس لا تخرج الارض عن كونها كرة كما قالوا لو اتخذنا كرة من خشب قطرها ذراع مثلا ثم أثبتنا فيها أشياء بمنزلة جاورسات (١) أو شعيرات وقورنا فيها كأمثالها فانها لا تخرجها عن الكروية ونسبة الجبال والغيران الى الارض دون نسبة تلك النباتات الى الكرة الصغيرة انتهى

(١) الجاورس غلة مخصوصة وهى الذرة الصغيرة والظاهر أنه معرب كاورس الفارسية كما فى الاوقيانوس انتهى منه

وقال

وقال الامام حجة الاسلام الغزالى فى كتاب تهافت الفلاسفة مانصه
القسم الثانى مالا يصدم مذهبهم (يعنى الفلاسفة) فيه أصلا من أصول الدين وليس من ضرورة تصديق الانبياء والرسل منازعتهم فيه كقولهم ان خسوف القمر عبارة عن انمحاء ضوء القمر بتوسط الارض بينه وبين الشمس من حيث انه يقتبس نوره من الشمس وان الارض كرة والسماء محيطة بها من الجوانب فاذا وقع القمر فى ظل الارض انقطع عنه نور الشمس وكقولهم ان كسوف الشمس معناه وقوف جرم القمر بين الناظر وبين الشمس وذلك عند اجتماعهما فى العقدتين على دقيقة واحدة وهذا الفن أيضا لسنا نخوض فى ابطاله اذ لا يتعلق به غرض ومن ظن أن المناظرة فى ابطال هذا من الدين فقد جنى على الدين وضعف أمره فان هذه الامور تقوم عليها براهين هندسية وحسابية لا تبقى معها ريبة فمن يطلع عليها ويتحقق أدلتها حتى يخبر بسببها عن وقت الكسوفين وقدرهما ومدة بقائهما الى الانجلاء اذا قيل له ان هذا على خلاف الشرع لم يسترب فيه وانما يسترب فى الشرع وضرر الشئ ممن ينصره لا بطريقه أكثر من ضرره ممن يطعن فيه بطريقه وهو كما قيل عدو عاقل خير من صديق جاهل فان قيل فقد قال عليه الصلاة والسلام ان الشمس والقمر لآيتان من ايات الله عز وجل لا تنكسفان لموت أحد ولا لحياته فاذا رأيتم ذلك فافزعوا الى ذكر الله تعالى والصلاة فكيف يلائم هذا ما قالوه قلنا ليس فى هذا ما يناقض ما قالوه اذ ليس فيه الا نفى وقوع الكسوف لموت أحد ولا لحياته والامر بالصلاة عنده والشرع الذى يأمر بالصلاة عند الزوال والطلوع والغروب من أين يبعد منه أن يأمر بها عند الكسوف استحبابا فان قيل فقد روى أنه قال فى آخر الحديث ولكن الله اذا تجلى لشئ خضع له فيدل على أن الخسوف خضوع بسبب التجلى قلنا هذه الزيادة لم يصح نقلها فيجب تكذيب ناقلها وانما المروى ما ذكرناه كيف ولو كان صحيحا لكان تأويله أهون من مكابرة أمور قطعية فكم من ظواهر أولت بالادلة القطعية لا تنتهى فى الوضوح الى هذا الحد وأعظم ما يفرح الملحدة أن يصرح ناصر الشرع بأن هذا وأمثاله على خلاف الشرع فيسهل عليه طريق ابطال الشرع ان كان شرطه أمثال ذلك وهذا لان البحث فى العالم عن كونه حادثا أو قديما ثم اذا ثبت حدوثه فسواء كان كرة أو بسيطا أو مثمنا أو مسدسا وسواء كانت السموات وما تحتها ثلاث عشرة طبقة كما قالوه أو أقل أو أكثر فنسبة النظر فيه الى البحث كنسبة النظر الى طبقات البصل وعددها وعدد حبات الرمان فالمقصود كونه من فعل الله فقط كيف كان انتهى كلام الامام حجة الاسلام الغزالى بنصه وفصه وهو من الوضوح والظهور والاستيفاء فى الغاية والنهاية

هذا وقد ذهب أناس الى القول بالهيئة الجديدة أعنى ماوقع عليه اختيار أهل الهيئة فى هذه الاعصار الأخيرة وان كان قديما معهودا عند السلف كالقول بأن الارض تدور حول الشمس وان هذا المرئى الذى نسميه سماء أو فلكا هو فضاء واسع وزرقته من اكتناف الاشعة الشمسية للاجزاء الارضية وأشباه ذلك وقالوا بتأويل ماورد فى ذلك من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية وحملها على مايوافق ماذهبوا اليه فزعموا أن السموات فى نحو قوله تعالى الذى خلق سبع سموات طباقا عبارة عن دوائر الشموس وذلك أنهم سموا كل كوكب ثابت شمسا وقالوا ان لكل واحدة من هذه الشموس دائرة وعدة متعلقات كثيرة تدور حولها من السيارات والملتزمات وذوات الذوائب وكل واحد من هذه المتعلقات عالم مثل كرة أرضنا ومن جملة هاتيك الشموس هذه الشمس المشهورة ولها دائرة مخصوصة بها وعدة متعلقات تدور حولها من السيارات والملتزمات ومن جملة السيارات الدائرة حولها هذه الارض التى نحن عليها والقمر ملتزم لها ويدور عليها ومعها على الشمس وفوق ذلك صفوف دوائر شمسية متكاثرة بعضها فوق بعض الى حيث لايحيط به النظر ولا تدركه الفكر ومايعلم جنود ربك الا هو فالسموات عندهم عبارة عن هذه الدوائر بما فيها من الكواكب الكثيرة وقالوا فى طباق السموات وكونها سبعة ان الكواكب الثابتة سبع طبقات فما كان منها يرى فى غاية الظهور والاضاءة فهو الطبقة الأولى ويقال لها المرتبة الأولى والقدر الأول وما كان أبعد منها غير كثير وأقل فى الظهور والاضاءة بمقدار يسير فهو الطبقة الثانية وهكذا الى الطبقة السادسة كل طبقة ترى كواكبها أبعد من التى قبلها وأقل منها ظهورا واستنارة والطبقة السابعة هى التى لاترى كواكبها الا بالمنظرة المعظمة فهذه الطبقات عندهم هى طباق السموات وقوله تعالى وزينا السماء الدنيا بمصابيح الآية قالوا السماء الدنيا عبارة عن الدوائر الشمسية التى نحن فيها المزينة بما فيها من السيارة وسيارة السيارة وذوات الاذناب وغيرها من متعلقاتها الى نحو ذلك من التأويلات وفى كتاب أسرار الملكوت وشرحه الموسوم بأفكار الجبروت طرف من تأويلاتهم وآرائهم ودلائلهم والاعتراضات التى أوردت على مذهبهم وما أجابوا به عنها والشرح المذكور مطبوع فى القسطنطينية دار السلطنة السنية وهو باللغة التركية ومتنه بالعربية فليطلع عليه من أراد اذ لسنا بصدد بيان الهيئة الجديدة ولا القديمة فان ذلك منوط بأهله ومبسوط فى محله وانما كان أصل القول فى الانكار الذى توجه على وادى النيل وقد أدى الحال الى الاستطراد بنقل

ما

ماذهب اليه هؤلاء القوم من التأويل فانساق الكلام وجر بعضه بعضا والحديث شجون وهاك حكاية مناظرة بين واحد منهم وصديق له من الفقهاء

قال الفقيه لصاحب الهيئة أراك تقول الآن بهذه الهيئة الجديدة مع مخالفتها النصوص الشرعية من الكتاب والسنة وقد كنت أعهدك على يقين في دينك وبصيرة في أمرك فكيف اخترت لنفسك مفارقة الدين والخروج من دائرة المهتدين

قال صاحب الهيئة معاذ الله كيف تكفر من يؤمن بالله ورسوله واليوم الآخر ويعتقد أن جميع ماسوى الله تعالى على أي حالة كان سواء كانت الشمس مركزا والارض تدور عليها أو غير ذلك حادث ومخلوق لله سبحانه وتعالى وأما ماذكرت من مخالفة الهيئة الجديدة لنصوص الشرع فأنا اذا تتبعت كلام القوم ورأيتهم قد قرروا شيأ من قواعدهم على خلاف المشهور من الهيئة القديمة ثم أثبتوا شيأ مما يدعونه بدلائل قطعية أو قواعد حسابية أو أمور بصرية لايمكن مقاومتها ولا تحسن مكابرتها ثم رجعت الى ما يتعلق بالهيئة من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية فوجدت ألفاظها لاتأبى أن تؤول بما يوافق تلك الادلة القطعية ورأيت علماء السنة رضي الله عنهم قد تأولوا كثيرا من الظواهر لمثل ذلك ونظرت الى ماقرره الامام حجة الاسلام الغزالي رضي الله عنه في كتاب تهافت الفلاسفة من أن المصير الى التأويل أولى من مكابرة ماقام عليه الدليل ووجدت كثيرا من المفسرين حملوا بعض الظواهر على مايوافق ماقيل في الهيئة القديمة والحال أن كلا من أرباب الهيئة القديمة والجديدة بالنسبة الينا على حد سواء أفلا يجوز لي حينئذ التعويل على تأويل تلك الظواهر بما يوافق ماقامت عليه الادلة القطعية في الهيئة الجديدة مما تقبله كلماتها وتحتمله عباراتها مع الاعتقاد الجازم بأن جميع ماجاء في كتاب الله العظيم وصح عن رسوله الكريم حق وصدق لاريب فيه ولامرية وهو أعلم بحقيقته وأسراره وباطنه وظاهره

قال الفقيه فهل يمكن التوفيق بين النصوص الشرعية وماقيل في الهيئة الجديدة

قال صاحب الهيئة نعم بل كثير من الاوجه المذكورة في كتب التفسير المتداولة موافق لذلك غير محوج الى تأويل غيره

قال الفقيه قد زعمتم أن هذا الذي نراه أزرق ونسميه سماء فضاء فما معنى السماء اذن في كتاب الله تعالى

قال صاحب الهيئة هي دوائر الشموس بما فيها من الكواكب

قال الفقيه فاذن هي عندك أمور اعتبارية

قال صاحب الهيئة ليس كذلك فقد قلنا انها الدوائر بما فيها من الكواكب وليست هذه الكواكب مجرد أمور اعتبارية تخييلية حتى يلزم ماذكرت بل هي موجودات حقيقية وأجسام وجودية محسوسة بالغة في العظم والكثرة مبلغا عظيما فهذه الدائرة الشمسية التي نحن فيها بما فيها من الكواكب السيارة وسيارة السيارة وذوات الذوائب وغيرها هي السماء الدنيا فوقها غيرها وهكذا وانما الذي ننفيه مازعمه بعض أصحاب الهيئة القديمة من الكيفية المبينة في كتبهم من أن السموات أجسام متراكبة متماسة متلاصقة كطبقات البصلة ولا تقبل الخرق ولا الالتئام وهذا شيء لم يرد به كتاب ولا سنة بل ينافيه ماورد في الاخبار من التفاوت بين طبقات السموات و يترتب عليه انكار تنزل الملائكة ونحوه فأي الطريقين أقرب للشرع مسلكا وأحسن منسكا

قال الفقيه فما معنى قوله أأنتم أشد خلقا أم السماء بناها رفع سمكها فسواها

قال صاحب الهيئة ان كنت قد ظننت أنه بناها كما يبني البناء لبنة فوق لبنة فليس كما تزعم ولكن الله سبحانه وتعالى بين أنه كيف بناها بقوله بعد ذلك رفع سمكها فسواها الى آخره كما في تفاسير الرازي والبيضاوي وأبي السعود وغيرها

قال الفقيه إيه فما معنى قوله رفع سمكها فسواها

قال صاحب الهيئة رفع سمكها جعل مقدار ارتفاعها وذهابها في سمت العلو مديدا رفيعا وسواها أي تممها بما يتم به كمالها من الكواكب والتداوير من قولهم سوى فلان أمره اذا أصلحه كما هو بعض أوجه مذكورة في كثير من التفاسير

قال الفقيه فما معنى قوله وأوحى في كل سماء أمرها

قال صاحب الهيئة أمرها ماهي عليه من النظام المخصوص والترتيب العجيب والصنع الباهر قال شيخزاده في حاشيته على البيضاوي فسر الامر بالشأن فيكون واحد الامور أي جعل كل واحدة على ما يتأتى منها من الشؤن وقيل وحي شأن السماء في كل واحدة منها عبارة عن خلق شمسها وقمرها ونجومها والايحاء في الاصل الالقاء فكان مجازا عن اظهار ما أراده في كل سماء انتهى

قال الفقيه فما معنى قوله سبحانه وتعالى أنزل من السماء ماء

قال صاحب الهيئة قال شيخزاده والسماء يحتمل الفلك على ما قيل من أن المطر ينزل من السماء الى السحاب ومن السحاب الى الارض ويحتمل جهة العلو سماء كانت أو سحابا فان كل ما علا الانسان يسمى سماء ومن هذا قيل لسقف البيت سماء انتهى فنحن نختار هذا الوجه الثاني وقد ذكره الشهاب الخفاجي في عناية القاضي بعد ذكر الأول فقال وان كان قد رجح الاول قبله مانصه

ومن

ومن ذهب الى خلافه أول الآيات بأن المراد أنه ينزل من السحاب وهو يسمى سماء لعلوه أو أنه ينشأ من أسباب سماوية وتأثيرات أثيرية فهو مبدأ مجازى له واليه أشار المصنف رحمه الله يعنى البيضاوى بقوله (أو من أسباب سماوية تثير الاجزاء الرطبة من أعماق الارض الى جو الهواء فتنعقد سحابا ماطرا) قال وتفصيله كما فى كتب الحكمة الطبيعية أن الشمس اذا سامتت بعض البحار والبرارى أثارت من البحار بخارا رطبا ومن البرارى بخارا يابسا والبخار أجزاء هوائية ممازجها أجزاء صغار مائية لطفت بالحرارة حتى لا تتمايز فى الحس لغاية صغرها فاذا صعد البخار الى طبقة الهواء الشالثة تكاثف فان لم يكن البرد قويا اجتمع ذلك البخار وتقاطر لثقله بالتكاثف فالمجتمع هو السحاب والمتقاطر المطر وان كان البرد قويا كان ثلجا وبردا وقد لا ينعقد سحابا ويسمى ضبابا انتهى وقد ذكر العلامة مفتى الثقلين أبو السعود فى تفسيره هذا الوجه الذى نختاره من أن المراد بالسماء جهة العلو وعلله (١) باظهار لفظ السماء فى الآية الكريمة فى موضع الاضمار وفى تفسير الجلالين تفسير السماء بالسحاب فى مثل هذه الآية كما فى قوله سبحانه أو كصيب من السماء

قال الفقيه فما تقول فى قوله وكل فى فلك يسبحون

قال صاحب الهيئة قال الامام فخر الدين الرازى فى تفسير سورة الانبياء الفلك فى كلام العرب كل شئ دائر وجمعه أفلاك واختلف العقلاء فيه فقال بعضهم الفلك ليس بجسم وانما هو مدار النجوم وهذا قول الضحاك وقال الاكثرون بل هى أجسام تدور النجوم عليها الى آخر ما ذكره فالقول الاول يوافق الهيئة الجديدة والثانى يوافق القديمة

قال الفقيه فما معنى قوله سبحانه وسع كرسيه السموات والارض

قال صاحب الهيئة قال القاضى البيضاوى ما نصه وسع كرسيه السموات والارض تصوير لعظمته وتمثيل مجرد ولا كرسى فى الحقيقة ولا قاعد وقيل كرسيه مجاز عن علمه تعالى أو ملكه مأخوذ من كرسى العالم والملك ثم ذكر ما هو مشهور

قال الفقيه فما تقول فى قوله تعالى حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب فى عين حمئة ووجد عندها قوما

قال صاحب الهيئة قال الامام فخر الدين الرازى بعد أن ذكر القراءتين حمئة وحامية ما نصه البحث الثانى انه ثبت بالدليل أن الارض كرة وان السماء محيطة بها من الجوانب ولا شك أن الشمس فى الفلك وأيضا قال ووجد عندها قوما ومعلوم أن جلوس قوم فى

(١) قوله باظهار لفظ السماء فى موضع الاضمار يعنى قوله عز وجل الذى جعل لكم الارض فراشا والسماء بناء وأنزل من السماء ماء حيث أعاد لفظ السماء اظهارا فى موضع الاضمار اه منه

قرب الشمس غير موجود وأيضا الشمس أكبر من الارض بمرات كثيرة فكيف يعقل
دخولها في عين من عيون الارض اذا ثبت هذا فنقول تأويل قوله تغرب في عين
حمئة من وجوه الاول أن ذا القرنين لما بلغ موضعا من المغرب لم يبق بعده شئ من
العمارات وجد الشمس كأنها تغرب في وهدة مظلمة وان لم تكن كذلك في الحقيقة كما
أن راكب البحر يرى الشمس كأنها تغيب في البحر اذا لم ير الشط وهي في الحقيقة
تغيب وراء البحر هذا هو التأويل الذي ذكره أبو علي الجُبَّائي في تفسيره الثاني أن
في الجانب الغربي من الارض مساكن يحيط البحر بها فالناظر الى الشمس يتخيل كأنها
تغيب في تلك البحار ولا شك أن البحار الغربية قوية السخونة فهي حامية وهي أيضا
حمئة لكثرة ما فيها من الحمأة السوداء والماء فقوله تغرب في عين حمئة اشارة الى أن
الجانب الغربي من الارض قد أحاط به البحر وهو موضع شديد السخونة الثالث قال
أهل الاخبار ان الشمس تغرب في عين كثيرة الماء والحمأة وهذا في غاية البعد وذلك لانا
اذا رصدنا كسوفا قمريا فاذا اعتبرناه ورأينا أن المغربيين قالوا حصل هذا الكسوف
في أول الليل ورأينا المشرقيين قالوا حصل في أول النهار وعلمنا ان أول الليل عند أهل
المغرب هو أول النهار الثاني عند أهل المشرق بل ذلك الوقت الذي هو أول الليل عندنا
فهو وقت العصر في بلد و وقت الظهر في بلد آخر و وقت الضحوة في بلد ثالث و وقت
طلوع الشمس في بلد رابع ونصف الليل في بلد خامس واذا كانت هذه الاحوال
معلومة بعد الاستقراء والاعتبار وعلمنا أن الشمس طالعة ظاهرة في كل هذه الاوقات
كان الذي يقال انها تغيب في الطين والحمأة كلاما على خلاف اليقين وكلام الله تعالى مبرأ
عن هذه التهمة فلم يبق الا أن يصار الى التأويل الذي ذكرناه ثم قال تعالى ووجد عندها
قوما الضمير في قوله عندها الى ماذا يعود فيه قولان الاول انه عائد الى الشمس ويكون
التأنيث للشمس لان الانسان لما تخيل أن الشمس تغرب هنالك كان سكان هذا
الموضع كأنهم سكنوا بالقرب من الشمس والقول الثاني أن يكون الضمير عائدا الى العين
الحامية وعلى هذا القول فالتأويل ما ذكرناه انتهى كلام الامام الرازي بحروفه وقد
نحا القاضي البيضاوي نحوه في تفسيره فقال لعله (يعني ذا القرنين) بلغ ساحل المحيط
فرآها كذلك اذ لم يكن في مطمح بصره غير الماء ثم ان البيضاوي أيد ذلك باستنباطه
من لفظ الآية الكريمة فقال ولذلك قال وجدها تغرب ولم يقل كانت تغرب وكتب
الشهاب على ذلك ما صورته وما قيل من أن الوجدان يدل على الوجود ولو كان المراد ما ذكر
لقال رآها ليكون من غلط الحس مع أن اطلاق العين على البحر المحيط خلاف الظاهر
مدفوع بان وجد يكون بمعنى رأى كما ذكره الراغب فهي مساوية لها يجري فيها ما يجري

فيها

فيها وأما كونه لموافقة قوله وجد عندها قوما فلا يجدي لانه مؤول أيضا كما عرفت وتسمية البحر المحيط عينا الا محذور فيه خصوصا وهو بالنسبة لعظمة الله كقطرة وان عظم عندنا انتهى

وقد استطرد صلاح الدين الصفدي في شرح لامية العجم الى ذكر هذه الآية الشريفة عند الكلام على قول الطغرائي (ناء عن الاهل صفر الكف) الى آخره فكتب على الآية كلاما طويلا قال في جملته ان الخطاب أو رد على حكم الحس في الظاهر والحس قد يكذب فيرى الصغير كبيرا وعكسه ويرى النقطة خطا ودائرة كما في النقطة الممتدة من السماء الى الارض والنقطة على الرحى التي تدور سريعا وكذا اذا غمز الانسان عينه ورأى القمر فانه يراه اثنين ثم ذكر في تعليل هذا كلاما طويل الذيل ورجع الى القول في كذب الحس وغلطه فقال وقد يرى القمر السائر تحت السحاب متحركا الى غير الجهة التي يتحرك اليها في الحقيقة ويرى النار البعيدة كبيرة وهي صغيرة والجبال وغيرها في السراب طوالا ويرى الخاتم اذا وضعه على عينه وحلقته كالسوار ويرى الشمس عند الشروق والغروب أكبر مما هي عند الزوال ويرى العنبة في الماء كالاجاصة وغلط الحس كثير وما أحسن قول أبي العلاء

والنجم تستصغر الابصار رؤيته * والذنب للطرف لا للنجم في الصغر

وقال الخفاجي

ولا ينال كسوف الشمس طلعتها * وانما هو فيما يزعم البصر

وقال البوصيري

كالشمس تظهر للعينين من بعد * صغيرة وتكل الطرف من أمم

وقال أيضا

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد * وينكر الفم طعم الماء من سقم

قال الفقيه حسبي من هذا النمط فلسنا بصدد الاستشهاد بأبيات الادباء وايراد كلمات الشعراء فماذا تقول في قوله سبحانه والشمس تجري لمستقر لها اذا زعمتم أن الشمس مركز والارض دائرة عليها وأنكرتم أن الشمس تدور على الارض

قال صاحب الهيئة مهلا فماذا تقول أنت في قوله تعالى أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الارض الآية

قال الفقيه قد ذكر في تأويله وجوه منها أن المعنى من في السماء ملكه وقضاؤه أو في السماء على زعمكم واعتقادكم فان العرب كانوا يعترفون بوجود الله الا انهم كانوا يزعمون انه في السماء أو المراد بمن في السماء جبريل

قال صاحب الهيئة فما المانع من أن نقول فى قوله والشمس تجرى أن المعنى تجرى على زعمهم واعتقادهم كما قيل فى أأمنتم من فى السماء أو انها تجرى على حسب رأى الرائى ونظر الناظر كما قيل فى تغرب فى عين حمئة فيقال فى جريانها كما قيل فى غروبها على أنا لا حاجة بنا الى شئ من ذلك فان اللفظ الكريم ليس فيه أنها تجرى حول الارض بل الذى فيه أنها تجرى فقط ونحن انما ننفى حركتها حول الارض ولا نقول انها واقفة معطلة عن الحركة بل نثبت لها أكثر من حركة فمن ذلك حركتها حول محورها وقد ثبتت هذه الحركة بالارصاد الحقيقية وكانت من قبل مجهولة لان الشمس اشدة لمعان ضوئها لم يكن من الممكن تحديد النظر اليها فلما استحدثت المنظرة الرصدية المعظمة المعروفة باسم تلسكوب المشتملة على الزجاجات الملونة لاضعاف شعاعها سهل النظر اليها فوجد فى جرمها شامات تبدو من طرفها الشرقى وتغيب فى طرفها الغربى فى مدة نحو ١٤ يوما وبعد مدة مثلها تظهر من طرفها الشرقى فعلم أنها مع الشامات تتمم الدور المستمر فى ٢٧ يوما و ١٢ ساعة و ٢٠ دقيقة فاذا نقص من ذلك يوم واحد و ٢٢ ساعة و ١٢ دقيقة للدور السنوى للارض بقى لدور الشمس على محورها ٢٥ يوما و ١٤ ساعة و ٨ دقائق

قال الفقيه حسبك ان كنت أردت أن تفسر بهذه الحركة قوله تعالى والشمس تجرى لمستقر لها فكيف يقال لحركتها على محورها جرى وهذه الحركة انما يقال لها دور لا جرى كما يقال دار الدولاب ودارت البكرة

قال صاحب الهيئة لا مانع من اطلاق الجرى على ذلك كما فى قولهم ساقية جارية وقد قال حسان رضى الله عنه يصف فرس الحرث بن هشام

تذر العناجيج الجياد بقفرة ... مر الذبول بحصد ورجام

أراد بالذبول البكرة وقال امرؤ القيس فى صفة فرس أيضا

درير كخذروف الوليد أمره ... تتابع كفيه بخيط موصل

فقد شبها جرى الفرس بحركة البكرة والخذروف وحركتهما انما هى على المحور

قال الفقيه انما قال حسان مر الذبول ولم يقل جرى الذبول وقال امرؤ القيس أمره ولم يقل أجراه فغاية ما يستفاد من كلامهما أن الحركة على المحور تسمى مرورا لا جريا

قال صاحب الهيئة مادة الجرى موضوعة لسرعة المرور كما قال الفيروزابادى فى البصائر ونقله السيد عاصم فى ترجمة القاموس على أننا لا ضرورة بنا الى حمل جرى الشمس فى الآية الكريمة على هذه الحركة فقد قدمت لك أننا نثبت لها أكثر من حركة واحدة فمن ذلك أيضا أنها بجميع عالمها أى بكافة ما يدور حولها من السيارة وسيارة

السيارة

السيارة وكل ما يتعلق بها تدور حول شيء آخر لم يعلم تعيينه الى هذا الوقت بوجه التحقيق فقيل انها تدور حول نجمة من نجوم الثريا وقيل حول نجمة من نجوم صورة النسر الطائر وقيل من صورة الجاثي على ركبتيه والحاصل أن سيرها قد تحقق على وجه اليقين بواسطة أرصاد الفلكيين ولكن لم يعلم المركز الذي تدور عليه والجهة المتجهة اليها الى اليوم على وجه التعيين ولم يظهر أيضا انحناء القوس الذي تدور عليه لفرط عظمه وغاية كبره وقصر المدة التي حصل فيها الرصد بالنسبة لذلك وعدم كفايتها لرؤية انحنائه فيظن الرائي أنها تسير على خط مستقيم لانه يراها كذلك ولكنهم يقولون انها تسير على دائرة لا على خط مستقيم قياسا على سائر الكواكب لانها تقطع في سيرها دوائر لا خطوطا مستقيمة

واذا تقرر لها ماذكر من الحركة سواء كانت على دائرة أو على خط مستقيم لم يبعد أن يحمل عليه قوله تعالى والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم

قال الفقيه فما معنى قوله لمستقر لها

قال صاحب الهيئة معناه الى وقت استقرارها وذلك عند فناء العالم فاللام بمعنى الى كما في قوله سبحانه كل يجري لأجل مسمى وان جعلت جريها بمعنى حركتها على محورها فلك أن تجعل المستقر بمعنى المكان الذي هي فيه أي تدور في مكانها وعليه فاللام في قوله لمستقر لها بمعنى في كما في قوله تعالى ونضع الموازين القسط ليوم القيامة أي في يوم القيامة وقوله تعالى لا يجليها لوقتها الا هو أي في وقتها وقوله ياليتني قدّمت لحياتي أي في حياتي وقولهم مضى لسبيله أي في سبيله

قال الفقيه فقوله تعالى في دلائل قدرته ووحدانيته وألقى في الارض رواسي أن تميد بكم يبطل ما تقولونه من سير الارض

قال صاحب الهيئة تميد بمعنى تتزلزل وتضطرب يقال ماد السراب عيدا اذا اضطرب ونحن لانقول انها في أثناء سيرها مرتجة مضطربة حتى يردّ علينا بهذه الآية بل نقول انها تسير في غاية الانتظام ولاشك أن في سير مثل هذا الجسم العظيم على هذا النظام الباهر والترتيب الفائق من الدلالة على كمال قدرة الصانع وعظمته وأحديته مالا يخفى ولا ينكر ولذلك لما قال الله سبحانه (وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب) عقبه بقوله (صنع الله الذي أتقن كل شيء)

(قال الفقيه) لابدّ أن توجد نصوص تعارض ما تقولونه ولاتقبل من وجوه التأويل مثل ما تبدونه ولكن هذا ما حضرني الآن وخطر ببالي على الفور اذ لا يتيسر استحضار

جميع ذلك جملة وسرده دفعة فما الذى تصنعه اذا عارض مسئلة من هذه الهيئة نص شرعى لا يمكنك تأويله لعدم احتماله

(قال صاحب الهيئة) لو أتيت بشيء مما تراه بهذه المثابة لكان لنا أن ننظر فيه ونتكلم عليه بحسب ما يقتضيه ولكن أنا الآن أخبرك بما أراه فى هذا الامر على سبيل الاجمال والعموم وأكاشفك بما أذهب اليه وأعتده وأعول عليه واعتمده فان رأيت أنى أصبت شاكلة الصواب فيما ذهبت اليه كان لك الخيرة فى أن توافقنى عليه وان رأيت أنى أخطأت الطريق وأسأت الصنيع فدلنى على ما تراه الصواب واحتسب على الله الثواب

فأقول اذا تعارضت مسئلة فلكية ونص شرعى فهذه المسئلة الفلكية بحسب القضية العقلية لا تخلو من أحد أمرين اما أن تكون مثبتة بالدلائل القطعية أم لا فان كان الثانى أى كانت هذه المسئلة مذكورة فى كلامهم دعوى من غير دليل ولا يقوم عليها برهان صحيح وحجة قاطعة فلا حاجة بنا حينئذ الى التأويل اذ لا ضرورة بنا الى تقليد كل ما قيل بدليل ومن غير دليل لمجرد كون قائله أثبت بعض ما قاله بالدلائل اذ لا يلزم من قيام الدليل على مسئلة ثبوت باقى المسائل أما اذا كانت المسئلة قد أثبتت بدلائل قطعية وبراهين مسلمة لا تبقى معها شبهة فان عارضها شيء من الظواهر يقبل التأويل بما تطابقه المسئلة ويحتمل الحمل على ما أثبتته الادلة قلنا بذلك التأويل وعلى الله قصد السبيل وأما ان عارض تلك المسئلة القطعية بالفرض والتقدير والتسليم الجدلى نص شرعى لا نعلم له تأويلا فوضنا علمه الى الله سبحانه وتعالى حتى يعلمنا تأويله وعلمنا أن عدم وقوفنا على تأويله انما جاء من قصور أذهاننا عن المضاء فى فهمه والنفوذ فى معرفته فهذا الذى أختاره وأرتضيه فاخبرنى بما تراه فيه

(قال الفقيه) ملخص ما تقوله انك لا تذهب الى تأويل شيء من الكتاب والسنة الا اذا عارض الدلائل القطعية والحجج القوية التى لا يبقى معها شبهة عندكم فان كان فيما تقولون به من مسائل فنكم شيء قامت عليه دلائل قاطعة وبراهين ساطعة فهاتوا برهانكم حتى ننظر فيه فان كان بهذه الصفة التى تذكرها وعلى طبق الدعوى التى تقررها نظرنا بعد ذلك فيما ذهبت اليه من هذه التأويلات وان لم نجد غير مقدمات وهمية وأمور سوفسطائية لا تكفى ولا تشفى ولا تثبت ولا تنفى بينا فسادها وقوضنا عمادها اذ لا يلزمنا أن نصير الى التأويل لمجرد تقدير أن عندك على ما تقوله أدلة لا نعلمها فلما وصل الكلام بينهما الى هذه الغاية كان النهار قد انقضى وضاق الوقت وسئم الحاضرون من طول المجالس

(فقال

(فقال صاحب الهيئة) قد طال بيننا الحديث وكلت الهمة والفكر وما طلبته مبسوط مقرر في الكتب المؤلفة في علم الهيئة على الطريقة الجديدة وهذه الطريقة وان سميت جديدة الا أنها قديمة وان كانت هجرت وأهملت فلما تجدد القول بها سميت جديدة وظن كثير من الناس أنها مستحدثة وليس الامر كذلك

وقد كان فيثاغورس يعلم تلامذته في مدرسة (كروتونيا) من بلاد ايتاليا على طريقة حركة الارض وذلك قبل ميلاد عيسى عليه السلام بمدة خمسمائة عام فلما جاء بطليموس الرومي قبل الميلاد بمائة وأربعين سنة اختار القول بسكون الارض ودورة الشمس عليها وبنى مذهبه على ذلك فشاعت قاعدته بين الناس واشتهرت في البلاد لاستيلاء الروم على أقطار الارض ونقلها الفارابي من فلاسفة الاسلام بعد ذلك في مؤلفاته العربية أوائل القرن الرابع من الهجرة وتبعه ابن سينا وغيره ممن جاء بعده وهجرت الطريقة التي كان عليها فيثاغورس ثم نبغ ببلاد لهستان رجل يقال له «كوبرنيكوس» تمهر في العلوم الرياضية واشتغل بالهيئة والرصد والحكمة من سنة (١٥٠٠) الى سنة (١٥٣٠) من الميلاد وهي سنة (٩٣٧) من الهجرة فرجع الى الطريقة التي كان عليها فيثاغورس المؤسسة على حركة الارض وقرر أن الشمس مركز وأن الارض والسيارة تدور حولها فأولا عطارد ثم الزهرة ثم الارض ثم المريخ ثم المشترى ثم زحل وأيد هذه الطريقة بتطبيقها على قواعد العلوم الرياضية وأشهر ذلك في كتاب له عنوانه «حركات الاجرام السماوية» فحكم عليه في مجمع كنيسة رومية بالزيغ والالحاد ونهوا عن اشهار كتابه وعن قراءته ولو أمكنهم لاحرقوا (كوبرنيكوس) ولكنه اشتهر كتابه مع ذلك وشاع هذا المذهب فنسب اليه وقيل هيئة (كوبرنيكوس) ثم قام بذلك من بعده جماعة غيره في أوقات متفاوتة وجهات مختلفة من بلاد أوروبا حتى صارت هذه الطريقة هي المتعارفة المعول عليها في جميع الجهات الاوروباوية وعرفت بالهيئة الجديدة وهذه الطريقة المؤسسة على حركة الارض معروفة كعكسها مستفيضة النقل في الكتب الاسلامية قبل «كوبرنيكوس» وبعده وذكرها في كتابه الموسوم بالمواقف العلامة عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد المتوفى سنة (٧٥٦) من الهجرة وأورد عليها اعتراضات ثلاثة ثم كر على تلك الاعتراضات بالنقض والرد وجرى معه على ذلك شارحه العلامة السيد الشريف علي ابن محمد الجرجاني المتوفى سنة (٨١٦) في شرحه وكان فراغه من تأليفه سنة (٨٠٧) وهذه عبارة المتن مع شيء من الشرح قال في الموقف الرابع (وقيل انها) يعني الارض (تدور على) مركز (نفسها من المغرب الى المشرق خلاف الحركة اليومية) للفلك التي

التى اعتقدها الجمهور (والحركة اليومية لا توجد وانما تتخيل بحركة الارض اذ يتبدل الوضع من الفلك) بالقياس الينا (دون أجزاء الارض) اذ لا يتغير الوضع بيننا وبينها فانا على جزء معين منها فاذا تحركت من المغرب الى المشرق ظهر علينا من جانب المشرق كواكب كانت مختفية عنا بحدبة الارض وخفى عنا بحدبتها من جانب المغرب كواكب كانت ظاهرة علينا (فيظن أن الارض ساكنة والمتحرك هو الفلك) وليس كذلك (بل ليس ثمة فلك أطلس وذلك كراكب السفينة يرى السفينة ساكنة مع حركتها حيث لا يتبدل وضع أجزائها منه والشط متحركا مع سكونه حيث يتبدل وضعه مع ظن أنه ساكن وكذلك يرى القمر سائرا الى جهة الغيم حين يسير الغيم اليه وغيره من أمور قدمناها فى غلط الحس وابطلوا ذلك بوجوه) ثلاثة (الاول أن الارض لو كانت متحركة فى اليوم بليلته دورة واحدة لكان ينبغى ان السهم اذا رمى الى جهة حركة الارض أن لا يسبق موضعه الذى رمى منه بل تسبقه الارض واذا رمى الى خلاف) جهة (حركتها أن يمر) عن الموضع الذى رمى منه ويتجاوزه (بقدر حركته وحركة الارض جميعا واللازم باطل لاستواء المسافة) التى يقطعها السهم (من الجانبين بالتجربة) الوجه (الثانى الحجر يرمى الى فوق فيعود الى موضعه راجعا بخط مستقيم ولو كانت الارض متحركة الى المشرق لكان) الحجر (ينزل من مكانه الى جانب المغرب بقدر حركة الارض فى ذلك الزمان والوجهان ضعيفان لجواز أن يشايعها الهواء) المتصل بها مع ما يتصل به من السهم والحجر وغيرهما (فى الحركة كما يقولون بمشايعة النار للفلك فلا يلزم شئ من ذلك) فان السهم حينئذ يتحرك بحركة الارض تبعا للهواء المتابع لها فلا يتجاوز موضعه الذى رمى منه فى الجانبين الا بحركة نفسه فتتساوى المسافتان وكذلك الحجر يتحرك بحركتها (وعمدتهم فى بيان ذلك) وهو الوجه الثالث (أن الارض فيها مبدأ ميل مستقيم) بالطبع (فلا يكون فيها مبدأ ميل مستدير والاعتراض عليه منع وجود ذلك المبدا فيها وهو) أى وجوده فيها (مبنى على أن ما لا ميل له لا يتحرك قسرا) والا لكانت الحركة مع العائق الطبيعى مثلها بدونه (وقد عرفت ضعفه) فى مباحث الخلاء من الكتاب المذكور (ثم لا نسلم تنافيهما) أى تنافى الميلين حتى يلزم المنافاة بين المبدأين (لما ذكر) من اجتماعهما فى العجلة والدحرجة) انتهى كلامه أما كلام القوم فى هذه الطريقة والاستدلال لها واعتراضهم على خلافها فهو مستوفى فى كتبهم وهى كثيرة متداولة مطبوعة فاطلع عليه متى طلبت واختر ما أحببت اذ لسنا بصدده فقد كان مدار القول بيننا على أن ما جاء فى الشرع مما ظاهره يخالف بعض مسائل الهيئة قابل للتأويل وقد انتهى الكلام الى هذه الغاية وفيه الكفاية وعلى ذلك تم المجلس وكنت حاضرهما

فوعيت مادار بينهما ونقلته كما جرى منهما فان أنكر أحد ممن يطلع على ما ذكرته شيأ مما صدر عن أحدهما أو غيرهما فالمرجو أن لا يتخذني غرضا للملام وعرضة للكلام من غير أن يتدبر ما قلته وبميز ما نقلته كما اعترض على وادى النيل فيما نقله والى الله نشتكى من سوء العادة الملتزمة هنا عند بعض الناس حاشا ساداتنا الافاضل العارفين من أنهم متى رأوا أحدا تصدى لانشاء رسالة أو نظم قصيدة أو ضم عبارة لعبارة أو جمع كلمة الى كلمة تطلبوا له العثرة وحاسبوه على مثقال الذرة فلو ملأ الدنيا فوائد ونظم نجوم الثريا فرائد ثم عثروا على محل فيه بظنهم للكلام مجال أو للنقد مقال وقفوا عليه أنظارهم وألسنتهم وعضوا عليه بالنواجذ وضربوا صفحا عما عداه فاذا لم يعثروا بهذه البغية المطلوبة والأمنية المرغوبة تأولوا وتقولوا ونقصوا فى الكلام وزادوا ليبلغوا ما أرادوا ثم وراء هذه الطبقة من حثالة الحثالة قوم هم تبعة آرائهم وإمعة أهوائهم يتسمعون الكلمة منهم فيتبعونها ويذيعونها وهم لا يعونها أخبرنى ثقة من الاصدقاء أنه وجد معترضا يعترض على فى هذه العجالة فعلم من كلامه أنه ما فهم مؤداها ولا قرأها ولا رآها وانما هو شىء سمع به على غير حقيقة قال ولو كان ممن يفهم لقرأت عليه ما طالعته منها فى صحيفة وادى النيل فقد كانت فى يدى ولكنه عن ذلك بمعزل

ومن البلية عذل من لا يرعوى * عن جهله وخطاب من لا يفهم

ومن هذا القبيل ما اتفق أنى منذ مدة مضت رأيت بعض الناس يذم العلامة المتفنن ابن خلدون المشهور ويسبه سبا فاحشا تجاوز فيه الى تجويز لعنه فسألته عن سبب غيظه منه فزعم أنه ذكر فى مقدمته أن سيدنا ومولانا الحسين رضى الله عنه قتل بسيف جده فقلت له انى وان كنت بعيد العهد بمطالعة هذا الكتاب لكن أعلم أن ابن خلدون لا يقول هذه المقالة فصمم هو على أنه قالها فى الفصل الثالث من مقدمته وانه رآها بعينه وقرأها بنفسه وأن عهده بها قريب جدا فاستغربت ذلك ولما رجعت الى دارى راجعت الفصل المذكور من مقدمة ابن خلدون فرأيته قال فى صحيفة (١٠٦) من النسخة المطبوعة فى مطبعة بولاق (سنة ١٢٨٤) ما نصه (وقد غلط القاضى أبو بكر بن العربى المالكى فى هذا فقال فى كتابه الذى سماه بالعواصم والقواصم ما معناه ان الحسين قتل بشرع جده وهو غلط حملته عليه الغفلة عن اشتراط الامام العادل ومن أعدل من الحسين فى زمانه) الى آخر ما قال فانظر كيف نسب الى هذا الفاضل مقالة حكاها عن غيره وغلط قائلها وأنكرها عليه وأشباه ذلك كثيرة لا نشغل بنقلها أقلامنا ولا نثقل بها على من يطالع كلامنا ولمثل هذا قل بيننا التأليف وندر من

يتعرض للتصنيف وقديما قالوا من ألف فقد استهدف فان أقدم أحد على هذه الطريق الوعرة والمصلحة العسرة تراه يتضرر ويتضجر ويتنصل ويعتذر كأنما اقترف خطيئة أو فعل سيئة فيقول والله ما كنت الا بحكم والزام والحاح وابرام وأمر لم يمكني خلافه ورجاء لزمني اسعافه وليته لم يكن شيأ مذكورا ولكن كان ذلك فى الكتاب مسطورا ويتمثل بقول القائل

على انني راض بان أحمل الهوى * وأخرج منه لا علىّ ولا ليا

وأمثال ذلك مما يقوله توقيا من ألسنة القوم وطلبا للنجاة بنفسه من اللوم فيكون أحب شيء اليه وأعز مطلوب لديه أن يخرج من تأليفه بعد التعب والنصب لا له ولا عليه وهيهات هذا مطلب يعز وصوله ومأرب لا يتيسر لكل أحد حصوله وبهذا الحال يضن كل أحد بما عنده من نتائج فهمه وثمرات معارفه طلبا لراحة سره وسلامته من القال والقيل وبذلك تقل المعارف ويضمحل العلم ويذهب وتزول آثاره ولا ينحسم ضرر هذا الامر الا اذا وجدت لنا جمعية عظيمة علمية تتركب من علماء جهابذة ذوى خبرة وبصيرة ومعرفة بقدر الوطن ومحبته وحق خدمته يعرض عليها كل أحد تأليفه فان وجدته حسنا مقبولا قرظته وأذنت فى نشره وان كان على خلاف ذلك منعته وبينت له وجه فساده وخطأ اجتهاده فان مثل هذه الجمعية اذا مدحت كتابا انقطعت عنه ألسن الطغام وأقبلت عليه الخواص والعوام فعمت فائدته وعظمت عائدته وأقبل كل أحد على ابراز ما عنده وبذل جهده وعاد على أهل وطنه وبنى نوعه بما آتاه الله من فضله وثمرات عقله ثم تشتغل هذه الجمعية بتربية أهل الوطن وتعليمهم ونشر ما يجدى فى نفعهم ويؤثر فى طباعهم ويحثهم على مزيد الاجتهاد والتقدم والتمكن فى التمدن وفى أهل وطننا العزيز من ذوى المعارف والفضائل كفاية لذلك وزيادة فلعل جماعة ممن لهم غيرة على الفضل ومحبة فى نفع الوطن يجتهدون فى أن يكون لهم جمعية مثل هذه وانا لمحتاجون لها أيضا للاتفاق على ألفاظ حسنة من اللغة العربية نستعملها بدل الالفاظ الاجنبية التى أحوجت الضرورة الى استعمالها فى هذا اللسان الشريف مع استغنائه عنها لعدم الاتفاق على شيء يسد مسدها مثل فابور وتران وكبيالة وأمثال ذلك فان ما نبدل به هذه الالفاظ وان كان حسنا فى ذاته لا يعم استعماله واعتماده ومعرفته الا اذا صدر عن جمعية مثل هذه وفوائدها كثيرة يطول استقصاؤها ويعجز قلم البليغ احصاؤها وقد رغب فى ذلك وحث عليه فى الجوائب حضرة الاستاذ الافضل الاكمل الاجل محب الخير لجميع البلاد الاسلاميه والمغرم بهذه اللغة الشريفة العربية فارس ميدان البيان وأجد من خضع بديع اللفظ لمعانيه الحسان

لازال الحق آية براعته والصدق حلية يراعته ووفق الله أفاضل هذه الاوطان الكريمة لابتناء هذه المكرمة الجسيمة واقتناء هذه المآثر العظيمة في ظل حضرة الخديوي الافخم ولي النعم الاكرم أدام الله أيامه وبلغه كل مارامه ما ازدهى هلال وانتهى الى غاية كمال امين

ما كتبه
الى الحضرة السنوسية

كتب الى الحضرة القدسية والروضة الطيبة المباركة السنوسية حضرة الكمال والاسعاد وساحة الانوار والفيض والامداد حضرة أستاذ الاساتذة وقدوة الأئمة الجهابذة السيد الكامل الحسنى الادريسى العارف بالله سيدى محمد المهدى السنوسى حفظه الله

غب تقديم تحية التكريم والابجال والتفخيم والاجلال الى الحضرة الشريفة المنيفة الغوثية الغياثية النبوية العلوية الاستاذية الملاذية أسأل الله سبحانه أن يديم شمولى بانظارها وانتفاعى فى الدنيا والآخرة ببركات أنوارها وأسرارها وأحمده جل اسمه على ما حفتنى به مراحمها وأتحفتنى به مكارمها من شرف خطورى بالخاطر وإتحافى بالسلام والثناء العاطر المندرج فى عزيز الكتاب الوارد الى حضرة العلم الشهير والعالم النحرير الاستاذ الشيخ على الليثى نفعنى الله بمحبته ومحبة الحضرة وحشرنى مع أهل رضوانه فى هذه الزمرة وأتوسل به وبرجال الحضرة الامجاد والسلف الطاهر الفاخر من أكارم الاجداد أن يدوم اتحافى من فيض الامداد بما يعمر به الله سبحانه الفؤاد ويجعلنى ببركته من أهل الرشاد والخير والسداد وينفعنى فى المبدإ والمعاد انه القدير على ما أراد وبقدرته بلوغ كمال المراد

وكتب اليه أيضا

حضرة طراز العصابة النبوية الطاهرة وثمرة الشجرة العلوية الزاهرة ومعدن البركات الظاهرة والنفحات الباهرة مشرق شموس الرشاد والارشاد ومطلع أهلة السداد والامداد صفوة مناهل الروّاد والورّاد وقدوة أفاضل العباد والعُبّاد الاجل الاكمل

سلام الله عليه وبركاته ورضوانه وتحياته وبعد فانى أحمد الله علت كلمته وجلت نعمته على شرائف آلائه وطرائف نعمائه التى لا يبلغها حمد مخلوقاته ولا يحيط بها الاحمد ذاته بذاته متسربلا من أثوابها الضافية حلل الصحة والسلامة والعافية شاكراً لتلك الحضرة المباركة ما أعلمه منها ويبلغنى عنها من محاسن الدعوات الطيبة وأحاسن البركات الصيبة مؤملا لها أن لا تزال من راحة البال ورفاهية الحال على ما عليه قرة نواظرها ومسرة سرائرها هذا والذى أرتجيه من نوال تلك السحائب

الماطرة وافضال تلك السجايا العاطرة أن لا يزال يشملني من النفحات المستطابة والدعوات المستجابة في ضمائر الخلوات ومظاهر الجلوات

وكتب اليه أيضا

الى حضرة خلاصة الخلاصة الهاشمية وصفوة الصفوة الخاتمية الخاتمية ومظهر الانوار النبوية والاسرار العلوية العلوية مصدر التجلي القدوسي وسر السر السنوسي نفعني الله بامداده وحشرني في عداده

سلام الله وتحياته ورضاه وبركاته يهدى ذلك الى ذلك المقام الاطهر والحي الانور ويعم كل من يلوذ بحضرته وينتمي لمحبته ويعتز بالاعتزاء لجهته وبعد فان هذا الخادم المقيم على عادته من محبة سادته وان قصر في بضاعة طاعته يحمد الله سبحانه على نعم تترى ومنن كبرى لا يحصى لها شكرا ويستنيب عنه هذا الرقيم في لثم ذلك البنان الكريم مستجديا من الانفاس الطاهرات التوجهات الباهرات والكرامات الظاهرات والنفحات الزاهرات حيث يجاب السائل ولا يخيب الآمل ما يصلح الله به باطنه وظاهره ويصفي ضمائره وسرائره ويقوده اليه ويجمعه عليه والمطلوب عظيم والامل جسيم وانما يتسع المقال في السؤال حيث ينفسح المجال للآمال والله أسأل أن يعطف علي من تلك التوجهات الفاخرة ما يجزل لي به النفع في الدين والدنيا والآخرة وولدا الخادم أمين وولده واخوتهما يلتمسون من بركات تلك التوجهات ومناومنهم لحضرة الصنو الكريم وسائر من تضمه الحضرة الشريفة شرائف التسليم والتحيات تستجدي من الكريم المتعال جزيل النوال ومجيب السؤال مولى الموال ومولى الخير والكمال

وكتب اليه

سلام من الله السلام قرين رضوان وإنعام واجلال واكرام واستمرار ودوام يحف حفا في المقام الاعز الأبر الاطهر الاظهر الازهر الابهر الانفس الاقدس السنوسي الادريسي المهدوي النبوي العلوي لازال ملتمس الندى ومقتبس الهدى ومحل الاجابة وموئل الانابة نفعنا الله والمسلمين ببركاته ونفحنا والمنتمين اليه بنفحاته آمين

و بعد فاني أحمد الله سبحانه وتعالى على السلامة والعافية والشمول بأنوار تلك الانظار العالية مستهديا انعامها مستجديا دوامها سائلا من الله عز وجل مستشفعا بهذا المقام النبوي الاجل أن لا أزال به مرتبطا وبحبه في الدارين مغتبطا وقد تشرفت بورود المشرف الكريم المزري بعقود الدر النظيم فعرفته بوجهه

وتعرفت بطيب لثمه والتمست القبول والاقبال بتقبيله وقمت بما استطعت من رسوم تعظيمه وتبجيله ووضعته على العين والرأس تكريما وادّخرته ذخرا كريما واتخذته حرزا عظيما مع اعترافي بالقصور عن أداء واجب شكره وتوفيته من حق الثناء ما يليق بسموّ قدره وبشرت الأولاد محاسيب ذلك المقام المنيف بما شملهم من اللطف والتشريف بالدعاء اللطيف والسلام الشريف فهم بذلك مسرورون محبورون مبتهجون متشكرون واني بوسيلة الانتماء الى تلك الحضرة الشماء أسأل لي ولهم دوام ماتعوّدناه من كرم الشيم الغراء ولولدى الاكبر المحسوب ابن المحسوب محمد الأمين من بركات تلك التوجهات العلياء أن يفرغ الله علينا وعليه من جزيل الصبر وجميل العزاء ما يهوّن عليه وعلينا ما أصابنا في هذه الأيام الاخيرة من فقد ولده ويعوّضنا عنه بفضله وبركة الحضرة الكريمة أحسن العوض من عنده فلقد غمنا هذا المصاب وعمنا الحزن والاكتئاب فانا لله وانا اليه راجعون استسلاما لأمره واغتناما للأجره ورضاء بقضائه وقدره والامل في تلك الشمائل الطاهرة والمكارم الظاهرة إمدادنا من الدعوات المستطابة الممنوحة من الله سبحانه فضل الاجابة بما يثلج الصدور ويسهل المعسور ويبدل الاحزان بالسرور هذا ولشريف مقام سيدى الصنو الشريف أكرم السلام وأجله وأكمله وأجمله ولحضرات الاخوان الكرام وسائر من يلوذ بشرف ذلك المقام أسنى التحية وأزكى السلام أدام الله بالجميع لنا النفع ولسائر الانام بجاه خاتم الانبياء العظام عليه وعليهم أفضل الصلاة وأتم السلام

وكتب اليه أيضا

حيا الله بأجل تحية وأجلها وأتمها وأكملها وأعمها وأشملها منبع نور السداد وموضع ظهور الامداد ومجمع البحرين العلم والارشاد ومطلع النيرين الهدى والرشاد الحضرة النضرة النبوية العلوية السيدية السندية الاوحدية المحمدية أدام الله النفع للعباد والعباد بسببها والرفع من مهاوى الدركات الى معالى الدرجات بحبها ومتعنى ببركات نفحاتها ولحات توجهاتها وجعلنى من المستضيئين بمشكاتها الفائزين برضاه وثوابه الناجين من غضبه وعقابه بكرمه وكراماتها وأحمده سبحانه على الصحة والعافية ونعمة الشمول بانظار تلك الحضرة العالية وله الشكر على ماتوالت به على عواطفها متواترة وترادفت به لدىّ عوارفها متضافرة فنها اسعافى بما طال عن الطلب وأربى عن الارب من الخط الكريم والحظ العظيم والحرز الحريز والكنز العزيز واتحافي وولدى بما يشعر بشرف الخطور فى الخاطر

الكريم من مزيد التحية والتسليم المشتمل عليها عزيز الكتاب الوارد من ذلك الجناب الى بركة مصرنا ونادرة عصرنا خادم الحضرة وحسيبها ومحبها وحبيبها سيدى الشيخ على الليثى أدام الله علاه ووالى عليه آلاءه فالشكر لله ثم لهذه الحضرة الزاهرة والهمم الباهرة على هذه المنح العلية والمنن الجلية هذا ولما اطلع ولدى على الخط المشار اليه غبطنى عليه ورغب أن يكون لديه متمسكا بأن فرط كرم سيدى وفضله مما يسهل على السبيل الى تحصيل مثله وعند ذلك وجدت الضنة بهذه التحفة والمنافسة فى هذه الطرفة يمانعنى السماحة بها ولو إلى بضعة الفؤاد وأعز الأولاد ثم رأيت رأفة الابوة وعاطفة البنوة تدافعنى الى اجابة سؤاله وعدم احباط آماله كما أن مهابة الاجلال ومخافة الاملال تمنعنى التثاقل على الحضرة بمعاودة السؤال على ان كمال الثقة بكرم تلك الخلال وعظم ذلك الافضال يرجح جانب الآمال ويبشر بأن الطلب ان شاء الله سهل المنال فأتطفل على كرم تلك الشيم الحاتمية وشمم تلك الهمم الهاشمية سائلا من عباب كرمها الزاخر وسحاب جودها الماطر مثل ذلك الحرز العظيم بالخط الكريم اذا استحسن ذلك لدى الرأى الفخيم وحيث وجدت باب السؤال واسعا وسحاب النوال هامعا وقد جئت طامعا فلا أقنع فى الطمع بهذا الفصل وان جل بل أسترسل فى فنون الامل عارفا ان من ينفق من خزائن الله عز وجل لا يبخل ولا يمل فاستشفع بجاه سيدى المعظم وسلفه على السنن الاقوم الى سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم بالجميع الى الله سبحانه أن يصلح فسادى ويقوم منآدى(1) ويجعل رضاه غاية مرادى ويفيض على القلب من فيض ذلك المدد المدرار مايدرأ عنه الاوضار ويملؤه بالانوار ويؤهله لقبول الاسرار وقد سبق أنى شكوت الى الحضرة مستنجدا بها من مرض بدنى كان هذا العبد يعانيه ويعد التخلص منه فوق أمانيه فكان من كرامتها أن من الله بالشفاء بعد اعضال الداء والآن يسأل هذا العبد المسكين علاج القلب من ظلمة شقائه ويستمنح من كرم هذه الحضرة حسن شفائه وهذه الحضرة لديها طبه ودواؤه واليها حبه ورجاؤه وقد لاذت بالاعتاب سائلا وتمسكت بحلقة الباب آملا وحاشا هذا الكرم أن يرد سائله ويخيب آمله وان عز المرام وجل المقام فالجاه عظيم والمأمول كريم

ياسادتى سائل فقير قد أم هذا الحمى الكريما

---

(1) أى معوجى

يروم احسانكم وحاشا * أن ترجعوه اذا عـديا

مولاى السيد أشكو اليك أن السن قد صار الى الشيخوخة والنفس لم تزل فى صباها مسترسلة فى لهوها ولعبها وهواها لاهية عن وسائل هداها تمر بها الانابة والموعظة لمحة يسيرة وتعاودها الظلمة والغفلة أزمانا طويلة وأوقاتا كثيرة فهل قبلتم هذا العبد على شيبه وعيبه وعجزه وعوزه وطمعه وهلعه وادلاله وقلة أدبه وكثرة سؤاله

عيوب لو قسمن على الغوانى * لما أمهرن الا بالطـلاق

أسألكم بالله وبجدكم رسول الله وبأسلافكم أولياء الله وبأهل الحضرة من رجال الله أن تقولوا انا قبلناه على ما فيه ثم حاش لله وأعوذ به وبالكرم والمروءة والفتوة وأسرار النبوة أن أطرد عن الباب بعد شرف الانتساب أو أضام بعد هذا المقام أو أبقى سيئ الحال مع حسن الآمال أو أخزى فى يوم القيامة وجدكم شفيعها الاعظم صلى الله عليه وسلم سيدى قد باح العبد بما عنده وهو ينتظر ما عندكم واللسان كليل والخاطر عليل ونظركم جليل وفضلكم جزيل ويدكم فى النوال أملى من لسانى فى السؤال والحمد لله على افضاله وصلاته وسلامه على محمد وآله عدد كمال الله وكما يليق بكماله أفاض الله سبحانه على القلب والاركان من فيض امداد الحضرة ما علاؤها بنور الحكمة والايمان واليقين والعرفان انه أكرم مأمول وخير مسؤل

مكاتيب

مأمورية السويد والنرويج

كتب من لوسرن الى صديقه المرحوم على باشا مبارك وقد طبع بكتابى ارشاد الالبا الى محاسن أوروبا ص ٩٠

سعادتلو أفندم حضرتلرى

بعد أن أطرز ديباجة هذا الرقيم برقوم التحية والتسليم موشعة(١) برسوم التبجيل والتعظيم أسأل عن المزاج الكريم سؤال المستقصى عن أحواله الداعى بدوام اعتداله وأحمد مولى الآلاء على ما أسبغ من النعماء ضافية الرداء صافية الماء غير مشوبة بالاقذاء شاملة لجميع الرفقاء ومامنهم الاشاكر للافضال ناشر لمحاسن تلك الخلال داع بدوام الاقبال والله المسؤل فى نعمة القبول

ركبنا الباخرة من الاسكندرية يوم الاحد ٢١ يوليه سنة ١٨٨٩ بعد التيمن بتقبيل اليمين الخديوية الطاهرة واستدرار غيوث القبول والاقبال من فيض بركاتها الظاهرة فرأينا من البشر والايناس ما جبلت عليه السجايا الخديوية الباهرة واقتضته مكارمها الزاهرة وشملتنى عواطف ذلك الجناب من الاحسان بالنيشان الثانى المجيدى بما لم يكن فى الحساب وضاعف المنة به على أن جاء على غير سابقة وعد أنتظره فى اليوم والغد وانى تسلمته من الجناب العالى الخديوى أدامه الله تعالى يدا بيد وانصرفت من لدنه شاكرا داعيا سامعا لما تلقيت من الاوامر الكريمة واعيا وكان الشكر بلسان الحال أوفر منه بلسان المقال وحضرنى أبيات فى هذه الحالة أثناء انصرافنا الى البلد مناسبة للصدد وان كانت قليلة العدد فأودعتها الرحلة على قصد تخليدها الى الابد وها هى

مولاى قد أوليتنى منة * ولم يكن لى أمرها فى حساب
شكرت مولاى على فضلها * شكر نبات الروض فعل السحاب
منطقه أعجم فى شكرها * ومنطق الحال فصيح الخطاب
متعك الله بما تبتغى * وسر بالانجال ذاك الجناب

ثم سار بنا الوابور فى اليوم المذكور ونحن نرى الجو صحوا والهواء رخوا والبحر رهوا والحال زهوا فما هو الا أن خرجنا من فم الميناء الى واسع الفضاء حتى

(١) يقال ثوب موشع موشى ذو رقوم وطرائق ووشائع كما فى الاساس

رأينا البحر يموج والسفينة بين هبوط وعروج وبالجملة رقصت بنا فصلا لا نقول خفيفا ان لم نسمه مخيفا ولا ندعوه لعبا ان لم نقل تعبا فلا جرم أن صبرنا على الاسواء من أخلاق تلك الجارية السوداء وهى تظهر أنها وليّة تمشى على الماء وتطير بأجنحة الهواء وعلى ذلك اتصل مسيرها واستمر مرورها الى أن مررنا بين جزائر كريد وجوزها يزيد على فعل يزيد فلما تجاوزنا حدود تلك الجزائر وغابت عن النواظر هدأت السفينة بقدرة الملك القادر وسرنا حتى رأينا برنديزى فوصلناها ثم تريستا فدخلناها ولبثنا برهة نتفرج فيها على قصر مكسيمليان وما به من المناظر الحسان والمظاهر البديعة الشان ثم سرنا ساخرة أخرى الى فنيسيا من بلاد ايطاليا وكانت بها ملكة البلاد فصادفنا زينة اتخذت لها احتفالا وزادتها مناظر الماء المتخلل ديار البلدة جمالا ثم سرنا بوابور البر الى «ميلانو» من ايطاليا أيضا فبتنا بها ليلة كما أننا بتنا قبلها فى فنيسيا ثم سرنا الى «لوسرن» من بلاد السويسرة قبل يومين ونحن بها الآن وقد رأينا أثناء طريقنا من المناظر البديعه وجمال الصنعة والطبيعه لا سيما فى جبل سان «جوتار» وما فى بلاد السويسرة من الانجاد والاغوار والبحائر الكبار والقرى والديار ما يدهش الناظر ويستغرق الخاطر مما تطول بشرحه أذيال المقال وأخاف منه على شريف خاطركم الملال لا سيما مع ما عندكم من الاشغال وسأودعه ان شاء الله كتاب الرحلة مفصلا مفرعا مؤصلا ليكون تذكرة لمن يتذكر وتبصرة لمن يتبصر وقد اتخذت الاهبة لذلك والعدة بمفكرات أقيد بها الاوابد وأرتبط بها الشوارد ورسوم أجعلها لاستوضح بها الخفى وأقرب القصى وأذلل العصى وكتب أدخرها التكميل البيان وسؤال من ذوى الخبرة أؤكده بالعيان حتى اذا يسر الله سبحانه سلامة المعاد الى البلاد وهو ولى الرشاد والسداد القادر على ما أراد أكر عليها بالبيان واستعمال الفكر والبنان وهو المسؤل من فضله أن يصرف الصوارف ويمنع الموانع ويصحبنا كرامة التوفيق فى جميع المواضع لا رب غيره ولا خير الا خيره

بعد أن وصلت الى هذا الموضع من الخطاب فى أثناء تحرير هذا الكتاب على نية الاقتصار والاختصار والتسويف ببيان ما رأيناه فى هذه الامصار الى ما بعد الوصول لمستقر الديار رأيت أن أستمع شريف خاطرك فى الالماع بشئ مما رأيناه وسمعناه فى فسحة هذا النهار التى فرغنا منها الآن حين لم يتقادم عليها الزمان لتكون كالثمرة القريبة العهد من القطاف والخروج من القشر والغلاف لم يدنسها عبث العابث ولم يذبلها طول مكث الماكث فان أبيتها فألقها ناحية هنالك وان رغبت فى الاطلاع عليها فهالك

خرجنا

خرجنا من مثوانا بمحل مأوانا في موقع من أحسن المواقع على بحيرة « لوسرن » من أشهر بحيرات هذه المواضع وهي حرية بذلك في الواقع فخطونا خطوات من محلنا قلائل الى الباخرة المتهيئة للسير على الساحل فأقلعت بنا

يشق حباب الماء حيزومها بها * كما قسم الترب المقابل باليد

ونحن نرمي بالابصار الى ما حولنا من الديار المنتظمة بلبات ذلك الماء انتظام فرائد القلائد على الغادة الجيداء والمنتشرة في المروج كالكواكب في البروج بينها المشرف على تلك القلال إشراف الهلال والمشرق إشراق الشموس في هامات تلك الذرى والرؤس تختلف بها المناظر بين أخضر ناضر وأزرق زاهر الى أبيض ناصع وأحمر يانع وأصفر فاقع هرمية السقوف بين شتى وصفوف لم يلابسها الغبار ولم تدنسها الاقذار تقول لم يفارقها قبل هذه الساعة المعمار وحولها أنواع النبات والاشجار زاهية الاخضرار متلونة النوار متنوعة الاشكال والثمار متولية غسل أبدانها وأردانها الامطار فهي تتألق تألق الانوار وتأخذ بمجامع البصائر والابصار وتذهب بالافكار ذهاب التيار بموج البحار قد عرف أهلها مقدار نعمة المنعم الكريم فأدوها حقها اعتناء واحتفاء واعتنوا بمعرفة أسرار حكمة الصانع الحكيم فاهتدوا اليها بقدرته اهتداء ولا جرم فالحق جلت نعمته وعلت عظمته يعطي على السؤال بلسان الحال والاشتغال بالسبب ما ليس يعطيه على السؤال بلسان المقال الذي يعتريه الكذب في الرغب والرهب بخلاف اللسان الاول فهو مميز بالعصمه من هذه الوصمه فالزارع منا اذا غرس شجره أو ألقى في الارض الحرة بذره ثم تولاها من السقي والخدمه بكل ما في وسعه من الهمه قد سأل الله سبحانه بلسان حاله فأعطاه ما استحق فوق ما استحق من نواله فقد أجرى عادته وهو أكرم مسؤل أن لا يقابل سؤال لسان الحال الا بالقبول بخلاف ما لو زرع في غير مزرع أو أعرض عن واجب الخدمة وامتنع وقعد يسأل الحق بلسان المقال آناء الليل وأطراف النهار أن يرزقه منها أطايب الثمار ويستزيده الاكثار فقد أساء الادب ولم يحسن الطلب فطالب الحق جلت قدرته بما يخالف ما جرت به سنته فلا يجد لذلك سبيلا ولن تجد لسنة الله تبديلا فاستحق أن يحرمه أبدا ولا يظلم ربك أحدا

ألم تر أن الله قال لمريم * وهزي اليك الجذع يساقط الرطب

ولو شاء أن تجنيه من غير هزها * جنته ولكن كل شيء له سبب

فسبحان من أبدع وأبدى وأعطى كل شيء خلقه ثم هدى وهذه هي الهداية العامة لكل ناطق وصامت وحيوان ومعدن ونابت قد عم كلا بهذه الهداية لما يليق بحاله ويبلغه الترقي في معارج كماله

أرانى أيها الامير قد طوحت بى الفكره من توالى النظرة بعد النظره حتى خرجت من الوصف الى التصوف وان شئت فقل الى التفلسف ولسنا فى شئ من قبيل هذه الانواع ولكنه من طغيان اليراع والحديث ذو شجون والكلام يجر الكلام وفى الجملة يلزمنا أن نرجع الى المقام

ثم سارت بنا الباخرة ماخرة فى تلك البحيرة الفاخرة ووقفت بنا فى مواقف ذوات عدد نزل فى كل منها من نزل وصعد من صعد الى أن وصلت بنا محطة «وتسنو» وهى آخر موقف فيما نحن بسبيله من الصدد فخرجنا من باخرة البحر الى باخرة البر نبتغى الصعود فى تلك الجبال والآكام الى آخر ما يرام فوجدنا كثرة الزحام واختلاف الاقوام والتفاف الاقدام بالاقدام ما عاقنا عن الاقدام الى أن فاتنا ثلاثة وابورات وركبنا مع الرابع اذ تصدينا للمدافعة من يدافع وممانعة من يمانع

وتمتاز الوابورات والعربات المختصة بمثل هذه الجهة عن المعتادة عندنا فى الديار المصرية بامور منها اختلاف الشكل والهيئة بالكلية ومنها ان لكل منها سوى العجلات الجانبية عجلتين فى المقدم والمؤخر كلتاهما ذات تضاريس فى دائرها يتخللها تجاويف بحسبها معمولة على نسبها تتعشق أثناء المسير مع أمثالها فى خط ممدود على الارض بحسب حالها ذات تضاريس وتجاويف على مثالها مشاكلة لاشكالها وهذا الخط سوى القضيبين المعتادين الموضوعين فى الجانبين متوسط بين الطرفين فيسير الوابور بهذه العجلات فى ذهابه وايابه وصعوده وانصبابه وهو مسرع فى المسير لا يظهر فيه لهذه التضاريس والتجاويف تأخير كان امرأ القيس كان ينظر الى حال عجلته حين يقول فى جاهليته وبدويته

درير كخذروف الوليد أمره * تتابع كفيه بخيط موصل

والخذروف معروف الجسم وان كان الآن غير مألوف الاسم وهو قطعة مستديرة مثقبة يلعب بها الصبى فيدخل فى ثقوبها خيطا يجعله فى أصابع يديه فيديرها به فى غاية السرعة بشد الخيط وارخائه بالمقاربة بين اليدين والمباعدة كلما رآه أيام صباه لا أتذكر الآن ما كنا نسميه به وانما أعرف مسماه وما علينا فلندع لامرئ القيس خذروفه بين يديه ونرجع ثانيا الى ما كنا نتكلم عليه فنقول

لمصلحة هذه الطريق جملة من العربات والوابورات وقد استحدثت بمعرفة شركة تركبت فى الاول من ثلاثة أشخاص جمعوا من مالهم الخاص وبعض أصدقائهم الخواص نصف مبلغ المصروف وهو ٦٢٥٠٠٠ فرنك ثم حصلوا على النصف الآخر بواسطة اكتتاب عمومى تكامل فى ساعات من الزمن بمجرد تصديق المجالس

النيابية

النيابية على هذا المشروع وكان ذلك فى سبتمبر سنة ١٨٦٩ من الميلاد وانتهى عمل الطريق وافتتاحه بالطريقة الرسمية فى مايو سنة ١٨٧١ بحضر من رجال الحكومة والمساهمين

وهكذا تفعل الشركات أمثال هـذه الافعال من عظائم الاعمال باتحاد الايدى والافكار من عظماء الرجال ومساعدة المال بالمال والحال بالحال وكمال العدل والاعتـدال فينشأ عنها من المنافع العمومية والخصوصية والنوعية والشخصية ما لا يتأتى بالانفراد وتفرق الآحاد

« ويد الله مع الجماعة » قضية لا تختلف نتيجتها الى قيام الساعة والله تعالى يقول فى محكم كتابه العظيم الشان « وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان » وقد جاء فى الحديث الشريف أيضا « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » ولنـدع الآن هذا البحث فهو طويل الاذيال ولنعد لاكمال ما كنا فيـه من المقـال

كل وابور من وابورات هـذه الشركة قوته ١٢٠ حصانا بخاريا وسرعة سـيره ٤٨٠٠ متر فى الساعة الواحدة لا يختلف سيرها فى ذلك صعودا وهبوطا على أن الحركة فى الصعود بقوة البخار وفى الهبوط بمجرد قوة الانحدار

ويختلف الميل فى هذا الطريق من $\frac{٥}{١٠٠}$ الى $\frac{٢٥}{١٠٠}$

والميل فى مرتقى اخولناحية « كوتش » بغير هذه الجهة رأيناه بالامس $\frac{٥٣}{١٠٠}$ فى جميع جهاته وندع الكلام فى صفاته وصفات عرباته وسيرها بغير حيوان ولا بخار ونتركه للرحلة رغبة فى الاختصار والعربات فى الطريق الذى كنا نتكلم عليه مغطاة من أعـلاها للتوقى من الشمس مكشوفة من سائر الجوانب ليتمكن المسافر من رؤية كل ما عربه من المناظر

ويتركب كل ذيل « قطر » من عربة واحدة يسوقها وابور واحد وليست العربة مرتبطة بالوابور وانما يدفعها من خلفها فى الصـعود وينزل أمامها فتسير خلفـه فى الهبوط وذلك للتفادى من أن يصيبها ما أصاب الوابور لو أصابه شئ من الاخطار والعياذ بالله تعالى وفى كل عربة آلة للأمن من الخطر يتيسر بها ايقاف العربة فى مسافـة لا تتجاوز ٥٠ مترا وبعـد مفارقة أول الخط يخترق الوابور قبـل أول موقف من مواقفه منفذين قد نقبا له فى صلب الجبل ثم يجتاز بعدهما على جسر من الحديد متقن الصـنع ممدود فوق قوائم من الحديد على ارتفاع هائل قد يروع الناظر ويهول أمره السائر ثم يصل الى الموقف المذكور وهو على ارتفاع ١٠١٦ مترا عن سطح البحر

وبعد الوقوف به بعض دقائق يستمر فى صعوده ويقف فى مواقف عديدة على ارتفاعات متفاوتة بين مناظر مختلفة ومحاسن مؤتلفة فيرى المنخفضات تتتابع بقدر المرتفعات ولايكاد يفارق منخفضا الاويصادف مرتفعا وهكذا يستمر بين حدائق ونباتات وأشجار وغابات ومناظر بحيرات وجبال مغطاة بالثلج وغير مغطاة مما يروق الناظر ويعجب الخاطر وكلما أخذ فى الارتفاع صغر فى نظر الناظر حجم ما خلفه من البحائر وغيرها من المناظر وهكذا حتى يصل الى محطة «ريجى كُلْم» وهى المحطة الاخيرة وترتفع عن سطح البحر بقدر ١٧٥٠ مترا

ويوجد بالمحطة الأخيرة المذكورة وماقبلها من المحطات كثير من اللوكندات بديعة البهجة والاتقان تسع نحو ألفى نسمة يبيتون على جيد السرر ومستحسن الفرش ويأكلون طيبات المآكل ويجدون غاية الراحة ويسمع النازل بها كثيرا من الالسن التى يتكلم بها فى العالم وماذاك الالتوافد الزوار عليها من سائر الجهات

والمحطة العليا منحطة عن أعلى قة الجبل حيث يبلغ الارتفاع عن سطح البحر مسافة ١٨٠٠ مترا فالفرق بين المحطة العليا وأعلى الذروة نحو ٥٠ مترا

وقد بنيت المحطة منحطة عن القمة بهذا القدر للاتقاء بالجبل من ريح الشمال وهى هنا غير مطلوبة ورأيناها كذلك فى جهة بيروت وغيرها فى سورية غير مرغوبة

ويرى الانسان وهو فى أعلى الذروة من الجبال والمرتفعات المحيطة بتلك الجهات مايتعاصى على الحصر والعد ويتقاصى عن الضبط والحد وان أمكن ذلك فهو موكول الى قوة النظر وحدته وطول التأمل واتساع مدته وقد أبلغها بعض من لقيناه هنالك من أهل تلك الجهة الى ٣٣٤ جبلا بين صغير وكبير منها ٦٤ مغطاة بالثلج الدائم على قول ذلك الرجل والباقى عار عن الثلج فى هذا الوقت

أما البحيرات التى ترى من تلك الذروة فى أوقات الصحو فتبلغ ١٤ عدّا وعند النظر فى هذا الموضع الى مئات من الفراسخ بعيدة الانحاء مختلفة السموت لها من غرائب المناظر وعجائب المظاهر ماتنقطع دونه الاوصاف والنعوت لاسيما الجبال المكتسية بديباج من الثلج أبيض المتحصنة بدروع من الزرد البديع النسج مفضض

واذا تأمل الواقف بهذه الذروة العالية فيما يراه تحت قدميه من المواقع السافلة والاغوار النازلة يتخيل أن ليس بها نسمة مخلوقة ونفس منفوسة لانقطاع الصوت واتصال الصمت وغاية تصاغر المنظر لبعد السمت وحول هذه الذروة من المنازه والمناظر والخضرة والنضرة والارواح والادواح ومواطن الانس والانشراح

والراحة

والراحة والارتياح والمباحثة والمناظرة والمسامرة والمسايرة مالم يكن يخطر ببال أو يتصور بحال

وكم رأينا فى تلك البطاح من صباح الملاح كل خود رداح شاكية السلاح من ألحاظ كالصفاح مراض صحاح وقدود كالرماح دامية الجراح فاتكة فى الارواح وليس عليها الدى القانون فيما جرحت جناح وكل ما اجترحت مباح

فليس للجور فى أيامهم أثر * الا الذى فى عيون الغيد من حور

وهن منتشرات فى تلك الجهات كعقد خانه السمط فانتثرت درره وروض ألحت عليه الريح فتبدد زهره بين وحدان وزرافات وشتى وجماعات فهن ظباء فى هذه المراتع رواتع وأقمار من هذه المطالع طوالع وأنوار فى تلك المواضع سواطع قد ربين فى مهاد الدلال رواضع وغذتهن بلبان الجمال لا الجمال المراضع فبرزن كالحور فى غلائل نور أو ودر جور فى زجاج بلور تراهن خلال الاشجار فتخالهن بعض الازهار وتنظرهن على الماء فتقول قد تمثل فيه السماء وهذه كواكب الجوزاء ولقد أنسينى المشيب حتى خلت أنى عدت الى الصبا وكدت أمد اداعى اللهو والخلاعة يدا فأقول مرحبا مرحبا وأكون فيمن صبا الى أن رأيت مرآة ببعض مفارش الباعه بديعة الصناعه فاذا الشيب فيها يخاطبنى بلسان الحال من بين الجماعة

هيهات ما عهد الشباب براجع * يوما ولا هذا المشيب براحل

سيدى

كنت أريد شيأ كثيرا ولكن غلبنى الوقت فاقتصرت واختصرت وما تركت مما أردت أكثر مما ذكرت ونحن على جناح السفر الى باريس داعون لولى النعم الخديو الاعظم دعاء الابتهال مترنمون بأحاسن الثناء فى كل محل وكل حال والله المسؤل فى أن يتقبل من عبده ويمن بالمزيد من عنده فهو غاية المسؤل ونهاية المأمول

فى ٣١ يوليو سنة ١٨٨٩

وكتب من باريس فى ٧ أغسطس سنة ٨٩ حاشية على كتاب لسعادة ثابت باشا وقد طبعت بارشاد الالباء ص ٢٢٣

حضرت الشيخ عند انهاء كتابته فأحببت الاقتداء بامامته فى عواطر التحيات أهديها وشكوى لواعج الاشواق أبديها فكان فى الحلبة الودادية مجليا وكنت خلفه بين الجماعة مصليا كما أنى صليت معه العيد مأموما وثنينا بالدعاء لافندينا ولى النعم فرضا محتوما ومسكا مختوما.

ثم صلينا فشهد لنا المكان وان لم يشهدنا السكان ودعونا عارفه الملكان وان لم يكن علمه إنسان أما الثناء على ولى النعم ونشر ماله من محامد الشيم فكلنا نعطر به المجامع جهرا ونشنف به المسامع درا ونجعله استهلال المقال وحلية الحال وبراعة الكمال

سيدى لو رأيت الشيخ وقد اتخذ سريره منبرا واستهل خطبته العيدية مبكرا وأخذ فى الموعظة الحسنة يسردها وعلى مقتضى الحال والمناسبة يوردها لخلته قسا فى عكاظه خاطبا أو سحبان لقومه مخاطبا وكلنا مكب على الاصغاء والسمع وإن كنا فى أقل مراتب الجمع ولو علم بنا من حولنا العظم المزدحم وهم السواد الاعظم ولكن الله سلم والله يوالى لولى النعم الاعياد سارة والمسرات قارة بارة ويديم سروره بالاشبال الأماجد الانجال على خير الاحوال وكلنا هنا بحمد الله ذى الجلال وحسن أنظار خديوينا المفضال فى هناء بال وجمال حال

وقد رأينا نجلى سيدى النجيبين حرس الله شبابهما وجمل بالاقبال حظهما كما كمل بحسن الخلال آدابهما فرأينا من النجابة والذكاء ولطف الشمائل الغراء مالا يستغرب من موافقة الفرع النبيل للاصل الاصيل فسرنا ذلك سرور المحب إذا رأى ما يسر من يحب ودا ما ودمتم فوق ما راما ورمتم

وكتب من جوتمبورج الى صاحب الدولة الامير الخطير رياض باشا بمضمون ما تم فى المؤتمر (طبع بارشاد الالبا ص ٧٥٩)

دولتلو أفندم حضرتلرى

أقدم من تحايا التبجيل والتكريم ما يليق بذلك المقام الكريم داعيا بدوام ظلال الاقبال وجمال الاحوال وكمال الآمال أعطر الارجاء بأريج الثناء وأستقبل قبلة الاجابة بخير الدعاء وقبل هذا حررت لسيدى الباشا على الهمم مبارك الطلعة المحترم وذكرت بعض الجهات التى وردناها فى طريق الوجهة التى قصدناها وكتبت أيضا لبعض الاجلاء من السادة الاخلاء ولبثت أنتظر أن يجيئنى أحد بسطر أو بعض سطر ولو بقدر قلامة ظفر فأجابنى عن الدار ولا غيرها خبر حتى حررت بالتلغراف لبعض الاصدقاء فلم يظهر قبل وصولنا الى السويد أثر اللهم الا أنى كتبت من باريس يوم العيد بالتلغراف للمعية السنيه قياما بواجب العبودية من التعييد والتبريك لجناب ولى النعم الخديوى الاعظم السعيد أبقاه الله ممتعا بانجاله وجميع آله بعمر مديد وحظ مزيد مهنأ بالاعياد والمواسم وثغور المسرة له

بمحياه السعيد وباسم يشيع الماضى مسرورا ويستقبل الآتى مسرورا ويكسوها من نوره نورا فجاءنى الجواب فى بياض اليوم لم يتأخر مبشرا بالقبول والممنونية وذلك لدينا عيد أكبر وحظ أوفر وسجدنا لله داعين ومؤمنين ومسرين ومعلنين ولم نزل دأبنا فى كل موضع حللناه وموقع نزلناه نؤدى وظيفة الدعاء أحسن الاداء وننشر ألوية مدائحه الجليلة عاطرة النشر ونخلد فى المسامع والمجامع طيب الذكر ونعدد ما نعلم من المآثر الغراء والمفاخر الحسناء تربو على الاحصاء ونستتبعها بذكر محاسن أمراء رجالنا الامراء الموازرين له فى أعماله الناسجين على منواله فى محاسن خلاله وأقمنا فى باريس نحو عشرين يوما نراجع ما كتبناه بعصر من المواضيع التى حررناها للعرض على المؤتمر السويدى ونعيد عليها النظر وفى خلال ذلك نتردد على معرض باريس العام وغيره من المواضع الشهيرة فشاهدنا من الصنائع والبضائع وأنواع البدائع والنظام والاتقان والاحكام ما يحتاج فى ايضاحه من البيان وتقريبه للافهام الى مجلدات ضخام واستخدام أعوام وسنذكر فى الرحلة ان شاء الله مما رأيناه فى هذه العاصمة وغيرها ما يبلغه الجهد ويساعد عليه الحال وفى أثناء تلك المدة أردنا معاينة المدارس الموجودة هنا فصادفنا الوقت وقت عطلة فكانت كلها مقفلة معطلة فلم أحصل على الغرض من ذلك الا أنى لم آل جهدا فى تحصيل قدر كاف من بروجراماتها وقوانينها وترتيباتها عن أنواع متنوعة من ابتدائية وثانوية وخصوصية بعضها بالشراء وبعضها بالاستهداء وأحضرت جملة جداول وبيانات عن بعض أدوات التعليم وأثمانها ومحلات بيعها وشاهدنا جملة من المدارس المذكورة مختلفة الانواع الا أنها خالية من الدروس والمدرسين والتلامذة ليس بها الا البواب وبعض الخدم فرأينا محلات التدريس وبعض أدوات التعليم وكان من جملة ما رأيناه مدرسة زراعية سافرنا اليها من باريس بسكة الحديد ورجعنا فى يومنا وكانت مغلقة أيضا ولم نجد مدرسة من التى رأيناها جاريا فيها العمل الا مدرسة خاصة بالاطفال الصغار من سن سنتين ونصف وثلاث سنين يقيمون بها الى سن ستة ويتولى أمرهم فيها معلمات قد صرن لهن كالامهات المشفقات يتحببن اليهم ويتحببون اليهن ويراعين تعليمهم بطرق سهلة فى غاية البساطة واللطافة والملاءمة لحال الطفل لا يظنها الا من اللعب والمحادثة وقد أحضرنا ترتيباتها مفصلا وأعجبتنى الطريقة المتبعة بها جدا ثم سرنا من باريس الى لوندرة وأقمنا بها أياما ومنها الى محل المأمورية معرجين على روتردام ثم ليدن ثم امستردام ثم كولونيا ثم هامبورج ثم كوبنهاج ثم مالمو وهى

أول ثغور مملكة السويد وفى أثناء مسيرنا منها الى العاصمة صادفنا من معتبرى البلاد من عرف من هيئة ملابسنا المشرقية من الطربوش والعمامة أننا من أعضاء المؤتمر الذين طوحت بهم الى بلادهم مرامى السفر فصاروا يتعرفون الينا و يتقربون منا و يلاطفوننا غاية الملاطفة و يجاملوننا المقابلة والمعاملة الى أن وصلنا الى استكهلم و نزلنا الاوتيل وهنالك اجتمعنا بالكونت لاندبرج فحضر وسلم علينا ومضينا معه الى مكتب المؤتمر محل أشغاله فأطلعنا على المحل المعد لانعقاد المؤتمر فى جلساته العامة والخاصة ومواضعنا فيه وهى فى جزء مرتفع عن باقيه بدرج و به كرسى للملك وخلف ظهره العائلة الملوكية وعن يساره موقف من خطب وكراسى لجلوس الوفد المصرى وعن يمينه بعض وزرائه وسفير العجم فى الاستانة العلية محسن خان والوفد العثمانى و بقية وفد العجم و بين يديه الكتب المهداة اليه وفى باقى المحل أسفل من هذه الدرجة مواضع باقى الناس أعضاء المؤتمر والمحل يسع فوق خمسمائة نفس وفى أعلاه محل مرتفع مشرف عليه لجلوس النساء به يسع نحو مائة وخمسين وأعطى الكونت لكل واحد منا علامة العضوية فى المؤتمر وهى شبه وردة من قماش لماع ملون بالالوان الموجودة فى علمى السويد والنرويج مثبتة فى شبه زر يجعل فى عروة السترة لبس الملك واحدة منها

وقد حضر فى أثناء وجودنا هنالك فرآنا وعرفه بنا الكونت فسلم علينا بيده واحدا واحدا وقابلنا بغاية البشاشة ولما سلم على أظهر محبته للجناب الخديو المعظم وشكره على ارسال الوفد وسروره بحضورى ولما سلم على أمين بيك قال له أنت ترجمانى لوالدك وفى ثانى يوم وهو يوم الاحد طلبنا الى سرايته بعربات حضرت الينا لمقابلته المقابلة الرسمية ولم تكن المقابلة الامسية رسمية فتوجهنا بالكساوى التشريفية والنياشين كما أشير علينا فلما دخلنا عليه وجدناه بالكسوة التشريفية والنشانات أيضا فأعلن المسرة والممنونية والثناء على الجناب الخديوى الفخيم وسلمت اليه المحرر الكريم الخديوى وأجبت قائلا

« مولاى أقدم لجلال مقامك الرفيع الشان تحايا التعظيم والاجلال والثناء الفائق من لدن مولاى خديو مصر المعظم مؤيدا ذلك بتقديم محرره السامى المنطوى على خالص المودة المتضمن تعيينى وتعيين رفاقى الماثلين بين يدى عظمتكم للحضور فى المؤتمر العمومى العلمى الذى توجهت خواطركم الملوكية لانعقاده فى هذه المملكة العامرة لما يترتب عليه من الفوائد المهمة لنشر العلم وتقدمه واتحاده باشتراك القريب والبعيد والشرقى والغربى فيه ولم يكن ذلك ليتأتى الا بتوجه همة الملوك اليه

فلك

فلك يامولاى الفضل الجزيل على ذلك المسعى الجليل وأختم قولى بتقديم واجب تشكراتى لما نلت من لطف الرعاية الملوكية لاسيما فى هذا الموقف النبيل لازال موقع اجلال ومنتهى كمال » وكان ذلك يوم الاحد أول سبتمبر سنة ١٨٨٩

وبعد ذلك انصرفنا وفى ثانى يوم اجتمع الناس لافتتاح المؤتمر وحضر الملك فى الميعاد المقرر وحضر الناس وأخذ كل موضعه فافتتح الملك المؤتمر بخطبة حسنة ألقاها وأجاد فيها وفى حسن أدائها قال فى ضمنها « ان السلطة قبل كانت للقوة والاستبداد وليست الآن إلا للعلم » ومضى فيها حتى أتمها واقفا والناس بين يديه وقوف ثم جلس وخطب بعده الموسيو كريمر وافد النمسا ثم سفير العجم فخطب خطبة باللغة الفارسية ثم وافد السلطنة العلية العثمانية أحمد مدحت أفندى فتلا مقالة باللغة التركية ثم أشير الى فقمت وأنشدت قصيدة كنت أعددتها لذلك بعد ارتحالنا من باريس فأتممتها فى الطريق وبيضتها فى استكهلم فابتدأت أقول

اليوم أسفر للعلوم نهار * وبدت لشمس سمائها أنوار

ومضيت فيها إلى آخرها وصفق الناس لكل من خطب وبالجملة لما أتممت الانشاد وخاطبنى أناس منهم باستحسانها فى اليوم وحضر كاتب المؤتمر على اثر الفراغ منها وسارنى بطلب نسختها فأخذها فى الحفلة وخطب بعد ذلك أناس منهم الموسيو شفر وافد فرنسا وكانت هذه الحفلة خاصة بذلك ليس فيها تقديم موضوعات علمية ثم قام الملك وودع الحاضرين وصافح البعض وصافحنا وقال حسنا وانصرف وانصرفنا وانفضت الحفلة وارفضت الجمعية وبعد ذلك انقسم المؤتمر إلى فصول متعددة فكنا فى الفصل الاول المعد للغة العربية وصارت الفصول تجتمع كل يوم وتقدم فيها الموضوعات المعدة للعرض عليها بعد أن يقدم بيانها لكتاب اللجنة اجمالا ويكون فى كل يوم بعد الظهر فسحة وولمية ونزهة كل مرة فى جهة وبكيفية غير التى قبلها واستمر الحال على ذلك الى أن انقضى المؤتمر وفى أثناء انعقاد جلسات فصوله المذكورة قدم منى ومن جميع رفاقى ما أردنا تقديمه مما أعددناه لذلك وقوبل ما عرض من كل واحد منا بالاستحسان والاعتبار وقد أبقى كل واحد منا عنده نسخة مما عرضه بعد تقديم نسخته وأعطى من معه نشان من بلاده نشانا من طرف الملك وأعطيت نشانا من النوع المسمى « وازا » من الدرجة الاولى فشكرت للملك ودعوت لمولاى ولى النعم الخديوى الاكرم

وقبل قيامنا من استكهلم أولم الملك وليمة خاصة فى سرايته دعا اليها خواص أعضاء المؤتمر الى مائدته الخاصة وكنت من جملتهم وقبل الدخول إلى محل المائدة

أعلم كل واحد بموضعه منها وموضع من بجانبيه فكان عن يمين الملك سفير العجم في دار السعادة وعن يمين السفير المشار اليه البارون دوكر يم الوافد من طرف النمسا وكنت عن يمين البارون دوكر يم وعن يمينى الكونت دولاندبرج

وفى أثناء الطعام شرب الملك على اسم الجناب الخديو خاصة بعد الالتفات الى ناحيتى فقمت مؤديا رسوم التعظيم والشكر

وكان كلما صادفنى فى موضع من المواضع يكلفنى بابلاغ سلامه وشكره للحضرة الفخيمة الخديوية وكرر القول بمحبته للجناب الكريم وقال أنه أخى وعزفت الموسيقى بسلام الحضرة الخديوية مرارا كان آخره فى آخر مدة المؤتمر بناحية خرستيانيا من مملكة النورويج فكنا نقوم فى أثناء السلام مؤدين شعائر التعظيم والاحترام وانتهى المؤتمر والمأمور به بحمد الله على خير وكل واحد منا معنا فى غاية الاستقامة والكمال وانتظام الأحوال والمحافظة على شعائر ديانته وحكومته وهيآته وملابس بلاده واقامة صلاته داعين للخديو الاعظم ناشرين لمدائحه وقد أخذنا فى الرجوع الى الوطن العزيز ووصلنا الى ناحية « جوتمبرج » ومنها نتوجه اليوم ان شاء الله الى « كوبنهاج » الى « برلين » الى « ويانة » الى « تريستا » الى « برنديزى » الى « الأسكندرية » ناذرين بعض الصدقة والصلاة والسلام على النبى عليه السلام اذا حظينا بتقبيل يد جناب خديوينا المعظم ولى الانعام ولقاء ساداتنا واخواننا وأحبابنا الكرام ١٣ سبتمبر سنة ١٨٨٩

التقــاريظ

كتب تقريظا لصحيفة الوقائع المصرية حين أصلح أمرها بعد سابق اختلال اعتراها ونشرته الصحيفة المذكورة فى صدر عددها الثانى الصادر بتاريخ ١٢ رجب سنة ١٢٨٢

لا ريب أن كل من عرف التمدّن وشم عرف التفنن وأخذ بنصيب من الفهم والتفطن كان أحب شئ اليه وأوجب أمر لديه أن يكون مطلعا على وقائع مصره عارفا بما تجدد بين بنى عصره من حوادث الزمان وعجائب عالم الامكان وما هو صائر فى الممالك المتمدنة ودائر بين الملوك المتمكنة وما هو جار بين الدول المتفقة والملل المفترقة من عهود تجدد وشروط تؤكد وآثار تغير وصعاب تيسر وما بينهم من نزاع ومقاتله وخداع ومخاتله وسكون وهدنه وحركة وفتنه وما حدث فى أحوال التجارة وأمور السياسة والادارة وما أبدته فحول العقلاء فى مجامعها وما أسدته عقول النبلاء من بدائعها وما ظهر من روائع الصنائع وعوارف المعارف وطرائف اللطائف فتتسع دائرة اطلاعه ويمتد الى المعالى طويل باعه ويعرف العوائد مذمومها وممدوحها ويميز الآراء راجحها ومرجوحها فيجتنى ثمرات الافكار ويقتنى محاسن الآثار ويتمتع وهو مستريح بنتيجة ما تعب فيه غيره الليل والنهار ويكون كأنما طاف مشارق الارض ومغاربها وجرب جميع الامور ودرى عواقبها فلا تكاد تنزل بساحته حادثة الا وقد أحاط علمه بنظيرها وعرف غاية مصيرها وكيف يفتح باب النجاح فى حسن تدبيرها الى غير ذلك من المنافع الجمه وغرر المحاسن المهمه التى يقصر عن حدها اللسان ويقصر فى عددها بنان البيان ولا مرية فى أن صحف الاخبار هى الحافلة بهذه المزايا الكافلة باستخراج فرائد الفوائد من خبايا الزوايا فهى جُهَينة الاخبار وخزينة ذخائر الافكار وصيقل الاذهان ومرآة حوادث الزمان وهى الجليس الذى تعجب نوادره والانيس الذى يطرب حديثه من يسامره والخليل الذى لا يستر منك أمرا ولا يخبأ عنك خبرا ولا خبرا والنديم الذى لا تخاف عربدته والصاحب الذى تسرك مودته وهى السائح الذى يطوف البلاد ويأتيك باخبار العباد ويعرفك أحوال زمانك وأنت لا تبرح من مكانك ثم مؤنته هينة ومعونته بينه تنتفع منه وتستفيد ولا تصرف عليه فى العام غير شئ زهيد فالنجباء من الناس لا يَفْتُرُّون عن هذه اللطائف

ولا يفترون عن مطالعة تلك الصحائف وقد كانت صحف الوقائع المصرية فى الممالك الاسلامية من الصحف الاولى الراقية من مراتب الاجادة والافادة الى الدرجة الطولى ثم عدت عليها عوادى الزمان فبقيت فى حضيض الاهمال تحت ذيل الهجران حتى نسجت عليها عناكب النسيان الى أن أعادها معيد رسوم المعارف بعد اندراسها وبانى بيوت المعالى على محكم أساسها بدر فلك الحكومة المصرية وشمس سمائها الماحى بأنوار همته السنية حنادس ظلماتها المقتدى بوالده الماجد وجده الكريم سمى سيدنا اسمعيل بن ابرهيم أبقاه الله ذخرا للفضل وأهله ولا برحت مصر معطرة الارجاء باريج عدله الا أن الصحيفة المذكورة لم تعد فى النشأة الآخرة الى حالها الاولى حتى لقد بقيت مدة من الزمان خالية عن الاخبار الاجنبية وكثير من الحوادث الداخلية وتالله لقد كنا ننظر اليها نظر المتأسف وننتظر إصلاحها انتظار المتلهف ونراها بحال عليل كل من رنا اليه رثى اليه وكلما أبصره أهله تمنوا أن يقضى له الشفاء أو يقضى عليه ولما كان ما بها من تلك الحالة على ضد المقاصد العلية الداورية ولم تزل العناية السنية منعطفة لتقدم أحوال هذه الديار المصرية وكان ممن يعلم ذلك حق يقينه الامير الجليل الذى لايسمح الزمان بقرينه العلم المفرد فى العلم والادب ومعالى الهمم البارع المتقن المتفنن فى لغة العرب والترك والعجم حضرة أحمد بيك خيرى مكتوبى الجناب الداورى اهتم بتحسين هذه الصحيفة واصلاحها وأشار الى مأمورها بما يكون فيه حسن نجاحها وساعد على انفاذ هذه النية السنية صاحب المعارف الباهرة والافكار الزاهره والهمم العلية حضرة محمد شريف باشا ناظر الامور الداخلية والخارجية والمدارس المصرية فعادت كما بدت وأحسن بهمة المشار اليهما وغدت بلسانها الفصيح تثنى على الجناب الاكرم الخديوى ثم عليهما وناهيك بازالة ما كان فى وجهها من الخط الثقيل واستبداله بما تراه الآن من الخط الجميل الذى صار فى مطلعها براعة استهلال لما قد انتقلت اليه من لطف الاسلوب وحسن الاحوال فوجب على أهل الوطن العزيز وأصحاب المعارف والتمييز أن يشكروا فضل هذه الهمة الخيرية بعد خير الدعاء للحضرة الداورية فانها الاصل الاصيل فى الاصلاح والمرشد الدليل الى سبيل النجاح ونرجو من محرر هذه الصحيفة ومأمورها والقائمين بادارة أمورها أن لاتزال راقية فى مدارج الكمال رافلة فى حلل الحسن متحلية بحلى الجمال فائزة بسلوك جادة الاجادة حائزة براعة العبارة وكثرة الافادة بحيث تكون حلاوة مبانيها وطلاوة معانيها ولطف أساليبها وظرف تراكيبها نموذجا لمن يتعلم حسن التعبير والتقرير

ومثالا

ومثالا يقتدى به من يروم بحبير التحرير مع استيفاء الاخبار الداخلية وما يلزم من الحوادث الاجنبية وإنباء الاخوان من أبناء الاوطان بما يعود عليهم نفعه ويعظم لديهم وقعه وارشادهم لما يفيدهم مزيد التقدم فى التمدن وتنبيههم على ما يقبح من العوائد وما يحسن وانما قلت ما قلت وأكثرت فى هذا الرجاء وطولت لان فى مأمورى هذه الصحيفة أهلية لما أملت والمأمول من سكان الديار المصرية ولا سيما أهل هذه الحاضرة البهية أن يقبلوا على صحائف الوقائع ويلتفتوا إليها ويرغبوا فى مطالعتها ويحرصوا عليها ويتبعوا ما ينبهون عليه من الامور النافعة والعادات الحسنة ليكونوا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أليس هذا أولى من التشبث بالامور العبثية كالعكوف على الملاهى وسماع القصص الخرافية مثل ما اشتهر من قصة سيف بن ذى يزن وحكاية عنترة والظاهر وابراهيم بن حسن وأمثال ذلك من الحكايات التى أكثرها أكاذيب وتمويهات وأسوأ من ذلك حالا قوم يتصدون للمشاجرة فيما شجر بين الصحابة ويتجاذبون أخلاف الخلاف فيما ينسبون لبعض هذه العصابة من الخطا والاصابة على أن بعضهم لا يعرف وجه ما يخوض فيه ولا يدرى على الحقيقة كنه ما يخرج من فيه وانما هو تقليد بلا دليل وخبط على غير سبيل لا سيما والتواريخ مضطربة الاقوال على حسب اختلاف الاغراض والاحوال ولا ثمرة للخلاف ولم نكن حاضرى المصاف فياليت شعرى أى معنى فى هذا العناء الباطل وأى طائل وقد نهانا عن الخوض فى تلك المسائل أكابر العلماء الافاضل وهل ذلك لزعم مثوبة أخروية أم لتوهم فائدة دنيوية إن كانت الاولى فعندنا ما هو أولى مثل دراسة كتاب الله القديم وكلام نبيه الكريم عليه أفضل الصلاة والتسليم وعلى أهل بيته الطيبين الاطهار وصحابته الخيرة الأبرار ومثل تعلم أصول الدين وعقائده والاشتغال بمعرفة آدابه الشريفة وقواعده الى غير ذلك من الاعمال الفاخرة الجالبة لخيرى الدنيا والآخرة وان كانت العلة الحاملة حصول الثمرة العاجلة فثم مسالك أقرب لذلك كاجتهاد الانسان فى نمو تجارته وزراعته واهتمامه بازدياد براعته فى صناعته والتوسل إلى توسع دائرة المدنية بالجد والجهد فى الفنون والمعارف الانسانية وعقد الشركات فى الامور النافعة والاستعانة باجتماع الايدى على اجتناء ثمرات الربح اليانعة فانه يتهيأ للاثنين ما ليس للواحد به استطاعة وحسبك ما ورد يد الله مع الجماعة وبالجملة فان فى الشركة من عظيم الخير والبركة ما تشهد به العينان ولا حاجة أكبر من العيان ألا ترى الى هذه الشركة المعنونة بالقومبانية العزيزية المصرية المؤسسة فى ظل الحضرة الملكية

بحسن الهمم العلية الداورية كيف نجحت أسبابها وانتفعت بفوائدها أربابها وسلكت على أحسن سبيل في البحر الملح وفي نهر النيل وكيف صارت عونا حسنا على التجارة والسياحة وتسهيل طريق الحجاج بعناية الله الذي مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج وانا لنرجو لها مزيد التقدم بجليل همة الجناب الخديوي وجزيل إقدامه ونراها كالطفل بانت علائم نجابته قبل إبان فطامه لا شك أنها من حسنات ولي النعم الخديو الاكرم الداور الأفخم الذي تعطرت الافواه بطيب ذكر ثنائه وتحلت الشفاه بكرر شكر آلائه فادام الله دولته السنية غرة في جبهات الاعصار كما جعل حكومته العادلة المرضية قرة لعيون الامصار هذا والمرجو كل الرجا من حضرات أهل المعارف وأرباب الحجا أن لا يبخلوا على إخوانهم بما هو في إمكانهم من المقالات المفيدة والآراء السديدة والافكار الناجحة والاخبار الصالحة لتدرج عنهم في صحف الوقائع وتنشر وتسطر في صفحات الأيام وتذكر فقد تعهدت أمور الوقائع باعلان كل ما يرد اليه من هذا القبيل والله تعالى يوفقنا جميعا للخير والرشاد ويهدينا سواء السبيل وقلت مضمنا الشطر الاخير

يا أهل مصر لكم زها نور المنى * وبدا بكم نور المعالي ساطعا
فقطفتمو زهر الحوادث ناضرا * «وجنيتمو ثمر الوقائع يانعا»

وقلت مضمنا أيضا

وقائع مصر الآن فاقت بحسنها * وباهت بما جادت به من بدائع
فدونك من عذب الحديث وحلوه * «جني النحل ممزوجا بماء الوقائع»

والوقائع في هذا البيت الاخير جمع وقيعة وهي النقرة في متن الحجر من جبل أو سهل يستنقع فيه الماء فيصفو ويعذب تقول «في فم الوقاع الوقيعه أحلى من ماء الوقيعه» وقال ذو الرمة

سقين البشام المسك ثم رشفنه * رشيف الغريريات ماء الوقائع

وقال ابن أحمر

الزاجر العيس في الامليس أعينها * مثل الوقائع في أنصافها السمل

وأما الوقائع في قولهم الوقائع المصرية فهي جمع واقعة بمعنى الحادثة من حوادث الدهر وبمعنى الحرب والقتال أو هي جمع وقيعة بهذا المعنى الاخير

ومنه قول عنترة العبسي

يخبرك من شهد الوقيعة أنني * أغشى الوغى وأعف عند المغنم

ومنه وقائع العرب أي أيام حروبها وعلى كل فانما سميت هذه الصحيفة بذلك لانها تذكر

فيها الوقائع بمعنى الحوادث أو الحروب كما سميت الكتب المعروفة بالملاحم لانها تذكر فيها الملاحم جمع ملحمة وهى الوقعة العظيمة وعلى كون الوقائع بمعنى الحوادث فوصفها بالمصرية ظاهر وأما على كونها بمعنى الحروب فوصفها بالمصرية باعتبار أنها صحيفة مصرية اذ ليس فى مصر حرب ولا قتال بحمد الله الكبير المتعال مولى الخير ومولى الكمال

وكتب مقرظا انشاء جريدة وادى النيل

حبذا طالع سعود أنجزت به الامانى والوعود وطليعة قبول نمرت بها انسمة القبول ومورد مورود صفا وطاب به الورود نعم طالع فضل وافضال وطليعة كمال وجمال ومورد بيان وبديع معان شمس بلاغة بهرت أنوارها وروضة فصاحة بدرت أنوارها وغيث براعة استهلت بواديها وأظلت عواديها فاستبشرت حواضر الافكار وبواديها بخصب واديها وشارت بمحاسن حديثها روائح الاخبار وغواديها مترنما حاديها مطربا شاديها صحيفة أهلية بزغ فى منازل السعود طالع هلالها وتهللت وجوه الوجود ببراعة استهلالها قد صيرت حر البيان فى رق منشورها وازدرت عقود الجمان بمنظومها ومنثورها صحيفة وادى النيل الناهضة لخدمة الوطن ونبا أبنائه بما يحتاجون من أمور الزمن وارشادهم بما يزيدهم فى مناهج المعالى اهتداء ويفيدهم فى مدارج الآمال اعتلاء ولا ريب فى أن الصحف الخبرية وأوراق الحوادث الدورية لها مدخل كبير وموقع خطير فى تقدم المدنية وازدياد المنافع الانسانية اذ جعلت هذا الغرض مقصودها وبذلت فى تأدية حقه مجهودها وما أجدر هذه الصحيفة الاهلية الوطنية وأولاها بهذه المزية الحسنة والشنشنة السنية فان صاحب إدارتها الفاضل النحرير الموشى طراز حلتها بتحبير التحرير رب فضائل مشهورة وشمائل مشكورة ومعارف مذكورة وتضلع من العلوم المشرقية والفنون الأوربية وسعة باع فى اللغة الاجنبية مع سجية عربية وروية أدبية وهمة سامية وعزمة نامية كان الله معينا له فيما تحراه وقرن باليمن عينه وباليسر يسراه وحرس دينه ودنياه وأدام تمكينه وعلياه ونحن اذا نظرنا نظر ذى خبرة وتدبرنا تدبر ذى فكره وقدرنا ما يلزم فى هذه الحاضرة لانشاء مثل هذه الصحيفة من النفقات والأجرة كأجر المترجم والمحرر والطابع والمخبر ونحو ذلك من النفقات وسائر ما يلزم من الآلات والادوات واستقصينا ذلك استقصاء الباحث المحقق وأحصيناه احصاء المناقش المدقق ثم نظرنا لما قدر لوادى النيل من الثمن اليسير رأيناه ينقص عن ذلك بقدر كثير فعلمنا أنه كما قال تبرع بالتحرير

والتعريب والتقرير والتقريب ونحو ذلك مما يرجع اليه ويعود عليه ثم اذا نظرنا من وجه آخر الى أن هذه أعمال شاقة ضمها الى خدمته النهارية ووظيفته المخصوصة فى المصلحة الاميرية مع خدمة الترجمة ومزيد تعبها وصعوبة مركبها وخشونة منكبها ومع علمه بأن التصدى لمثل هذا المقام استهداف لنقد الحاسدين وملامة اللوام هذا من غير تطلع الى مكسب يريده أو طمع فى حطام يستفيده كما يعلم مما تقرر ويظهر لكل من نظر وتفكر عرفنا أنه ما حمله على هذه النية غير محبة وطنية نبت عليها الجلد ونبت عليها الجسم وامتزجت باللحم والعظم وجرت فى البدن مجرى الدم فوجب علينا أن نشكره على هذا المشروع الجليل والموضوع الجميل والتبرع الجزيل بلغه الله آماله وأكثر فينا أمثاله ونهنئه بهذه الخدمة الاهلية والهمة الملية ونهنئ صحيفة الوقائع المصرية بهذه الخلة السارة والاخت البارة أنبتها الله نباتا حسنا وكفلها سناء وسنا وغض عنها الحاسد وفض دونها فم الجاحد المعاند وقبض كل يد تمتد اليها بظلم ورجل تسير عليها بغشم وبنان تشير لها بعدوان ولسان يقول فيها ببهتان فان من طبع الجهلة الطغام والسفلة اللئام حين يرون مثل هذا الفاضل الكريم متصديا لمثل هذا المقصد العظيم أن يتبعوا مواضع العثرات ويستروا بها وجوه الحسنات والمبرات فاذا أعجزهم الطلب وأيقنوا بخيبة المنقلب أقبلوا على القول يخرجونه عن مواقعه ويحرفون الكلم عن مواضعه حسدا من عند أنفسهم وكراهة لبنى جنسهم ولكن مثل ذلك مما لا يعول عليه العاقل ولا يحول دون همة مثل هذا الفاضل فانه يعلم أن أرباب الالباب وأصحاب الآداب يقدرون قدر خدمته ويشكرون فضل همته وينظرون الشئ بحقه وحقيقته فيخف عليه فضول الطغام وملامها ويقول حينئذ

اذا رضيت عنى كرام عشيرتى * فلا زال غضبانا على لئامها

ثم يشد همته ويسدد عزمته ويصلح عمله وينجح أمله أن حضرة الخديو الافخم الداور الاكرم ولى النعم أدام الله معاليه فى جبهات الأيام غررا وأياديه فى لبات الانام دررا أحب شئ اليه وأهم أمر لديه ما يكون فيه نفع للديار الوطنية ووقع فى الاستكثار من وسائل المدنية وكذلك أمراؤه الكرام وأمناؤه الفخام ناسجون على منواله ناهجون سبل كماله فى محبة تقدم الاوطان وازدياد وسائل العمران ولولا ذلك ما اختص عصره الكريم دون الاعصار بمثل هذه الطرفة الجديدة من بدائع الآثار فهذه أول صحيفة أهلية ظهرت بهذه الحاضرة السعيدة وهذا

الفاضل

الفاضل أول فاتح لباب هذه المكرمة الحميدة وقد ظهرت عليها بشائر القبول ولاحت بشائر بلوغ المأمول وقرظتها الافاضل النجباء ومدحتها ألباء الأدباء والمرجو أن يدعوا عليها حسن رعايتهم ويوجهوا اليها وجهة عنايتهم ويشملوها على الدوام بمحاسن أنظارهم العالية وينفقوا عليها مما آتاهم الله من خزائن أفكارهم الحالية واني وان لم أكن من أهل هذا الشان ولا من فرسان ذلك الميدان قد عزمت على أني متى عنت فرصة امكان وأمكنت مساعدة زمان أكاتب مؤلفها دام علاه بما يتيسر ويفتح به الله عملا بما قلت من الخير وجريا على موجب ما أملت من الغير ثم أرجو أن أقبل من ضمن طالبيها ويكتب اسمي في أوائل عداد راغبيها والمسؤل من الله دوام حسن الحال وحسن المآل وبلوغ غايات الآمال من مطالب الكمال

ثم من لطائف الاتفاقيات وظرائف المناسبات أني غب تحرير هذه العبارة وتهنئة الوقائع بهذه الأخت البارة رأيت الجوائب اتخذت لها ولدا يكون لها ان شاء الله قوة وعددا وظهرا ويدا أقر الله به عينها وزاد به حلاها وزينها ودامت له ودام لها وبلغها الله من فضله مأملها وجعله ميمون النقيبة مأمون الشيبة طيب السمعة مبارك الطلعة سعيد الطالع جم المنافع كثير البر مديد العمر وافر الحظوة واسع الخطوة وما أحق ذا الناشئ الجديد وأليق هذا الطارئ السعيد بالنجابة والنجاح والفلاح والصلاح والطاعة والبراعة ورعاية الحقوق ومجانبة العقوق فانه نشأ في حجر الفضل الظاهر وغذي بدر الاصل الطاهر وتربى في مهد البيان الزاهر وتخرج في مكتب العرفان الباهر هذا الى كرم محتده وشرف مولده وحسبك لهذا النجل الكريم من الفأل العظيم أنه نشأ في مولد النبي عليه أفضل الصلاة وأكمل التسليم فلتهنأ به الجوائب وليهنأ بها ولتسعد بقربه ويسعد بقربها وليكن كما قال الله (ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين باذن ربها) ورزقها الله من أمثاله عددا وأبقاهما أمدا وأبدا وبورك في الاصل والفرع ودام لهما وبهما النفع ولازالا فرقدي سماء في سناو ثناء وفرسي رهان وشريكي عنان في بركة ونماء متمتعين ببلوغ الآمال طالعين طلوع النيرين في سماء الكمال

وكتب تقريظا على كتاب سر الليال

يامن علم آدم الاسما وأحاط بكل شيء علما وشرف موسى الكليم بسماع كلامه الكريم نحمدك على أفئدة هديتها ففهمت ما يراد وألسنة أجريتها افترجت

عن سر الفؤاد ونستنزل صلات صلاتك ومتواصلات تحياتك وبركاتك على أفصح كل ناطق بالضاد وأبلغ داع الى مهيع الرشاد النبي العربي الامين الذى اتيته كتابك المستبين بلسان عربى مبين وعلى آل بيته خيرة العرب الاكرمين وصحبه البررة الغر الميامين ملوك دولة البلاغة وولاتها وفرسان ميادين الفصاحة وكماتها وحماة حوزة البراعة وكفاتها وحملة أسرار الشريعة الشريفة ورواتها وأدلة الورى الى طرق الهدى وهداتها ما استخرج الماهر من قاموس هذه اللغة صحاح اللآل واستضاء السائر بمصباحها المنير فى دياجى الاشكال وفاز الساهر فى طلب المعالى بسر الليال وبعد فلا ريب فى أن هذا اللسان الذى استودعه الله البيان وأنزل به القرآن وانبعث به خير بنى عدنان هو أعذب اللغات وأحلاها وأظهرها دلالة وأجلاها وأرفعها رتبة وأعلاها وأعظمها قيمة وأغلاها لما اختص به من المزايا الباهره والاسرار الزاهره والمحاسن الباطنة والظاهره التى تقل الاعداد عن كثرتها وتقصر الآماد دون غايتها ولأنه لسان السنة والكتاب والآل والاصحاب والائمة المجتهدين ومدار الدين فبه يفهم التنزيل ويعلم التأويل وتستنبط الاحكام من الدليل ويتضح للافهام السبيل ولذا ترى غير أهله من الاوائل وأماثل العلماء الافاضل قد اختاروه على أصل لغاتهم وقصروا على خدمته جميع أوقاتهم وحصروا فيه كل مؤلفاتهم فلا تكاد تجد فى أصل لسانهم شيأ من مصنفاتهم حتى صاروا عربا بالطبع والاكتساب وان كانوا عجما بالاصول والانساب يعلم مصداق ذلك من تتبع كلام الزمخشرى ومثله فى هذا اللسان وأهله وذكر فضله وشرف محله ويعرف كيف كان حرصهم على هذه اللغة وتعلقهم بسببها وعنايتهم بها وكلفهم بحبها واعترافهم بفضلتها واعتكافهم على خدمتها ولخصائص هذا اللسان ومزاياه الحسان قد بقى مع ذهاب دوله وانقلاب أهله وانقطاع التكلم به على أصله ولولا ذلك لذهب عن آخره كما حصل لغيره من نظائره ولكنه لم يفنه تصرم الدهور وتصرف الامور بل هو أمتن دعائم وأبين معالم من تلك الالسن الغالبة على الالسن فمن ذلك أن عامة الامثال السائرة المتداولة بين الخاصة والعامة فى كل حاضرة من بعض الالسنة المشهورة فى هذه الاعصار الحاضرة لا يعرف أحد أصلها ولا أول قائل لها ولا كيف كان صاحبها استعملها مع افراد كثيرين لها بالتأليف واعتنائهم بحصرها فى التصنيف بخلاف الامثال الصادرة عن العرب فى الازمان الغابرة فانها يعلم قائلها وسببها وموردها ومضربها وان لسانا ترك استعماله على وجهه منذ مئين من السنين ثم بقى بهذه المثابة من الرجحان

على اللغات الحاضرة فى البيان والتبيين لأجل من أن يبرهن على تفضيله ويستدل على شرف قبيله ولا سبيل الى احسان هذا اللسان لمعانيه الا بعلم مفردات اللغة الجامع لمبانيه والمبين لمعانيه فهو أساس بنائه ومقباس أضوائه فوجب أن يكون لطلاب لسان العرب أوّل الطلب ونهاية الأرب وقد وفق الله فى كل عصر عظماء علمائه ونبهاء نبلائه لخدمة هذا العلم الشريف والقيام بازائه فأفادوا وأجادوا وبلغوا من احراز الثواب والصواب ما أرادوا ولكن طالما تمنت النفس على عزه مأمولها كتابا يميز بين فروع هذه اللغة وأصولها ويعلل وضع كل لفظة بازاء مدلولها فان كتب اللغة التى رأيناها وان عللت بعض كلماتها وردت معانى بعض المواد فى الجملة الى أصل مدلولاتها لكنها لم تلتزم ذلك فى جميع المواضع بحيث يظهر فى كل لفظة سر حكمة الواضع فلم توجد هذه البغية فيما وصلت اليد اليه والله سبحانه وتعالى أعلم بما لم نطلع عليه فلما أعوز الظفر بكتاب على ذلك الاسلوب وكادت تعجز الليالى الحبالى عن انتاج هذا المطلوب وفق الله لوذعى الفنون الادبية وألمعيها وأبا عبيدة هذه اللغة الكريمة العربية وأصمعيها خير سابق فى مضمار الفخار لا يلحق له غبار وأحمد فارس فى ميدان البيان لا يجارى فى مضمار ولا يصطلى له بنار ورافع رايات الفضل المبين على أرفع منار فخر هذا العصر على سوالف الاعصار والمتباهية بماله من بدائع الآثار جميع الامصار مفحم الاخصام بالقول الفصل ومفحم الايام بماله من الفضل آية الله فى فصاحة القول وبلاغته وغاية الغايات فى صناعة البيان وصياغته رب الصنائع الروائع والبدائه والبدائع والكلم النوابغ والحكم البوالغ والحجج الدوامغ واللطائف والطرائف والعوارف والمعارف صاحب الجوائب التى جابت الآفاق وأذعن بالتسليم لبراعتها جميع الفضلاء بالاتفاق فاستجد العزيمة العظيمة لهذا الشان وأجهد نفسه الكريمة فى خدمة هذا اللسان لالتقاط دره المكنون من زواخر البحار واستنباط سره المصون فى ضمائر الاستتار وأخلص لهذه اللغة البديعة هواها ولم يجعل فى منزلتها الرفيعة سواها فدان له عصيها ودنا له قصيها وفتحت له كنوزها وشرحت له رموزها وأجنته من بهى أزهارها الفائحة بطيب نشرها وناجته بخفى أسرارها المضنون على غيره بنشرها فاستوعب عجائبها المنعشة للفؤاد وغرائبها المدهشة لعقول الحساد وأوعب ذلك فى كتابه سر الليال البديع المثال الذى هو نتيجة سهر الليالى الطوال فى حب هذه اللغة العظيمة وخدمتها فأودعه ما يكشف عن الافهام القويمة غشاء غمتها وعلل أنحاء القلوب السليمة برمتها ويقتاد أهواء

النفوس الكريمة بأزمتها ويحل من صعاب المشكلات العقيمة وثاق أزمتها وقد أتحفني بنسخة الجزء الاول منه أدام الله اتحافه ووالى عليه ألطافه وواصل اسعاده وإسعافه فشاق ناظري روضة دانية المجاني من زواهر مبانيه وراق فكري جنة زاهية المغاني من بواهر معانيه فألفيت مالم يحط به باع الاطلاع قبله في كتاب ولا تعلقت به أطماع الاسماع في سالف الاحقاب من الفرائد الجمة والفوائد المهمة والنكت المطربة والتحقيقات المعجبة والابتكارات الفائقة والاشارات الشائقة فانه كشف أستار أسرار اللغة ومزاياها واستخرج خفايا الخبايا من زواياها ومن مزايا هذا الكتاب القاضية بفضله ردّ الفرع الى أصله وايراد الشيء في محله وسرد الموادّ على أسلوب حكيم وترتيب قويم استدعاه ايضاح تناسبها وابداء تجانسها وبيان أصل مدلولاتها ونسق معاني تلك المواد في أليق محلاتها على وضع رائع وصنع بارع تبينت به وجوه مأخذها وعلاقاتها ومناسباتها حتى انتظمت موادّ اللغة على هذا المثال كقلائد الدر وانسبكت في قالب الجمال والكمال كسبائك الذهب الحر مع اتباع كل دعوى ببيان بيناتها وجمع فرائد الفوائد من مظناتها واستدراك مافات صاحب القاموس على كثرة نفعه وغزارة جمعه من بيان يطلب أو مثل يضرب أو لفظة يرغب في اثباتها ومن مزايا هذا الكتاب الجليل ومحاسن أسلوبه الجميل تثبيت معاني اللغة في ذهن قارئه بكثرة مايمر به من التعليل وايراد الدليل فان المسألة اذا ذكرت بتعليلها وأتبعت بذكر دليلها كانت بالقلب أعلق وبالقبول أخلق مع تسهيل العبارة وتقريب الاشارة وترك التطويل الممل ومجانبة التقصير المخل الى غير ذلك من الخصائص التي تبهر بحسنها أرباب الالباب وتتقاصر دون أوصاف محاسنها أطناب الاطناب تقبل الله من مؤلفه الفاضل الجليل هذا السعي المشكور وضاعف له جزيل الاجور على هذا العمل الجميل المبرور انه غني شكور ولازال فخرا لارباب الادب وذخرا لطلاب لسان العرب على مدى الدهور ماازدهى في الدجى هلال وانتهى الى غاية كمال

وكتب مقرظا قاموس أقرب الموارد في فصح العربية والشوارد تأليف الفاضل سعيد أفندي الخوري الشرتوني اللبناني

(بسم الله الرحمن الرحيم)

نحمدك اللهم على لسان أجريته فأعرب عن شكرك وجنان هديته فاطمأن

بذكرك

بذكرك وأنت المحمود بكل لسان والمقصود بكل احسان ونصلي ونسلم على نبيك الأمين الهادى الى صراطك المستبين باللسان العربى المبين وعلى سائر اخوانه النبيين وآلهم وصحبهم الخيرة الطيبين وبعد فلا خفاء فى أن اللغة أساس متين لجميع العلوم والفنون لا يقوم الا عليه بناها ونبراس مبين لا ينبعث الا من صوب مشكاته سناها ودليل أمين لا يهتدى الا به لمعناها وماء معين لا تبلغ النفس من نقع صداها بغيره مناها وان للغة العربية من المزايا الجة والخصائص المهمة ماليس فيه فرية ولا يعتريه مرية كما علمه من عقلها وسلمه بالتقليد من جهلها ومن ثمة عُني بضم فوائدها ونظم فرائدها فى كل عصر سادة قادة وعلماء عظماء وأساتذة جهابذة أتوا بكل معجب مطرب بين موجز ومتوسط ومطنب ولم يخل مصنف كل مصنف من فائدة تقتنى وثمرة علم تجتنى وربما تجد فى مفضولها مالا تجد فى فاضلها ولا تظفر فى مشهورها بما تعثر به فى خاملها وقد تصدّى لجمع أشتات حسناتها واقتناص شواردها من مظناتها وغير مظناتها النبيه الفاضل البارع الماهر اللوذعى سعيد أفندى الشرتونى اللبنانى صاحب أقرب الموارد فى فصح العربية والشوارد وأطلعنى على جملة منه جميلة ومحاسن جليلة غير قليلة فوجدته قد سلك الى اللغة أقرب مواردها وسهل سبيلها لرائدها وواردها فى طراز جديد على أسلوب مفيد دنا به قصيها ودان له عصيها حتى حاش حوشيها وانس وحشيها وان تحاشى عن بذيها وتجافى عن قذيها ومن حسن الوضع فى هذا المؤلف الجميل ولطف الصنع من المؤلف النبيل تصديركل مادة فى أول السطر وفصل كل فرع من فروعها عما يليه فى الذكر وليس يغيب عن فهم الممارس النجيب والحاذق اللبيب ما يترتب على هذا الترتيب من التسهيل والتقريب وتخفيف مؤنة العناء فى البحث والتنقيب وبدون ذلك قد يضطر الباحث عن الكلمة أو الكلمتين الى استيعاب الصحيفة والصحيفتين بالمطالعة فى المراجعة بل تصفح الصحائف أو الاوراق ذوات العدد ويلزم لذلك ما يلزم من كثرة الكد والتلدد وطول الامد لاسيما ان كان يبحث عن المراد فى كتاب غزير المواد كثير السواد فربما عبر بالمرام فى خلال الكلام من غير أن يشعر به من كثرة عنائه فى طلبه فيحتاج الى استئناف العمل بغية الظفر بضالة الامل ثم قد يستفيد فى خلال هذه الحال من غير الغرض المقصود مالم يكن يخطر له على بال ولا تجهت له ركاب الآمال ونعمت الفائدة اذا كان الطالب فى عمله مخيرا ولم يكن الزمن محسوبا عليه مقترا والامد محدودا مقدرا يعرف هذا الامر بحقائقه من سلك مختلفات طرائقه ودفع الى مضايقه ووقع فى بوائقه ومن تمام حسن الوضع فى هذا المقام

انقسام الصحيفة الواحدة الى جملة من الاقسام تقليلا لمسافة البياض الذى اختير لذلك المرام ولو طالت مسافة السطور لزاد عما يرام وتلك طريقة سديدة وان تكن فى الكتب العربية جديدة ومن طرائق السداد فى هذا المؤلف المستجاد افراد الاعلام والمصطلح والمولد عن غيرها من المواد ليلتمسها فى حيزها المختص بها من أراد وذلك أيسر فى الطلب وأقرب لتحصيل الأرب فى لغة العرب ومن براعته فى اختصار عبارته الايماء الى أبواب الفعل الثلاثى بالرمز اليسير بدل التعبير باللفظ الكثير الى غير ذلك من المزايا الباهرة والمحاسن الزاهرة مع غزارة الجمع وكثرة النفع وحسن ديباجة الكلام وقرب متناوله إلى الافهام الى غير ذلك مما يعلم من مطالعته ويظهر فى أثناء مراجعته فهو مما توجه له النواظر وتتجه اليه الخواطر وتعقد عليه الخناصر وهو بذلك حقيق وبالله تعالى التوفيق

وكتب تقريظا لكتاب المطالب الحسان فى أمور الدين وشعب الايمان للشيخ عبد الملك الفتنى

(بسم الله الرحمن الرحيم)

من المطالب الحسان حمد الملك المنان على جزيل الاحسان ومن أمور الدين وشعب الايمان الصلاة على أول عالم الامكان ونبى آخر الزمان صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه الذين تمسكوا بأهدابه فى محاسن آدابه فكانوا اقدوة المقتدين وصفوة المهتدين وأئمة الدين صلاة وسلاما دائمين إلى يوم الدين

وبعد فقد اطلعت على نبذة من هذه المطالب الحسان فى أمور الدين وشعب الايمان لمؤلف هذا الكتاب المستطاب علم العلماء الانجاب وعيلم العلوم والآداب مولانا الشيخ عبد الملك بن عبد الوهاب أجزل الله له الثواب وأخدم أفكاره الصواب وبلغه الطلاب ونفع به الطُّلاب فسرحت بها الطرف فى حديقة حقيقة وروضة فضل دقيقة جادها الصيّب الغزير وجاءها الطيب الكثير فزكا وردُها وزها وَرَدُها وتألفت أنوارها وتألقت أنوارها فكانت مسرة ناظر وقرة ناظر قد جمع بها حرسه الله تعالى الافادة والاجادة وغزارة المادة وسهولة الجادة ودقة المعنى ورقة المبنى إلى حسن الاسلوب فى ايراد المطلوب ولطف الاشارة فى ظرف العبارة وحلاها فزاد حُلاها بما علق عليها من فرائد بيان وبديع معان حسان قد جمعت الحسن والاحسان وأبرزت خبايا الخفايا إلى العيان وجلت الافهام وجلت الاوهام

وجلت

وجلت كرائم المعانى على خطابها الكرام سافرة اللثام وصيرت صعب المرام فى وعر المقام على طرف الثمام ورصعها بما أوردها من آى الكتاب المعظم وحديث سيدنا الرسول المجتبى المكرم وأصدق الحديث كتاب الله تعالى وخير الهدى هدى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكل خير فيهما ومنهما ولا معدل للبيب الاريب عنهما وقديما قلت فيهما

من طيب رياهما تمسك (١) * وبالعرى منهما تمسك
ولا تحد عنهما سبيلا * وحاذر النار أن تمسك

نعوذ بك اللهم من مفارقتهما فى قول أو عمل أو اعتقاد ونسألك أن تهدينا بالتوفيق لموافقتهما سبيل الرشاد وتجعلنا ممن ائتمر بهما وانتهى والى الخير والكمال انتهى

وكتب مقرظا كتاب نور الانصاف فى كشف ظلمة الخلاف

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

بحمدك اللهم نهتدى بنور الانصاف فى كشف ظلمة الخلاف وبالصلاة على أكرم الشفعاء عليك نتقرب زلفى ونبتغى الوسيلة اليك اللهم صل عليه صلاة تجزل لنا بها الكرامة وتنفعنا ببركته وبركتها فى أحوال الدنيا وأهوال القيامة وسلم تسليما كثيرا أما بعد فقد اطلعت على طرف كثير التحف والطرف غزير المصادر والموارد جم الفوائد والشوارد من كتاب نور الانصاف فى كشف ظلمة الخلاف نضر الله بآثار مؤلفه وأفكاره الأيام وكشف ببوارق أنواره وأسراره ظلام الاوهام فسرحت الطرف منه فى عقد نضيد من الدر الفريد وكفى من القلادة ما أحاط بالجيد فاذا هو سفر أسفر عن طول باع فى الاطلاع ويد فى صناعة الصياغة صناع وقلم فى البراعة مطواع وأمر فى دولة البلاغة مطاع وقلب بنور النبوة منير وعذب من مشارب الولاية نمير وعلم فى الظاهر والباطن غزير وعلم فى الشريعة والحقيقة شهير قد رصع من فصوص النصوص بالدرر الغالية وتضوع من آثار السلف

(١) قوله تمسك الاول أمر من التمسك بمعنى التطيب من المسك كما فى قوله صلى الله عليه وسلم لعائشة أم المؤمنين رضى الله عنها فى الحيض «خذى فرصة فتمسكى بها» والثانى من التمسك بمعنى الاعتصام يقال تمسك ومسك بالتاء وبدونها بمعنى اعتصم ومن الثانى قوله تعالى والذين يمسكون بالكتاب والثالث مضارع للغائبة من المس اه منه

الصالح بالمسك والغالية فوفى المقام حق المقال ورقى الكلام أوج الكمال من غير اطالة تورث الملالة أواقلال يستوجب الاخلال (كلاطرفى كل الامور ذميم) وخير الامور أوساطها وبلاغة الكلام مطابقته لمقتضى المقام ولاغرو فؤلفه رضى الله عنه علم الاعلام ونور الظلام وبدر التمام وجمال الايام وبركة الانام غصن الشجرة النبوية الميمونة وفرع الدوحة العلية المصونة ناصر الشريعة وشيخ الطريقة وإمام الحقيقة ومقتدى الامة وسراج الملة السيد السند العلامة الفهامة أبو الهدى الشيخ محمد أفندى الصيادى صاحب المصنفات التى عم نفعها العالمين وعظم وقعها لدى المتعلمين والعالمين والامر أشهر من أن يذكر والشئ من معدنه لا ينكر أدام الله تعالى النفع ببركاته الظاهرة وبركات أسلافه الطاهرة ونفحات لمحاتهم الفاخرة فى الدين والدنيا والآخرة

(وكتب مقرظا خلاصة الفرائض)

من خلاصة الفرائض الحمد لله الذى أورث من اصطفى من عباده الكتاب ووفر نصيب من لم يحجبه عن القربة لديه حجاب نحمده حمدا نستضىء بسراجه فى الدجى اذا الليل خطب دجا والصلاة والسلام على مولانا وسيدنا أبى القاسم وصحبه الأنجاب الوارثين لعلم شرعه الدائم القائم الى يوم الحساب صلى الله عليه وعليهم صلاة نستمنح بها المرتجى فلا نجد من دونها بابا مرتجا وسلم تسليما كثيرا الى يوم الدين يوم يرث الله الارض ومن عليها وهو خير الوارثين وبعد فاولى الناس بالمديح والثناء المليح قوم وقفوا على العلم كدهم وكدهم وصرفوا عليه جدهم ووجدهم يرفعون ناره ويعلون مناره وينشرون أنواره ويستثمرون أنواره ويورثونه لاخلافهم كما ورثوا عن أسلافهم ويا طالما نحا نحوهم وحذا حذوهم الفاضل المفضال كثير الافضال جمال الايام والليال مولانا الشيخ عبد الملك ابن الشيخ عبد الوهاب الفتنى المكى المدنى صاحب خلاصة الفرائض نظم السراجية بلغه الله خلاصة أمله وأتم نور سراج عمله وشمله من بحر فضله بنظم شمله فكم أطلعنى على تأليف له تألفه النفوس لطفا وتصبو اليه القلوب ظرفا وتحتسبه الافهام ضربا وتهتز له المعاطف عجبا وطربا من ذلك نظم السراجية المذكور فهو سراج يستضاء به فى غياهب الديجور وكوكب يشرق منه فى أفق العلم نور على نور قد جمع به مسائل العلم جمع الصحيح ونفى الرغوة عن الصريح وشرحه شرحا لم يجتزئ فيه بالتلميح والتلويح دون التوضيح

والتصريح

والتصريح وحلاه بزوائد فوائد زاد بها جماله وتم بهائها كماله فصار كتابا يغني عن كتب ويأتي بالطلب عن كثب ويكفي مؤنة كثير من النصب والتعب وقد كان علي حقا وإخاء أن أوفيه حقه تقريظا وإطراء لولا أني تركت الكتابة وأدواتها زمانا وأوسعت النظم والنثر هجرانا تناسيا أو نسيانا فلم أعرهما قلما ولا لسانا والضرورة حكم تقضيه وإن كنت لا ترتضيه

برغم شبيب فارق السيف كفه * وكانا على العلات يصطحبان

على أن هذا التأليف وقد تقدم له الطبع وعم به النفع وتداوله النظر والسمع قد أغنى العيان فيه عن البيان ولم يبق في تقريظه مجال لرهان ولا في دعوى تقدم حاجته الى حجة وبرهان أدام الله بمؤلفه نفع العباد وبلغه من خير المراد غاية ما يراد

وكتب تقريظا لرسالة المبنيات

بسم الله الرحمن الرحيم

يحمدك اللهم عبدك بناء على أنك رب العبيد وأهل الثناء والحمد وذو الآلاء والمجد حمدا تلزمه به حالة الاعتدال وتسلمه من شائبة الاعتلال ولا تسلمه لعوامل الفتنة والاختلال مصليا على صاحب الفتح المبين الذي ضممت به كلمة الدين وكسرت به شوكة المعتدين وعلى آله وصحبه الذين سكنت قلوبهم إلى محبته فتحركت ألسنتهم بمدحته وبنوا أعمالهم في حركاتهم وسكناتهم على أساس حكمته صلى الله وسلم عليه وعليهم أجمعين وعلى كل من نحا نحوهم في تشييد قواعد الحق والدين صلاة وسلاما دائمي النماء قائمي البناء الى يوم الدين

وبعد فلما كان أحب عباد الله الى الله سبحانه أنفعهم لعباده كان على كل عبد لله أن يجعل بغية مراده وغاية مراده تعميم النفع لعباد الله بقدر اجتهاده كل بحسب ما آتاه الله من علم وأعطاه من فهم وأولاه من صناعه وولاه من استطاعه تقربا الى مولاه بخير ما لديه والتماسا لرضاه وتحببا اليه ومن ثمة كان دأب الجهابذة العظماء من الاساتذة العلماء تدوين ما عندهم من العلم في بطون الصحائف وتعميم المنفعة لخلق الله بنشر ما لديهم من اللطائف تخليدا للنفع والاجر وتقربا الى الله سبحانه بهذا القدر فتلك صناعتهم وبضاعتهم واستطاعتهم وطاعتهم ولولا ذلك لتقوض بناء العلوم وخلت منها الديار وعفت الرسوم ولم يزل والحمد لله في هذا

العصر كأمر فى كل عصر أعلام من أماجده دأبهم إعلاء بناء العلم على محكم قواعده وتقريب متناول الفهم لقاصده وتمهيد سبيله لرائد فوائده منهم العلم العلام والنحرير الهمام مولانا الشيخ عبد الملك بن عبد الوهاب الفتنى وهبه الله المرام وملكه فوق مارام وجمل بأيامه الايام ونفع بصواب أفهامه الأنام ونقع بصوب أقلامه الأوام فهذه الرسالة رسالة المبنيات من بديع ماله من الحسنات والمحاسن البينات وقد اطلعت على مواضع منها تدل لسائرها دلالة الاشباه والنظائر على أشباهها ونظائرها ولقد رأى المليحة من رأى محياها ومن رشف رشفة من زجاجة درى حياها ومن تنسم عرف غالية عرف رياها فوجدته حرسه الله قد أجاد وأجدى وجاء بما اهدى وأهدى وأبدع بما أفاد فيما أعاد وأبدى فجاءت طرفة تحفة غراء غناء باهرة زاهرة غزيرة المواد كثيرة النوادر والنواد على وضع نبيل وأسلوب جميل سهلة التناول والتحصيل حسنة التأصيل والتفصيل صحيحة الترتيب والتبويب مليحة التهذيب والتذهيب بمبان تشف عن معانيها شفيف الزجاجة الصافية عما فيها ومعان حسان تتسابق الى الاذهان تسابق خيل الرهان وجمل قد استوعبت الجمال واستوفت الكمال وبناء كنسق الدر رصفا ومشرب أرق من ماء الغمامة وأصفى وأشهى من رضاب الملياء رشفا وأشفى ومحاسن على التفصيل والاجمال لا أستطيع لها وصفا وفى حسن الغانية ما يغنى عن أوصافها وقد يربو على صفة المدام جرعة من سلافها وتقريظها بنفسها لنفسها أعلى وأغلى وشهادة لسان حالها لحالها أولى وأجلى والله يفتح لها بالقبول قلوب الانام ويختم لى ولمؤلفها حفظه الله بحسن الختام

الالغـــاز

قال ملغزا

ماشيء رفيع المقدار بديع الآثار جميل المنظر جليل الخبر والمخبر ظاهر الملاحـة والجمال يزرى بالغزالة ويفضح الغزال تصبو إليه النواظر وتميل له الخواطر وتألف حسن طلعته النفوس وتحلو على وجهه المليح معاطاة الكؤس فى خده شامة زادت حلاه وعلى وجهه بهجة زانت علاه قد عرف صناعة السباحة وألف عادة السياحـة فأدرك عجائب الأيام وغرائبها وطاف مشارق الارض ومغاربها وما شكى ألم المشقة ولا بعدت عليه الشقة وهو مع شرفه فى نفسه متواضع لأبناء جنسه يتقلب فى رفع وخفض وبسط وقبض وجزر ومد ووصل وصد وكثير له من الاسما لما علمت من شرف المسمى وسأذكر أربعة منها فعليك بالافصاح عنها أولها وهو أشهر الجميع ثلاثى وفيه التربيع وهو اسم جامد وان شئت كان فعلا مجردا عن الزوائد أو مصدرا ينبئ عن السهر وتحيير البصر والبياض والصفاء والكثرة والنماء وارواء الابل من الماء وان تلطفت فى تقليبه وتصرفت فى تركيبه دل على قطيع من الغنم وعلى ما يحفظ من العدم وأعرب عن إعجام الكتاب وتخطيط الثياب وربما أهدى الشيء الكثير وأسدى الثوب المنسوج بالحرير أو نبأ بتجريد الشيء عن قشره وسب الانسان بما يغض من قدره أو هدى إلى قرية فى الموصل وأخبر عن آفة تصيب حب الزرع فينزل واذا تركت بعض حروفه وراعيت حسن صروفه فهو من لوازم الشتاء أو دواء معروف بالشفاء وقد أشرت للاسم والمسمى بقولى

وغزال فاق الغزالة حسنا * وحكاها فى رفعة وتنائى
وعلى ثغره من المسك خالا * ن اسما الاحسنه كل رائى

ثانيها أربعة أحرف إن عددت وقل هى ثلاثة ان أردت وكل منها يفيد معنى اذا انفرد بذاته أو انضم لاحدى أخواته بعضه من ذوى المعارف وبعضه يستدعى العلم به من المعارف وهو إن شئت من آلات القتال وعدد الفرسان والابطال قد أحرز قصب السبق فى ميادين الحروب ورق مسلكه الى حبات القلوب وان رمت قل حيوان عدو مبين للانسان أو غلام مليح ذو وجه صبيح أو جماعة كرام من أصحاب النبى عليه السلام وفيه أقول

وخليلين في ائتلاف وود * لم تغيرهما صروف الليالي
لم يزالا في لذة واعتناق * بين ثوبي هوى وحسن وصال

فمن تأمل هذين البيتين عرفه بلا مين * ثالثها من ذوات الاربع وقد حاز الحسن أجمع نصفه لا يدل إلا على حرف واحد ونصفه الآخر حرفان بغير زائد بعضه من أئمة السنة والكتاب وباقيه قد تجمع من ملحد كذاب لا يؤمن بيوم الحساب ومن بحث عنه في المصحف وأنعم النظر وتلطف تبين له بعض أنبائه وجاء في سورة النصر نصف أجزائه وفيه أقول

ومليح لم ينثني عن هواه * قول واش ولا ملامة عاتب
جاء يزري ضياؤه كوكب الليل ويزهو بطرة وبحاجب

رابعها ثلاث حروف البته مع ان ثلثيه خمسة أوستة فاؤه من حروف المعاني ولامه حرف نوراني وليس في السبع المثاني وعينه من عباد الله الصالحين المشهورين في العبادة والدين

ملازم المسجد لا ينثني * عن سبل الرشد ونهج السداد
تراه دوما راكعا ساجدا * مشمرا في نفع كل العباد

فمن تكرم بحل هذا المعمى وشرح هذه الاوصاف والاسما فهو في الفطنة آية وفي الذكاء غاية

وقال ملغزا أيضا

ماشيء كثير النفع والضرر متباين الأشكال والصور تارة يدور بين الملوك والوزراء وطورا يجول بين الاغنياء والفقراء ومرة يجري بين الرعاع والامراء فله بين كل رجال مجال وفي كل مقام مقال كأنه أبو قلمون لانه في كل لون يكون طالما نهى وأمر وأغرى وزجر وسر وأحزن وأساء وأحسن وشكا وأشكى وأضحك وأبكى وأقبل وولى وعزل وولى وجر البند والعلم واستخدم السيف والقلم وانعقدت بسببه المحافل واضطربت به الجيوش والجحافل صحب آدم في الجنة فعظمت به المنة وكان مع نوح في الفلك المشحون ولحق يونس بن متى في جوف النون وأدرك إبرهيم في نار النمرود وكان أيضا مع أصحاب الاخدود واجتمع مع أصحاب الكهف والرقيم ولقيه في البقعة المباركة موسى الكليم وصحب المسيح ابن مريم من حين كان في المهد صبيا إلى ان رفعه الله مكانا عليا واتصل بسائر العباد في جميع الاقطار والبلاد وأحاط بجميع اللغات والحرف والصناعات

وأمور المعاش والمعاد والصلاح والفساد والسموات ومافيهما من الاملاك والنجوم والافلاك والارض ومافيها من البحار والانهار والزروع والاشجار والقرى والامصار وغير ذلك من كل مايخطر بالبال وبالجملة فقد جمع علوم الاولين والآخرين وكل ما كان ومايكون وماهو كائن الى يوم الدين وهو مع ذلك الشأن الارفع يعد من ذوات الاربع ويخطئ ويصيب ويظفر ويخيب ويسأل ويجيب ويزدرى ويحتقر ويعظم ويعتبر وقد يقع فى الرق فيجرى عليه التدبير والكتابة والعتق نصفه غالبا من أهل اليمين ويكون من الكرام الكاتبين وربعه ليس له فى أبناء جنسه قرين وآخره من كتاب رب العالمين واذا اجتمع أوله وآخره كان من المنافقين فاذا جاء قبل أحدهما الثالث كان من العشرة الاقربين واذا أخذ الثانى والرابع كان للمريض فيه منافع فاعرفه فهاهو بعينه فى الكلام واذا أردت فاستخرج أوله من آخره والسلام

المقـــامات

نفتتح هـذا الباب «بالمقامة الفكرية في المملكة الباطنيـة» وقد طبعت على حدتها بمطبعة وادي النيل سنة ١٢٨٩ هجرية ثم طبعت بروضة المدارس المصرية سـنة ١٢٩٠ هجرية وهي هذه

بسم الله الرحمن الرحيم

يا من له الملك والملكوت يارب الكبرياء والجبروت يا من هو الاول والآخر واليه المصير يا من هو الباطن والظاهر وهو على كل شيء قدير نحمدك اللهـم تبركا بذكرك ونسألك الاعانة على حسن شكرك ونستوهبك من صلات الصلاة أسماها ومن تسنيم التسليم والتحيات أسناها لحضرة نبي الخير والكرامة الهادي الى صراط الاستقامة وسبيل السلامة وآله وصحبه أولي البصيرة المعروفين بحسن السيرة والسريرة

(وبعد) فيقول راجي احسان ربه البليغ عبد الله فكري بن محمد بليغ قد كنت عثرت في بعض أسفاري سابقا الى القسطنطينية دار الخلافة السنية بكتاب لطيف الاسلوب باللغة التركية يعرف بالمملكة الباطنية وأصـله من بعض الالسـن الاجنبية فنقلته الى اللغة الشريفة العربية بصورة مقامة أدبيه وضممت اليه بعض زيادات أظنها لاتخـرج عن المطلوب وتصرفت في عباراته مع المحافظة على أصل الاسلوب وبالله الحول والطول وهذا أوان الشروع في القول

حـدثنا أبو المقال بن ذاكر عن الخيال بن خاطر قال قعدت أتفكر في عجائب الزمان وغرائب عالم الامكان ومافي صنيع الرحمن من بديع الاحسان ثم ما للانسان مع فصاحة اللسان من المزايا الحسان وما منحه الله من تمييز وما آتاه سبحانه من عقل غريز وبصـيرة تقوده الى هداه وترده عن مهاوي هواه ثم أخذت أتأمل ماقيل في هذه البصيرة تأمل الناقد فذكرت ماقيل من أنها في جميع أفراد العالم بقدر واحـد وماقيل من أنها تختلف في الانسان باختلاف الحال والشان والزمان والمكان ثم رجحت هذا القول على الاول وجعلت عليه المعول فكم بين الجاهل والعالم والمفرط والحازم والشيخ الكبير والصبي الصغير والناشئ في الامصار والذي في الجبال والقفار والمعاشر للعلماء والاتقياء والملازم للجهلاء والاشقياء فانا نرى بينهـم بونا كبيرا ونجد بين بصائرهم تفاوتا كثيرا الا أن كل واحد منهم فيه أصل البصيرة تحثه على الخير وتكفه عن الضير وتصعد به الى معارج الهدى وتبعد به عن مدارج الردى وانما تناقضها الشهوات والاغراض وتعارضها في بعض أمرها الامراض

والاعراض

والاعراض فتمانعها عن أعمالها وتعكس عليها بعض آمالها ولكنها مع ذلك لا تألو الجهد في مناصحة العقل وكفه عن السلوك في مسالك الغواية والجهل والكشف له عن حقائق الخير والشر والعرف والنكر والنفع والضر والحق والباطل والحلي والعاطل وحثه على التمسك باذيال العدل والاعتدال ومجانبة الافراط والتفريط في جميع الاحوال اذ لا يمكن الوصول الى السعادة الابدية والراحة السرمدية الا بهذا الاعتدال في جميع الاقوال والافعال فالعقل في المملكة الانسانية كالملك الكبير والبصيرة له بمنزلة الوزير الناصح المشير والهوى كالجليس الخائن والصاحب المائن المداهن فيستمد العقل برأى البصيرة في الامور فترشده الى الخيرات وترده عن الشرور الا اذا غلب الهوى على العقل باعانة الشهوات والجهل فانه يحسن له القبائح ويدعوه الى ارتكاب الفضائح واهمال ما تبديه البصيرة من النصائح فتحذره البصيرة سوء العواقب وتبين له ما في ذلك من المعايب والمعاطب ويحسن الهوى ما يدعو اليه ويحث الانسان عليه فيغطي على ما فيه من الآفات بما يكسوه من رداء الشهوات وغشاء اللذات فهو يموهه بالشهوة الحاضرة واللذة العاجلة والبصيرة تحذر من المضرة القابلة والتهلكة الآجلة فاذا احسن الهوى مثلا معارضة أحد في أمواله أو التعرض له بما يشين في شيء من أحواله بينت البصيرة ما في ذلك من العار والشنار وما يترتب عليه من الاخطار وسوء الذكرى مدى الاعصار فيموه الهوى بما في ذلك من لذة تقتنى وثمرة شهوة تجتنى فتعارضه البصيرة بان ذلك المظلوم ربما انتصر وان لم يعنه أحد فربما أعانه القدر وتضرب له المثل بعواقب الغادرين ومعاطب الماكرين وسوء أحوال الظالمين وما أصابهم في العالمين فيقول الهوى لله در الذي يقول

اذا هم ألقى بين عينيه عزمه * ونكب عن ذكر العواقب جانبا

فتقول البصيرة أحسن منه الذي يقول

واذا هممت بأمر سوء فاتئد * من قبل مورده طريق المصدر

والذي يقول

ولذة ساعة مرت فولت * وأبقت بعدها حسرات دهر

وهكذا حتى يغلب أحد الجانبين ويترجح واحد من المذهبين فمن غلبت بصيرته على هواه فاز بالمنى والسلامه ومن غلب هواه على بصيرته وقع في العنا والندامه كحال من يُغلّبُ على نصح النصوح المأمون غش الرفيق المنافق الخؤن ويستبدل قول الخبير العاقل بقول الغر الجاهل ومهما حصل لاحد البشر من شر وضرر أو خطا

وخطر فانما سببه اهمال رأي البصيرة في كبيرة من الامور أو صغيره وكم من صغيرة صارت كبيرة ورب شرارة صارت نارا وكلمة جرت دمارا وخربت ديارا وكم كثير أصله يسير وكل كبير أوله صغير قال الراجز

قد يلحق الصغير بالجليل (١) * وانما القرم من الافيل (٢)

* وسحق (٣) النخل من الفسيل (٤) *

وقال يزيد بن الحكم

فاعلم بني فانه * بالعلم ينتفع العليم

ان الامور دقيقها * مما يهيج له العظيم

وقال عنترة

قد يبعث الامر الكبير صغيره * حتى تظل له الدماء تصبب

ولا يكاد يخلو أحد من الناس حاشا من عصمه الله بتقواه من العدول ولو في بعض الامر عن موافقة العقل الى مرافقة هواه فمن مائل للتفريط والقصور ومن قائل بالافراط في جميع الامور والسعيد الموفق من يراعي الاعتدال في كل حال ومكان وان لم يقدر عليه في جميع الامور فعلى قدر الامكان والعجب أن كل واحد وان ضلت أعماله وخابت آماله وساء حاله ومآله انما يبغي سعادة الحال وراحة السر والبال ولهذا الغرض يسعى ويجد ويجتهد في تحصيله ويكد وعنده من العقل حاكم عادل ومن البصيرة ناصح عاقل وبهما يمكن له أن يتوصل لما أراد ويحصل على خيري المعاش والمعاد ثم تراه يبطل رأيهما ويعطل سعيهما ويرد ما يهديانه اليه من الرأي القويم ويصد عما يهديانه اليه من الصراط المستقيم فيفوت ما أراده من السعادة ومع ذلك لا يقلع عن هذه العادة وهذا لعمر الله عجب عجاب طالما كنت أسأل عن سره فلا أجاب فجلست أجيل قداح الانظار وأقدح فيه زناد الافكار وأحاول أن أقف على السر وأكشف الغطاء عن حقيقة الأمر وأعرف كيف يترك الانسان ما ينفع بما يضر ويشتري باختياره ما يحزن بما يسر ويخالف هذا الناصح الشفيق باهمال أمره بعد أن جرب شؤم ذلك في الكثير من عمره فما زلت أتفكر ويذهب التفكر جفاء وما تزداد المسألة الا خفاء ولا الشاردة الا جفاء حتى لاح لي شكل روحاني وشخص نوراني لم أشك في أنه ملك رباني يعرف بنور البصيرة

(١) الفحل (٢) الصغير من الابل (٣) طوال النخل جمع سحوق (٤) جمع فسيلة وهي النخلة الصغيرة اه

ويتصل

ويتصل بأصل السريره قد تجلى لى عيانا وشافهنى بيانا وقال خفف عليك هذا الحال فلا سبيل الى حل هذا الاشكال الا بسياحة بملكة الباطن ومعرفة ما فى تلك المواطن فانهض الى هذه السياحة لتبلغ ما تريد ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد فقلت أيها الملك السعيد من لى بهذا المرمى البعيد فقال ويكأن الله يفعل ما يريد ومسح بيده الكريمة وجهى وهو يقول فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد فغشيتنى حال أذهلتنى عن الوجود وشغلتنى عن كل موجود واذا بالانوار ظهرت ومملكة الباطن سفرت فبسملت وحمدلت وتقدمت فدخلت فاذا مملكة واسعة وأقطار شاسعة وخلائق مجتمعة وطرائق متبعة ومراحل ومنازل ومصانع ومعامل واذا أهل هذا الملك الكبير فى عدد كثير وجمع غزير وكلهم دائب فى خدمته دائم على همته لا يفتر عزمه ولا يفتر عما يلزمه وهم مع ذلك محترزون عن التعب والألم والمرض والسقم والهم والغم مائلون الى اللذات الانسية والشهوات النفسية لا يبتغون عن ذلك عوضا ولا يبغون سواه غرضا وفى هذه المملكة الجسمية كثير من المبانى العظيمة والديار اللطيفة والآثار الظريفة مما يروق الناظر ويعجب الخاطر وفيها أنهار دافقة وجداول رائقة ومجارى مياه متناسقة قد انقسمت فى انحائها لترتوى منها جميع أجزائها وهى مع كثرة تفرقها تتصل ببعضها وتدور على جميع أجزاء الجهة فى سمائها وأرضها وطولها وعرضها بدورة عجيبة وصورة غريبة لا تكاد تقف عليها الافكار كأنها تحجب دونها الابصار وهواء هذه المملكة فى الغالب حار ملائم الا أن هذا الامر ليس له بدائم بل هو كثير التبدل دائم التحول وكثيرا ما يحدث فيه من العواصف والرياح القواصف ما يعجز عنه وصف الواصف حتى يكاد يخرب المملكة ويجر على جميع أهلها التهلكة ورأيت أهلها أيضا متبدلى الاوضاع متلونى الاخلاق والطباع

فما تدوم على حال تكون بها * كما تلون فى أثوابها الغول

فتثور بينهم الشرور فى كثير من الامور لكثرة ما يقع من المعارضة والجدال والمناقضة لما بينهم من مباينة الاهواء ومخالفة الآراء وقد تعرض لهم الافكار المناسبة والآراء الصائبة فتخالفها اللذات والشهوات والاغراض والحاجات فالمروءة واللطف والمرحمة قد يعارضها حب الجاه والحرص على نفوذ الكلمة وكذلك الحلم والتدبر يعارضه الغضب والتهور وهكذا يخالف كل منهم قرناءه ويريد أن يروج آراءه ويحب أن يغتصب زمام الرياسة وأن ينفرد بالتدبير والسياسة فيشتد بينهم

النزاع والجدال ويكثر القيل والقال ويزيد الاختلال الى أن يجمعوا على شئ يقررونه وعند ذلك يجرونه وكان كل مايدور بينهم من الكلام ويجرى عندهم من الاحكام يختص بسياسة مملكتهم وادارة حركتهم ورأيت عندهم خمسة من الامراء وأكابر الوزراء فى مثابة السفراء يختص بهم معاملة الممالك الخارجية والمواصلة بينهم وبين الجهات الاجنبية يعرفون فى هذه المملكة الزاهرة بالحواس الخمس الظاهرة وأعجب مارأيت عندهم من سوء الحال ودواعى النكال وهو من أعظم الاسباب الداعية لوقوع الفتن والاختلال أن هؤلاء الوزراء يستشيرون فى بعض الامر جماعة تسمى بالاغراض النفسية من أهل الفساد وطائفة أيضا تسمى بالخصال الذميمة من أهل الشر والعناد والبغى والاستبداد والزيغ عن طريق السداد وكلاهما مصر على رأيه مصمم على غيه وبغيه فيشيرون بما يخالف صوب الصواب ويعاب عند ذوى الالباب ويمتزج مالهم من سقم الآراء بأقوال أولئك الخمسة الامراء وتسمع سائر رجال الدولة ماتلقيه هذه الحواس الخمس اليهم وهم يعتمدون فى جميع الاقوال عليهم ويثقون بما لديهم

واذا كان فى الانابيب خلف * وقع الطيش فى صدور الصعاد

فيسرى للجميع مايسرى من تلك الآراء السقيمة ويحدث عنها ما يحدث من الشرور والمصائب العظيمة الا أن حزب الاغراض بينهم تفاوت كبير ولهم اختلاف فى الطباع والاوضاع كثير فنهم الكريم الوقور والرحيم الصبور فهو يدعو الى الخير فى جميع الامور ويصد عن الفساد والشرور ومنهم من هو ذميم السيره خبيث السريرة مبغض للخير والبر محب للفساد والشر فيشير بما يضر البلاد والعباد واذا تولى سعى فى الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لايحب الفساد فلما رأيت هذه الاحوال الغريبة فى هذه المملكة العجيبة راعنى مارأيت من أمرها ولم أهتد الى خفى سرها وظننت أن ادارة الحكم فيها بالجمهورية لابالملك والاستقلال وزعمت أن ذلك سبب ماأراه فيها من الفتنة والاختلال كما يقع عادة فى الممالك الجمهورية من مثل هذه الاحوال بسبب مايظهر فيها من الفرق المتعارضة ومايكون لهم فى أحكامهم من الآراء المتناقضة فهذا ماذهبت بادئ بدء اليه وعولت فى توجيه أحوال المملكة عليه ولكن لم يتيسر لى فهم مارأيته بحقه ولم أعرف من بينهم أحدا أثق به وأعتمد على صدقه فبقيت متفكرا مضطربا متحيرا باهتا متغيرا متشوقا لمعرفة الحقيقة ولا أحد من يدلنى على الطريقة واذا شخص عظيم كأنه ملك كريم هو رئيس طائفة سرية تسمى عندهم بالمقاصد الخيرية يسعى دائما فى

تسكين

تسكين الفتن وإخماد نار المحن وإعادة الصلح والصلاح وتسنية أسباب النجاة والنجاح وتحصيل السعادة الأبدية والراحة السرمدية فعلم ما صرت اليه من الغربة ورثى لما أنا عليه من الكربة فنظر الىّ وأقبل علىّ وقال أيها المسكين والبائس الحزين قد علمت من أطوارك أنك رجل أريب وفهمت من عدم استقرارك أنك فى هذه المملكة غريب وانك متحير فى أمرك متردد فى فكرك تريد أن تعرف الامر ولا ترى من يعرّفك السر فرثيت لغربتك وأتيت لتفريج كربتك وسأعرفك هذه الاحوال خبرا وخبرا وأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا فقلت كأنك والله كوشفت بظاهر أمرى وخافيه وقد نفست عنى بقولك بعض ما كنت فيه فشكر الله لك هذا الفضل العظيم وان شئت اتمام الاكرام فعرفنى باسمك الكريم فقال اسمى الفراسة وقد منحنى الله قوة الكياسة وأطلعنى على خفايا السرائر فلا تخفى على خبايا الضمائر

ولا علم لى بالغيب الا طليعة * من الحزم لا يخفى عليها المغيب

ويرحم الله ابن الرومى حيث يقول

وخبىء الفؤاد يعلمه العا * قل قبل السماع بالايماء

وظنون الذكى أنفذ فى الحق سهاما من رؤية الاغبياء

فظنى والحمد لله هو النظر الصحيح ونظرى ولا كفران لله هو الكشف الصريح

فقد صرت لا آتى الذى أستزيده * ولا يذكر الشئ الذى لست أعرفه

وقد جئت لاهديك باذن الله السبيل وأكون لك فى هذه المملكة من قبيل الدليل وأشرح لك ما خفى من كل أمر غامض فاجعله واضحا جليا يا أبت إنى قد جاءنى من العلم ما لم يأتك فاتبعنى أهدك صراطا سويا فقلت قد أسبغت النعمه وكشفت الغمه فاخبرنى أولا عن الدولة الحاكمة فى هذه الامة فقال ليست كما تظن دولة جمهورية وانما هى سلطنة تحكم بالاستقلال والقائم بالحكم فيها ملك روحانى يرسل اليها من لدن مالك الملك ذى الجلال فيقوم بتدبيرها وادارة أمورها ورعاية مصالحها وملاحظة فاسدها وصالحها حتى تنتهى أيامه فتنقضى حينئذ أحكامه وقد قضت حكمة المليك القاهر على ذلك الملك الكريم الطاهر أن يقيم فى تخت هذه السلطنة من لحظة واحدة الى مائة سنة وان زاد على ذلك فنادر والله على ما يشاء قادر فاذا انتهى أمده المحدود ووافاه يومه الموعود خلع من هذه الرياسة والسياسة راغما وخرج على الفور من هذا الملك الذى كان فيه حاكما ليرى فى مآله جزاء أعماله يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون الا من أذن له الرحمن وقال صوابا يوم ينظر

المرء ماقدمت يداه ويقول الكافر ياليتني كنت ترابا يوم هم بارزون لا يخفى على الله منهم شيء لمن الملك اليوم لله الواحد القهار يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار فعند ذلك يحاسب هذا الامير على النقير والقطمير من كل ما عمل في هذه الحكومة الصعبة والملك الخطير فقلت سبحان الله أعليه صعوبة في ادارة المملكة مع ماله من عظيم الشرف وزيادة المكنة وشرف أرومته على أهل حكومته وهل يجد في ادارة حكومته مانعا أو يرى من رعيته ممانعا لاسيما وقد علموا مزيد فضله عليهم وارساله من قبل الحق سبحانه اليهم وانهم دونه بدرجات كبيرة وهو متميز عليهم بمزايا كثيرة فهم بالضرورة يسارعون لاجابة داعيه خصوصا وقد جربوا كثيرا من حسن تدبيره ويمن مساعيه فكيف يغفلون عن مآثره حتى يعرضوا عن أوامره أو يتعرضوا لمعارضته ويجسروا على مناقضته كلا بل مثل هذا الملك العاقل والحاكم الحكيم العادل تقابل أوامره بالقبول والاقبال ونواهيه بالطاعة والامتثال فيسهل عليه سياسة ماتحت حكمه من الامم كما يسهل على الراعي سياسة الغنم فمن أين تأتيه الصعوبة في اجراء الحكومة واصابة الغرض من أفعال البر المرومة فقال أنت في هذا الكلام معذور فانك لا تعلم حقائق هذه الامور

اذا ملكت قلب الفتى من أموره ظواهرها استعصت عليه السرائر

فاعلم أيدك الله بأنواره وأرشدك الى معرفة أسراره ان هذا الحاكم المعروف باسم العقل والمعبر عنه بالنفس الناطقة في كلام أهل الفضل لما ولاه الله هذه الحكومة السنية وأولاه هذه المملكة الكريمة الباطنية جعله مشاركا لأهلها في العلائق الانسية وجميع الاغراض الطبيعية والاشتياقات النفسية لتتم سعادة حالهم براحة بالهم ويظهر ماله من قوة الملكة وكمال الحكمة والحنكة فساعدهم في الطبيعة المادية وقاسمهم فيما لهم من الامور المعنوية فهو يتأثر بما يعرض لهم من الآفات ويتلذذ بما يرونه من المستلذات فمهما عرض في الحكومة أمر يتفاوض فيه أو يراد اجراؤه رجع فيه الى أقوال الخمسة الحواس الذين هم وكلاؤه وسفراؤه وأمراؤه وأمناؤه واستشار فيه من أكابر دولته وأعيان حضرته طائفتي الخصال الذميمة والاغراض النفسية وهم أيضا ندماؤه وقرناؤه فيشيرون عليه بما يشيرون ويدبرون له مايدبرون ثم لا يبت أمرا خيرا كان أو شرا حتى يعرفه بنفسه ويدركه بحسه وحتى يحصل عليه اجماع الجمهور وعلى ذلك تدور صعوبة الامور فتعال أوصلك الى محل ظريف لترى فيه هذا الملك الشريف وتدخل معي الى مجلسه

الكبير

الكبير وتسمع مايكون من المفاوضة في التدبير وتعلم حال من يدخل دار سلطنته من وزير وأمير وصغير وكبير واعلم أن من أحوال هذه الدولة ومقتضى قوانينها المرعية وعاداتها الشرعية أن لا يحتجب الملك أبدا عن أحد من افراد الرعية وذلك بلا تخصيص ومن غير استثناء فيدخل كل واحد منهم مجالسه العام في أي وقت شاء فلا يمنعهم أحد ولا يحصر الداخلين عدد ثم انه تقدم وأنشد

يا ابن الكرام ألا تدنو فتبصر ما قد حدثوك فما راء كمن سمعا

فزدت تحيرا بما سمعته ولكني سكت فسار وتبعته وقلت لعلي أرى ما يزيل حجاب الوهم ويفتح لي ان شاء الله باب الفهم فسرت في سبيلي والفراسة دليلي فعانيت في الطريق بعض تعب وشقا وعاينت بعض عقبات صعبة المرتقى ورأيت بعض موانع لم أكن أؤملها ولكن كان دليلي بقدر الطاقة يسهلها وصادفت بعض العوام الرعاع من سفلة الرعية والاتباع وقد علموا أني غريب في دورهم غير عالم بحقائق أمورهم فصاروا يشيرون الى بعض المسالك ويقولون ان حضرة سلطاننا هنالك يريدون أن يموهوا على بذلك وصاروا يترامزون والى جهتي يتغامزون ويقول بعضهم لبعض في السر انظروا الى هذا الجاهل الغُمر والاحمق الغر قد لقنوه أن حاكمنا العقل يسمى الروح والنفس الناطقة وظن هذا الغريب المسكين لجهالته أنها قضية صادقة ولم يعلم لحمقه ان الروح أمر غير موجود فجاء أرضنا يبحث عن شيء ليس له في الحقيقة وجود ومنهم من يقول قف عندنا فلا غاية بعدنا الى كثير من الرمز والايماء والطنز والاستهزاء واللوم والتقريع والطعن والتشنيع وكنت أسمع هذا الكلام وأتجلد لوقع سهام الملام ولا أعدل عن السبيل ولا أقصر في متابعة الدليل

قال لي حسن كل شيء تجلى بي تملى فقلت قصدي وراكا

فلما سرت غير بعيد في طلب هذا الملك السعيد رأيت بعض الظرفاء وظننته من العرفاء فتقدم الي وسلم علي وأشار الى محل سري يعرف بالقلب الصنوبري وقال اياك أن تتعداه ان كنت ممن يطلب هداه فنظرت فاذا جمع يفوق الحد ويفوت مراتب العد من خواص وعوام في احتشاد وازدحام وخلق اليه يهرعون ولديه يجتمعون وعنه يصدرون ويعقبهم آخرون لا ينقطع الوارد والصادر ولا يعرف الأول ولا الآخر فقلت لا شك ان هذا مجلس الملك ومركز مصالح الدولة ولم أرد أن أتخطى ذلك المكان وقلت ان كان ولا بد فههنا السلطان فأشار الي الدليل أن لا تقف فسترى ان شاء الله وتعرف فسمعت وأطعته وتقدم وتبعته وسرنا نطوى

المنازل ونقطع المراحل من طريق الى طريق حتى وصلنا الى مضيق خرجنا منه الى قبة بديعة على ربوة رفيعة يتصل بها كل ما اشتملت عليه المملكة فى جميع انحائها من مواردها وطرقاتها ومسالكها وجداول مائها وفى هذه القبة من الانوار اللامعة والاشعة الساطعة ما يعشى الابصار ويدهش النظار حتى لم يكد يتيسر لى تمييز من بها من الحضار لكثرة الانوار الا بامعان النظر واتعاب البصر فنظرت فى خلال لمعات الشعاع فاذا جماعات مختلفو الاوضاع متباينو الصور والهيآت والطباع ما بين صغير وكبير وطويل وقصير وقوى وضعيف وجسيم ونحيف وهم يعرفون بالاشتياقات واللذات والاغراض والاهواء ومع كل واحد مرآة كثيرة الاضلاع لماعة الشعاع ينعكس فيها ما فى القبة من الاضواء فيظهر كثير من الصور والاشكال والالوان البديعة المثال فكان بصرى يضعف عن مقاومة هذه الانوار وقلبى يتعجب من غرابة ما رأيت فى تلك الدار حتى انى لفرط ما هالنى من غرابة الامر وانه لم يسبق لى به عادة فى سالف العمر لم أميز فى أول الحال شكل العقل الحاكم فى ذلك القطر بوجه اليقين وعلى صورة التعيين لكن رأيت كثرة ماله من الانوار فوق ما لغيره من الحضار وما يعلوه من الهيبة والوقار فأخذت بالظن والتخمين أنه العقل المشهور وتأيد ما فهمته من ذلك باخبار دليلى المذكور ثم نظرت اليه فرأيت عنده امرأتين ظريفتين عفيفتين قد زانهما الحسن والجمال وعلاهما الأدب والكمال وفى يد كل واحدة شعلة تسطع نارها وتكاد تعشى الابصار أنوارها وعندهما جارية جثتها عارية وفى يدها مرآة كثيرة البريق مستورة بغشاء رقيق فكانت تديرها الىّ ولا تزال تجلوها علىّ فسألت الدليل عنهنّ فقال احداهنّ الاستقامة والثانية العفة والثالثة السلامة والملك يعتمد عليهنّ ويخشاهن ويركن اليهنّ ثم نظرت فاذا فى الطرف الآخر شابة ذات جمال فاخر ودلال ظاهر وحسن زاهر ومنظر باهر وهى تسحر العقول بألفاظها وتسخر القلوب بالحاظها

اذا أبصرت قلبا خليا من الهوى تقول له كن مغرما فيكون

وعلى رأسها تاج من الزهر كالكواكب لدى البدر ورأيتها تتكلم بفصاحة لسان وتتفنن فى أساليب البيان فلما وقع بصرى عليها لم أتمالك أن صبوت اليها وكدت أصير أسير جمالها ورهين حبالها وصريع نبالها فسألت دليلى عنها وقد تفرس ما أصابنى منها فقال هذه تعرف فى المملكة الانسانيه بالشهوة الحيوانيه وهى مع ما لها من الجمال عارية عن خلال الكمال مجبولة على المكر والخيانة والغدر وكم وراء هذا الحسن والزين من عار وشنار وشين

على

على وجه محيّ مسحة من ملاحة * وتحت الثياب العار لو كان باديا

فالحذر الحذر من مكرها والفرار الفرار من شرها ونكرها ولا تنظر لما فوق رأسها من الازهار ولكن انظر لما تحت قدمها من الأخطار فرجعت البصر اليها ونظرت لما تحت رجليها فاذا مهلكة شنيعه ومهواة فظيعه تهول الناظر وتروع الخاطر يسمع منها أنين ورنين وبكاء وحنين وصياح مرتفع ونحيب لا ينقطع تتصدع لفظاعته مرآها وسمعها الاكباد وتكاد تتزعزع لشدة هولها الاطواد فامتلأت فزعا وكاد ينخلع قلبي هلعا وجزعا وأدركني لمن وقع في هذه الورطة البعيدة الشقة من الرحمة والشفقة والرأفة والرقه ما يقل دونه البيان ويكلّ في وصفه اللسان فقلت إنا لله ولا حول ولا قوة إلا بالله كل هؤلاء أوقعتهم الشهوة في هذه الغائله ورمتهم بكيدها في هذه الورطة الهائله فنعوذ بك اللهم من الندامه ونسألك حسن السلامة والعفة والاستقامه ثم إني عذت بالله من شرها وصرفت نظري عن تلك الجهة بأسرها ودققت النظر في جهة ذلك الملك العادل لعلي أنسى ما رأيت من ذلك المنظر الهائل فاذا عند تخت سلطنته عن ميسرته وميمنته أمور عجيبه وأشياء غريبه تستوقف الطرف وتستدعي الوصف وبينها شخص مهيب المنظر عجيب الخبر والمخبر حديد المزاج بعيد العلاج قوي شديد عنيد مريد قليل التفكر والتدبر كثير التهور والتكبر وهو يلحظ الحاضرين شزرا ويوسعهم فحشا وهجرا ويكثر لمن يكلمه نهرا وزجرا وهو أرعن أحمق أهوج أخرق لا يمس شيأ إلا مزقه ولا يعالج أمرا إلا أتلفه وخرقه فقلت للدليل ما هذا الشخص العجيب فقال هذا هو الغضب ثم رأيت في طرف آخر شخصا نحيل البدن طويل الحزن أصفر اللون أحمر العين أضناه الهم وأفناه السقم والغم وباحدى يديه قدح فيه سم ناقع وفي اليد الأخرى منه سيف قاطع وهو لا ينفك يسكب السم على بدنه ورأسه ويجرح بذلك السيف الباتر أعضاء نفسه فقلت من هذا الشخص البادي الكمد البالي الجسد فقال هذا هو الحسد ثم رأيت شخصا رفيع المكان بديع البيان قوي الجنان في يده آلات لطيفه وأدوات ظريفه وأسلحة لماعه بديعة الصناعه فأعجبني حسنها وراقني لونها ولكني دققت النظر فرأيتها تقطر نجيعا وتتصبب سما نقيعا فقلت أعوذ بالله من هذا الذي أراه فقال هذا حب الجاه ثم نظرت فاذا شخص سيء الحال كاسف البال ظاهر البلبال رث الملبس قبيح المنظر والملبس في حالة يضحك منها المقهور ويستخف بها الوفور

وسخ الثوب والعمامة والبر * ذون والوجه والقفا والغلام

قد اعترته الامراض وغيرته الاغراض وأنحلته الهموم وأبلته الغموم وهو جالس على كرسي منصوب فوق رابية من ذهب مضروب وهو خائف من نفاده مجتهد في ازدياده وخلفه صبية يلعبون ويغنون ويطربون ويضربون بالدفوف ويصفقون بالكفوف رأيتهم يسارقونه النظر ويفرقون ماله شذر مذر فقلت من هذا اللئيم القح قال هذا هو الشح ورأيت عند العقل امرأة عاقلة كاملة فاضلة كاتبة حاسبة تكتب كلما رأته أو سمعته وتحفظ كلما استودعته في أقرب من وحي الكف وأسرع من لمح الطرف لا تذر جليلة ولا حقيرة ولا تغادر صغيرة ولا كبيرة وعندها شخص أبله يستغفلها ويسرق بعض ما سطرته وشيخ هرم يتلف كل ما بقي بعد ذلك مما حررته فعرفت أن الكاتبة هي القوة الحافظة في الانسان وذلك الابله هو النسيان وذلك الشيخ الهرم هو الزمان ثم رأيت الكرم في قبالة البخل وهو بمكانة من الشرف والفضل مرتفع القدر منشرح الصدر طاهر النفس ظاهر الأنس يجود من الموجود ولا يتكلف المفقود ولا يسرف في الجود ورأيت الكبر ثاني عطفه شامخا بين أقرانه بأنفه يأنف من أبناء جنسه وينفر من أسباب أنسه ويجرّ رداء التعالي ويخطر في رداء التغالي وينظر الى كل أحد نظر المبغض القالي وأمامه الدناءة قد لزمت صف النعال ورضيت بكل ما زان وشان من جميع الافعال ورفضت الانف ظهريا وجعلت الشرف شيأ فريا فهي مع الكبر في طرفي نقيض هو في الأوج وهي في الحضيض وهكذا كل شئ كنت أرى أمامه ضده وأشاهد ما يشاكله ويناسبه عنده

فقلت تعجبوا من صنع ربي * شبيه الشئ منجذب اليه

ورأيت بين الجميع العدل وهو أجلّ وزراء العقل كان في وسط الجميع جالسا في مكان رفيع وهو يصلح بينهم في جميع الاحوال ويدعوهم الى التوسط والاعتدال في جميع الاقوال والافعال فهو ينهى عن الاسراف والتبذير كما ينهى عن البخل والتقتير وينفر من الدناءة والاستكانه والذلة والمهانه كما يحذر من التكبر والانفة والتجبر وهكذا كان دأبه في جميع الامور يقبح الغلو والافراط كما يقبح التقصير والقصور وفي يده ميزان تخرج الشعره وتبين الذره وهي ميزان العدالة والسداد يرد بها ما نقص مثل ما يرد ما زاد ثم رأيت امرأة مخدره معظمة موقره يلوح عليها الجمال وتحيط بها أبهة الكمال ويبدو عليها اللطف والكرم ومحاسن الشيم وعلوّ الهمم ورأيت كل أحد يعظمها ويحبها ويكرمها الا جماعة من

الاسافل

الاسافل والأوباش الاراذل كانوا لايوقرونها بل رأيتهم يحقرونها ولكنها كانت لاتحفل بما يبديه أهل الفساد والشقاق كأنها لم تكن تنخدع بتملق أهل النفاق بل كانت تنظر فيما يعرض من الدعاوى والشكاوى بالعدل والحلم وتفصل فيها الحكم بالفطنة والذكاء والفضل والعلم ورأيت على رأسها اكليلا من الزهر لايذبل مدى الدهر فلا يزال يرف خضره ويتلألأ بهجة ونضره ويجلب للعين قرّه وللخاطر مسرّه وخلفها شخص مهيب الصورة صعب المراس يرفل فى سواد اللباس كأنه من بقايا بنى العباس وفى يده سوط مجدول يروع منظره القلب ويهول ورأيت العقل يخاطب كل من حضر فى ديوانه ويستشير هذه المرأة الفاضلة فى جميع شانه فعسر علىّ معرفة أمرها وسألت الدليل عن خبرها فقال هى البصيرة المعروفة بحسن آرائها وهى من نبهاء هذه الدولة ونبلائها وأعظم أمرائها ووزرائها وسلطاننا يوقرها ويخشاها ويحذرها ويحرص على استجلاب قلبها وارضائها ويستنهض العامة والخاصة لموافقة آرائها فتدور الامور على السداد وتطمئن البلاد والعباد ويتم المراد وقد يقع بينهما الشقاق وتنحل روابط الاتفاق فيظهر كل منهما لصاحبه الخصومه فتختل عند ذلك أمور الحكومه ويتغلب فى خلال ذلك الاختلال طائفة الاغراض النفسية والخصال المذمومه فيجدون فرصة لترويج ما يريدون من الشر والفساد ويجدّون فى اقامة الحكومة الجمهورية المضرة بهذه البلاد فيفسد حينئذ انتظام الاحوال ويعزلون حاكمنا العقل من ملكه الحاكم فيه بالاستقلال فتشتد المصائب وينوب المملكة مالا يحصر من النوائب ويتعدى أراذل الناس وأسافلهم على أعاظمهم وأمرائهم وينهبون كل ما ينتهون اليه من أموالهم وأشيائهم ويصرفون جميع الواردات فى السخف والسرف ويأتون بكل ما يؤدّى للتلف ويخل بالشرف من الظلم والغشم والنهب والغصب فتفتقر الاغنياء ويضمحل الفقراء ويعم البلاء ويعظم الاضطراب وتشرف المملكة على الخراب ويكاد يفضى هذا الحال والاختلال الى الوبال بالمرة والزوال لولا ذلك الشخص المهيب القابض على ذلك السوط العجيب الواقف خلف البصيرة على القدم المعروف فى هذه المملكة الباطنية بالندم فهو الذى يتأتى له حسم الفساد واعادة الصلح والصلاح بين العباد ويستخلص عنان السياسة من أيدى الاغراض النفسية والخصال الذميمة ويسلمه لحاكمنا العقل من يده الكريمة ويعيده لحالته القديمة وذلك بعد أن يؤدبه بذلك السوط الذى فى يده

من غير أن يراعى شرف سلطانه وعلو مسنده فتعود الاحوال لما كان من جمالها وتدور أمور الملك على محور كمالها فهذا حال الندم وصنعته وهذه مزيته فى هذه الدولة ومنفعته ولكنه قد يمنعه من أداء هذه الوظيفة فى بعض الاحيان امرأة تسمى الالفة وهى الجالسة فى ذلك المكان فانظر نظر المتأمل اليها وتأمل أيضا هذه السلسلة التى فى يديها فهى فى النظر صغيرة حقيرة وفى ميزان العقل ثقيلة خطيرة فانظر لسيماها وسحنة محياها تجدها ليس عندها من الغرض أثر وليس لها من الخير والشر فى نفسه نظر وانما تتعلق بمن يكثر تردده اليها وتكرر رؤيته على عينيها غير فارقة بين نافع وضار ولا بين فاجر وبار فهى كما قال أبو الطيب المتنبى

خلقت ألوفا لو رحلت الى الصبا * لفارقت شيبى موجع القلب باكيا

وهى وان كانت نحيفه فلا تظنها عاجزة ضعيفه فانها قد تخالف البصيرة فى آرائها وتغلب عليها فى بعض الامور باهوائها وحينئذ تتعسر النجاة والنجاح وينسد على الدولة باب الصلاح والفلاح ثم قال اذا وعيت ما دار بيننا من الاقوال فقد عرفت اجمال ما لهذه الخطة من الاحوال وقد رأيت بعض المواضع المهمة وأدركت عادات هذه الامة ورأيت معظم أعيانها وكبرائها وعلمت من يدخل مجالسها العالية من أمرائها فتعال بنا الآن نتقدم الى الامام لنسمع ما يدور فى المجلس العالى من الكلام ونطلع على ما يبرم به من الأحكام فانى أرى أربابه فى احتفال عظيم وأظنهم سيتفاوضون فى خطب جسيم فهلم لتسمع وترى وتعرف ما جرى ثم سار الى نحو تخت السلطنة المستوى عليه سلطان هذه الامكنة فسرت خلفه بين القائمين وجلست باشارته جهة اليمين وأنا أقول فى نفسى يا هل ترى ماذا أسمع بعد وماذا أرى فلما استقر بى المكان وجلست أتأمل بقدر الامكان اذا باحد السفراء الخمسة حضر وعرفت بالفراسة أنه النظر فقام أمام السلطان ما بين القوم وقال قد رأيت فى المملكة الفلانية كذا وكذا اليوم ثم قام من بعده السمع وقال بين أولئك الجمع أنا أيضا سمعت كيت وكيت وما كذبت فيما حكيت والله خير الشاهدين وما شهدنا الا بما علمنا وما كنا للغيب حافظين فقال الملك أيها الملأ بم تشيرون وماذا ترون فى هذه الحادثة وبم تأمرون فقام حب الجاه من مقامه واستدعى الحاضرين لسماع كلامه وخطب خطبة مد فيها أطناب الاطناب وأشار على الملك بما زعم انه الموافق لصوب الصواب وقال هذا هو الرأى الذى لا غبار عليه ولا ينبغى أن يشار الا له أو يسار الا اليه فان لنا فيه النصر ومزيد الجاه والفخر وسعادة الرعايا والشرف بين البرايا فقد أخلت تلك الدولة بجاهنا وعاملتنا بما

لا ينبغي لاشباهنا وطلب من العقل أن يوافق على الرأى المذكور ثم قعد مع كمال الابهة والعظمة والغرور فقال العجب لقد أجاد فيما أفاد وأشار بالحق والسداد فهذا رأى مقبول وأمر معقول يرشدنا الى الخير ويبعدنا عن الضير فلا ينبغى التأخر عن هذا الرأى السديد ونحن أولو قوة وأولو بأس شديد

اذا أنت لم تعرف لنفسك حقها * هوانا بها كانت على الناس أهونا

فقامت النخوة فى حسن روائها وهى تجر رداء كبريائها وتختال فى ثوب خيلائها وقالت نعم هذا رأى نافع فلا ينبغى أن يكون له ممانع وقد أصاب حب الجاه فى آرائه فلا ينبغى التعرض لمرائه فلما أكملت قولها وقعدت بين من حولها قام الغضب متنمرا وكلم الحاضرين متهورا وصار يلحظهم شزرا وكأن عينيه تقدحان شررا وهو يقول ياقوم أين عزبت أحلامكم وغربت أفهامكم أما آن أن توافقوا على هذا الرأى السديد والتدبير المفيد أليس فيكم رجل رشيد أما فيكم من يهمه حفظ ناموسنا والعناية بوقاية شرف نفوسنا أهذا الرأى مما يتردد فيه أو ينازع فى اجرائه نبيه أما فيكم من تحركه الحمية والعصبية وقد تهاونت بنا هذه الدولة الاجنبية فأخلت بعقامنا وأزرت على أحكامنا فلابد من ايذانها بالحرب والبروز معها الى مواقف الطعن والضرب وتكليمها بلسان الصارم العضب

فان عصيتم مقالى اليوم فاعترفوا * أن سوف تلقون خزيا ظاهر العار

ومازال فى مثل هذه الاقوال وهو يقوم ويقعد ويقرب ويبعد ويبرق ويرعد ويصوب ويصعد ويدعو لموافقة حب الجاه على الرأى الذى كان أبداه الى أن تحرك الحسد ووثب وثبة الاسد وقال ياقوم ماهذه الحيرة وأين الحمية والحماس والغيرة عليكم بهذا العدو فأنزلوا به النقمه واسلبوا عنه كل ماعنده من النعمه أما ترون ماله من المال وأسباب الزينة والجمال وموارد القوه وأسباب اليسار والثروه يوشك والله أن يضاهينا ويجارينا فى الفخار ويباهينا وربما يشرف علينا ويسود فمالنا لا ننظر اليه نظر الحسود ونثب عليه وثبة الاسود وننزل به النوب السود فلما أنهى مقاله قام البخل يجر أسماله ويمسح سباله وقدم مقدمة من علم تدبير المنزل وقال ياقوم مالكم عن الحكمة بمعزل انكم اذا قبلتم هذا التدبير وعدلتم فى اجرائه عن طريق التبذير كثرت علينا موارد الغنى وبلغنا غايات المنى وهكذا كان كل يبدى أفهامه ويروج على الحاضرين أوهامه والملك يستمع استماع الاريب ولكنه ينظر اليهم نظر المستريب فنهض الجود والخمول والجمود وتعرضوا لمعارضة هذه الجنود وقاموا بين الجلاس لكن فى أخريات الناس وقالوا قد

تعدّى الغضب وقومه جدا وجاؤا من ذلك الرأى شيأ إدّا مالنا وللنزال والنضال والتعرض للنبال والنصال فاحذر أيها الملك منهم وذرهم وأعرض عنهم ولا تسمع آراءهم ولا تتبع أهواءهم فليس اتباع آرائهم من السنة ولا الفرض ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والارض

متى ترد الشفاء لكل غيظ * تكن مما يغيظك فى ازدياد

اذا لم تتسع أخلاق قوم * يضيق بها الفسيح من البلاد

ولم تأت هذه المملكة الاجنبية بما يغضبنا وان كانت أيضا لم تجئ فى الحقيقة بما يحيينا وهب أنها اهتضمتنا وأساءت الينا وظلمتنا فالاولى أن نصبر على أمرها ونطويها على غرها ونتغافل عن شرها ولله در الذى يقول

ولقد أمر على اللئيم يسبنى * فمضيت ثمت قلت لا يعنينى

والذى يقول

ليس الغبى بسيد فى قومه * لكن سيد قومه المتغابى

فقام الجبن مبتعدا ووقف فى آخر الجميع مرتعدا وأنشد

أرى خلل الرماد وميض جمر * ويوشك أن يكون له ضرام

فان النار بالعودين تورى * وان الحرب أولها كلام

وقال يا قوم مالنا نتهافت على المهلكة بالتعرض لقتال هذه المملكة واتقاء الشر أحزم والبقاء على النفس أحكم وليس للمرء رأس يدخره غير رأسه ولا نفس ينتفع بها بعد نفسه

ولو أن لى رأسين أذخر واحدا * وألقى المنايا بعد ذلك بواحد

لأقدمت فى الهيجاء اقدام باسل * ولم آل هيابا لوقع الشدائد

ولكن لى رأسا اذا ما فقدته * وفارقنى يوما فليس بعائد

وقال أبو دلامة

ولو كان لى نفسان كنت مقاتلا * باحداهما حتى تموت فأسلما

فتلاه الكسل متبعا وتكلم قاعدا مضطجعا وقال يا قوم ليس للراحة قيمة وليس مثلها للعاقل غنيمة وليس فى تعب النفس نفع ولو كان مع الراحة كما قيل صفع عنيت قول القائل

دع الهوينا واكتسب وانتصب * واكدح فنفس المرء كدّاحه

وكن عن الراحة فى معزل * فالصفع موجود مع الراحه

فقامت الاستكانة مع الخضوع وهما يذريان على الخدود سيل الدموع وقالا

أرفق مايكون اذا عز القرين أن تهون حتى تكفى أمره وتأمن شره ولله در أبي العتاهية حيث يقول

ساهل الناس اذا ماغضبوا * واذا عـز أخوك فهن

وقال محمود الوراق

دار الصديق اذا استشاط تغضبا * فالغيظ يخرج كامن الاحقاد

ولربما كان التغضب باعثا * لمثالب الآباء والأجداد

وقال السموأل

رب شتم سمعته فتصاممت وغى تركته فكفيت

(قال الناقل) ومازال كل من الحاضرين يبدى ماعنده ويبذل فى استمالة القوم لموافقته جهده فيقوم ضده يعارضه فيسفه رأيه ويناقضه فقال الصبر من صبر ظفر ومن عجل خجل وأنشد

وعاقبة الصبر الجميل جميلة * وأحسن أخلاق الرجال التصبر

ثم أنشد اصبر ولا تضجر من مطلب * فآفة الطالب أن يضجرا

أما ترى الحبل بتكراره * فى الصخرة الصماء قد أثرا

ثم تلا فى آخر الخطاب انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب فقال ضده

لا يصبر الحر تحت ضيم * وانما يصبر الحمار

وأنشد من حمد الصبر وحالاته * فلست بالحامد للصبر

كم جرعة للصبر جرعتها * أمر فى الذوق من الصبر

وقال الحلم من ملك نفسه سالمته أعداؤه ومن عرف بالحلم كثرت أنصاره وأوداؤه

لا تحسبن الحلم منك مذلة * ان الحليم هو الاعز الامنع

وقد قيل من غرس الحلم شجرا جنى العز ثمرا وقيل من غرس شجر الحلم اجتنى ثمر السلم ويقال ضبط النفس حجاب من المخافة وحلم ساعة يرد سبعين آفة وكظم الغيظ من محاسن المكرمات ومن لم يحلم عن كلمة سمع كلمات ثم أنشد لابى فراس

ما كنت مذ كنت الاطوع خلانى * ليست مؤاخذة الاخوان من شانى

يجنى الخليل فأستحلى جنايته * حتى أدل على حلمى واحسانى

يجنى على وأحنو دائما أبدا * لاشئ أحسن من حان على جانى

فقال ضده من عرف بالحلم كثرت الجراءة عليه وامتدت أيدى الناس بالاساءة اليه وقد قال السفاح اذا كان العفو مفسدة كان الحلم معجزة وأنشد لابى الطيب

كل حلم أتى بغير اقتدار * حجة لاجئ اليها اللئام

وقال غيره اذا كان حلم المرء عون عدوه * عليه فان الجهل أغنى وأنفع

وقامت الشجاعة تقول

يا نفس ان لم تقتلى تموتى * ان تسلمى اليوم فلن تفوتى

ثم قالت قد جاء فى الخبر إن الله يحب الشجاعة ولو على قتل حية أو عقرب وأى فائدة فى الجبن اذا لم يكن لنا من الموت مهرب

فقد تدرك الحادثات الجبان * ويسلم منها الشجاع البطل

وربما كان الجبن ذريعة الهلاك والاقدام سبب النجاة وقد قال أبو بكر رضى الله عنه احرص على الموت توهب لك الحياة

يرى الجبناء أن الجبن حزم * وتلك خديعة الطبع اللئيم

فقال ضدها ان الشجاعة تعريض للخطر وتوريط للنفس فى الضرر وقولهم فر فلان أخزاه الله خير من قولهم مات رحمه الله قال محمد بن حمزة

باتت تشجعنى هند وقد علمت * أن الشجاعة مقرون بها العطب

يا هند لا والذى حج الحجيج له * ما يشتهى الموت عندى من له أرب

وقالوا من جبن سلم ومن تهور ندم وقالوا السلم أزكى للمال وأبقى لأنفس الرجال وأنشدوا

ما ذاق همّا كالشجاع ولا خلا * بمسرة كالعاجز المتوانى

وقال الجود من جاد بالمال نال الآمال واستمال الرجال وسلمت نفسه من الاوجال والسخاء من السنة ومن أخلاق أهل الجنة ويقال سادة الناس فى الدنيا الاسخياء وفى الآخرة الاتقياء وقالوا جود الرجل يحببه الى أضداده وبخله يبغضه الى أولاده وقالوا السخاء سخاآن سخاء نفس الرجل بما فى يده يصون به عرضه من ذم اللئام وسخاؤه بترك ما فى أيدى الناس يغلق عنه باب الملام ومن جمعهما فقد وهب أشرف أخلاق الكرام وتواطأ على مدحه الخاص والعام

والبر أكرم ما وعته حقيبة * والشكر أفضل ما حوته يدان

واذا الكريم مضى وولى عمره * كفل الثناء له بعمر ثان

وقال أبو الطيب

وأحسن شئ فى الورى وجه محسن * وأيمن كف فيهم كف منعم

وأشرفهم من كان أشرف همة * وأعظم إقداما على كل معظم

لمن تطلب الدنيا اذا لم ترد بها * سرور محب أو اساءة مجرم

وقال طاهر بن الحسين

لا نبخلن

لاتبخلن بدنيا وهى مقبـــلة * فليس يذهبها التبـــذير والسرف
فان تولت فأحرى أن تجـــودبها * فالحمـــد منها اذا ماأدبرت خلف

(فقال ضده) من أضاع ماله احتاج اليه ومن رشى عدوه أعانه عليه وقالوا ابقاء المال للاقارب خير من الاحتياج للاجانب وقالوا يوشك من أنفق سرفا أن يموت أسفا وقالوا ماوقع تبذير فى كثير الاهدمه ودمره ولا دخل تدبير فى قليل الا كثره وأثمره وربما عوقب المبذر بالافلاس وصار مثلة بين الناس قال ابن المعتز

يارب جود جرّ فقـــر امرئ * فقام للناس مقام الذليـــل
فاشدد عرى مالك واستبقه * فالبخل خـــير من سؤال البخيل

وكان بعضهم اذا الدرهـــم وافاه خاطبه وناجاه وقبـــله وفدّاه وقال له بابى أنت كم أرض قطعت وخامل رفعت وسرى وضـــعت ان لك عنـــدى أن لا تعرى وأنك لاتضحى ثم يلقيـــه فى الصندوق ويقول اسكن فى مكان لاتحول عنـــه ولا تخرج منـــه وكان للاعمش صـــديق من العمال عزل عن عمله وقد تأخر عليه مال للسلطان فحبس من أجله فقصده يسليه متوجعا لماهو فيه ودخل عليه وقد حضر وقت الغداء فرأى عنده لونا من الفالوذ فقال والله ما لازمت الوثاق الا بالاسراف فى الانفاق فلو قنعت نفسك وعفت يدك لم يكن فى مضيق السجن مقعدك وفى وصية بعضهم لولده وقد خاف عليه الدهر من بعده أى بنى قول لا يدفع البلا وقول نعم يزيل النعم وسماع الغناء برسام حاد يدخـــل على الانسان بالفساد لانه اذا سمع شرب واذا شرب طرب واذا طرب وهب واذا وهب عطب واذا عطب اعتـــل واذا اعتـــل جسمه انحل واذا انحل جسمه مات واذا مات فات والدرهـــم محموم ان حركته مات والدينار محبوس ان أطلقته طار وقد قيـــل اليمين الغموس تذر الديار بلاقع وانما يفعل ذلك الاسراف فى الواقع والاصدقاء هم الاعداء لانك ان احتجت اليهم منعوك واجتنبوك وان احتاجوا اليك ومنعتهم قرعوك وسبوك واذا لم يكن لك بدّ منهـــم فكن معهم كلاعب الشطرنج فى ستره يحفظ مامعـــه ويجتهد فى أخذ مامع غيره

(وقالت الاستشارة) المشورة لقاح الالباب ومفتاح النجح والصواب وقالوا من حق العـــاقل أن يضـــيف الى رأيه آراء العلماء ويجمع الى عقـــله عقول الحكماء ويقال المشورة من عزم الامور وحزم التدبير وسمـــات العاقلين وقال الله جل ذكره وشاورهم فى الامر فاذا عزمت فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين وقال الشاعر

شـــاور سواك اذا نابتك نائبـــة * يوما وان كنت من أهل المشورات
فالعـــين تبصر منها مانأى ودنا * ولاترى نفسهـــا الا بمـــرآة

(فقال ضدها) ان المشورة تردّد فى العزم ومفسدة فى القطع والجزم وكيف تستخلص الآراء والناس ذوو أغراض وأهواء وقد قيل

وما كل ذى رأى بمؤتيك نصحه * ولا كل مؤت نصحه بلبيب

(وقال التانى) الاناة حصن السلامة والعجلة بذار الندامة (وقد قال بعض السلف) ينبغى للامير أن يتثبت فى كل ما ينهى اليه ويتأنى ولا يعجل حتى يظهر سره ويقف عليه ويأخذ بأدب سليمان عليه السلام فيما حكاه الكتاب المبين حيث قال سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين وفى الخبر التأنى من الرحمن والعجلة من الشيطان ومن أمثالهم من تأنى نال ما تمنى وقال بعض الحكماء إياك والعجلة فانها تكنى أم الندامة لان صاحبها يقول قبل أن يعلم ويجيب قبل أن يفهم ويعزم قبل أن يفكر ويقطع قبل أن يقدّر ويحمد قبل أن يجرّب ويذم قبل أن يخبر ولن تصحب هذه الصفة أحدا الاصحب الندامة وجانب السلامة ويروى للنابغة

الرفق يمن والأناة سلامة * فتأنّ فى أمر تلاق نجاحا

وللقطامى

قد يدرك المتأنى بعض حاجته * وقد يكون مع المستعجل الزلل

(فقال ضدّه) قد قال بعض ذوى الالباب إياكم والتأنى فان الفرص تمرّ مرّ السحاب ومن مأثور الكلمات خير البر أعجله والتأخير آفات وكم أمر أخرته عن وقته ففات وقد قال الشاعر

وربما فات بعض القوم قصدهمو * مع التأنى وكان الحزم لو عجلوا

﴿ وقال الآخر ﴾

عيب الأناة وان طابت عواقبها * أن لا خلود وأن ليس الفتى حجرا

فقام العدل والاحتياط ووقفا فى وسط البساط وأنشدا قول الشاعر

القصد أولى من بلوغ الغاية * وكل شئ فاله نهاية

﴿ وقول الآخر ﴾

الاقتصاد فى الامور مملكه * والخرق شؤم وعناء ومهلكه

ثم قالا قد أفصح الحاضرون عن آرائهم على تباين أنحائهم وتخالف أغراضهم وأهوائهم ولا يخلو الناس من قاسط ومقسط ومفرّط فى الامور ومفرط ولكن لا يغب عنك أن حب التناهى غلط وأن خير الامور الوسط كما وردت به الاخبار ودل عليه النظر والاعتبار

فلا تغل فى شئ من الامر واقتصد * كلا طرفى كل الامور ذميم

فالشجاعة

فالشجاعة مثلا افراطها طيش وتهور والتفريط فيها جبن وخور وكلاهما باتفاق العقلاء وإجماع الفضلاء رذيله والتوسط بينهما هو الشجاعة المقبولة وهى الفضيله وهكذا الجود مثلا افراطه اسراف وتبذير والتفريط فيه شح وتقتير وكلاهما ذميم مقدوح والتوسط بينهما هو الجود الممدوح والشهوة مثلا افراطها شره وفجور وتفريطها خمود والتوسط بينهما بالعفة والاستقامة هو الفضيلة وهو المقصود والغضب افراطه حدة تجر لظلم الأنام وتفريطه بلادة تؤدى الى الانظلام وكلاهما قبيح مذموم والتوسط هو الممدوح فى جميع الاحكام فعلم من هذا المقال أن الفضيلة فى جميع الاحوال مقصورة على مركز الوسط ونقطة الاعتدال والانحراف عن الوسط المذكور لأحد الطرفين نقص وضلال ووقوع فى الوبال فهو الصراط المستقيم المسلوك للمهتدين غير المغضوب عليهم ولا الضالين وانما يكثر الوقوع فى الغلط لمزيد الصعوبة فى تعيين الوسط فهو فى نفس الامر أرق من الشعر وهو جسر ممدود على متن جهنم الشر والخطر موصل للسلامة كما أن صراط الآخرة مضروب على متن جهنم السعير موصل لدار المقامة ومحل الكرامة والمرور على ذلك الصراط الأخروى لازم للمرور على هذا الصراط الدنيوى فمن وافق صراط الاعتدال فى دنياه فى جميع الاحوال وافق الحق وفاز بالمرام ومر على صراط الاخرة يوم القيامة كلمحة البرق الخاطف الى دار السلام ومن انحرف عن صراط الاعتدال ذات اليمين أو ذات الشمال وقع فى الدنيا فى نيران مساوى الاخلاق والاعمال وانحرف كذلك عن صراط الآخرة فوقع فى نار العذاب والنكال ومن تمسك بهذا الصراط صراط الاعتدال المذكور مع التقصير بالانحراف عنه والعود اليه فى بعض الامور فسه فى دنياه بعض سوء الاعمال وكان عقباه حسن المآل فهو كذلك بهذه الحاله عند سلوك صراط الآخرة لامحاله فلا يزال يسقط ويرتفع ويقوم ويقع حتى يصل دار الثواب وينتهى لحسن المآب ولذا قال بعض الاولياء ان المرور على الصراط فى الحقيقة انما هو فى هذه الدنيا الحاضرة وذلك لما علم من أنه على حسبه يكون المرور يوم القيامة على صراط الآخرة فالسعيد السعيد من راعى الاعتدال فى جميع الاقوال والافعال والاحوال ثم الاعتدال فى كل زمان أو مكان بحسب حالة وبالنسبة لكل إنسان على حسب ما ينبغى له ولامثاله فرب أمر ممدوح فى زمان دون زمان أو مذموم فى مكان دون مكان أو ممدوح بالنسبة لانسان ومذموم بالنسبة لانسان وقد ورد عن قوم من الصحابة أنهم سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أفضل الاعمال فقال لبعضهم الصلاة ولبعضهم

الحج ولبعضهم الجهاد بحسب اختلاف الاحوال وقد أنشد أحد الصحابة الكرام بين يدى النبي عليه الصلاة والسلام

ولا خير فى حلم اذا لم يكن له * بوادر تحمى صفوه أن يكدرا
ولا خير فى جهل اذا لم يكن له * حليم اذا ما أورد الامر أصدرا

فأعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم بشعره وقال له لا يفضض الله فاك فلم تسقط أسنانه طول عمره وقال صالح بن جناح اللخمى

لئن كنت محتاجا الى الحلم اننى * الى الجهل فى بعض الاحايين أحوج
ولى فرس للحلم بالحلم ملجم * ولى فرس للجهل بالجهل مسرج
فمن رام تقويمى فانى مقوم * ومن رام تعويجى فانى معوج
وما كنت أرضى الجهل خلا ولا أخا * ولكننى أرضى به حين أحرج
فان قال بعض الناس فيه سماجة * فقد صدقوا والذل بالحر أسمج

﴿ وقال ابراهيم بن المهدى ﴾

اذا كنت بين الحلم والجهل واقفا * وخيرت أنى شئت فالحلم أفضل
ولكن اذا أنصفت من ليس منصفا * ولم يرض منك الحلم فالجهل أمثل
اذا جاءنى من يطلب الجهل عامدا * فانى سأعطيه الذى جاء يسأل
ولم أعطه إياه الا لانه * وان كان مكروها من الذل أجمل

﴿ وقال أبو الطيب ﴾

اذا أنت أكرمت الكريم ملكته * وان أنت أكرمت اللئيم تمردا
فوضع الندى فى موضع السيف بالعلا * مضر كوضع السيف فى موضع الندى

ثم قال اذا تقرر ما ذكرناه وعلم ما قررناه فقتضى الاعتدال فى أمر الاجنبى الذى بلغنا عنه ما سمعناه أن ننظر فيما نقل عنه ونتأمل لفظه ومعناه ونعامله بما يقتضيه من سلم وقتال وجلاد وجدال على حسب الامر إن خيرا فخير وإن شرا فشر وهكذا ينبغى أن يكون حال المامع غيره فنسير مع كل أحد من الناس بحسب سيره فلا نسىء الامن أساء ولا نجازى الا حق الجزاء ولقد تأملت فيما نقل عن هذا الاجنبى الينا فلم أجد فيه ما يؤخذ منه التهاون بنا أو التطاول علينا فلا نبغى عليه لئلا نكون من الآثمين ولا نظلمه بغير جرم فان الله لا يحب الظالمين ثم تلا قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين) فنهض الانصاف ورفع الخلاف وصدق كل ما قاله العدل وأتى من بديع البيان بالقول الفصل وقامت أيضا الاستقامة فصدقت وتلتها الحقانية

فأثنت

فاثبتت الامر وحققت الأأن الملك لم يزل مترددا فى أمره شاكا فى خير الامر وشره فكان يقدم رجلا ويؤخر أخرى ولا يدرى أى الامرين أحرى فقالت البصيرة الآن لم يبق للتردد مكان وقد وضح الصبح لمن له عينان وقد تميز الحلى من العاطل وجاء الحق وزهق الباطل وقد تحققت بحمد الله الحقائق بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق فدع التردد وعلى الله الاعتماد

اذا كنت ذا رأى فكن ذا عزيمة * ولا تك بالترداد للرأى مفسدا

ولا يجوز اتباع ما أبدته الاغراض النفسية من آرائها المدخوله مع وجود ما أبدته الحقانية والاستقامة من الصورة المقبوله والادلة المعقوله أما علمت أن متابعة الفجار ومطاوعة الاشرار مشاركة لهم فى الشرور وتباعد عن منازل السرور ثم صارت تبرز من القوانين الساطعة والبراهين القاطعه ما أبطلت به تلك الآراء السقيمه ونهت الملك عن العود الى موافقة تلك الاهواء العقيمه فهدته أحسن المسالك وانتهى الامر على ذلك (قال الحاكى) ثم أقبل شيخ وقور يلوح على أسارير وجهه النور ويظهر عليه الحمية والنخوة وتسايره الاستقامة وتتقدمه الشهوة اسمه التأهل والازدواج وأمره كثير الرواج فدخلت به الشهوة على الملك جهرا وأهدته على يديه فاكهة وزهرا فالتفت الملك الى البصيرة ليستشيرها ويستخرج فى أمر هذه الحادثة ضميرها فلما رأت مع الشهوة التأهل والاستقامة قالت هذه علامة الخير والكرامه وهذا مما نريده ولا نأباه فاذا عزمت فتوكل على الله فعطف الملك نحو الشهوة زمامه وقبل ما وضعته من الزهر والفاكهة أمامه ثم خرجت من بين يديه ورجعت بعد برهة اليه يكتنفها السكر وأضرابه والنكر وأترابه والافعال الرديئة والاحوال الدنيئة وبينهم كتم الاسرار بعضهم على اليمين والبعض على اليسار فتقدمت بهم أمام السلطان وقامت بينهم مقام الشيطان ومعها شئ كالعلبة المقفلة تبديه وتقدمه الى حضرة العقل الحاكم وتهديه وكتم السر يشير له بوضع اصبعه على فيه بأنه يحفظ هذا الامر ويخفيه فلا يظهر ما فيه فال الملك لقبول هذه العلبة المهداة اليه لولا نهضت العفة فتمثلت بين يديه واختطفت تلك العلبة من الشهوة وضربت بها الارض مع شدة ونخوه فلما رآها الحياء احمر لونه خجلا وستر وجهه بفضل كمه عجلا وتأوه متضررا وصاح متضجرا والعقل غير مقلع عن الميل للهدية المذكورة مطمئن بما أشار اليه كتم السر من عدم ظهور هذه الصورة حتى انه أراد أن يرفعها عن الارض اليه فلم تتمالك البصيرة أن قامت وأقبلت عليه ثم قالت ما هذا التسرع الى الشر والتهالك على هذا الامر ألم تعظك

مرارا النفس اللوامة ألم تعلم أن عاقبة هذه الأمور الندامة ألم تدر أنه لابد للزمان من ابدائها وان بذلت غاية الجهد فى اخفائها

ومهما يكن عند امرئ من خليقة * وان خالها تخفى على الناس تعلم

ألا تذكر أن عقباها فى هذه الدنيا العار وعقابها فى الآخرة عند الله النار ألم تسمع قول من قال

كذلك الحب لا اتيان معصية * لا خير فى لذة من بعدها سقر

أما تستحى من الله من ركوب هذه الآثام أما فى طيب الحلال غنية عن خبث الحرام ثم ما زالت به حتى رجع عن قصده وأخرج الشهوة المحفوفة بأولئك القوم من عنده

(قال الخيال) فلما رأيت هذه الأمور داخلنى الفرح والسرور وذلك لكثرة انتصار البصيرة على أعدائها ونصرتها الجماعة أصدقائها وأودائها ومجانبة الحاكم لرائها وانجذابه الى موافقة آرائها ثم انى التفت لدليلى الفراسة مكلما وقلت له مستفهما ومتعلما قد كنت أيها السيد النبيل والمرشد الى سواء السبيل ذكرت أن ادارة هذه الحكومة أمر عسير وأنا أرى الآن ان كل أمرها يسير فجميع الاحوال ههنا مستقيمة والادارة بحمد الله غير سقيمة نعم أرى هذه الاغراض والشهوات لا تنفك عن تلبيسها واستجلابها الملك الى طرائق الشرور وسفاسف الامور بسوء تدليسها ولكنه لا يخاف عليه من شرها ومكرها لكثرة ما لديه من الوسائل والوسائط لدفع ضرها ونكرها فها هو الحياء والعدل لديه والعفة والاستقامة بين يديه وكل يخصه بالنصح محضا ويرى ارشاده الى النجح فرضا وناهيك بالبصيرة من ناصحة ومشيرة تهديه صائب ارائها وتهديه لحسن اجرائها فهل يعقل مع ذلك أن يتطرق اليه مكايد الاغراض ودسائسها أو يروج لديه مفاسد الشهوات ووساوسها وما دام حال هذه المملكة جاريا على ذلك الاسلوب فهل يمكن أن تتعسر ادارة أمورها على الوجه المطلوب قال أراك لم تزل تنظر الى ظواهر الاحوال وتقضى فى كل ما رأيته بموجب الظن والاحتمال ثم أشار الى جهة قاصيه وقال انظر الى تلك المشؤمة الناصيه الآتية لهذه الناحية أعاذنا الله من شرها وأجارنا من نفثات سحرها فانها فاجرة ساحرة غادرة ماكره تسحر عيون هؤلاء الاعيان سريعا وتستغفل بقوة مكرها الناس جميعا وهمها اخلال الامور فى هذه المملكه وايقاع من بها من الخلق فى كل مهلكه وهى قادرة على هذه المفاسد لكثرة ما لها من ذرائع المكايد فان دخلت مرة فى هذه المجالس الشريفة غيرت كل ما تراه من أحوالنا اللطيفه فيختل هذا النظام ويعتل حال الانام ويتبدل الخير بالشر والنفع

بالضر

بالضر والحالى بالعاطل والحق بالباطل فقلت سبحان الله ماذا عسى يبلغ سحر هذه الفاجره وهل للسحر وقع فى مثل هذه الحاضرة الفاخره قال نعم له تأثير كبير ولا ينبئك مثل خبير عندنا ساحر وساحرة يترددان على هذه الحاضره أما الاول ويسمى الامل فنفعته لا تنكر ومزاياه فى هذه المملكة أكثر من أن تذكر فانه يحث كل أحد على الاجتهاد بما يعده ويمنيه من بلوغ المراد وقد يخالف الشيء ويخالف الاستقامة فى بعض الامر ويموه على الناس بقوة ماله يه من صنائع السحر ولكنا نطوى به على غره ولا نعارضه فى كل أمره بل نعينه فى أحواله بترويج بعض أقواله اذ لولا وجود هذا الامل وماله فى عقول الانام من العمل لنظروا الى أن هذه الدنيا باطلة وحينئذ تصبح أمورها عاطلة فلا ترى فيها من العمارة والانتظام ما ترى وقد ورد لولا الامل ما أرضعت أم ولدا ولا غرس غارس شجرا نعم فى الناس من يعرض عن هذه الدنيا بعلة فنائها ويرجح الموت على الحياة فيما بين أبنائها فهو لا ينظر الى الأمل ولا يعول على العمل ولكن هذا القبيل نادر قليل وأكثر الناس قائلون بالاعمال مائلون الى بضائع الآمال حتى ان الحقيقة فى كثير من الأمور قد تستعين بالأمل المذكور وأما تلك الساحرة فاسمها الغفلة ودأبها الشر فى التفصيل والجملة وقد عمت هذا العالم بكيدها وصيرت كل بنى آدم فى قيدها فادخل فى هذه الدنيا أحد وان جل الا كان لها عليه تسلط وان قل الا ان حفه الله بالعصمة واستخلصه من هذه الوصمة ومن عجائب سرها وغرائب سحرها أنها تدخل كل مكان ولا يراها أحد يكون من كان حتى انها تستولى على الرجل قسرا وتملكه اقتناصا وأسرا وتحكم على بصره وبصيرته وتحكم فى ظاهره وسريرته فلا يرى الا ما تريه ولا يجرى الا حيث تجريه ولا يتقلب الا فى يديها ولا ينصرف عنها الا اليها وهو مع ذلك لا يراها ولا يشعر بأمرها ولا يحس بأنه فى حوزة ملكها وقبضة قهرها حتى لو نسبه ناسب اليها أو دله أحد مرة عليها لتبرأ منها ونزه نفسه عنها وزعم أنها لا سبيل لها عليه وانها لم تصل فى مدة عمره اليه وهذه الساحرة من أعظم الاضداد للحقيقة الاصليه وأكبر الاعداء للاستقامة العقليه وكثيرا ما تتشكل بصورة الاستقامة المذكورة وتحيل على ترويج زورها على الناس بهذه الصوره وتدخل فيما لا يحصر من الهيآت والصور وكذلك تصور كل شيء بغير صورته وتخيل بقوة السحر انه على أصل هيئته فتجعل الحق فى صورة الباطل والباطل فى صورة الحق وتبدى الصدق فى هيئة الكذب والكذب فى هيئة الصدق فلا يميز الاصل من الفرع ولا البدعة من سنة الشرع وهكذا تضل بسحرها القلوب وتخرج العقول عن نهج الاستقامة المطلوب حتى انها فى بعض

الاحيان تستغفل البصيرة مع قوة ادراكها وتستدرجها بقوة السحر حتى تقع فى حبائل أشراكها لكنى بما جعل الله لى سبحانه من الفطرة الملكيه وما آتانى بقدرته من شدة القوة الادراكيه لا يروج لدى زورها ولا تلتبس على أمورها فأنا أعرفها حق معرفتها على تغيير شكلها واختلاف صفتها وأفضحها اداعما على رؤس الاشهاد وأريد أن لا يقع فى شرك شرها العباد ولكن ما كل مره تسلم الجره فانما قد يغلب باطلها على حق ويروج الناس كذبها على صدق وأنا أناديهم فلا يسمعون وأناجيهم بالحقيقة فلا يعون وأنبههم فيغفلون وأفقههم فلا يعقلون وها أنا بما فى من القوة الملكية أريكها برأى العين لتبصر ما الهامع الخلق من وساوس المكر ودسائس المين فها هى تهيأ الأمر جسيم وتتجهز لايقاع سحر عظيم تعد له الحبال والعصى لتسحر الدانى به والقصى قال فبقيت متحيرا من عبارته ثم نظرت الى موضع اشارته فاذا ساحرة شريره خبيثة قصيره على وجهها نقاب المكر وفى يدها عصا السحر تقذفها الى جو السماء ثم تتلقفها من الهواء وهى تتلون تلون الحرباء وتتلاعب بجميع الاشياء وعليها ثياب غريبة الاشكال فيها من كل شكل ولون مثال ورأيتها تتباهى بزينتها ووشيها وعليها جلاجل كثيرة تصطخب عند مشيها ولكن حجبت دونها المسامع والابصار فلم يكن يشعر بها أحد من الحضار والحاصل أن هذه الساحرة جاءت فدخلت بين من حضر وجعلت تمس بعصاها السحرية كل من أدركت بالنظر فصارت صور القوم عند ذلك تتغير وهيآتهم تتبدل لقوة سحرها وتتنكر ورأيت الاشياء تنقلب الى صور أضدادها وغيرها حتى التبس ضرها بنفعها وزورها بحقها وشرها بخيرها فصار حب الجاه فى صورة علو الهمم وصار السرف والتبذير فى صورة الجود والكرم وصار الشح والتقتير فى صورة حسن التدبير وصار الفسق والفجور فى صورة الانس والحبور وصار الخداع والنفاق فى صورة المداراة والوفاق وصار الظلم فى صورة العدل وكذلك الفضول فى صورة الفضل والرياء فى صورة الصلاح والخسران فى صورة الفلاح وهكذا الى غير ذلك بحيث لم يبق أحد فى حالته الاوليه واغتر الخلق بهذه الصور المبدلة واشتبهت بالصور الاصليه ولحق ذلك التبديل والتغيير فتنة فى الارض وفساد كبير فاجتمع الهوى مع الاغراض الدنيئه والشهوة والخصال الرديئه وجاءت قضها بقضيضها من أوج المملكة وحضيضها وحشدوا عند العقل الحاكم وهم فى هيآت الفضائل والمكارم وصار كل يعده ويمنيه ويغريه بما لا خير فيه فكانوا يسوقونه للفاسد فى صورة الصحيح ويشوقونه للقبيح مستورا بشعار المليح وما منهم الا من يجر به الى جهته ويدلى اليه بشبهته واللغط بينهم

مرتفع

مرتفع والمتكلم أكثر من المستمع حتى صارت أصوات العدل والمقاسية والاستقامة لا تسمع بحضرة العقل الحاكم فى أثناء تلك القيامه لاسيما وقد غلب الشر والباطل والنقص على الخير والحق والكمال وأبعدوا هؤلاء المغلوبين عن حضرة الملك العقل فى الحال وكانت البصيرة رأت أمامها البطاله فظنت أنها الراحه فى تلك الحاله فاسندتها وضمتها اليها ونامت معها كأنما أغمى عليها فلم يبق فى ديوان العقل من يرشده الى الحق من أهل الفضل غير أن أولئك المغلوبين كانوا ينادونه بالنصح من بعيد ويقولون لا تغتر بهذه الاحوال الباطلة أيها الملك السعيد فصار مترددا بين موافقة الاغراض ومخالفتها متحيرا فى انكار هذه الاصوات البعيدة ومعرفتها ومازال على هذه الحال حتى قويت الاغراض المذكورة فجذبت قلبه اليها ولم يبق الا أن يطيعها بالفعل ويعول عليها فعند ذلك ظهرت آفة الملوك القاطعة لهم عن مناهج البر وحسن السلوك تدير عليهم كؤس الغرور وتجرهم الى أنواع الشرور فتوقعهم فى المعاطب وسوء العواقب فتملكهم وهم لا يدرون وتهلكهم وهم لا يشعرون ألا وهى الملعونة الكاهنه المعروفة باسم المداهنه فجاءت وفى يدها مبخرة ملأت رائحتها الرؤس وفعلت بكل ما نالته ريحها ما لا تفعل الكؤس فدخلت تنشر روائحها وتزخرف للناس قبائحها وهى تتكلم بالفصاحة التامه وتحاكى فى كلامها صوت الافكار العامه وتحدث كل أحد بما يحبه وتثنى عليه بما يطربه فدخلت مثل الشيطان فى مجلس العقل السلطان وهى تقول أيها الملك القادر والسلطان القاهر باعدتك الاكدار وساعدتك الاقدار ولا زال يسعدك البخت ويسعد بك التاج والتخت أراك بحمد الله قد صفا لك الملك وحاق بجميع أعدائك الهلك فليس لملكك زوال ولا لك فى الخليقة أمثال وقد نلت من كل أمل أسناه وعملت من كل عمل أسماه ولم يبق الا ذخائر اللذات تقتنيها وأثمار الشهوات تجتنيها وأراك قد ملت لذلك ولا ضير ومازال فى رأيك الخيرة والخير فالامر مأمون وحسن العاقبة مضمون ويا صدق ما قيل ان الحكام ملهمون وقد اجتمع هؤلاء الاكارم أرباب الفضائل والمكارم وما فيهم الا نصوح شفيق أكثر حبا لك من الوالد الشفيق وكلهم بذلك يشير والطالع بسعدك بشير فوافق اشارة الجمهور ولا تؤخر فرص السرور

واجسر على فرص اللذات محتقرا   عظيم ذنبك ان الله غافره

ومازالت تنمق له المقال وتخيل له الهدى فى الضلال حتى انقاد للشهوات يعمل برضاها ويسمع آراءها فيحكم على مقتضاها فصار فى الحقيقة أسيرها وقد كان قبل

ذلك أميرها وهكذا تفعل المداهنة مع من يقبلها من السلاطين وكذلك قرناء السوء الشياطين وعند ذلك اشتد اشتعال نار الاختلال وانتشر شرر الشر في جميع المحال فضعف أمر تلك الدولة وانحل واعتل جسم المملكة واختل حتى أشرفت على التلف كلها وكاد أن ينمحي من هذا العالم أصلها (قال الخيال) ولم يكن من دليلي الفراسة في خلال هذه الاحوال غير التأسف على ما صارت المملكة اليه من الوبال وسوء المآل وكأنما قطع من فلاحها الآمال وازمع التغافل والاهمال قال فأخذتني الحمية والغيره وقلت له بالله ما هذه الحيره ولم تسكت على هذا اليأس وأي ثمرة تؤمل في اليأس فقم بنا على أقدام الاقدام ولنشمر عن ساعد الاهتمام حتى نغيث هذه الأمه ونزيح عنها بعون الله الغمه فني الوقت بقية امكان وعلى الله تعالى التكلان وهذه البصيرة قد استيقظت من منام غفلتها ووقفت على حقائق الامور تفصيلها وجملتها وهي ملتفتة الينا وها هي قادمة علينا فقال انما كنت أترقب هذه الفرصه للاشتغال باساغة هذه الغصة (قال الخيال) ثم انا لقينا البصيرة فحادثناها في ذلك الشان ومضينا ثلاثتنا على الفور الى حضرة العقل السلطان وأبدت الصحة حقيقة الحال في مرآتها وعرفته ما فعلته الغفلة من تبديل صورة الجماعة وهيآتها ثم أرسلت البصيرة فأحضرت الندامة واستحضرت معها أيضا النفس اللوامة فأدبت بواسطتهما الحاكم المشار اليه وأعادته ثانيا الى ما كان قبل ذلك عليه وغلبت البصيرة على الغفلة فهزمتها وأزاحت خيالات سحرها الموجودة وحسمتها وزال الاختلال والفساد من كل مكان وعاد كل شيء لأصل صورته الحقيقية كما كان (قال الخيال) فلما أبصرت ما صار من هذا الظفر والانتصار تخيلت أن الظفر المذكور انما هو ثمرات سعي المشكور فداخلني ما لم أحصه من السرور ومثله من الخيلاء والغرور فتركت الدليل ظهريا وصيرته نسيا منسيا وصرت أتمشى وحدي مليا حتى عن لي القعود على تخت الاستقامة العقلية فمشيت اليه وصعدت مع كمال التمكين والوقار فاستويت عليه فضحكت الصحة علي وأشارت من بعيد الي ان أخطأت وأخطأتك الكرامة هذا تخت البلاهة لا تخت الاستقامة فضحك علي من في المجلس مقهقها وقمت عن التخت فوقعت متدهدها واعتراني من الخجل والحياء بقدر ما كان عندي من الغرور والخيلاء وسرت أجر رجلي والخلق يضحكون علي وتبعتني النفس اللوامة على القدم وصارت تضربني بسياط الندم حتى تبت ورجعت واعتذرت بقدر ما استطعت فعدت من حيث أتيت وقد وعيت كل ما رأيت وأردت أن يبقى تبصرة للانام فحكيت ما رأيته بالتمام

وكتب

وكتب مقامة فى حسن الوفاء

قد عثرت عليها فى « روضة المدارس » بعددها السابع من سنتها الاولى الصادر بتاريخ ١٥ ربيع الثانى سنة ١٢٨٧ وهى

حدثنى صاحب مبارك ليس فى فضله يشارك قال كان بعض الامصار فيما مضى من الاعصار رجل من التجار ذو شرف ونجار قد رزق سعة الغنى وجنى ثمرات المنى وكان حسن المعاملة كثير المجاملة سليم الفؤاد حلو الوداد فطار صيته فى الاقطار وصار فى جميع الامصار فانفسح نطاق تجارته واتسعت دائرة ادارته وكثرت أحبابه وأصحابه وغصت باخوانه وخلانه رحابه ورزق بولد سرته سيرته وحسنت علانيته وسريرته فكان له رفيقا وعلى أهله شفيقا

نعم الاله على العباد كثيرة وأجلهن نجابة الأولاد

وعاش الرجل مدة على هذا الحال رخى العيش ناعم البال قرير العين بكثرة المال وبلوغ الآمال حتى قارب مدى العمر حده وقد بلغ ابنه المذكور أشده فلما أظله يومه الموعود وأحس بانقضاء أمده المحدود دعا بابنه فى خلوة من الاغيار وأوصاه بوصايا البررة الاخيار وقال فيما أودعه سمعه وأراد به نفعه يا بنى انى أرى الشمس آذنت بالافول وقد عزم الغريب على القفول واليوم قد أزف الرحيل والبقاء فى هذه الدار مستحيل

كل ابن أنثى وان طالت سلامته يوما على آلة حدباء محمول

وأنا مكاشفك بخبيئة فى الضمير ومخبرك بأمر خطير ولا ينبئك مثل خبير ان عندى كنزا أدلك عليه لترجع بعدى عند الحاجة اليه فيكون لك ظهيرا فى شدائد الأيام وظهيرا فى مكايد الأنام فافتح لما أقول أقفال لبك واحفظه كسواد عينك وسويداء قلبك وما أردت كنز مال مدفون ولا نفيس جوهر مكنون فان مالى لديك وتجارتى بين يديك والعقار كما علمت واليسار مثل ما فهمت والرزق متيسر وأمر التجارة غير متعسر ولكن قصدت ما هو أعلى وأغلى وأجدر بالرعاية والعناية وأولى وما هو الا صاحب عرفته قديما وعكفت على وده مستديما قد هذبته الليالى بمرها وجرعته كؤس حلوها ومرها وكنت جربته فى خيرها وشرها وبلوته فى نفعها وضرها وكررت اختباره مرارا فزاده اختبارى اختيارا وطول تجربتى منزلة عندى ومقدارا وكان لى كما قيل

ان أخاك الحق من يسعى معك ومن يضر نفسه لينفعك
ومن اذا ريب الزمان صدعك شتت فيك شمله ليجمعك

وأنت ترى كثرة الاصحاب حولنا وإكثارهم من الزيارة لنا ولكن كل ألف لا تعد بواحد

وإذا صفالك من زمانك واحد فهو المراد وعش بذاك الواحد

وهذا الرجل الذي ذكرت لا يتردد كما يترددون ولا يبدي من ظاهر الحال والتجمل بالمقال مثل ما يبدون وأنا أزوره المرة والمرتين في الأسبوع والود فيما بيننا غير مقطوع ولا ممنوع فإنما الحب في الصدور لا في الثغور وفي شغاف الجنان لا في أطراف اللسان

وليس أخي من ودني بلسانه ولكن أخي من ودني وهو غائب

ومن ماله مالي اذا كنت معدما ومالي له إن أعوزته النوائب

فهذا هو الكنز الذي قصدت والحرز الذي أردت فاشدد على صحبته العرى ولا تنبذ عودته في العرا واتبع هذا القول نصائح ارتضاها وأمور أمضاها وكأنها حاجة كانت في نفس يعقوب قضاها ثم انه ودعه وودع الدنيا معه ونزل مع أعماله في رمسه والتحق حاضر يومه بغابر أمسه فأقام ابنه مراسم المآتم وقضى من مقتضيات العادة الجارية اللازم وأخذ في ادارة التجارة كالاول وصار عليه المعول وكأن الحال ما تحول الى أن اجتمع عليه جماعة من أنداده وأظهروا التحقق بوداده وتملكوا بحسن ملاطفتهم أزمة فؤاده وكانوا أتبع له من ظلاله وأطوع من يمينه لشماله وانكف عنه بالضرورة أصحاب الوالد بعد الواحد حيث رأوه لهؤلاء الاقران أميل ومكانتهم لديه أمثل وامتزاجه معهم أجل وأكمل وأحاط به هؤلاء الجلساء ولزموا بيته صباح مساء فلما خلا لهم الجو ولم يبق في الصحبة ايت ولا لو أخذوا يذكرون الشرب والحان ويتذاكرون الطرب والالحان والمثالث والمثاني والغواني والاغاني والصاحب يقتدي بصاحبه ويسرق من طباع مصاحبه

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدي

فحركوا من رغبته الساكن وجروه لما يكون فيه ذلك من الاماكن فجرى معهم في فنون الجنون ومجال ابنة الزرجون فما زال حتى قصر على هذه الشؤن ميله وحصر فيها نهاره وليله فلا جرم اختلت تجارته وانحلت ادارته فمال على المال الموجود في خزينة النقود فبسط الراح للانبساط والراح يكيل بالقدح ولا يبالي بمن ذم أو مدح حتى فنيت الصفراء والبيضاء واشتبه جوف صناديقها والفضاء فوضع يده في الجواهر وأخاير الذخائر يبيع ويضيع ويصرف ويتلف ويلحق دنيها بفاخرها حتى أتى على آخرها ثم انثنى على العقار يبيعه على العقار ويضيعه

في تحصيل لذاته ورضا لذاته وقضاء شهواته ثم أتبعه المزارع والضياع فرمى جميعها بالضياع وتفرق عنه الاتباع والخدم وكان باع الدواب فيما تقدم فلم يبق عنده صاهل ولا ناهق ولا صامت ولا ناطق اللهم الا دارا واحده كان يسكنها مع الاهل والوالده وكان حين أخذ في انحطاط الحال وأشرف على الاقلال صارت جموع اخوانه وزمر أخدانه وخلانه يتسللون قوما بعد قوم ويقلون يوما بعد يوم

الناس اخوان من دامت له نعم   والويل للمرء ان زلت به القدم

وما زالوا كذلك حتى ذهب آخرهم مع آخر المال ولم يبق في صحبته غير الهم والغم والملال وسوى الندم والسدم والبلبال فضاقت الدنيا في عينه وتمنى قرب حينه جلس الى أمه حزينا باكيا ساخطا على دهره شاكيا

نادما سادما يعض يديه   حسرة واستكانة ومهانة

وقال يا أماه قد بلغت الفاقة غايتها وتجاوزت الشدة نهايتها ولم يبق عندنا ما يمسك الرمق ويطفىء هذه الحرق فهل ترين أن نبيع هذه الدار كما في البيوت ونصرف من ثمنها على القوت ونتجر في بعضه على بركة الحي الذي لا يموت فقالت يا بني اذا بعت مأوانا فأين يكون مثوانا وقد ربينا في العز والسعادة ولم تسبق لنا بالخروج في الازقة عادة على انها موقوفة من الاجداد على الاهل والاولاد والاحفاد ولكن أين أنت من صديق الوالد الذي فضله على الطريف والتالد وأخبرك عند مماته في الأخير من أنفاس حياته انه صديق حميم وكنز عظيم فامض يا بني لداره واستضئ في ليل هذه الشدة بأنواره فعسى أن يساعدك بثرائه أو يسعدك بآرائه فليست وصية الوالد سدى وان طال عليها المدى فقال لعن الله النسيان لقد كنت أنسيته منذ أزمان ولقد أشرت بالرأي السعيد وقربت من الخير كل بعيد وهذا هو الوقت الذي يدخر مثله لامثاله ويحتاج فيه الى فضله وافضاله وقد ضاقت النفوس ولا مخبأ لعطر بعد عروس ثم قطع حبل المقال ونهض كأنما نشط من عقال ومضى يحدث نفسه ببلوغ الآمال ويستبشر بخير الحال والمآل ويقول جزى الله الوالدة خيرا وفيا فقد أذكرتني خلا وفيا ويرحم الله الوالد فانه كان بي حفيا

سأبلغ أسباب العلا باجتهاده * فليس مقال الوالدين يضيع

ويقول في نفسه الآن أقول له وأقول وأبلغ بفضله وحسن همته المأمول فليس بيني وبين المنى إلا رؤية محياه حياه الله تعالى وبياه وهل جرا من هذه الاماني وما تحدث به نفس العاني من المعاني

اذا ما خلا العاني الضعيف بنفسه * أتته الأماني من جميع الجوانب

وكان قد زاره مرات في أثناء الحظوظ والمسرات رعاية لابيه لا لرغبة فيه وذلك حين كان في غمرة لعبه وسكرة لهوه وطربه فكان كلما رآه يجله ويعلو عنده محله ويلقاه بصدر رحيب ويقابله ببشر وترحيب فلما ضربه الدهر بمخالبه وعضه بأنياب نوائبه قصده كامر يجتلي أنواره ويجتني من روض فضله الوارف الظلال أنواره ويشكو اليه من القله ويستجير به من الذله وهو واثق بالنجاح جازم بالفلاح مستيقن بان صباح اليسر من ليل العسر قد لاح فوصل الى داره في حالة رديئه وهيئة مسيئه يكاد يرثي لها الحسود وتصفو لها القلوب السود وكان يجيء في تجمل وجمال وأبهة وكمال بين أنصار وأشياع وخدم وأتباع والحاصل أنه تقدم البدار ودخل الدار وخدامها عنه منقبضون مغضون ومعرضون لم يخاطبه أحد بنت شفه وكانهم ليس لهم به معرفه

ما الناس الا مع الدنيا وصاحبها * فكلما انقلبت يوما به انقلبوا
يعظمون أخا الدنيا فان وثبت * يوما عليه بما لا يشتهي وثبوا

فخجل من أوضاعهم وسخط من طباعهم الا أنه قال هؤلاء قوم لئام ليس على أمثالهم ملام والآن يعلم رب المنزل فيبادر وينزل ولابد أنه يؤدبهم والغالب أنه يضربهم ووقف ينتظر من اقباله واستقباله سالف عوائده ويترقب تحقيق ما كان وعاه من قول والده فما كان إلا أن أخرج الرجل رأسه من شباك قصي وأرسل اليه على لسان غلام خصي يقول أنا غير منبسط للكلام فاذهب بسلام فلما سمع الفتى ما سمع كاد فؤاده ينخلع حتى تخيل أن الارض ابتلعته أو الريح اقتلعته أو السماء انطبقت عليه أو النجوم انتثرت حواليه فان النقمة من محل النعمة أضر والصبر من حيث يرجى الشهد أمر

واذا الشر جاء من حيث يرجى * كل خير فذاك شر البلاء

والفتى وان مسه الضر وأصابه الفقر المر إلا أنه ابن نعمة وخير تأبى نفسه الضير فكاد أن يسقط على الارض صعقا وينشق صدره حنقا وقلقا إلا أنه تماسك تماسك ذوي الالباب وأسرع بالخروج يبتدر الباب وسار ودموعه تسبقه وزفراته تكاد تحرقه وهو يقول تبا لهذا الغادر فانه ألأم من مادر أهذا الذي كنت أرجوه ألا شاهت الوجوه وترب فوه فقد كذب واصفوه

ياليتني قبل مت جوعاً * ولم أؤمل ندى لئيم
فالموت في نعمة وعز * خير من الذل للكريم

وليت رجلا جاءتني له قطعت وعينا هدتني سبيله قلعت

ياليتني مت قبل هذا * أوليتني لم أكن خلقت

ورجع تضطرم نيران فؤاده وتغلي مراجل أحقاده فقص على الوالدة ماجرى من الرجل وخدمه وما كان من خيبة سعيه وندمه فسلته ببعض الكلام وحكايات ماجرى على الكرام وقالت يابني

على المرء أن يسعى لما فيه نفعه * وليس عليه أن يساعده الدهر

فلا تجزع من تقلب الدهور وعجائب المقدور واصبر على ما أصابك فأنت بالصبر مأمور ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الامور

دع المقادير تجري في أعنتها * ولا تبيتن إلا خالي البال

مابين غفوة عين وانتباهتها * يقلب الله من حال الى حال

وما أحسن ماقيل

فاصطبر وانتظر بلوغ الاماني * فالرزايا اذا توالت تولت

واذا وهنت قواك وجلت * كشفت عنك جملة وتجلت

وماقيل

وعاقبة الصبر الجميل جميلة * وأحسن أخلاق الرجال التصبر

ثم قالت قم فبع لنا الآن هذه الأثواب وانتظر اللطف من مسبب الاسباب فغيض من عبراته وخفض من زفراته ونهض فباع الثياب وصار يصرف من أثمانها بالحساب وفي خلال ذلك أقبلت عجوز تسأل عن داره وتستقصي من الجيران عن أخباره ثم دخلت على والدته فسلمت واستغفرت لوالده المرحوم وترحمت وقالت حضرت من الغرب منذ أيام وكنت حضرت مرات قبل أعوام وأحضرت بعض حلي بعته على يد المرحوم وأخذت ما يسر الله من الربح المقسوم والآن جئت لمثل ذلك الامر ومعي من نفيس الياقوت والماس والدر وفي ابن المرحوم ان شاء الله الخير وهو على كل حال أحق وأولى من الغير فودة الآباء تنتقل للابناء وقصدي حج البيت المحرم وزيارة قبر النبي المكرم صلى الله عليه وسلم

واذا المطي بنا بلغن محمدا * فظهورهن على الرحال حرام

وأريد أن أجاور في الحرم المطهر وأعود ان شاء الله بعد عام أو أكثر وسأترك ما معي ليباع الى أن أعود من تلك البقاع فحضر الفتى فكلمها وأكرمها وأمنها بايمان أكدها وأبرمها فسلمته قدرا صالحا من الاحجار الغالية وقومتها بأثمان مناسبة غير غالية لينتفع بما يقسم من الربح المقدر ويحافظ لها على أصل الثمن المقرر وكتب بها وثيقة بالاستلام ثم ودعته وانصرفت بسلام فعمد الفتى الى دكان فأكتراها والى

بعض ملابس يسيرة فاشتراها وجلس فى دكانه يبيع حتى أتى على الجميع فعزل أصل الثمن جانبا وكان للخيانة مجانبا وصار يتجر فى الربح المتاح وفتح عليه الكريم الفتاح وكان فى البيع والشراء حازما وللصدق والامانة ملازما فأعنته التجار على نفائس الاموال وانتظمت له الامور واستقامت الاحوال وفتح الله له أبواب الاكتساب والله يرزق من يشاء بغير حساب فلم يمض عليه نحو سنة الاوقد صار فى حالة حسنة وهيئة مستحسنة وكأنما كانت الشدة غفوة أوسنه

اذا تضايق أمر فانتظر فرجا فأضيق الامر أدناه الى الفرج

ومازال على هذا الحال حتى استحال فساد احواله صلاحا وعادت خيبة آماله فلاحا فصار يشترى كل ماأمكنه مما كان باعه من الامكنه ويسترد بعض ماأضاع من القرى والضياع والانعام والدواب والادوات والاثواب وتأخر حضور العجوز جملة أعوام وهو يدعو لها بالخير والسلامة على الدوام ويرى أن طلعتها كانت له طالع سعود وينتظرها السنة بعد السنة أن تعود ولا يعلم لها من خبر يؤثر ولا يرى لها من عين ولا أثر ثم انه لما حسنت حاله وفارقه امحاله وزالت نقمته وزادت نعمته ونسى الغمه وادكر بعد أمه تذكر ما كان من أمر الرجل الذى ساءه وحشا بالغيظ والحقد أحشاءه فالتهبت نار غيظه الكامن وبدت آثار غضبه من المكامن وقال لابد أن أقصده وأعرف مقصده وأعنفه على ماحصل وأعرفه بما وصل من لطف الله واتصل وأشفى النفس من ذلك القهر ثم لا أعود اليه مدى الدهر فلبس أفخر أثوابه وركب أحسن دوابه ومضى له على غلوائه فى زينته وروائه فقام له الخدم تبجيلا وبادروا يديه تقبيلا

اذا كنت ذا ثروة فى الورى فأنت المعظم فى العالم

وحسبك من نسب صورة تخبر أنك من آدم

وقابله الرجل بقبول واقبال واستقبله بالترحيب أحسن استقبال والفتى عابس المحيا وماسلم ولا حيا بل قال تعلم انى ماجئت لسلام ولا كلام ولا قصدتك الان لرغبة فى مرام ولكن لاذكرك بسوء صنيعك معى حين خاب فيك رجائى ومطمعى حيث قلت ماقلت وفعلت فعلتك التى فعلت ألم تر وقول النبى المرسل أكرموا عزيز قوم ذل ولم تحفظ مارواه عبد الله بن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير الناس أنفعهم للناس أولم يرد لك يوما على خاطر أنه ماعبد الله بشئ أفضل من جبر الخواطر أولم تسمع قول الشاعر

لا تقطعن يد الاحسان عن أحد مادمت تقدر والايام تارات

واشكر فضيلة صنع الله اذ جعلت　　اليك لا لك عند الناس حاجات

وهلا رددتني الرد الجميل اذا لم تكن موضع التأميل قال الرجل مهلا يابني مهلا وأهلا بعتابك وسهلا

لعل عتبك محمود عواقبه　　فربما صحت الاجسام بالعلل

قال الفتى ليس هذا عتاب المحبه ولا استبقاء لصحبه ولكنه اللوم ولا اجتماع بعد اليوم وماذا ينفع العتب على الجفا اذا لم يكن فى أصل الطبيعة وفا ويرحم الله من يقول

اذا أنا عاتبت الملول فانما　　أخط بأقلامى على الماء أحرفا

ومن يقول

واذا ما القلوب لم تضمر الو　　دّ فلن يعطف العتاب القلوبا

قال الرجل يابنى الصلح خير ولا ضر فى العفو ولا ضير

من ذا الذى ما ساء قط　　ومن له الحسنى فقط

وأىّ جواد لا يكبو وأىّ صارم لا ينبو

ومن يبغ الصديق بغير عيب　　سيبقى الدهر ليس له صديق

فأنشد الفتى

جربت دهرى وأهليه فما تركت　　لى التجارب فى ود امرئ غرضا

وقال لله در أبى العتاهية حيث قال وما أوفقه لصورة الحال

أنت ما استغنيت عن صا　　حبك الدهر أخوه

فاذا احتجت اليــــه　　ساعة مجك فوه

لو رأى الناس نبيا　　سائلا ما وصلوه

وأى نفع لصديق لا يصدق فيه رجائى وصاحب لا يصحبنى فى شدتى ورخائى

اذا لم تكن ان أدبر الدهر صاحبى　　فكل الورى ان أقبل الدهر أصحابى

فقال الرجل يابنى لا تؤلم بهذا القول مسمعى وراع طول صحبة الوالد معى فطالما اتفقنا فى الاخاء وتقلبنا فى حالتى شدة ورخاء

اذا لم تجدنى للمودة موضعا　　فراع ودادا من أبيك تقدما

فقال الفتى وهل غرنى بك وضرنى من جانبك الا ما كان حكاه لى أبى من مناقبك حتى حسبت الجمر تمرا وظننت التراب تبرا فأوردتنى شر الموارد وعاملتنى بذلك الوضع البارد

وكنت كالمتمنى أن يرى فرجا　　مع الصباح فلما أن رآه عمى

فلا أحب أن تنظر عيني لعينك وهذا فراق بيني وبينك فقال الرجل سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا وأكاشفك بما لم تعرف له خبرا ولا خبرا ان عندي لك خبيئة فاعلمها وأمانة قم فتسلمها فظن الفتى أنها خبيئة نقود من مال الوالد أو الجدود فقام معه وسار وتبعه فانتهيا الحجرة في الدار فيها امرأة في خمار فاستقبلته حين أقبل بالسلام وتأمل الفتى جرس صوتها في الكلام فاذا هي العجوز المعهوده صاحبة الجواهر المعدوده فوقف باهتا متحيرا ساكتا وقال الرجل خذ أمانتك أيها الأمين وأعطاه الوثيقة التي كان كتبها بخط اليمين وأشهد فيها على نفسه باستلام ذلك الحلي الثمين وقال هذه المرأة أم عيالي وتلك الجواهر التي أعطتك من مالي وما كان ما رأيته من سوء المعاملة التي ذكرتها وردي لك بالصورة التي أنكرتها الا لاقامة أودك وارادة رشدك فاني لما رأيتك في ثوب رث وفي حال غث علمت انك أتلفت التليد والطارف وخالفت الذي علمك الوالد من المعارف فأيقنت أن نصحك وقتها لا يفيد وان كل ما أعطيتك بالسهولة يبيد فانك ربما تضيعه كالذي كان لديك ولا يبقى منه آخر الأمر شيء في يديك فأردت بتلك المعاملة تقويم طبعك وراعيت من بعد ذلك تتميم نفعك ففعلت ما فعلت وأرسلت لك مع هذه المرأة ما أرسلت فهذه حقيقة ما صار ان في ذلك لعبرة لأولي الابصار فأكب الفتى على يده يقبلها ويلثمها وأقبل على المرأة يدعو لها ويعظمها وقال للرجل والله لقد أجملت فأجزلت وأكرمت فأتممت وصيرتني لك عبدا رقيقا ولا أقول صاحبا وصديقا ولقد صدقت فراسة أبي فيك ولست أقدر على أني أكافيك وهذا ثمن الحلي عندي في الكمين وأنا عليه الى الآن حافظ أمين فهلم فاستلم مالك بلغك الله آمالك بل جميع ما في يدي ملكك ان أردت أن ينظمه سلكك

ولأشكرنك ما حييت فان أمت * فلتشكرنك في التراب عظامي

ولست أصلح فأقول لك اتخذني ولدا فاتخذني خادما عندك وعبدا ولئن أحياني الله بعد هذا عمرا فستجدني صابرا ولا أعصي لك أمرا فقال الرجل سأتخذك ابنا وولدا وان لم أصلح فخدوما وسيدا فقال كيف لا أصلح لذلك وأنت السيد المالك ولم يكن للرجل أولاد فتبناه وشاركه بعد ذلك في غناه ومناه وأقاما في غبطة وسرور وحبور وحضور حتى بلغ العمر حد النهاية وكل شيء ينتهي لغاية

وعثرت على قطعة من مسودة مقامة عنوانها «العمال والبطال» فأوردتها كما هي قال

اجتمع رجلان في بعض الولائم عند واحد من الأكارم أحدهما يقال له العمال والآخر يلقب بالبطال

وقل ما أبصرت عيناك ذا لقب * الا ومعناه ان فكرت في لقبه

فكان الاول ممن حبب اليه أن يكدح ويكد ويجتهد ويجد فيما يصرف على العيال من خير المال والكسب الحلال بالتصرف في الاعمال والتقلب في الاشغال فهو يصون لسانه عن السؤال ووجهه عن الابتذال وغيره عن الاحتمال وينفق من كد عينه وعرق جبينه لا يتحمل لمخلوق منة ولا مكرمه ولا يرى عليه لغير خالقه نعمه فلا يتملق لغني ولا فقير ولا ينافق لصغير ولا كبير ولا يرزأ من جليل ولا حقير مقدار قطمير ولا نقير اللهم الا ان كان في عمل عمله أو حق واجب ثبت له وكان له يد في صنائع لطيفة ومعرفة ببعض علوم شريفة فكان اذا تعطلت له صناعة أو كسدت عليه بضاعة تطلب سواها وتقلب فيما عداها حتى تتفتح له أبواب الاسباب وتتضح له طرق الاكتساب فتارة يعمل بيده وبدنه ومرة يشتغل بعقله وذهنه على حسب ما يقتضيه الامكان ويستدعيه الحال والزمان والمكان وكان رزقه متوسطا لا مفرطا ولا مفرطا فلم يكن قليلا عن الكفاية ولا كثيرا الى الغاية وهو راض بما يقدره الحي القيوم قانع بما يتيسر من الرزق المقسوم غير متطلع لما في يد أحد ولا عنده لمخلوق حقد ولا حسد فانه يجد نفسه أحسن من غيره حالا وأكثر راحة وأنعم بالا لان الناس بالنسبة لحاله وأمثاله على ضربين وهو متوسط بين بين فقسم أقل منه وهم المساكين والفقراء وقسم أكثر منه وهم الاغنياء والكبراء أما الطبقة الاولى الذين هم دونه ولا يكفيهم للنفقة على العيال ما يكسبونه ويجدونه فكان يشفق عليهم وينظر بعين الرأفة اليهم ويواسيهم ببعض الصدقة مما يفضل عنده من النفقة وان كان النزر اليسير لان الذي يزيد عن لوازمه لم يكن بالكثير فكان لا يمنعه قلة الصدقة عن بذلها واكتساب أجرها وفضلها فانه كان قد حفظ مما قرأه في بطون الدفاتر قول كلثوم بن عمرو الشاعر

اذا تكرهت اعطاء القليل ولم * تقدر على سعة لم يظهر الجود

بث النوال ولا يمنعك قلته * فكل ما سد فقرا فهو محمود

وكان قد حفظ قبل ذلك قوله تعالى (ان الله يجزي المتصدقين) وقوله سبحانه (وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين) وقوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه البخاري (اتقوا النار ولو بشق تمرة فمن لم يجد شق تمرة فبكلمة طيبة) وقوله صلى الله عليه وسلم (لأن يتصدق الرجل في حياته وصحته بدرهم خير له من أن يتصدق عند

موته عبادة) وقوله عليه السلام (على كل مسلم صدقة قالوا فان لم يجد قال فيعمل بيديه فينفع نفسه ويتصدق قالوا فان لم يستطع قال فيعين ذا الحاجة الملهوف قالوا فان لم يفعل قال فيأمر بالخير أو بالمعروف قالوا فان لم يفعل قال فيمسك عن الشر فانه له صدقة) والى هذا الاخير ينظر أبو الطيب المتنبي حيث يقول

إنا لفي زمن ترك القبيح به   من أكثر الناس احسان واجمال

فكان دأبه مع هذه الطبقة من أبناء الزمان أن يساعدهم باليد واللسان على قدر الامكان ويدعو لهم الله سبحانه أن يعينهم على ما هم فيه من الحال ويشكره جل شأنه على ما فضله به عليهم من سعة الرزق الحلال وأما الطبقة الثانية أعني الذي فوق درجته وهم أصحاب السعة والاموال الواسعه والدوائر الجسيمه والمظاهر العظيمه فكان اذا قايس بين حاله وأحوالهم يجد حمله في أمور الدنيا أخف من أحمالهم وباله أفرغ من بالهم فانه كان يراهم مرتبكين في كثرة مالهم وعليهم منهمكين في غوائل المشاغل التي تعرض عليهم على حسب كثرة معاملتهم وسعة حالتهم غارقين آناء الليل وأطراف النهار في بحار الافكار بسبب مدين يتحقق اعساره أو مال ينفق خساره أو حال تخاف أخطاره وخطر تخشى آثاره وهو مع خفة ظهره من هذه الاحمال وراحة سره من أهوال تلك الاحوال يرى نفسه مساويا لهم في الحصول على مقتضيات البشريه والوصول الى اللوازم الدنيويه الضروريه من شبع البطن وستر البدن ثم السكن والمسكن وربما خطر بباله في بعض أحواله انه وان شاركهم في أصل القصد والمنفعه من هذه الامور الاربعه الا أنها عندهم أكمل وأجمل ولذتهم بها أجل وأجزل فتكاد تعكر عليه هذه الفكرة بعض التعكر لكنه كان يعود الى امعان النظر والتفكر بامور يصورها في حدسه ويقررها في نفسه فينسلي خاطره ويقر ناظره فيقول أما أنواع المطاعم فانها وان كانت عند هؤلاء الاعاظم يجتمع منها عندهم في الخوان أنواع وألوان وانما يوجد عندي نوع واحد والنهاية لونان فتكثر لذاتهم بهذا السبب وتبلغ نفوسهم من هذه الشهوة كل أرب الا أن حالي في ذلك أحسن وأطيب وأدعى في حفظ الصحة وأقرب أما أولا فانهم لا تصل الى يدهم هذه اللقمة المطعومة الا بعد أن يتداولها كثير من الايدي المحرومه فتحضرها من السوق يد الخادم وتهيؤها أيدي الجواري والخوادم المحرومين من شهيها وجيدها المقصورين على رديها وفاسدها فيعقب ذلك لهذه الخدم حسرة وكمدا ويورث قلوبهم لمخدوميهم وسيدهم حقدا وحسدا ولا خير للعاقل في لذة يسيره تورث غيره حسرات كثيره وربما أداهم ذلك الى التساهل في

نظافتها

نظافتها والتهاون بتنحية أذاها وآفتها وأما أنا فاشترى لوازم بيتى لنفسى لا أستعين بالغير فى نقلها ولا يهيؤها الى غير أهلى وعيالى المشاركون لى فى أكلها فنجتمع على ما حضر طيبا أو رديا ونأكل هنيأ مريأ وفضلا عن هذا فقد أطبق الحكماء واتفق العلماء والعقلاء على أن تعدد أنواع الطعام داعية الى السقام وبساطتها أبعد عن الامراض والآلام ولذلك لا يستغنون عن التداوى والطبيب المداوى وأنا بحمد الله لا أعرف الامراض الا بأسمائها ولا أحتاج الى الاطباء ودوائها وأما أنواع الملبس فلهم منها ما تشتهيه الانفس من الاعز الانفس الاحسن فى المنظر والملمس فهم على الجملة والتفصيل أعظم فى هذا القبيل ولكن هذا مما لا يهم فحول الرجال ولا يشغل بال أهل الفضل والكمال فقيمة كل الناس ما يحسنونه لا ما يلبسونه وانما غاية ما يلزم ذوى الآداب هو نظافة البدن والثياب وأما ما زاد على ذلك من التجمل والتزين والتظاهر بما يروق الاعين فهذا ان حصل فخير وان لم يحصل فلا ضير ولا ضير

ماضر بالصمصام كون قرابه خلقا ولا البازى حقارة عشه
وكذلك الدينار يظهر حسنه من سبكه لا من ملاحة نقشه

وأما السكن فلا شك أن تنعم الغنى بذلك أكثر ولذته أعظم وأوفر بوفرة الزوجات والسرارى وكثرة ما لديه من الجوارى والايجاز ههنا أكمل واجمال الكلام أجمل ولكن لا يخفى ما فى تعددهن من دواعى تماديهن وتحاسدهن وما يتولد من كلام وملام وجدال وخصام وما يجلبنه على الرجال من شغل بال وقيل وقال وكثرة ما يستدعينه من حاجة ومطلوب ولكل واحدة منهن فى الطلب غرض وأسلوب فهى فى كل يوم تشتهى

الخطب

كتب بناء على طلب المغفور له الخديوى اسمعيل باشا خطبة لتتلى عند وضع أساس مينا الاسكندرية يوم الاثنين ٢٥ صفر سنة ١٢٨٨

بسم الله الرحمن الرحيم

يا من حمده أساس السلامه ورأس الخير والكرامه نحمدك اللهم على ما فاض من بحر جودك الزاخر ونصلى ونسلم على نبيك الموصل لساحل النجاة فى اليوم الآخر وعلى سائر النبيين والمرسلين وجميع عبادك الواصلين ونسألك لمولانا السلطان الافخم وجناب أفندينا الخديوى المفخم عزا يتوالى مدده ولا يتناهى أمده ولجميع الحاضرين حسن الحال وبلوغ خير الآمال وبعد فلا ريب فى أن مصر السعيدة من سالف الاعصار محل عجائب المبانى العظيمة وغرائب الآثار التى صار ذكرها فى سائر الامصار وطار خبرها فى جميع الاقطار ولم يزل بعضها باقيا يشاهد بعين الاعتبار ويشهد لاصحابه بكمال الفخار والقوة والاقتدار وقد كان كل من تولى أحكامها وأخذ بيده زمامها من أمراء المسلمين ومن سبقهم من الاقدمين يجدد فيها من بدائع الاعمال العظيمه وروائع الآثار الجسيمه ما تتوجه اليه انظاره ويساعده عليه اقتداره الى أن جاءت دولة أفندينا الكبير محمد على ونجله ابراهيم الشهم الشهير فتجدد فيها من الآثار النافعه والاعمال البارعه ما يشهده المستوطن والغريب ويشهد به البعيد والقريب فلما أفضت الحكومة الى سعادة الخديوى المفخم الداورى الافخم بلغه الله من فضله العميم خير المرام وسره ببقاء ولى عهده الفخيم وسائر أنجاله الكرام بذل غاية جده وحذا حذو والده وجده وجدد لمنفعة هذه الاوطان الكريمه كثيرا من المآثر العظيمه والخيرات العميمه كتجديد المدارس الشهيره والمكاتب الكثيره لكثرة التعليم وتحسين المدن والقرى بما أجاد فيها من الاصلاح والتنظيم والاكثار من فروع سكة الحديد فى نواحى هذا الوطن السعيد وإكمال أمر خليج السويس المشهور وتجديد الحوض فى البندر المذكور وتنظيم مرساه بأكمل الوجوه وأجل ما يحبه المسافر ويرجوه الى غير ذلك من اصلاح الزراعة والصناعة والتجاره وسائر أسباب الثروة والعماره وناهيك ما شرع فيه لهذه المينا الشهيرة من الاصلاح والتحسين لتسهيل السبيل فيها لمن يرد من التجار والمسافرين ووقاية السفن فيها من أخطار البحر المهوله وتمكينها من الوصول اليه مع السهوله واخراج ما فيها الى البر بأيسر الامر وبغير ما يكابد فيها من المشقة والعسر فباتمام هذا الوضع الباهر واستحكام هذا الصنع الزاهر يسهل تواصل تجارة الغرب

والشرق

والشرق بطريق مصر ويعود نفع ذلك لاوطاننا ولتلك الجهات بما لايدخل تحت حصر ويكثر توارد المسافرين والتجار وتزداد بذلك الثروة واليسار وإنا لنعد أنفسنا بحمد الله من زمرة السعداء بحضورنا لابتداء أساس هذا البناء فنسألك اللهم يا واهب العطاء وإله الارض والسماء كما وفقت لحسن الابتداء أن تعين على حسن الانتهاء بجاه خاتم الانبياء صلى الله عليه وعلى آله وسائر المقتدين بكماله

وكتب بناء على أمر منه أيضا هذه المقالة ليتلوها المغفور له
المشار اليه في يوم وضع الاساس المذكور

مما أعده من سعادة الحال وخلاصة الآمال أني حضرت بهذا اليوم الكريم في هذا المحفل العظيم لافتتاح أمر جسيم وخير عميم وهو تحسين أحوال هذه المينا الشهيرة من قديم الاعصار المقصودة لطوائف التجار من جميع الامصار وتجديد ما تحتاجه من الارصفة المحكمة وسائر الاعمال المهمة اللازمة لوقاية السفن من غوائل البحر وتمكينها من الوصول الى جانب البر حتى يسهل بهذه الواسطة اخراج ما فيها اليه وتوصيله لسكة الحديد من غير مشقة تكلف عليه وعند وصولها الى السويس يسهل نقله أيضا الى البحر بواسطة ما سبق في مينا ذلك الثغر من أعمال التنظيم والاصلاح وأسباب اليسر والنجاح أملا في تسهيل التجارة وتيسيرها واستجلابها الى هذه الجهات وتكثيرها اقتداء بمقاصد جدنا المرحوم في مثل تلك الاحوال وتحصيلا لما كان يرجوه لأوطاننا هذه من سعادة الحال والمآل فان هذين البلدين من أعظم مراكز التجارة بين الشرق والغرب قديما وقد كانت أرض مصر فيما سلف من العصر طريقا لهذه التجارة زمنا عظيما مع ما كان من تكرر النقل وتعسر العمل فبانتظام طرفيها بهذا الوضع الجديد مع وجود ما بينهما من سكة الحديد تزول الصعوبة وتحصل السهولة وتصل التجارة الى غايتها المأمولة فيعود نفع ذلك على جهات الشرق والغرب بسهولة التجارة والى أوطاننا هذه بأسباب الثروة والعمارة ومزيد التمدن والحضارة ومن أجل حصول هذا الخير العميم قد شرعت بحول الله في هذا الامر العظيم وحضرت لوضع أول أساسه مبتهجا بحضوركم عالما بأنه كما فيه زيادة سروري فيه مزيد سروركم سائلا من انعام ذي الجلال والاكرام كما منّ بحسن الابتداء أن يوفق لحسن الختام

وكتب خطبة لافتتاح امتحان مدرسة المبتديان في ٧ شعبان سنة ١٢٨٨

خير ما يبتدئ به المبتدي حمد الفتاح العليم واهداء الجناب المحمدي خير الصلاة والتسليم وبعد فاننا من الشاكرين لحضرات ساداتنا الحاضرين على ما تفضلوا

به من نقل الاقدام الى هذا المحفل الكريم لاختبار ما حصلناه فى هذا العام من ثمرات التعلم والتعليم فى ظل ولى النعم الاكرم أسبغ الله عليه وارف ظلاله وبهمة من نحن تحت ادارتهم من أفاضل رجاله والله المسؤل أن يمدنا بالصواب ويسددنا لاحسن الجواب وأن لايزال هذا المحفل العام يتشرف بحضور حضراتكم كل عام مع بقاء ولى النعم الخديوى الاكرم الذى جدد لنفع هذا الوطن هذه المدارس بعد اندثارها وغرس من حسن التمدن أحسن المغارس التى ننتفع كلنا بأطايب ثمارها فعلينا أن ندعو له على الدوام متعه الله بأنجاله الكرام وبلغه غاية المرام

وكتب ماتلاه أول تلميذ فى امتحان المكاتب الاهلية يوم الاثنين ٩ شعبان سنة ١٢٨٨

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله تعالى تبركا بفاتحة كتابه والصلاة والسلام على سيدنا محمد تقربا لجنابه وبعد فقد تشرفنا بحضور هذا المحفل الكريم والنادى العظيم لعرض مااستفدناه فى المكاتب الاهلية من ثمرات التعليم سائلين من فضل الكريم الوهاب أن يهدينا الى الصواب فى الجواب شاكرين لسادتنا الحاضرين الكرام على ماتفضلوا به من تشريف هذا المقام داعين لولى النعم الخديو الافخم بما سمحت به مراحمه الكريمه وسخت به مكارمه العميمه من تحسين هذه المكاتب الاهلية وتنظيمها وتوسيع دائرتها فى أوطاننا السعيدة وتعميمها لانها أساس التعلم والتمدن وأول درجة فى مراقى التقدم والتمكن وهذه مكرمة تشملنا جميعا مفاخرها وتبقى الى اخر الايام مآثرها ويبشر بحسن مستقبلاتها الآتية حاضرها فعلينا أن نبتهل بالدعاء له الى الكريم المتعال وهاب النوال ومجيب السؤال فبلغه الله خير الآمال ومتعه بحضرات الانجال وأدام توفيقه للخير فى كل حال بجاه نبى الكمال آمين اللهم آمين

وكتب ماقرأه تلميذ فى امتحان عام

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمدك اللهم ولك الحمد فى الاولى والآخرة على ما أفدت من نعمائك الفاخره وأفضت من بحار آلائك الزاخره ونصلى ونسلم على نبيك أبى القاسم سيدنا محمد الفاتح الخاتم وعلى آله الكاملين وصحبه العالمين العاملين وندعوك اللهم لولى نعمتنا المعظم أفندينا الخديو المفخم وأنجاله الفخام ورجاله الكرام أن تبلغهم خير المرام وتنفع بهم هذه الاوطان السعيدة على الدوام ونعلن بالشكر لمن تفضلوا على هذه المدرسة بحسن التفاتهم وجملوها بنشر لآلى كلماتهم وكل من شرفوا بالحضور

وأحلوا على من بها مزيد الحبور شكر الله مساعيهم وأدام معاليهم وأعادلهم أمثال هذه المواسم ولازالت ثغور الاقبال لهم بواسم ماازدهى هلال وانتهى لغاية كمال

وكتب فى مثل الغرض السابق أيضا مانصه

بسم الله الرحمن الرحيم

يامن أوضح لذوى المعارف مناهج البراعه وذلل عيدان البلاغة لهم أعنة اليراعه فأصابوا غرض الفضل بسهام الافهام وامتاز وابحلية المجد بين الانام نحمدك بما ألهمت ونشكرك على ماعلمت ونسألك خير الصلاة والتسليم لسيدنا محمد النبى الكريم وسائر الانبياء والمرسلين وآلهم وصحبهم أجمعين وبعد فهذا يوم نعده من أسعد الايام ونترقبه ترقب الاعياد فى كل عام لعرض مااستفدناه فى السنة المكتبيه من ثمرات العلوم والمعارف الادبيه بحضور أعلام العلماء الافاضل الآخذين باعنة الفضائل والامراء الذين لاحت نجوم كمالهم بمطالع السياده وبدا بدر فخارهم فى سماء السعاده وسائر من تفضلوا علينا بالتشريف وتحلى بهم هذا النادى الشريف شكر الله إفضالهم وبلغهم من جميع الخيرات آمالهم وسر هذه المدارس بتشريفهم كل سنه ببقاء من أسس لنا هذه المآثر الحسنه وأظلنا بوارف ظلاله وأنهلنا من مناهل نواله ولى نعمتنا الخديو الفخيم سمى سيدنا اسمعيل بن ابراهيم لازال مؤيدا بتوفيق الله فى جميع أحواله ممتعا على الدوام بكامل أنجاله زاهية رياض آماله مبتهجة مصر بعلى كماله آمين ٤ يوم الثلاث الموافق ١٥ ش سنة ٩٠ هجرية

وكتب ماقاله التلميذ الاول فى أحد الامتحانات العمومية للمدارس

بسم الله الرحمن الرحيم

حمدا لمن منح ذوى المعارف السبق بميدان البيان وراض لهم صعاب الفنون بأعنة العرفان فانتهجوا التعلمها المنهج المستقيم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم وصلاة وسلاما على من أشرق طالع وجوده بين الآنام فى مطالع الكمال وعلى آله وأصحابه الذين فازوا باقتطاف أثمار اتباعه بأيدى الامتثال وبعد فان أجمل ماأسرع بتلاوته لسان البراعه وأكمل مابادرت بنظمه بنان البراعه وأحسن ماأصبح به طرف الدهر قريرا وأسنى ماأضحى به روض الفخار مورقا نضيرا مكارم ولى النعم الخديو الفخيم سمى اسمعيل بن الخليل ابراهيم أبقاه الله حلية لاجياد الايام والليال وحفظ سعادة ولى عهده الوزير المفضال محمد توفيق باشا صاحب الدولة والاجلال وسائر اخوته بدور سماء المهابة والجلال فمن مآثره

الخديوية التى ملأت قلوب الآنام ابتهاجا ومفاخره العلية التى صارت لهامة الدهر تاجا أنه بعد أن أحكم بحسن حكمته فى هذه الديار أساس العز واليسار وشاد بعلى همته ماشاء من مبانى الشرف والفخار غرس أفنان الفنون فى مغارس مدارسها العلمية فأثمرت بأنواع المعارف والعلوم العقلية والنقلية وسقاها من بحر نداه الوافر الكامل فأثنت على جميل صفاته بقول القائل

زان المدارس بالعلوم فأصبحت * تروى حديث علاه بالاسناد
وغدت لانواع المعارف موردا * عذب المذاق لسائر الورّاد

لاسيما وقد زادت شرفا بنظارة سعادة نجله الكريم عليها وتوشحت بمحاسنه التى هى الغاية القصوى لديها الامير الذى يتباهى به المجد ويزدهى وبأمره ونهيه يأتمر الدهر وينتهى عطوفتلو حسين كامل باشا ناظر الاشغال والاوقاف والمعارف أسبغ الله تعالى عليه ظليل ظله الوارف

بنجل خديو مصر لقد تحلت * بأجمل حلية الفخر المزيد
وأضحت فى ثياب الحسن تزهو * وتتلو آية الشرف التليد

ومما أوجب تسابقنا فى المعارف على جياد الافهام تشريفنا فى هذا اليوم المشهود والموسم المسعود كل عام لاختبارنا فى إصابة غرض الفنون بنبال الدرايه ومعرفة المستخرج منا درر المعانى ليحرز من الشرف الغايه والمسؤل من فضل الله سبحانه أن يوفقنا لشكر هذه النعم الباهره والقيام بما أراده ولى النعم من تعليمنا وتربيتنا لخدمة هذه الاوطان الزاهرة وأن يسعدنا بتحصيل رضاه على الدوام فهو خير المرام ويرشدنا لحسن الافصاح فى هذا المقام عما استفدناه فى هذا العام بحضور حضرات الامراء الامجاد المنوطين بادارة أمور العباد على محور السداد وحضرات الافاضل الكرام من أماثل العلماء الاعلام جمال الايام وحفظة الدين المبين وهداة الآنام وسائر من عودونا بحسن مساعيهم العظيمة وأوجبوا علينا شكر أياديهم الكريمة فنحن بتشريف حضراتهم مفتخرون ولمزيد أفضالهم حامدون متشكرون كما أننا أيضا شاكرون لحضرات رؤسائنا الجهابذة وسائر المأمورين والاساتذة فقد بذلوا النسافى التربية والتعليم حق النصح والاجتهاد جريا على مقاصد الجناب الخديوى الكريم المتجهة الى منافع العباد لازال افتخار هذه الديار السعيدة به عالى المنار ولا برحت حدائق عز أنجاله الكرام باسمة الازهار وكواكب سعودهم تزدرى بالشمس فى رابعة النهار ماسطع نور هلال وطلع بدر كمال

وكتب
١٠

وكتب ما قرأته احدى التلميذات فى احتفال بمدرسة البنات بالسيوفية

(بسم الله الرحمن الرحيم)

نحمدك اللهم حمدا يوفر نصيبنا من عطائك ونصلى ونسلم على سيدنا محمد خير أنبيائك وعلى آل بيته الطيبين وصحبه الاكرمين وزوجاته الطاهرات أمهات المؤمنين ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين وندعوك دعاء الابتهال لولى نعمتنا الخديو الكريم المفضال الذى أفاض علينا سحائب النوال وصرف على حسن تعليمنا نفائس الاموال حتى اقتدت به العائلة الداورية الكريمة والعصابة الخديوية الفخيمة فما منهم غير سابق لنفع العباد متسابق الى الخير والبر والرشاد لاسيما حضرة واسطة عقد العصمة والتكريم وثالثة الحرم المحترم الخديو الفخيم صاحبة هذه المدرسة العامره ربة المكارم الزاهرة والآثار الباهره فقد غمرتنا ببرها العميم ووجهت الينا حسن نظرها الكريم حتى ظهرت علينا آثار النجاح فى التعليم واجتمع من مشغولات أيدينا فى المدة الماضية ما يسر النظار ويدل على ما يكون بعناية الله فى المستقبل من محاسن الآثار فتكرم أولياء نعمتنا بأخذها بأوفر القيم وشرفنا من حضر هذا المحفل السعيد لتوزيعه بالنصيب والقسم وحيث كان هذا العام لنا من السنين الاوائل فنرجو خيرا منه ان شاء الله فى العام القابل ونسأل الله تعالى الذى بيده جميع الامور أن يعيده علينا وعلى جميع من حضر بالخير والسرور والانس والحبور والحظ الموفور ببقاء حضرة ولى النعم العميمة وولية النعم والدته الفخيمة وسائر العائلة العلية والانجال الفخام والكرائم الكريمة متعهم الله جميعا بخير الآمال بجاه سيدنا محمد نبى الكمال

وكتب بناء على طلب خطبة يخطب بها على منابر القطر المصرى أيام الجمع لحث الناس على التبرع بنقود للمساعدة على اصلاح عين زبيدة وذلك أن العين المذكورة عليها مدار ما يحتاج اليه من الماء أهل مكة وما حواها ومن يقدم عليها من الحجاج وغيرهم وقد كان تخرب مجراها حتى خيف على الناس من العطش وخيف من انقطاع الحج فتشكلت لجنة بمكة لجمع نقود لاصلاحها وتشكلت لجنة بمصر أيضا لهذا الغرض فى سنة ١٢٩٧ تحت رعاية الجناب الخديو المغفور له توفيق باشا وعناية صاحب الدولة رياض باشا رئيس نظار الحكومة المصرية اذذاك فجمعت أموالا كثيرة من القطر المصرى أول ارسالية منها خمسة وعشرون ألف ليرة وكان سيدى الوالد أمين صندوق اللجنة المصرية وأحد أعضائها

الحمد لله الذى أمر بالتعاون على البر والتقوى وجعل بذل الصدقات فى سبيل الخيرات لبلوغ علو الدرجات هو السبب الاقوى وضاعف عليه الثواب والاجر الجسيم أحمده حمد من أنفق ماله فى سبيل الله ابتغاء مرضاته وأشكره شكر من أحب التقرب اليه سبحانه فاستكثر من حسناته وقرباته وتباعد لخوف سخطه عن كل عمل ذميم وأشهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك له الهادى الى سواء السبيل وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله ساقى العطاش من الحوض يوم الموقف الجليل المخاطب بقوله سبحانه وانك لعلى خلق عظيم اللهم صل وسلم على هذا النبى الكريم والرسول السيد السند العظيم سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أولى الفضل والتكريم أما بعد فيا عباد الله اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة وعظموا شعائر الاسلام الجليلة بما يليق لها من التعظيم ومن المعلوم الذى لا يكاد يحتاج الى دليل أن لله على الناس حج البيت من استطاع اليه السبيل كما نطق به القرآن الحكيم ولهذا يتسابق كل سنة الى جهة مكة الموفقون ويزدحم لاقامة شعائر الحج بها المتقون إجابة لدعوة أبينا الخليل الجليل إبراهيم ولا يخفى أن الماء أهم ما يحتاج اليه فى تلك الجهات المبرورة وأن المدار فى تحصيله على عين زبيدة المشهورة إذ هى المنهل المورود للظامئين والعطاش الهيم وقد كادت تتعطل هذه العين الجليلة لطول تداول الاعصار وكثرة ما يصيبها كل سنة من تخريب السيول والامطار مع قلة العمارة والترميم ولو تعطلت والعياذ بالله يعظم البلاء وينقطع الحج لتعذر الاداء وتخلو مكة المكرمة من القاصد والمقيم وقد شرع الآن فى عمارتها بما تجمع من الصدقات وما تبرع به أهل الخيرات والحسنات والمبرات فياله من خير عظيم ونفع عميم فبادروا رحمكم الله الى هذه الاعانة النافعة لتكون لكم عند الله ذخرا وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيرا وأعظم أجرا واستغفروا الله ان الله غفور رحيم

﴿ الحديث ﴾

ورد فى الحديث الشريف عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال تمنى جبريل أن ينزل الارض ليسقى الماء وليصلح بين اثنين

وكتب ما قرئ فى جمعية توزيع المكافآت على تلامذة المدارس الاميرية والمكاتب الاهلية والخيرية

يا مفيض الجود على الوجود وجامع الناس ليوم مشهود نحمدك اللهم حمدا يكافئ مزيد نوالك ونشكرك اللهم شكرا يستتبع دوام افضالك ونسألك أن تهدى

لسيد

لسيد الشاكرين وأشرف الاولين والآخرين صلى الله صلاة تليق بجنابه وتعم جميع آله الكرام وأصحابه

أزكى صلاة وأسناها يرادفها * أزكى سلام على المختار هادينا
وآله الطهر والصحب الاماجد من * بهديهم قد أقاموا الحق والدينا

ونتوسل اللهم بهم لديك باسطين أكف الضراعة والاستكانة اليك سائلين من فضل كرمك مستمسكين بحبل نعمك أن تديم غرة عصرنا وقرة عين مصرنا من أعاد لهذه الاوطان العزيزة قديم اشتهارها وجدد ما اندرس من معالم افتخارها وأجرى ما نضب من منابع يسارها فأضحت تباهي سائر بلاد الدنيا وأمصارها ونشر أنوار الفنون والمعارف بين أبنائها بما أنشأ من المدارس والمكاتب في جميع أنحائها وما صرفه من جزيل كرمه عليها وما عطفه من جليل هممه اليها حتى أصبح نور العلم والعدل في ظل أيامه فاشيا وظلام الظلم والجهل بحكمة أحكامه متلاشيا

في ظل دولة اسمعيل قد ظهرت * في مظهر الشرف الاعلى معالينا
وساعدتنا الليالي وازدهت فرحا * أوطاننا وسعدنا في أمانينا
أدامه الله محفوظ الجناب على * طول الزمان وهناه المنى فينا
ودام أنجاله في عز دولته * مدى الليالي فهم عز لوادينا

فحق على جميع أهل الوطن الكريم شكر هذا الجناب الخديو الفخيم على ذلك الخير العظيم والبر العميم ولاسيما نحن أبناء المدارس الاميرية والمكاتب الملكية الاهلية والخيرية فقد نشأنا في ظل عدله وربينا على موائد فضله وتعلمنا كل ما تعلمنا بحسن ارشاده وتقدمنا فيما تعلمنا بمساعدته وإسعاده فنحن صنائع كرمه وربائب نعمه وغرس أياديه الكريمه وثمرات مساعيه الجسيمه غرسنا في أرض افضاله وسقانا زلال نواله وتولانا بكامل عنايته وتعهدنا بعلي رعايته وسنكون بمشيئة الله وعونه أدواح نجاح ونثمر عنه وعنه للوطن حسن صلاح وفلاح وها هو أدام الله أيامه وبلغه من جميع الخير مارامه شرع يكافئنا على نعمه بنعمه وشرفنا في هذا المحفل الباهر بنقل قدمه كرما على كرم ونعمة على نعم فعلينا من الواجب البين وجوب الفرض المتعين أن نجعل أيامنا ظرفا لشكر نعمته وأجسامنا وقفا على حسن خدمته وألسنتنا مدى الدهر ناطقة بمدحته وقلوبنا مدة العمر متفقة على طاعته ومحبته وأن نبذل في تحصيل رضاه غاية امكاننا ونجاري ان شاء الله مقاصده الكريمة في نفع أوطاننا وحق لنا الآن أن نتهادى بيننا بعلائم التهاني ونبشر نفوسنا وأوطاننا بغايات الاماني وعلينا أن نعلن بعد شكره وشكر

حضرات أنجاله الفخام بالثناء على من شرفنا فى هـذا المقام من حضرات الامراء العظام وأعلام علماء الاسلام وسائر الحضار الكرام أدام الله معاليهم وأسعد بهم أيامهم ولياليهـم وعلينا أيضا أن نعترف بحسن اجتهاد رؤساء نامعنا فى التربيـة والتعليم على وفق مقاصد الجناب الخـديوى الفخيم ونقوم لهـم بواجبات الشكر والتكريم شكر الله أياديهم وتقبـل مساعيهم وأعاد لنا وللجميع فى مثل هـذه الايام عيد هذه العادة الحسنة الخـديوية كل عام ببقاء ولى النعم الخـديوى الافخم متعه الله بدوام توفيقه واقباله وكامل أشباله الاماجد وأنجاله وسائر ذويه الكرام وبلغه غاية المرام

ندعـوله وإله العـرش يسمعنا * فضلا ويعلن بالاخلاص داعينا

دعاء صـدق اذا الداعى استهل به * يقول سامعـه آمـين آمينـا

آمين اللهم آمين

ومما يستحق الذكر خطبته التى خطب بها فى مجلس النوّاب بناء على تقرير قدّمه الى ذلك المجلس سعادة عبـد السلام باشا المويلحى أحـد أعضائه اذ ذاك متعلق بأمر التعلـيم فى القطر المصرى وهى منقولة من الوقائع المصرية الصادرة بتاريخ ٢٨ مارث سنة ١٨٨٢ (٩ جا سنة ١٢٩٩) عدد ١٣٦٩ ونصها

مجلس النوّاب

محضر يوم الاحد ٢٢ ربيع الثانى سنة ١٢٩٩

عقدت الجلسة والساعة ٦ برئاسة سعادة الرئيس وحضور ٦٨ من الاعضاء

(سعادة الرئيس) قد حضر سعادة ناظر المعارف العمومية اجابة لطلب المجلس لتقديم البيان المطلوب من سعادته فى تقرير حضرة مويلحى بيك فلسعادته الكلام

(سعادة ناظر المعارف) دعيت لهذا المجلس الكريم بناء على تقرير أحد أعضائه الوجهاء المتعلق بتوسيع دائرة المعارف العمومية فى الخديوية المصرية فأتيت لتقديم الايضاح اللازم عن الاسئلة الواردة فى ذلك التقرير وهى ثلاثة

(الاوّل) بيان المدارس الميرية الموجودة فى القطر المصرى فهذا جدول يتضمن أوّلا بيان المدارس الميرية مدرسة فدرسة مع مقدار تلامذتها الداخلية والخارجية ومنه يعلم أن عدد التلامذة جميعا فى هذه المدارس يبلغ عدد ٢٦٨٧ تلميذا ثانيا بيان المدارس المركزية والمدارس المنتظمة الاهلية وهذه الاخيرة هى التى تلقى فيها دروس متنوّعة مثل اللغات الاجنبية والرياضيات والرسم أما المركزية فهى التى

تلقى فيها تلك الدروس ويكون بها مع ذلك تلامذة داخليون ومبلغ عدد التلامذة فى النوعين ٤٧٩٠ تلميذا ثالثا بيان المكاتب المعتادة المعروفة بالكاتيب فى المدن والقرى ومجموع التلامذة فيها ١٣٧٣٥٥ تلميذا وجملة التلامذة فى جميع المدارس المذكورة والكاتيب يبلغ ١٤٥٠٣٠ ويلى هذا الجدول جدول آخر يتضمن بيان عدد التلامذة المرسلين الى أوروبا بتعيين جهات اقامتهم وأنواع دراستهم وهم ٣٨ تلميذا يحصلون على نفقة الحكومة وأربعة على نفقة أهليهم بواسطة نظارة المعارف وفى أوروبا أيضا كثير من شبان مصر يتعلمون على نفقة أنفسهم بغير واسطة النظارة فهؤلاء لا تعلم النظارة مقدارهم

(السؤال الثانى) عن بيان المدارس التى يمكن لنظارة المعارف انشاؤها فى هذا العام من المندرج فى ميزانيتها والذى أراه أنه يمكن للمعارف أن تفتح من ميزانية هذا العام أربع مدارس احداها فى شبين الكوم ومدرسة فى الزقازيق ومدرسة فى دمنهور وواحدة فى دمياط فالثلاثة الاول قد صرفت الهمة الى انشائها حتى أشرفت على التمام فهى تنتهى بعد ١٥ أو ٢٠ يوما بحول الله وأما مدرسة دمياط فقد أخذت لها قطعة من ورشة مهجورة يلزم لها بعض الاصلاح والترميم لتكون صالحة لان تجعل مدرسة وقد عمل لها التصميم اللازم مع الرسم والمقايسة الابتدائية وبعث بالرسم والمقايسة الى سعادة محافظ دمياط لتطبيق التكاليف على الاجور والاسعار الحاضرة فى ذلك الثغر والبحث عمن يقوم باجراء هذه الاعمال بطريقة المزايدة أو الممارسة واشعارنا بذلك عسى أن يكون فى مصر من يقوم بهذا العمل بأقل من تلك التكاليف هذه هى المدارس الاربع التى يمكن للمعارف افتتاحها على نفقتها من ميزانية هذا العام أما مدرسة شبين الكوم فهى مقررة المصاريف بالميزانية فما ينفق عليها فهو مأخوذ من مبلغه المخصوص . وأما الثلاث الباقيات فلم يقرر لها فى الميزانية شئ وانما يستعان على نفقاتها بما يحصل من الاقتصاد فى النفقات العمومية وحيث اننا لا نزال فى أوائل السنة المالية فلا يمكن لنا القطع بما يتيسر الاقتصاد فيه من الميزانية بل غايتنا أنه اذا توفرت لنا الدواعى والمعدات لفتح غير هذه المدارس الاربع فلا نتأخر عن ذلك

(السؤال الثالث) بيان ما يمكن استخراجه من مدرسة المعلمين الآن وفى خلال العام الى اجتماع المجلس فى السنة القابلة وفى هذا أقول — ان هذه المدرسة حديثة العهد لم تفتح الا أواخر السنة الماضية حتى انه لم يحصل بها امتحان احتفالى فى وقت الامتحان المعتاد لعدم استعدادها لذلك والقسم الاول منها وهو عبارة عن الطلبة الذين سبق

أخذهم من الجامع الازهر وجعلوا فى دار العلوم التى أنشئت قبل هذه المدرسة ثم ألحقت بها فهذا القسم وان كان سبق لذويه الطلب والتحصيل من قبل نشأة المدرسة الا أنهم لم يستكملوا المقرر عليهم بعد فهم الآن يكبرون عن التدريس فى مكاتب الدرجة الثالثة والثانية ويصغرون عما فوق ذلك مما أعدّوا له فلا يحسن بنا اخراج أحد منهم فى هذه الحالة لان ذلك يعود بالضرر عليهم وعلينا فأما هم فانهم يضيعون ما حصلوه من المعارف الزائدة عن مقدار الحاجة فى المدارس الصغيرة وأما نحن فنحرم أناسا على قدم الاستعداد للتدريس فيما هو أعلى من تلك المدارس هذه حال المدرسة المذكورة أما المعلمون الذين يلزمون للمدارس الاربعة السابقة الذكر فيمكن لنا استحصالهم بواسطة الاعلان وممن يأتون برغبتهم من الذين تربوا فى المدارس ودخلوا الخدم الميرية ثم خلوا منها أو لا يزالون فى الخدمة برواتب قليلة يمكن للمدارس أن تزيدهم عنها أو بنقل بعض الموظفين فى المدارس الموجودة والتعويض منهم بغيرهم ممن يأتى بالطريقة المذكورة . وهاهنا لابدّ لى من بيان أمر جدير بالتذكار وهو أن نظارة المعارف لم تشتغل فى الاوقات الماضية باعداد عدد وافر من المعلمين لقلة ما كان ينشأ من المدارس بسبب ضيق مرتباتها بل كانت فى وقت مّا على يأس من انشاء مكاتب جديدة بل حصل فى أوقات تنقيص المدارس الموجودة إما بالغاء بعض المدارس رأسا أو بتقليل عدد التلامذة بل أتى عليها حين من الدهر كانت على عجز من القيام بنفقات ما عندها من المدارس لضيق المرتبات هذا ما منعها من اعداد كثير من المعلمين وليست فى ذلك بملومة فانه لا فائدة فى اعداد المدرسين على حين لا يرتجى وجود المدارس بل مثل من يفعل ذلك كمثل من يستكثر من الآلات والادوات الزراعية ولا أرض له ولا رجاء بالحصول على شئ من الارض ولكنها لما رأت تيسر الاسباب لفتح بعض المدارس الجديدة أنشأت هذه المدرسة أى مدرسة المعلمين على عدد قليل بقصد أن يكون لديها عوض ممن ينتقلون من وظائف التدريس بها طلبا للزيادة رواتبهم وللحصول على معلمين لما عساه أن يتأتى لها انشاؤه من المكاتب الجديدة أما الآن فاذا تحقق الأمل فى ازدياد المدارس والمكاتب على طريقة تثق بها نظارة المعارف ويمكن لها الاعتماد عليها فانها تأخذ فى الاستعداد لترشيح عدد من المعلمين على قدر الكفاية بحسب ما يتقرر وانما قلت على طريقة تثق بها نظارة المعارف وتعتمد عليها لاسباب منها أن هذه الطريقة اذا كانت محالة على الحكومة اختصاصا فانها تكون عرضة للتغير فكثيرا ما رأينا الحكومة تفتح المدارس ثم تبطلها متابعة لمقتضيات الاحوال فقد ابتدأت فى مدة ساكن الجنة محمد على باشا بايجاد مكاتب كثيرة فى البلاد والقرى

بالاقاليم المصرية حين كان للمرحوم المشار اليه أشغال وأعمال فى بلاد الروم والشام والحجاز فلما عادمنها وانحصرت الاعمال فى داخلية مصر قلل عدد المدارس وأبطل المكاتب التى كانت أنشئت فى الاقاليم ثم جاء المرحوم عباس باشا فاقتصر على المدارس المفروزة ثم جاء المغفور له سعيد باشا فأبطل فى بعض مدته المدارس واكتفى فى البعض الاخر بالنزر القليل منها ثم بعد ذلك العهد تجددت المدارس فى العباسية ووسعت لها النفقات كثيرا ثم غير ترتيبها ثم شرع فى تجديد كثير من المكاتب ثم حصل العزم والتصميم على ايجاد مكاتب فى جملة جهات كالمنصورة وفوة والسويس والوادى وغيرها ثم صرف النظر عنها ثم أبطل بعض المدارس الموجودة كمدرسة الصنائع التى كانت أنشئت فى بولاق والحاصل أن شأن الحكومة أن تكون متابعة للاحوال وأحكام الضرورة ومقتضيات الاوقات فى اجرآتها المتعلقة بالمدارس تارة تزيد فيها وتارة تنقص منها فالطريقة المحمولة عليها خصوصا لتعميم المعارف لا يصح لهذه النظارة أن تعدها راسخة مستقرة ومن الطرق التى لا يمكن لنظارة المعارف اعتمادها فى هذا الامر الطريقة المنوطة بالجمعيات المؤلفة من آحاد المتبرعين يجوز للمتبرع منهم أن يؤدى اليوم ألفا ويمسك غدا عن واحد ولنا على ذلك أدلة نورد منها على سبيل التمثيل أن جمعية المقاصد الخيرية التى اجتمع فيها عدد كبير من المتبرعين المحسنين لم يتيسر لها الى اليوم أن تفتح غير مدرسة واحدة وكذلك الجمعية الخيرية بالاسكندرية ومثلهما جمعية المدارس المجانية الحرة التى أنشئ لها فروع فى مصر واسكندرية وكادت أن تمتد أفنانها الى كثير من البلاد المصرية ثم صارت الآن قاصرة على المدرسة التى لها فى ثغر اسكندرية فهذه الطريقة وأمثالها لا يجزم بأنها تكون بتلك الحالة راسخة مستمرة دائمة ولذلك قلت ان نظارة المعارف تأخذ فى إعداد العدد الكثير من المعلمين اذا وجدت لتعميم المعارف طريقة تعتمد عليها وقد يرد علينا ههنا مسئلة نورد منها وجه الاشكال والحل فللقائل أن يقول إن توسيع دائرة مدرسة المعلمين أو إنشاء مدارس جديدة لترشيح الطالبين التدريس يحول دون المبادرة الى انشاء المكاتب بما تقتضيه من الزمن الطويل فان كان المراد الاسراع فى الابتداء بتعميم المعارف على قدر الامكان فما الطريقة للحصول على معلمين والجواب أن لذلك طريقة عنت لخاطرى منذ مدة وذاكرت فيها بعض السادة النواب وغيرهم من الفضلاء وهى أن نأخذ من طلبة الجامع الازهر عددا محددا بقدر اللزوم ومقدار المكاتب المأمول انشاؤها ثم نعد لهم مكانا غير بعيد من الازهر ونعين لهم فيه حصتين أى درسين كل يوم درس للخط ودرس للازم من الحساب فى مدارس الدرجة الثانية والثالثة ونشترط فى

قبول هؤلاء الطلبة أن يكون الطالب منهم حافظا للقرآن المجيد مجوّدا له وأن يكون قد حضر بعض كتب فى التوحيد والفقه والنحو فتكون هذه العلوم حاصلة لديه بغير مصروف منا ثم يتعلم فى المكان الذى نعده لهم الخط والحساب على ماذكرناه ونجعل له فى الشهر راتبا يكون بين ٢٠ و ٣٠ قرشا على سبيل الاعانة والترغيب ثم إنه لا يشتغل فى ذلك المحل غير ساعتين أو ثلاثة وهذا لا يقطعه عن التحصيل فى الازهر ولا يمنعه من صرف باقى الوقت فيه على عادته وعندى أن كثيرا من الطلبة الازهريين يرغبون فى هذا الامر — أولا لانه لا يمنعهم من التحصيل — ثانيا لانه يفيدهم علما بما ينفعهم فى الامور المعاشية فالخط يعينهم على نسخ مايقرؤن من الكتب وغيرها لانفسهم أو للتكسب وينتفعون بما يتعلمون من الحساب فيما يحتاج له ثم انا لا نأخذ منهم عن ذلك عوضا بل نعطيهم مكافأة معلومة ونكفل لهم ان شاء الله مستقبلا حسنا وقد تكلمت فى ذلك مع حضرة الاستاذ شيخ الازهر وجماعة من العلماء الافاضل والطلبة المجاورين فحققوا لى ما ظننت من امكان الحصول على عدد كثير من الطلبة يرغبون ذلك فيتأتى لنا بهذه الطريقة الحصول على عدد كثير من المعلمين فى أمد يسير مستعدين للتدريس فى مكاتب الدرجة الثالثة التى يكتفى فيها بتعليم القرآن الكريم والعقيدة وقواعد الاسلام الخمس والخط والمقدار الضرورى من الحساب وأظن أن هذا القدر هو المهم وهو اللازم تعليمه فى مكاتب القرى اذ لا حاجة بنا لان يكون لنا فى كل قرية من القرى الريفية مكتب لتعليم اللغات الاجنبية والتوسع فى العلوم الرياضية بل ينبغى أن يقتصر فيها على تعليم الضرورى اللازم لعموم الافراد ومن لم يكتف بذلك القدر من سكانها ورام الزيادة فيه تأتى له الحصول عليها فى أقرب المدن اليه مما يوجد به ذلك

ولى الامل الاكيد فى أن المدة التى تلزم لإنشاء المكتب واتمامه وإشعار المعارف به وإعداد اللازم له تكون كافية فى الحصول على عِدّة من هؤلاء المعلمين فى فتح مكتب من هذا القبيل نظرنا فيهم فان وجدنا أحدا من القرية التى انشىء فيها المكتب أو مما يجاورها بعثنا به اليه والا بعثنا بغيره ممن يرغب من المستعدين منهم أيا كان موطنه وجعلنا الراتب بين ٢٠٠ قرش و ٣٠٠ قرش فاذا فرض أنه فى تلك المدة انشئت مدرسة من الدرجة الاولى فانا نأخذ لها من المعلمين للقرآن والاملاء والمطالعة ومبادئ الحساب ونحو ذلك من هؤلاء الطلبة ومن يلزم للغات الاجنبية أخذناه بالامتحان كالمعتاد الى الآن

ولكنى أقول إن البلد الذى يروم سكانه انشاء مدرسة من الدرجة الاولى لا يحسن

أو

أولا يمكن لهم ابتداؤها على هذه الصفة دفعة واحدة اذ يلزم التدرج فى ذلك بتمكين التلامذة أولا من المطالعة والاملاء فى لغتهم ثم ينتقلون الى غيرذلك مما يراد تعليمهم اياه فقد أفادتنا التجارب أنه قلما يتيسر الابتداء بالدرجة الاولى فى مدرسة جديدة فى بلد ليس به غيرها بل ربما أنشئت على أن تكون من تلك الدرجة ولم يتأت لها مجاوزة الدرجة الثانية بل الثالثة أحيانا ـ نضرب لذلك مثلا مدرسة الجيزة التى لم تعلم بها لغة أجنبية الى الآن ومدرسة قليوب اذ ورد الينا من جماعة منها محضر يطلبون فيه ادخال اللغة الفرنساوية فى دروس المدرسة فأرسلت اليها بعض المفتشين مندوبين لاختبار التلامذة فاختبروهم بمحضر من أهلهم وغيرهم وتبين من افادتهم أن الاولى أن يتم التلامذة باقى هذه السنة فى اللغة العربية ليتمكنوا من المطالعة والاملاء لان هذا هو الاساس ولابد لتوطين البناء من تمكين الاساس ولذلك أرى أن المدرسة التى تنشأ على انها من الدرجة الاولى لاتصل تلك الدرجة الابعد مدة ففى ظرف هذه المدة تجتهد نظارة المعارف فى إعداد من يلزم لها من المعلمين

ومن هذا يتضح لحضراتكم أنه لايعوقنا عن القصد شئ فالمعدات الممكنة حاضرة والاسباب اللازمة قريبة المنال فما يلزمنا الا العزم والسرعة والاقدام حتى نصل الغاية التى أدركها الذين نروم مجاراتهم فى هذا السبيل ولانطمعن فى ادراك هذه الغاية بغير ثبات واجتهاد فان من يشتهى أن ينال الشئ بدون معداته كمن يشتهى أن يتناول القمر بيده وهو مضطجع فى مرقده والذى يبشر بانجاح الآمال أنار أينا التفات حضراتكم لهذا الامر وتوجه خواطركم الى هذا الموضوع فلم يبق الا الجد والاستمرار وتقرير الطريقة المستقيمة لتعميم المكاتب فى البلاد من غير مبالاة بالمتاعب ولا نظر فى النفقات والمصاعب فقد قال الاول

دببت للمجد والساعون قد بلغوا * جهد النفوس وألقوا دونه الأُزُرا

لاتحسب المجد تمرا أنت آكله * ان تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا

لاأقول ذلك بالنظر الى كونى ناظر المعارف فانى ممن يعلم علم اليقين أن هذه الوظائف ظل مائل وعرض زائل وأنها تقليد لاتخليد وانما أقوله بالنظر لكونى وطنيا مثلكم وواحدا منكم ينفعنى ماينفعكم ويضرنى مايضركم ويهمنى مايهمكم وأرى أن جميع مالدى فى هذا الامر من الاحساسات النفسية والتأثرات القلبية قائم بنفوسكم الطاهرة وأفكاركم النيرة فما أريد أن أطيل القول فى الحث على تعميم التعليم والاستكثار من المدارس فان كل ما أقوله فى ذلك انما أكون فيه مترجما لكم عن أفكاركم وناقلا لمسامعكم مافى ضمائركم

على أنى أقول ان ليس فى الامر من صعوبة تهول فانه اذا أمكن وجود معلم المكتب براتب بين ٢٠٠ و ٣٠٠ قرش فلا يكون مصروفه مع راتب عريف يؤخذ من العرفان الموجودين فى القرى أكثر من ثلاثة آلاف الى أربعة آلاف قرش سنويا فان كان فى القرية ألف من السكان لم يترتب على الواحد منهم إلا أربعة قروش فى العام فهل فى ذلك من صعوبة عليهم بل ربما وجد فى البلد واحد يستطيع بنفسه أداء هذا المقدار من غير أن يبالى به فهل يحسن بنا مع ذلك البقاء على ما نحن فيه حتى تنشئ الحكومة المدارس وتوجد لها العمال وتستكمل المعدات وتبذل النفقات أظنكم لا ترضون ذلك أيها السادة الكرام خصوصا وانكم تعلمون أن الحكومة مقيدة بواجبات وحقوق مالية واجبة الرعاية فاذا أنشأت فى السنة أربع مدارس بل خمسا بل عشرا بل فى كل شهر مدرسة حتى تعوض من الكتاتيب بمكاتب منتظمة لزمكم على تلك الحالة أن تنتظروا لحصول هذا الغرض نحو خمسمائة سنة فان عندنا خمسة آلاف وسبعمائة كتاب من هذا القبيل وهذه حقيقة لا ترد فانها من باب اثنين فى اثنين باربعة ولهذا أقول لا بد من دخول يد الاهالى واجتماع كلمتهم فى هذا الامر حتى يحصل فيه النجاح

ثم ان انشاء المكاتب على نفقة الاهالى لا يترتب عليه من المصروف ما يترتب على انشائها من طرف الحكومة فان المدرسة من الدرجة الاولى تكلف الحكومة نحو ألف وخمسمائة جنيه ومن الدرجة الثالثة التى هى عبارة عن فصل واحد مع محلين صغيرين يكلفها نحو خمسمائة جنيه فى حالة كون ايجاد مثلها على نفقة الاهالى لا يكلفهم غير جزء صغير من تلك المصاريف فالطوب يضرب فى البلد ويحرق فى البلد ويبنى بمعرفة بنائين وفعلة منها ولا يخفى ما فى ذلك من قلة النفقات

وهذا رسم يشتمل على تخطيط مدرسة من الدرجة الاولى والثانية والثالثة أعرضه لديكم مثالا وفى الجيزة مدرسة من الدرجة الاولى وفى قليوب مدرسة من الثانية وفى طوخ مدرسة من الثالثة جعلت فى هذه الجهات الواقعة على خط سكة الحديد ليسهل معاينتها ويكون كل منها انموذجا لنوعه

على أنه ليس من اللازم أن تكون مكاتب الاهالى بتلك المثابة من الرونق والتحسين وانما اللازم فيها محل واحد أو عدة محلات على حسب اللزوم تكون مبنية بناء بسيطا ولو بالطوب الاخضر فالمقصد المنفعة التى تحصل فى ذلك المحل لا المحل بالذات فمن تيسر له أن يجعل المكتب على أحسن حال فله ذلك ومن أراد التوسط أو الاقتصار على

الفليل

القليل الممكن فهو خير ممن لا يفعل شيأ فالمناسب أن لا يكلف أحد الا وسعه ولا تحمل بلدة الا على قدرها

قال الله سبحانه وتعالى (لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله لا يكلف الله نفسا الا ما آتاها سيجعل الله بعد عسر يسرا) فهذه الامور بتوفيق الله تعالى مسهله وأعناق المصاعب لديكم مـذلله والحضرة الخديوية وحكومتها السنية لمقصدكم مؤيده ونظارة المعارف لرأيكم معضده والله سبحانه المسؤل أن يوفقنا ويديم لنا التوفيق لخير الاحوال ويسهل لنا الوصول الى غاية الكمال

(فأجابه حضرة عبد السلام بك المويلحى) قائلا نشكر لسعادة ناظر المعارف العمومية اهتمامه بالاسئلة الواردة فى تقرير هذا العاجز فانه قد استوفى الايضاح واستكمل البيان بما نعلم فى سعادته من الفضل وقوة العالمية وانى على رأى سعادته من أن التوكل المطلق على الحكومة فى نشر المعارف فى البلاد لا يأتى بالفائدة المقصودة بل لا بد فى هذا الامر من توازر الهمم واجتماع الارادات واتحاد المساعى من كل حريص على نجاح أوطانه راغب فى تقدم أبنائه واخوانه

(شوار بى بك) لا مشاحة فى وجوب بث المعارف الابتدائية فى انحاء القطر ولا بدّ لذلك من المساعدة العمومية من كل جهة لتكون الطريقة فى ذلك دائمة مستمرة مع ملاحظة انّ فنّ الزراعة لازم جدا لبلادنا

(أحمد افندى عبد الغفار) قد حضر سعادة ناظر المعارف وأتى على ما فى النية من الايضاح فلم يبق إلا تشكيل لجنة للنظر فى ذلك وأن يشرفها سعادته فى بعض الاحيان

(سعادة ناظر المعارف) أما حضورى فى اللجنة فلا أتأخر عنه البتة وما عليها إلا أن تعين لى الاوقات التى تلائمها والبيانات التى تحتاج اليها فأحضر فى الاوقات المعينة مع البيانات اللازمة — وأما اشارة حضرة شوار بى بك الى تعليم فنّ الزراعة فى المكاتب فهى جديرة بالاعتبار ولا يخفى على حضرته أن الزراعة عملية ونظرية فالعملية حاصلة والنظرية هى التى يرام تدريسها ولكن لنظارة المعارف مجلس أعلى مؤلف من نحو ٣٠ عضوا من الوطنيين والاجانب للنظر فى أحوال المدارس والدروس ولهذا المجلس لجنة مخصوصة لتعيين أنواع الدراسة وما يلزم من الدروس فى كل مدرسة وهى الآن مشتغلة بذلك ومتى فرغت منه تعرض لائحتها للمجلس ثم ان اللجنة التى ستتشكل من هذا المجلس الكريم للنظر فى انشاء المكاتب الابتدائية ستهتم بملاحظة هذا الامر لا محالة

(شوار بى بك) إنا واثقون بتمام الثقة بسعادة ناظر المعارف ومعتقدون فيه الحرص على كل منفعة وطنية ورجاؤنا أن يبدى ما أشرنا اليه فى مجلس المعارف الأعلى

(سعادة ناظر المعارف) لا أتأخر عن فعل كل ما يجب من هذا القبيل كما أنى مستعد للحضور فى اللجنة عند اللزوم مع الممنونية

(سعادة الرئيس) بقى أن تشكل لجنة لتقرير حضرة مويلحى بك المتعلق بالمعارف العمومية

(عبد السلام افندى خفاجى) تحول على لجنة اللائحة الاساسية المكلفة الآن بقانون الانتخاب

(ابراهيم افندى الوكيل) اللجنة المكلفة بمراجعة قانون الانتخاب لا تستطيع التفرغ لذلك التقرير

(محمود بك العطار) الاولى أن يعين لتقرير مويلحى بك لجنة مشكلة من عشرة أعضاء اثنين من كل قلم

(وافقت الاكثرية على ذلك) — انفضت الجلسة والساعة تسعة وربع

محضر يوم الاثنين ٢٣ ربيع الثانى سنة ١٢٩٩ بعدد الوقائع المصرية نمرة ١٣٧١ الصادر بتاريخ ١١ جا سنة ٩٩ — ٣٠ مارث سنة ٨٢

عقدت الجلسة والساعة سبعة برئاسة سعادة الرئيس وحضور ٦٩ من الاعضاء

(سعادة الرئيس) على المجلس انتخاب اللجنة التى قرر تشكيلها للنظر فى تقرير حضرة عبد السلام بك المويلحى المتعلق بالمعارف العمومية

جرى الانتخاب فوقعت الاكثرية على سعادة سليمان باشا أباظه وحضرات أحمد بك نصير وبدوى افندى الشريعى ومحمد افندى جلال وابراهيم افندى الوكيل وسعيد افندى الغريانى والسيد سرور شهاب الدين وطايع افندى سلامه وحسين افندى أبو حسين ومصطفى بك أبو العز وانتخب سعادة سليمان أباظه باشا رئيسا لهذه اللجنة ثم انفضت الجلسة والساعة تسعة

تابع محضر يوم السبت ٦ جا سنة ٩٩ بعدد ١٣٨٨ من الوقائع المصرية الصادر فى ٢ ج سنة ١٢٩٩ موافق ٢٠ ابريل سنة ١٨٨٢

« سعادة الرئيس » دور المذاكرة لتلاوة قرار اللجنة المشكلة للنظر فى شأن المعارف — تلى التقرير ونصه — كانت تود اللجنة التى اخترتموها للنظر فى شأن المعارف والبحث عن الطرق المناسبة لاتساع دائرة التعليم بناء على التقرير المقدم من حضرة مويلحى بك أن تجد وسعة فى الوقت تمكنها من البحث فى هذا الموضوع واستيعاب السبل التى

ينبغى

ينبغى اتخاذها للوصول الى هـذا المقصد الجليل والغاية المحمودة ولكن لم يتيسر لها الاجتماع لهذا الصدد او المجلس على شرف الانفضاض فهذا ما اضطرها الى الوقوف عند حد النظر فى مجملات الموضوع تاركة النظر فى المفصلات الى المستقبل — رأت بعد اولتها مع سعادة ناظر المعارف وحضرة مويلحى بيك اللذين حضرا جلستها الاخيرة ان الحالة التى وصلت اليها البلاد بهمة ذوى النجدة والغيرة من أبنائها تستدعى الاجتهاد فى تعميم التعليم وتسهيل طرقه فقررت أن يقوم كل واحد من النواب بانشاء مكتب من الدرجة الثالثة فى بلده تعلم فيه القراءة والكتابة وطرف من الحساب والفقه والنحو بدون أن تتكلف الحكومة بشئ من النفقات سوى انها تتنازل عن الموضع الذى تبنى فيه من البراح الباقى تحت ملكها أما الذين يعهد اليهم التعليم فى تلك المكاتب فيؤخذون بواسطة نظارة المعارف من الجامع الازهر وعلى النظارة ترشيحهم للقيام بهذه الوظائف كما سبق ذلك فى خطبة ناظر المعارف أمام هيئة المجلس وكما أقرت عليه اللجنة أيضا وحيث أثبت سعادة ناظر المعارف أن النفقات الممدة لنظارته فى هذا العام لا تسمح الا بانشاء المدارس التى ذكرها فى ذلك الخطاب فلا بد من الاهتمام بتنجيز ماصح عليه العزم من ذلك وأن تنتظر ميزانية السنة القابلة وحين ذاك يقرر المجلس فيها ما يجب انفاقه على مصالح البلاد مقدما الاهم على المهم هذه عجالة ما رأيناه مناسبا فى هذا الموضوع وها هو مقدم اليكم لتشملوه بانظاركم السديدة فاذا حاز لديكم قبولا كما أول قائم بما رسم فيه

« على بيك القريعى » لا بأس فى ذلك وانما يلزم ارسال رسومات مكاتب الدرجة الثالثة لكل عضو بعد طبعها

« استحسان » ثم فضت الجلسة والساعة ١٠ ق

وخطب عند تقديمه لمؤتمر المستشرقين الذى انعقد باستكهلم عاصمة السويد شرح أول قصيدة من ديوان سيدنا حسان

بسم الله وحده

قدمت للعرض على عالى أنظار حضرات الأماجد الحضار من كبار أصحاب الانظار ولباب أرباب الآثار أنموذجا من شرح ابتدأنه على ديوان سيدنا حسان بن ثابت الانصارى رضى الله عنه

وهذا الانموذج عبارة عن شرح أول قصيدة من ديوانه

وهى من أشهر قصائده الطويلة أولها

عَفَتْ ذات الاصابع فالجواء   الى عذراء باطنها خلاء

فان اتسع الوقت والاجل لبلوغ الامل باتمام هذا العمل سلكت فى سائر الشرح على النسق الذى نسقته فى الانموذج الذى نمقته والاصح أن يكون شرحا مستقلا للقصيدة المذكورة

فكثيرا ما رأينا القصيدة من كلام المتقدمين أو المتأخرين يفردها الواحد والكثير من العلماء بالتأليف والتصنيف مثل لامية العرب للشنفرى واللامية المعروفة ببانت سعاد لكعب بن زهير رضى الله عنه ومن كلام المتأخرين اللامية المعروفة فى مقابلة لامية العرب بلامية العجم للطغرائى وكذلك لامية ابن الوردى وهكذا البديعيات الميميات وغيرها

وانما اخترت الشعر لانه ديوان العرب وسجل أخلاقهم وعاداتهم ودفتر وقائعهم وغزواتهم ومعاملاتهم ومجاملاتهم وقاموس كلماتهم ولغاتهم من مفرداتهم ومركباتهم وهو الحجة فى اثبات كلامهم فى نثرهم ونظامهم

بخلاف نثرهم فانه ليس بهذه المثابة لان القائل منهم يجعل لما يقول من شعره من تأنقه فيه وتروّيه له واحتفائه به واحتفاله لأجله ما ليس لنثره لكون الشعر أيسر على الالسنة وأسير الى أقاصى الامكنة فللشعر ما ليس للنثر من فضل الانتشار والاشتهار والاستمرار والاستقرار على ممر الاعصار فلهذه الخصائص زادت به عنايتهم وبعدت فيه غايتهم واخترت من بين دواوين العرب ديوان حسان بن ثابت رضى الله عنه لمكان شهرته فى الجاهلية والاسلام حتى صار شاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم الذابّ عن حضرته المناضل لعدوه من جهته حتى أفحم الفصحاء وأسكت البلغاء ونال عنده اليد البيضاء والدرجة العلياء

وسلكت فى شرحه أن أتكلم على ما قد تمس الحاجة اليه من بيان مفرداته والاستشهاد عليها بما أجد من شعر العرب وما قاله ثقاة علماء اللغة فيها وأتكلم على الاعراب فيما قد يختلف المعنى باختلافه أو ما عساه يخفى على بعض المبتدئين وعلى القواعد عند اقتضاء الحال وقد أتعرض لذكر الخلاف وتفصيل القول فيه وعلى حل المعنى بحسب ما أراه فى غير ما قد يستغنى عنه لظهوره أو سبق ما يدل عليه وأذكر ما قد أشار له الناظم رضى الله عنه أو سيق الكلام لاجله من الوقائع وسائر الاغراض مستشهدا عليها بما يناسبها من شعر وما يدل لها من نقل الى نحو ذلك مما يعلم بالاطلاع على ذلك الانموذج ليكون الشرح جامعا بين اللغة والتاريخ والرواية مضافا الى ما يستفاد من أصل المتن وسياق الكلام من أخلاق العرب وعاداتهم وطباعهم وما يمدح ويذم ويحب ويكره عندهم ولا يخفى أن حسان رضى الله عنه من المخضرمين

الذين

الذين عمروا جاهلية واسلاما وشعره الموجود فى ديوانه بعضه من كلامه قبل الاسلام وبعضه فى الاسلام فجمع كلامه بين الحالتين حتى ربما وجد ذلك فى القصيدة الواحدة كالقصيدة التى شرحناها فى هذا الانموذج وهذا أيضا أحد الاوجه التى حملتنى على ايثاره على غيره واختياره دون سواه

وقد وجدت نسخا متعددة من شعره فى مصر القاهرة وفى القسطنطينية دار الخلافة السنية وغيرهما فى جملة روايات منها نسخة برواية أبى عبد الله العدوى مكتوبة فى سنة ٤١٩ مكتوب فى آخرها انها منقولة من نسخة قرئت عليه سنة ٢٥٥ من الهجرة وقيدت عندى ما وجد فى النسخ من اختلاف رواية ونقص وزيادة الا ما وجدته ساقطا بالمرة بعيدا عن مظنة الصواب لا يستحق الاثبات فتكامل من ذلك ما يكفى بمجموعه لان يتحرر منه سفر يكون بقدر الامكان أصح وأجمع ما رأيت من نسخ الديوان اه

هذا وقد رأيت طبع شرح القصيدة المذكورة الآن كما سيرد عليك فى الباب التالى وعدم تأخيره الى طبع شرح بديعية محمود صفوت أفندى حسبما سبق القول به فى كتابى « ارشاد الالبا » وذلك اجابة لرغبة الكثيرين من الاحباب

عجالة البيان على ديوان حسان

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ولي الانعام والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه وأنصاره الكرام وبعد فيقول الفقير عبد الله فكري بن محمد بليغ أفندي هذه « عجالة البيان على ديوان حسان » تحوي نبذة من أخباره وشرح ما دون من أشعاره وقد كنت في بعض أسفاري الى القسطنطينية دار الخلافة السنية سنة ثمانين ومائتين وألف من الهجرة عثرت في بعض دور الكتب فيها بنسخة من ديوان شعره رضي الله عنه فنقلتها ثم صادفت نسخة أخرى عند بعض كبراء الوزراء فوجدت بين النسختين تفاوتا كبيرا واختلافا كثيرا بالزيادة والنقص والتقديم والتأخير وغير ذلك فعلقت كل ما وجدته من الزيادة واختلاف الرواية ثم ظفرت بنسخة قديمة قرأت في آخرها انها مكتوبة في سنة تسع عشرة وأربعمائة وانها منقولة من نسخة قرئت على أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حُميد العدوي سنة خمس وخمسين ومائتين فوجدت فيها زيادات لطيفة وفوائد شريفة فجمعت ما فيها من الزوائد والفوائد الى ما اجتمع عندي من قبل ثم رأيت نسخة منقولة من خط الشيخ محمد بن زين الحموي ونقله من خط محمد ابن أحمد بن عمر الخلال أبي الغنائم وعلى ظهر هذه النسخة انها رواية أبي سعيد الحسن ابن عبد الله بن المرزبان السيرافي عن أبي اسمعيل بن محمد الصفار عن أبي سعيد السكري عن ابن حبيب ورواية أبي الحسن محمد بن العباس بن أحمد الفرات عن أبيه أبي الخطاب العباس بن أحمد عن السكري عن أبي جعفر محمد بن حبيب الهاشمي سماعا لمحمد بن أحمد بن عمر الخلال المذكور ثم رأيت النسخة المطبوعة في مطبعة الدولة التونسية بحاضرتها المحمية سنة احدى وثمانين ومائتين وألف ثم نسخة مكتوبا في آخرها ما صورته نقل من نسخة بخزينة كتب السادات بني الوفاء عمت بركاتهم بخط الاديب المرحوم الشيخ عبد الله الادكاوي ابن الشيخ عبد الله المؤذن نزيل القاهرة برسم المرحوم الشيخ محمد أبي الانوار السادات شيخ سجادة بني الوفاء وفي آخرها أرجوزة من نظم كاتبها الشيخ عبد الله الادكاوي مدح بها الشيخ أبا الانوار رحمة الله عليهما أولها

كتبته برسم سامي القدر ... الاوحد الامجد نامي الفخر
رب النهى سلالة الاخيار ... محمد المكنى أبا الانوار

الى أن قال

ان قيل هل أرختها يا كاتب ... قلت نعم اليكها يا حاسب

فعدها

فعدها يا صاح بعد دائما كتبت حسانا لحسان نما
٢٢ ٨٢٢ ١٢٠ ١٤٩ ٩١

وهذا الشطر الواقع بعد قوله انما يبلغ مجموع حسابه اثنين وثمانين ومائة بعد الالف ونسخا غيرها من حديث وقديم وصحيح وسقيم ولا تخلو كلها عن تصحيف وتحريف أو ابهام وابهام وإعجام باهمال الاعجام ومع ذلك قابلت كل ما وصل الى على ما لدى وقيدت ما وجدت من زيادة واختلاف الامارأيته ساقطا بالمرة بعيدا عن مظنة الصواب لا يستحق الاثبات فتكامل من ذلك ما يكفي مجموعه لان يتحرر منه سفر يكون بحسب الامكان أصح ما رأيت وأجمع ما ألفيت من نسخ الديوان ثم أضفت الى ما اجتمع لدى من ذلك فوائد صادفتها في أثناء الكتب بالطلب وبلا طلب مع ما سنح للخاطر الفاتر وسمح به فكرى القاصر من حل لبعض الابيات أو تفسير لشىء من الكلمات أو ترجيح لاحدى الروايات أو توضيح لوقعة من الوقعات مما ضمنه رضى الله عنه أو ألم به في شعره أو كان سببا لقوله فاجتمع من ذلك شىء كثير الا انه كله في مسودات غامضة وأوراق متقطعه وقطع مختلفه وكنت أترقب أن يصفو لى من الوقت ما أجمع فيه شمل ذلك وأضم اليه ما يجعله كافيا لان يكون شرحا وافيا شافيا ومازال الزمان يماطلنى بهذه المنيه ويدافعنى عن هذه البغيه ومضت على ذلك الليالى والايام وانقضى العام بعده العام الى أن طلب منى بعض الاجلاء من السادة الاخلاء أن أجمع له تلك المتفرقات في نسخة تصونها من الشتات فشغلت بهذا الشان طرفا من الزمان ثم ضرب الدهر ضرباته وجاء بما جاء من تقلباته وساء بما شاء من نكباته حتى اهتاض المريض فحال الجريض دون القريض ثم استقرت الحال وهدأ البال بعناية الله ذى الجلال وماله من جزيل الانعام وجليل الافضال على أميرنا المفضال توفيق مصرنا المعظم وخديوعصرنا الاعظم أدام الله جنابه الكريم محل توفيق وهدى وفيض وندى ونفع يدوم الى المدى فعن لى الآن أن أثنى العنان الى المضاء فيما كان من شرح الديوان خيفة أن تغتال أيدى الضياع ما ضمه نظام الاجتماع فمضيت مستعينا بالله وهو ولى ما أملت انه القريب المجيب (وما توفيقى الا بالله عليه توكلت واليه أنيب)

نسب حسان رضى الله عنه وبعض أخباره

هو حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام بن عمرو بن زيد مناة بن عدى بن عمرو بن مالك بن النجار بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج بن حارثة بن ثعلبة وهو العنقاء سمى بذلك لطول عنقه وهو ابن عمرو مزيقياء بن عامر وهو ماء السماء بن حارثة الغطريف بن امرئ

القيس البطريق بن ثعلبة البهلول بن مازن بن الأسد(٣) أو الازد بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن عابر (و يقال هو هود النبي عليه السلام) ابن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح عليه السلام ابن لمك (و يقال لامك بفتح الميم وكسرها) ابن متوشلخ بن أخنوخ (وهو ادريس عليه السلام) ابن ايارد بن مهلائيل بن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم عليه السلام فهو أنصارى خزرجى نجارى رضى الله عنه

قال مصعب الزبيرى بنو عدى بن عمرو بن مالك بن النجار يسمون بنى معالة ومعالة أمه وهى امرأة من القين واليها كانوا ينسبون وهذا النجار بن ثعلبة هو تيم الله وانما قيل له النجار لانه اختتن بقدوم كان معه كذا قاله ابن سيرين وقال غيره بل جرح رجلا بقدوم فقيل له ذلك نقله ابن عبد البر وبنو النجار أخوال رسول الله صلى الله عليه وسلم من جهة جده عبد المطلب لأن أم عبد المطلب هى سلمى بنت عمرو بن زيد ابن لبيد بن خداش بن عامر بن عدى بن النجار النجارية وكان هاشم أبو عبد المطلب نزل على عمرو أبى سلمى فلمحها فأعجبته فخطبها اليه فأنكحه اياها وشرط عليه أنها لا تلد ولدا الا فى أهلها فوفى لها فولد عبد المطلب عندها ومات هاشم فبقى عندها حتى جاء عمه المطلب فأخذه كما هو مشهور وبقرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بنى النجار يفتخر حسان رضى الله عنه فى شعره كقوله فى مرثية النبى صلى الله عليه وسلم

ولقد ولدناه وفينا قبره   وفضول نعمته بنا لم تجحد

وقوله فى غيرها

ونحن ولدنا من قريش عظيمها   ولدنا نبى الخير من آل هاشم

وفى صحيح البخارى عن أبى أسيد رضى الله عنه قال قال النبى صلى الله عليه وسلم خير دور الانصار بنو النجار ثم بنو عبد الاشهل ثم بنو الحرث بن الخزرج وفى كل دور الانصار خير

كنية حسان رضى الله عنه

أبو الوليد أو أبو عبد الرحمن أو أبو الحسام كل ذلك مروى ولا يبعد تعدد الكنية وأمه هى الفريعة بنت خالد بن خنيس بن لوذان بن عبد ود بن ثعلبة بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج فهى خزرجية أيضا وقد أدركت الاسلام فأسلمت و بايعت واليها كان ينسب حسان فيقال قال ابن الفريعة ونسب هو نفسه اليها فى قوله

أمسى الخلابيس قد عزوا وقد كثروا * وابن الفريعة أضحى بيضة البلد

---

(٣) قوله ابن الاسد الخ فى القاموس الاسد الازد وفيه أزد بن الغوث وبالسين أفصح اهـ

وهذا

وهــذا الخزرج بن حارثة المذكور فى نسب حسان رضى الله عنــه وأخوه الاوس بن حارثة يقال لهما ابناقَيْلَة بفتح القـاف وقيلة أمهما وهى قيلة بنت باهل بن عذرة بن سعد ابن زيد بن ليث بن سود بن أسلم بن الحافى (١) بن قضاعة وهــذان الاخوان وهما الاوس والخزرج ابنا حارثة جــدا قبيلتين عظيمتين كانتا بالمدينة المنورة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام عرفتا بالأوس والخزرج كان منهما الانصار أنصار رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين هاجر اليهم فأحبوه وآووه ونصروه وقاتلوا أعــداءه بين يديه وبذلوا الاموال والارواح فى حبــه حتى نصره الله وأعز دينــه وأظهره على الدين كله وبذلك كان يفتخر حسان فى كثــير من كلامه كما سـيأتى فى سـياق شــعره مثل قوله رضى الله عنه

نصرنا وآوينا النبىّ وصدّقت * أوائلنـا بالحــق أوّل قابــل
وكنا متى يغزُ النبىّ قبيــلة * نصل جانبيه بالقنا والقنابل

وقوله

نصرنا وآوينا وقوم ضربنا * له بالسيوف كل من كان أميلا

وياله من فخر صحيح وشرف صريح جزاهم الله عن نبيه ودينه أحسن جزائه وحشرنا فى زمرتهم كما يحشر المحب مع أحبائه

وكان جدهم عمرو مزيقياء بن عامر بن حارثة مقيمـا بمأرب وهى كورة (٢) كانت كثيرة الخصب والعمـارة بين حضرموت وصـنعاء وهى بلاد الازد باليمن ثم تفرق شمل أولاده وتفرقوا فى نواحى الارض بسـبب سـيل العرم المذكور فى القــرآن الكريم فسكن الاوس والخزرج منهــم المدينة ويقال ان عمرا المذكور كان رأى فى منامه سيل العرم فهـاب ما رأى وأشـفق من الهـلكة فأمر رجلا من بنيــه اذا هو جلس فى المجلس أن ينازعه الحديث ثم يسـبه ويلطمه ففعل ذلك فقام عمرو كهيئة المغضب فحلف ليقتلن ابنه ذلك فلمـا سمع قومه قوله قاموا اليه فكلموه فقال أمّا اذ تركتموه لكم فانى لا أسكن بأرض لطمت بهـا فمن شاء منكم فليبتع منى مالى وانمـا فعل ذلك حتى يبيع ماله خوفا

(١) قوله الحافى ويقال فيه الحاف بغير ياء بطن من قضاعة وكان له من الولد عمران وعمرو وأسلم وسنام كذا فى سبائك الذهب اهـ منه

(٢) قوله وهى كورة الخ قال فى كتاب اللغات الجغرافيــة والتاريخيــة المعروف الآن باسم مأرب كورة فى شرقى صنعاء على بعد أربعين ساعة تسميهـا الاهالى بلاد مأرب يستخرج منها من جبل الملح الموجود فيها ملح معدنى جيد الى الغاية كالبلور والى الآن لم تدخل تلك الجهات تحت ادارة الدولة العثمانية اهـ

عما رأى فلما سمعوا قوله قالوا اغتنموا غضبة عمرو بن عامر فابتاعوا أمواله فلما صار ثمنه في يده تجهز وأخبر الناس بالسيل والناس يومئذ على ماء يقال له غسان فلم يحفل أكثرهم بخبره فعند ذلك سير بنيه وأنزلهم منازلهم وأقام من أراد الله أن يصيبه السيل وجمع عمرو بن عامر سائر بنيه وقال لهم يا بني اني قد علمت أنكم ستتفرقون من منزلكم هذا بعدي فمن كان منكم ذا جمل مغن وهم مدن وقربة وشن فليلحق بارض شن (١) فنزلها أزدشنوءة ثم قال ومن كان ذا فاقة وفقر وصبر على أزمات الدهر فليلحق ببطن مر (٢) فسكنته خزاعة ثم قال من كان منكم يريد الخمر والخمير والامر والتأمير والديباج والحرير فليلحق ببصرى وعوير (٣) وهي من أرض الشام فسكنتها غسان ثم قال ومن كان منكم ذا هم بعيد وجمل شديد ومزاد جديد فليلحق بقصر عمان الجديد فنزله أزد عمان ثم قال ومن كان يريد الراسخات في الوحل المطعمات في المحل فليلحق بيثرب ذات النخل فقصدها الأوس والخزرج فنزلوها وكان فيها من قبلهم اليهود وكان لهم ما بها من الاموال والزروع فأقام في جهاتها الاوس والخزرج في جهد وضيق من المعاش ليسوا بأصحاب ابل ولا شاء لان المدينة ليست ببلاد نعم وليسوا باصحاب نخل ولا زرع وليس للرجل منهم الا الاعذاق اليسيرة والمزرعة يستخرجها من أرض موات فلبثت الاوس والخزرج على ذلك حينا وسيدا الحيين جميعا يومئذ مالك بن العجلان بن زيد أحد بني عوف بن الخزرج فركب مالك الى أبي جبيلة الحارث بن عمرو ملك غسان يزوره بأرض الشام فسأله عن قومه فأخبره بحالهم وضيق معاشهم فقال له أبو جبيلة والله ما نزل قوم منا بلدا الا غلبوا أهله عليه فما بالكم والله لأسيرن الى أرضكم هذه حتى أنظر اليها فلما قدم مالك على قومه أخبرهم بالذي سأله عنه الملك ثم قال لهم بعد واليهود ان الملك الحارث يريد أن يأتي اليمن وهو مار علينا فأعدوا له النزل وأقبل الملك الحارث حتى قدم عليهم فنزل بطن قناة (٤) فأتته الاوس والخزرج فرحبوا به وأنزلوه فأقام بها

---

(١) قال في مراصد الاطلاع شن ناحية بالسراة وهي الجبال المتصل بعضها ببعض بين تهامة واليمن اه منه

(٢) بطن مر من نواحي مكة عنده يجتمع واديا النخلتين فيصيران واديا واحدا كما في المراصد اه

(٣) عوير من قرى الشام وماء بين تدمر وحلب و بصرى بالضم والقصر في موضعين أحدهما بالشام وهي التي وصل اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم للتجارة وهي المشهورة عند العرب وهي المراد هنا ويقال هي قصبة كورة حوران والاخرى من قرى بغداد قرب عكبرا ذكرها ابن الحجاج في شعره اه منه

(٤) قال في مراصد الاطلاع قناة واد بالمدينة قيل يأتي من الطائف و يصب في الارحضية وقرقرة الكدر ثم يأتي بئر معونة ثم يمر على طرف القدوم في أصل قبور الشهداء بأحد اه منه

أياما

أياما واحتفر بها بئرا فهي التي تدعى بئر الملك بجانب قناة ثم قال للاوس والخزرج سيروا بى في نواحي المدينة كلها فلما سار وابه فيها قال لهم أرأيتكم ان قتلت لكم مائة رجل من أشرافهم أتوطئونهم غلبة حينئذ قالوا نعم قال فعليكم بالقوم فأخرجوهم فانهم ان علموا بالذى أريدبهم دخلوا الآطام فتحصنوا فيها فشق أمرهم علينا فأرسلت أشراف الخزرج الى أشراف اليهود إن قومنا قد نزلوا بنا وفيهم الملك فنحب أن تأتونا وتجاملونا فليأتنا منكم مائة رجل سموهم فجاءهم مائة من أشرافهم فجعل الرجل منهم يأتي ومعه خاصته يرجون أن يحبوهم الملك فاجتمعوا بواد يقال له حرض (١) وهو قريب من منزل الملك وبئره وقد جعل الملك به حيزا وأمرهم أن يدخلوه فلما دخلوا الحيز دخل عليهم الملك فطرح سيفين ثم قال قوموا رجلين رجلين فاقتتلوا فجعلوا يقيمون رجلين يقتل أحدهما صاحبه فيقيمون آخر مكانه حتى بقي رجلان أخوان فلما قاما قال أحدهما للآخر أتريد أن تقتلني يا أخي فقال مكره أخاك (٢) لا بطل فأمر الملك بقتلهما فقتلا فقالت سارة اليهودية تندب من هلك من قومها

بنفسي أمة لم تغن شيأ * بذي حُرُض تعفيها الرياح

كهول من قريظة أتلفتهم * سيوف الخزرجية والرماح

ثم قال الملك للاوس والخزرج ان لم تغلبوا على هذه البلاد بعد من قتلت من أشراف أهلها فلا خير فيكم وتركهم ورحل الى الشام فمكثوا على ذلك زمانا حتى سكنت اليهم اليهود ثم ان مالكا قال للاوس والخزرج يا قوم والله ما أثخنا اليهود غلبة كما نريد وما زال فيهم امتناع بعد ومغالبة « وكانت اليهود لم تزل تعترض عليهم وتناويهم » قال فهل لكم أن أصنع طعاما ثم أدعو منهم مائة أخرى فنقتلهم فانا اذا فعلنا ذلك أثخناهم غلبة قالوا نعم ما رأيت فصنع مالك طعاما ثم أرسل الى مائة من أشراف من بقي منهم بعد الذين قتلهم الملك فلما جاءهم رسول مالك وقومه قالوا تالله لا نأمنهم وقد قتلوا منا من قتلوا فلم يزل بهم يختلهم حتى قالوا نعم فزعموا أنهم كانوا كلما دخل منهم رجل دار مالك أمر مالك به فقتل فلم يزل يقتلهم حتى قتل نيفا وثمانين رجلا ثم ان رجلا منهم أقبل حتى اذا قام بباب دار مالك تسمع أصوات القوم فلم يسمع صوت أحد فقال أرى أسرع ورد وأبعد صدر فأرسلها مثلا ورجع فحذر من بقي من أصحابه فلم يأت منهم أحد فلما قتل مالك منهم من قتل صاروا يلعنونه في بيعهم وكنائسهم فقال لما بلغه ذلك

(١) حرض بالضم ويضم ثانيه ويفتح والضاد معجمة واد بالمدينة عند أحد من وادي قناة اهـ منه

(٢) قوله أخاك بالالف كما في الاشموني وغيره على لغة من يستعملها استعمال المقصور ورأيته في مستقصى الامثال للزمخشري بالواو على اللغة المشهورة ويقال في سبب المثل غير ما في سياق هذا الخبر اهـ مؤلف

تحامى اليهود بتلعانها * تحامى الحمير بأبوالها

وماذا على بأن يلعنوا * وتأتى المنايا الأذلالها (١)

ثم ان اليهود بعد أن قتل من قتل من أشرافهم وأعاظمهم ذلوا وقل امتناعهم وخافوا خوفا شديدا وصاروا كلما هاجهم أحد من الاوس والخزرج بشئ يكرهونه لم يمش بعضهم الى بعض كما كانوا يفعلون قبل ذلك ولكن يذهب اليهودى الى جيرانه الذين هو بين أظهرهم من الاوس والخزرج فيقول انما نحن جيرانكم وموالیكم فكان كل قوم من يهود قد عاذوا ببطن من الاوس والخزرج يتعززون بهم ولبثوا على ذلك ماشاء الله ثم حدث الشر بين الاوس والخزرج وهاجت فيهم الفتن فتوالت بينهم وقائع كبيرة وحروب طويلة استمرت أعواما عديدة وأزمانا مديدة وأفنت منهم خلقا كثيرا ليس هذا محل ايرادها وربما يأتى فى شعر حسان رضى الله عنه اشارة الى شئ منها فنذكره على حسب مايستدعيه الحال ان شاء الله تعالى والحاصل أنهم أقاموا على ذلك حينا من الدهر ولم يزل الشر بينهم مستمرا والحروب متتابعة والاضغان والاحقاد متزايدة الى أن ابتعث الله بدين الاسلام نبيه عليه أفضل الصلاة والسلام فلما سمعوا ببعثته دعوه للهجرة اليهم والاقامة بين أظهرهم وعاهدوه على دوام نصره والقيام بأمره فلما وافاهم وسكن اليهم وفوا له بعهدهم فقاموا بنصرته وتألفوا على محبته واجتمعوا على اعلاء كلمته فاذهب الله غيظ قلوبهم وسالف أضغانهم وأحقادهم وأبدل ذلك بالود والمحبة والاخوة الاسلامية فأصبحوا بنعمته اخوانا وعلى نصرة دينه أعوانا قال الله جل ذكره « هو الذى أيدك بنصره وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم لو أنفقت مافى الارض جميعا ماألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم انه عزيز حكيم » وفيهم يقول الله جل ذكره « والذين تبوؤا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا » وفى صحيح البخارى عن أنس بن مالك رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال آية الايمان حب الانصار وآية النفاق بغض الانصار وفيه عن أنس أيضا قال كانت الانصار يوم الخندق تقول

نحن الذين بايعوا محمدا * على الجهاد ما حيينا أبدا

فأجابهم اللهم لا عيش الا عيش الآخره فأكرم الانصار والمهاجره وفيه أيضا

(١) قال فى الصحاح جاء على أذلاله أى على وجهه يقال دعه على أذلاله أى حاله وأمور الله جارية على أذلالها أى على مجاريها وطرقها وأنشد أبو عمرو للخنساء

لتجرى المنية بعد الفتى الـ * ـمغادر بالمحو أذلالها

والمحو موضع اه منه

عنه

عنه رضي الله عنه مر أبو بكر والعباس رضي الله عنهما بمجلس من مجالس الانصار وهم يبكون فقال ما يبكيكم قالوا ذكرنا مجلس النبي صلى الله عليه وسلم منا فدخل على النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره بذلك فخرج النبي صلى الله عليه وسلم وقد عصب على رأسه حاشية برد قال فصعد المنبر ولم يصعده بعد ذلك اليوم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أوصيكم بالانصار فانهم كرشي وعيبتي وقد قضوا الذي عليهم وبقي الذي لهم فاقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم وكان من بينهم حسان بن ثابت رضي الله عنه شاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم يناضل عنه ويهجو أعداءه ويمدح أوداءه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينصب له منبرا في المسجد يقوم عليه قائما يفاخر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وينافح (١) عنه ويهجو الذين كانوا يهجونه من الكفار وفي الصحيحين عن سعيد بن المسيب قال مر عمر بحسان في المسجد وهو ينشد فلحظ اليه فقال كنت أنشد وفيه من هو خير منك (يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم) ثم التفت الى أبي هريرة فقال أنشدك الله أسمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول أجب عني اللهم أيده بروح القدس قال أبو هريرة نعم وروى أبو نعيم وابن عساكر عن عروة أن حسان ذكر عند عائشة فقالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ذلك حاجز بيننا وبين المنافقين لا يحبه الا مؤمن ولا يبغضه الا منافق ويقال كان حسان ممن خاض في حديث الافك فجلد فيه وأنكر ذلك قوم وزعموا أن عائشة نفته عنه وبرأته منه وقد ورد أنها رضي الله عنها كانت ذات مرة في الطواف ومعها أم حكيم بن خالد بن العاص وأم حكيم بنت عبد الله بن أبي ربيعة فذكرتا حسان بن ثابت وهو يطوف وسبتاه فقالت عائشة اني لارجو أن يدخله الله الجنة بذبه عن النبي صلى الله عليه وسلم بلسانه أليس هو القائل

فان أبي ووالده وعرضي * لعرض محمد منكم وقاء

وبرأته من أن يكون افترى عليها فقالتا ألم يقل فيك فقالت لم يقل شيأ ولكنه الذي يقول

حصان رزان ما تزن بريبة * وتصبح غرثى من لحوم الغوافل
فان كان ما قد قيل عني قلته * فلا رفعت سوطي الي أناملي

وقرأت في حديث مسلم حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة وأبو كريب قالا حدثنا أبو أسامة عن هشام عن أبيه أن حسان بن ثابت كان ممن كثر على عائشة فسببته فقالت يا ابن أختي دعه فانه كان ينافح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي صحيح البخاري

(١) أي يدافع اهـ

فى تفسير سورة النور عن مسروق قال دخل حسان بن ثابت على عائشة فشبب وقال

حصان رزان ماتزن بريبة * وتصبح غرثى من لحوم الغوافل

قالت لست كذلك قلت تدعين مثل هذا يدخل عليك وقد أنزل الله والذى تولى كبره منهم له عذاب عظيم فقالت وأى عذاب أشد من العمى وقالت وقد كان يرد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اه

وكان حسان قد كف بصره وقوله وقد أنزل الله والذى تولى كبره الخ قال الحافظ ابن حجر فى شرحه هذا مشكل لان ظاهره أن المراد بقوله والذى تولى كبره منهم هو حسان بن ثابت (قال) وقد تقدم قبل هذا أنه عبد الله بن أبى وهو المعتمد وقد وقع فى رواية أبى حذيفة عن سفيان الثورى عند أبى نعيم فى المستخرج وهو ممن تولى كبره فهذه الرواية أخف اشكالا اه والبيت المذكور من شعر مختلف الروايات يأتى الكلام عليه فى قافية اللام ان شاء الله

ويقال ان صفوان بن المعطل رضى الله عنه بلغه أن حسان قذفه فى حديث الافك وأنه قال شعرا يعرض به وبمن أسلم من العرب من مضر أوله

* أمسى الجلابيس قد عزوا وقد كثروا * البيت المتقدم ويأتى فى قافية الدال ان شاء الله فاعترضه صفوان فضربه بالسيف وقال

تلق ذباب السيف منى فاننى * غلام اذا هوجيت لست بشاعر

هكذا حكاه محمد بن جرير ومقتضى ما حكاه غيره أن فتية من المهاجرين والانصار تنازعوا على الماء فاقتتلوا فبلغ ذلك حسان فأغضبه فقال ذلك الشعر يريد المهاجرين من القبائل الذين قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنهم صفوان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لحسان نفست على اسلام قومى وأغضبه كلامه فعدا صفوان على حسان فضربه ثم ان حسان استرضى رسول الله صلى الله عليه وسلم فرضى عنه وقال له أحسن يا حسان فى الذى أصابك يعنى الضربة فقال حسان هى لك يا رسول الله فوهب له رسول الله صلى الله عليه وسلم جاريته سيرين أخت مارية فكان سلف رسول الله صلى الله عليه وسلم وأولدها عبد الرحمن بن حسان فهو وابرهيم بن رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنا خالة وعن عوف بن محمد قال قال النبى صلى الله عليه وسلم ليلة وهو فى سفر أين حسان بن ثابت فقال حسان لبيك يا رسول الله وسعديك قال احد فجعل ينشد ويصغى اليه النبى صلى الله عليه وسلم ويستمع فما زال يستمع اليه وهو سائق راحلته حتى كان رأس الراحلة يمس الورك حتى فرغ من نشيده فقال النبى صلى الله عليه وسلم لهذا أشد عليهم من وقع النبل

وجاء أن أبا سفيان بن الحرث بن عبد المطلب وعبد الله بن الزبعرى وضرار بن الخطاب قبل أن يسلموا كانوا يهجون رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما يمنع القوم الذين نصروا رسول الله بأسيافهم أن ينصروه بألسنتهم فقال حسان أنا لها وأخذ بطرف لسانه وقال والله ما يسرني به مقول بين بصرى وصنعاء وفي المواهب وشرحها للزرقاني كان أشد شعرائه عليه الصلاة والسلام على الكفار حسان بن ثابت لانه كان يقبل بالهجو على أنسابهم فيالمون ويزيف آراءهم ويلزمهم الحجة التي لا يستطيعون لها ردا وكعب بن مالك كان كثير المناقضة لهم ويخوفهم بالحرب وابن رواحة يعيرهم بالكفر وكانوا لا يبالون بأهاجيه فلما أسلم من أسلم منهم وجدوا أهاجيه أشد وأشق وفي صحيح مسلم عن عائشة قال صلى الله عليه وسلم اهجوا المشركين فانه أشد عليهم من رشق النبل فأرسل الى ابن رواحة فقال اهجهم فهجاهم فلم يرض فأرسل الى كعب بن مالك ثم أرسل الى حسان فقال قد آن لكم أن ترسلوا الى هذا الاسد الضارب بذنبه ثم أدلع لسانه فجعل يحركه ثم قال والذي بعثك بالحق لأفرينهم بلساني فري الاديم فقال صلى الله عليه وسلم لا تعجل فان أبا بكر أعلم قريش بأنسابها وان لي فيهم نسبا حتى يلخص لك نسبي فأتاه حسان ثم رجع فقال يا رسول الله لقد لخص لي نسبك والذي بعثك بالحق نبيا لاسلنك كما تسل الشعرة من العجين قالت عائشة فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لحسان ان روح القدس لا يزال يؤيدك ما نافحت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول هجاهم حسان فشفى وأشفى اه

وكان مما أجاب به حسان أبا سفيان رضي الله عنهما قوله

ألا أبلغ أبا سفيان عني * فأنت مجوف نخب هواء

الى آخر الابيات الآتية في الهمزة وقوله

وان سنام المجد من آل هاشم * بنو بنت مخزوم ووالدك العبد

في أبيات تأتي في قافية الدال ان شاء الله

فلما بلغ هذا الشعر أبا سفيان بن الحرث قال هذا شعر لم يغب عنه ابن أبي قحافة يعني أبا بكر رضي الله عنه وقال ابن دريد أخبرنا أبو حاتم عن أبي عبيدة قال فضل حسان الشعراء بثلاث كان شاعر الانصار في الجاهلية وشاعر النبي صلى الله عليه وسلم في النبوة وشاعر اليمن كلها في الاسلام وعن أبي عبيدة قال اتفقت العرب على أن أشعر أهل المدر أهل يثرب ثم عبد القيس ثم ثقيف وعلى أن أشعر أهل يثرب حسان بن ثابت وحكى الزبير بن بكار بسنده عن قيس بن شماس قال نهى عمر بن الخطاب

الناس أن ينشدوا شيأ من مناقضة الانصار ومشركي قريش وقال في ذلك شتم الحي بالميت وتجديد الضغائن وقد هدم الله أمر الجاهلية بما جاء من الاسلام فقدم المدينة عبد الله بن الزبعرى السهمي وضرار بن الخطاب الفهري ثم المحاربي فنزلا على أبي أحمد ابن جحش وقالا له نحب أن ترسل الى حسان بن ثابت حتى يأتيك فننشده وينشدنا مما قلنا له وقال انا فأرسل اليه فجاءه فقال له يا أبا الوليد هذان أخواك ابن الزبعرى وضرار قد جاآ يريدان أن يسمعاك وتسمعهما ما قالا لك وقلت لهما فقال ابن الزبعرى وضرار نعم يا أبا الوليد ان شعرك كان يحتمل في الاسلام ولا يحتمل شعرنا وقد أحببنا أن نسمعك وتسمعنا فقال حسان أفتبدآن أم أبدأ قالا نبدأ نحن فأنشداه حتى فار فصار كالمرجل غضبا ثم استويا على راحلتيهما يريدان مكة فخرج حسان حتى دخل على عمر بن الخطاب فقص عليه قصتهما وقصته فقال له عمر لن يذهبا عنك بشيء ان شاء الله وأرسل من ردهما وقال له عمر لو لم تدركهما الا بمكة فارددهما علي وخرجا فلما كانا بالروحاء رجع ضرار الى صاحبه بكره فقال له يا ابن الزبعرى أنا أعرف عمر وذبه عن الاسلام وأهله وأعرف حسان وقلة صبره على ما فعلنا به وكأني به قد جاء وشكا اليه ما فعلنا فأرسل في آثارنا وقال لرسوله ان لم تلحقهما الا بمكة فارددهما علي فاربح بنا ترك العناء وأقم بنا مكانا فان كان الذي ظننت فالرجوع من الروحاء أسهل منه من أبعد منها وان أخطأني فذلك الذي نحب ونحن من وراء المضي فقال ابن الزبعرى نعم ما رأيت قال فأقاما بالروحاء فما كان الا كر الطائر حتى وافاهما رسول عمر فردهما اليه فدعا لهما بحسان وعمر في جماعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لحسان أنشدهما مما قلت لهما فأنشدهما حتى فرغ مما قال لهما فوقف فقال له عمر أفرغت قال نعم فقال له أنشداك في الخلاء وأنشدتهما في الملاء وقال لهما عمر ان شئتما فأقيما وان شئتما فانصرفا وقال لمن حضره اني كنت قد نهيتكم أن تذكروا مما كان بين المسلمين والمشركين شيأ دفعا للتضاغن عنكم وبث القبيح فيما بينكم فأما إذ أبوا فاكتبوه واحتفظوا به فدونوا ذلك عندهم اه قلت كذا في الاغاني وظاهره أن عبد الله بن الزبعرى وضرارا لم يكونا مسلمين في عهد عمر رضي الله عنه مع أنهما معدودان في الصحابة وقد أسلما في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ومدحاه واعتذرا عما فرط قبل الاسلام منهما فأما ضرار بن الخطاب فقد عده في الصحابة أبو عبد الله بن منده وأبو نعيم أحمد بن عبد الله وأبو موسى محمد بن أبي بكر الاصفهانيون وأبو عمر بن عبد البر القرطبي كما أفاده أبو الحسن بن الاثير الجزري صاحب كتاب أسد الغابة ونقل فيه انه كان من مسلمة الفتح ومن شعره يوم الفتح

يابنى الهدى اليك لجا حىّ قريش وأنت خير لجاء
حين ضاقت عليهمو سبل الأر * ض وعاداهمو إله السماء
والتقت حلقتا البطان على القو * م ونودوا بالصيلم الصلعاء
ان سعدا يريد قاصمة الظهـ * ـر بأهل الحجون والبطحاء

يريد سعد بن عبادة حيث قال يوم الفتح اليوم تستحل الحرمة قال وقد ذكره أبو القاسم على بن الحسن بن عساكر الدمشقى فى تاريخ دمشق وقال له صحبة وشهد مع أبى عبيدة فتوح الشام وأسلم يوم فتح مكة وقد اشتهر اسلامه وشعره ونثره يدل على اسلامه اهـ وأما عبد الله بن الزبعرى فقد ذكره ابن عبد البر وابن منده وأبو نعيم فى الصحابة كما فى أسد الغابة وفيه أيضا أنه كان من أشد الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الجاهلية وعلى أصحابه بلسانه ونفسه وكان يناضل عن قريش ويهاجى المسلمين وكان من أشعر قريش قال الزبير كذلك تقول رواة قريش انه كان أشعرهم وأما ما سقط الينا من شعره وشعر ضرار بن الخطاب فضرار عندى أشعر منه وأقل سقطا ثم أسلم عبد الله بعد الفتح وحسن اسلامه قال يونس بن بكير عن ابن اسحق لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة هرب هبيرة بن أبى وهب وعبد الله بن الزبعرى الى نجران فقال حسان فى ابن الزبعرى وهو بنجران

لا تعدمن رجلا أحلك بغضه * نجران فى عيش أحذ لئيم

فلما سمع ذلك ابن الزبعرى رجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم وقال حين أسلم

يارسول المليك ان لسانى * راتق ما فتقت اذ أنا بور
اذ أجارى الشيطان فى طرق الغىّ * ومن مال ميله مثبور
آمن اللحم والعظام بما قلـ * ـت فنفسى الشهيد أنت النذير
أن ما جئتنا به حق صدق * ساطع نوره مضىء منير
جئتنا باليقين والبر والصد * ق وفى الصدق واليقين سرور
أذهب الله ضلة الجهل عنا * وأتانا الرخاء والميسور

فى أبيات له وقال أيضا

منع الرقاد بلابل وهموم * والليل معتلج الرواق بهيم
مما أتانى أن أحمد لامنى * فيه فبت كأننى محموم
ياخير من حملت على أوصالها * عيرانة سرح اليدين غشوم
انى لمعتذر اليك من التى * أسديت إذ أنا فى الضلال أهيم

أيام تأمرنى بأغوى خطة * سهم وتأمرنى بها مخزوم
وأمد أسباب الهوى ويقودنى * أمر الغواة وأمرهم مشؤم
فاليوم آمن بالنبى محمد * قلبى ومخطئ هذه محروم
مضت العداوة وانقضت أسبابها * وأتت أواصر بيننا وحلوم
فاغفر فدى لك والداى كلاهما * وارحم فانك راحم مرحوم
وعليك من سمة المليك علامة * نور أغر وخاتم مختوم
أعطاك بعد محبة برهانه * شرفا و برهان الاله عظيم

فماسردناه يعلم أنهما قد أسلما رضى الله عنهما كما أن مقتضى عدهما من الصحابة فى كلام من تقدم النقل عنهم أنهما بقيا على ذلك فان كان لما نقلناه من خبر الزبير بن بكار نصيب من الصحة حملناه على أنه لم يكن من مرادهما ما يرجع الى اساءة المسلمين أو الطعن فى الاسلام والا لما احتمل عمر رضى الله عنه ذلك منهما وهو من علمت ولا كان يتصور لهما أن يقدما على مثل ذلك بين ظهرانى الصحابة فى مركز الخلافة مشركين أو مرتدين * حاش لله * غاية الامر ان كان وقع شىء من ذلك أنهما أرادا ما يرجع الى حسان فى حد نفسه لاسيما وقد كان ما يقوله فيهما حال شركهما قبل أن يدخلا الاسلام يصل اليهما وما يقولانه فيه لا يصله لان الاسلام لا يحتمله على ما أخبرا به فى الخبر خصوصا وقد كان حسان فى منافحته عن المسلمين يتكلم فى الاعراض والانساب ويتعرض للشخصيات وكان ذلك أشد عليهم كما روى بخلاف من كان حين يناقضهم يطعن فيهم من جهة الكفر لا من جهة الحسب والنسب فأرادا المدافعة عن أحسابهما والانتصار لانفسهما من هذه الجهة فحسب بقطع النظر عن أمر الدين الذى هم فيه سواء كما يقع اليوم ووقع من قبل قديما وحديثا بين الرجلين المسلمين من الهجاء والملاحاة وأخف منه انشاد ما سبق من المهاجاة فلهذا لما كان الامر على هذه الصورة من قبيل الشخصيات اكتفى عمر رضى الله عنه بان يسمعهما منه كما أسمعاه جزاء وفاقا ولو كان الامر فوق ذلك لما احتمله أحد من آحاد المسلمين فى ذلك الوقت فضلا عن عمر أمير المؤمنين كما لا يخفى على من له أدنى نظر وبهذا يرتفع التناقض بين الروايات ويندفع الاشكال

(رجع الى سياق أخبار حسان)

ورد أنه لما وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم بنو تميم وشاعرهم فنادوه من وراء الحجرات يا محمد اخرج الينا نفاخرك ونشاعرك فان مدحنا زين وذمنا شين قال عليه الصلاة والسلام ذلك الله اذا مدح زان واذا ذم شان ثم جلس فى صحن المسجد

وقال

وقال انى لم أبعث بالشعر ولم أومر بالفخر ولكن هاتوا فأمر عليه الصلاة والسلام خطيبه ثابت بن قيس أن يجيب خطيبهم فخطب وغلبهم وأمر حسان أن يجيب شاعرهم فأجاب فقال قائلهم والله لخطيبه أخطب من خطيبنا ولشاعره أشعر من شاعرنا ولأصواتهم أعلى من أصواتنا فأسلم القوم وكان أول من أسلم شاعرهم ولهذا الاجمال تفصيل يأتى ان شاء الله * قال الزبير حدثنى محمد بن الحسن قال قال حسان جئت نابغة بنى ذبيان فوجدت الخنساء بنت عمرو حين قامت من عنده فأنشدته فقال انك لشاعر وان أخت بنى سُلَيم (يعنى الخنساء) لبكاءة قال الزبير وحدثنى يحيى بن محمد بن طلحة بن عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق قال أخبرنى غير واحد أن الحُطَيْئة وقف على حسان بن ثابت وحسان ينشد من شعره فقال له حسان وهو لا يعرفه كيف تسمع هذا الشعر يا أعرابى فقال الحطيئة لا أرى به بأسا فغضب حسان وقال اسمعوا الى كلام هذا الأعرابى ما كنيتك قال أبو مُلَيكة قال ما كنت قط أهون علىّ منك حين اكتنيت بامرأة فما اسمك قال الحطيئة قال امض بسلام ويأتى حديثه مع الأعشى فى قافية الدال ان شاء الله

وكان حسان فى الجاهلية يَفِد على جبلة بن الأيهم الغسانى أحد ملوك غسان بالشام ويمدحه ويأخذ جوائزه حكى صاحب الأغانى بسنده عن يوسف بن الماجشون عن أبيه قال قال حسان بن ثابت أتيت جبلة بن الايهم الغسانى وقد مدحته فأذن لى فجلست بين يديه وعن يمينه رجل له ضفيرتان وعن يساره رجل لا أعرفه فقال أتعرف هذين فقلت أما هذا فأعرفه وهو النابغة وأما هذا فلا أعرفه قال هو علقمة بن عبدة فان شئت استنشدتهما وسمعت منهما ثم ان شئت أن تنشد بعدهما أنشدت وان شئت أن تسكت سكت قلت فذاك قال فأنشده النابغة

كِلِينى لهمّ يا أميمة ناصب * وليلٍ أقاسيه بطىء الكواكب

قال حسان فذهب نصفى ثم قال لعلقمة أنشد فأنشد

طَحا بكَ قلبٌ فى الحسان طَروبُ * بُعَيْدَ الشباب عَصْرَ حان مَشيبُ

فذهب نصفى الآخر فقال لى أنت أعلم الآن ان شئت أن تُنْشِدَ بعدهما أنشدت وان شئت أن تسكت سكت فتشددت ثم قلت لا بل أنشد قال هات فأنشدته

لله درّ عصابةٍ نادمتهم * يوما بجِلَّق فى الزمان الاول

أولاد جَفْنة حول قبر أبيهم * قبرِ ابن مارية الكريم المفضل

يَسْقُون مَنْ وَرَدَ البريصَ عليهمو * بَرَدَى يُصفَّقُ بالرحيق السَّلْسل

يُغْشَوْنَ حتى ما تَهِرُّ كلابهم * لا يَسْألون عن السواد المقبل

بيض الوجوه كريمة أحسابهم * شم الانوف من الطراز الاول

فقال لى أدنه أدنه لعمرى ما أنت بدونهما ثم أمر لى بثلثمائة دينار وعشرة أقمصة لها جيب واحد وقال لى هذا لك عندنا فى كل عام

وذكر أبو عمرو الشيبانى هذه القصة لحسان مع عمرو بن الحارث الاعرج الغسانى وأتى بالقصة أتم من هذه الرواية قال أبو عمرو قال حسان بن ثابت قدمت على عمرو ابن الحارث فاعتاص على الوصول اليه فقلت للحاجب بعد مدة ان أذنت لى عليه والا هجوت اليمن كلها ثم انقلبت عنكم فأذن لى فدخلت عليه فوجدت عنده النابغة وهو جالس عن يمينه وعلقمة بن عبدة وهو جالس عن يساره فقال لى يا ابن الفريعة قد عرفت عيصك ونسبك فى غسان فارجع فانى باعث اليك بصلة سنية ولا أحتاج الى الشعر فانى أخاف عليك هذين السبعين النابغة وعلقمة أن يفضحاك وفضيحتك فضيحتى وأنت والله لا تحسن أن تقول

رقاق النعال (١) طيب حجزاتهم (٢) يحيون بالريحان يوم السباسب (٣)

فأبيت وقلت لابد منه فقال ذاك الى عميك فقلت لهما بحق الملك الاقدم الا ما قدمتمانى عليكما فقالا قد فعلنا فقال عمرو بن الحارث هات يا ابن الفريعة فأنشأت

أسألت ربع الدار أم لم تسأل * بين الجوابى فالبضيع فحومل

قال فلم يزل عمرو بن الحارث يزحل عن موضعه سرورا حتى شاطر البيت وهو يقول هذا وأبيك الشعر لا ما يعللانى به منذ اليوم هذه والله البتاتة التى قد بترت المدائح أحسنت يا ابن الفريعة هات له يا غلام ألف دينار مرجوحة (وهى التى فى كل دينار

(١) قوله رقاق النعال هو كناية عن الرفاهية والعز والنعمة وكانوا يصفون بذلك الملوك وأعاظم الناس

(٢) حجزة الازار معقده وحجزة السراويل التى فيها التكة والحجزات هنا كناية عن الفروج يريد أنهم أعفاء

(٣) يوم السباسب عيد لهم ويقال هو يوم الشعانين وهذا البيت من قصيدة للنابغة فى عمرو بن الحارث الاصغر الغسانى أولها * كلينى لهم يا أميمة ناصب * وكانت العرب تتمدح بجودة النعال ورقتها قال عنترة

بطل كأن ثيابه فى سرحة * يحذى نعال السبت ليس بتوأم

وقال كثير يصف نعلا

اذا طرحت لا يطبى الكلب أكلها * وان طرحت فى مجلس القوم شمت

عنى بقوله اذا طرحت لا يطبى الكلب أكلها أنها ليست بفطير لان النعل اذا كانت غير مدبوغة وظفر بها الكلب أكلها وعنى بقوله (وان طرحت فى مجلس القوم شمت) أنها طيبة الريح وذلك حال الملوك تكون نعالهم طيبة الريح لرفاهيتهم وكثرة استعمالهم للطيب وتكون رقيقة فانهم لا يحتاجون للشىء فلا يخصفونها انما يخصفها من عشى اه منه

عشرة

عشرة دنانير) فأعطيت ذلك ثم قال لك على في كل سنة مثلها ثم أقبل على النابغة فقال قم يا زياد فهات الثناء المسجوع فقام النابغة فقال

ألا انعم صباحا أيها الملك المبارك السماء غطاؤك والارض وطاؤك ووالداى فداؤك والعرب وقاؤك والحكماء جلساؤك والمداره سمارك والمقاول اخوانك والعقل شعارك والحلم دثارك والسكينة مهادك والوقار غشاؤك والبر وسادك والصدق رداؤك واليمن حذاؤك والسخاء ظهارتك والحمية بطانتك والعلاء علانيتك وأكرم الاحياء أحياؤك وأشرف الاجداد أجدادك وخير الآباء آباؤك وأفضل الاعمام أعمامك وأسرى الاخوال أخوالك وأعف النساء حلائلك وأفخر الشبان أبناؤك وأطهر الامهات أمهاتك وأعلى البنيان بنيانك وأعذب المياه أمواهك وأفيح الدارات داراتك وأنزه الحدائق حدائقك وأرفع اللباس لباسك قد حالف الاضريج عاتقيك ولاءم المسك مسكك وجاور العنبر ترائبك وصاحب النعيم جسدك ألعسجد آنيتك واللجين صحافك والعصب مناديلك والحوار طعامك والشهد إدامك واللذات غذاؤك والخرطوم شرابك والابكار مستراحك والاشراف مناصفك والخير بفنائك والشر بساحة أعدائك والنصر منوط بلوائك والخذلان مع ألوية حسادك والبر فعالك قد طمطم عدوك غضبك وهزم مغانيهم مشهدك وسار في الناس عدلك وشسع بالنصر ذكرك وسكن قوارع الاعداء ظفرك الذهب عطاؤك والدواة رمزك والاوراق لحظك واطراقك وألف دينار مرجوحة أغماؤك أيفاخرك المنذر اللخمي فوالله لقفالك خير من وجهه ولشمالك خير من يمينه ولأخمصك خير من رأسه ولخطؤك خير من صوابه ولصمتك خير من كلامه ولأمك خير من أبيه ولخدمك خير من قومه فهب لي أسارى قومي واسترهن بذلك شكرى فانك من أشراف قحطان وأنا من سروات عدنان فرفع عمرو رأسه الى جارية كانت قائمة على رأسه وقال بمثل هذا فليثن على الملوك ومثل ابن الفريعة فليمدحهم وأطلق له أسرى قومه وذكر ابن الكلبي هذه القصة نحو هذا وقال فقال له عمرو اجعل المفاضلة بيني وبين المنذر شعرا فانه أسير فقال

ونبئت أن أبا منــذر * يساميك للحدث الأكبر
قذالك أحسن من وجهه * وأمك خير من المنذر
ويسراك أجود من كفه الـ * ـيمين فقولا له أخر

وقد ذكر المدايني أن هذه الابيات والسجع الذى قبلها لحسان وهذا أصح اه

قال أبو عمرو الشيباني لما أسلم جبلة بن الايهم الغساني وكان من ملوك آل جفنة (وهو

آخرهم) كتب الى عمر رضي الله عنه يستأذنه في القدوم عليه فأذن له عمر فخرج اليه في خمسمائة من أهل بيته من عك وغسان حتى اذا كان على مرحلتين كتب الى عمر يعلمه بقدومه فسر عمر رضوان الله عليه وأمر الناس باستقباله وبعث اليه بانزال وأمر جبلة مائة رجل من أصحابه فلبسوا السلاح والحرير وركبوا الخيول معقودة أذنابها وألبسوها قلائد الذهب والفضة ولبس جبلة تاجه وفيه قرط مارية وهي جدته ودخل المدينة فلم يبق فيها بكر ولا عانس الا تبرجت وخرجت تنظر اليه والى زيه فلما انتهى الى عمر رحب به وألطفه وأدنى مجلسه ثم أراد عمر الحج فخرج معه جبلة فبينما هو يطوف بالبيت وكان مشهورا بالموسم اذ وطئ ازاره رجل من بني فزارة فانحل فرفع جبلة يده فهشم أنف الفزارى فاستعدى عليه عمر رضوان الله عليه فبعث الى جبلة فأتاه فقال ما هذا قال نعم يا أمير المؤمنين انه تعمد حل ازاري ولولا حرمة الكعبة لضربت بين عينيه بالسيف فقال له عمر قد أقررت فاما أن تُرضي الرجل واما أن أُقيده منك قال جبلة ماذا تصنع بي قال آمر بهشم أنفك كما فعلت قال وكيف ذلك يا أمير المؤمنين وهو سُوقة وأنا ملك قال ان الاسلام جمعك واياه فلا تفضله بشيء الا بالتقى والعافية قال جبلة قد ظننت يا أمير المؤمنين أني أكون في الاسلام أعز مني في الجاهلية قال عمر دع عنك هذا فانك ان لم ترض الرجل أقدته منك قال اذًا أتنصر قال ان تنصرت ضربت عنقك لانك قد أسلمت فان ارتددت قتلتك فلما رأى جبلة الجد من عمر قال أنا ناظر في هذا الليلة هذه وقد اجتمع بباب عمر من حي هذا وحي هذا خلق كثير حتى كادت تكون بينهم فتنة فلما أمسوا أذن له عمر في الانصراف حتى اذا نام الناس وهدؤا تحمل جبلة بخيله ورجله الى الشام فأصبحت مكة وهي منهم بلاقع فلما انتهى الى الشام تحمل في خمسمائة رجل من قومه حتى أتى القسطنطينية فدخل الى هرقل فتنصر هو وقومه فسر هرقل بذلك جدا وظن أنه فتح من الفتوح عظيم وأقطعه حيث شاء وأجرى عليه من النزل ماشاء وجعله من محدثيه وسماره هكذا ذكره أبو عمرو

ثم ان عمر رضي الله عنه بدا له أن يكتب الى هرقل يدعوه الى الله عز وجل والى الاسلام ووجه اليه رجلا من أصحابه وهو جثامة بن مساحق الكناني فلما انتهى اليه الرجل بكتاب عمر أجاب الى كل شيء سوى الاسلام فلما أراد الرسول الانصراف قال له هرقل هل رأيت ابن عمك هذا الذي جاء راغبا في ديننا قال لا قال فالقه قال الرجل فتوجهت اليه فلما انتهيت الى بابه رأيت من البهجة والحسن والسرور ما لم أر بباب هرقل مثله فلما أدخلت عليه اذا هو في بهو عظيم وفيه من التصاوير ما لا أحسن

وصفه وإذا هو جالس على سرير من قوارير قوائمه أربعة أسد من ذهب وإذا هو رجل أصهب ذو سبال وعثنون وقد أمر بمجلسه فاستقبل به وجه الشمس فما بين يديه من آنية الذهب والفضة يلوح فما رأيت أحسن منه فلما سلمت ردّ السلام ورحب بي وألطفني ولامني على تركي النزول عنده ثم أقعدني على شيء لم أثبته فإذا هو كرسي من ذهب فانحدرت عنه فقال مالك فقلت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن هذا فقال جبلة أيضا مثل قولي في النبي صلى الله عليه وسلم حين ذكرته وصلى عليه ثم قال يا هذا انك اذا طهرت قلبك لم يضرك ما لبسته ولا ما جلست عليه ثم سألني عن الناس وألحف في السؤال عن عمر ثم جعل يفكر حتى رأيت الحزن في وجهه فقلت ما منعك من الرجوع الى قومك والاسلام قال أبعد الذي قد كان قلت قد ارتد الاشعث ابن قيس ومنعهم الزكاة وضربهم بالسيف ثم رجع الى الاسلام فتحدثنا مليا ثم أومأ الى غلام على رأسه فولى يحضر فما كان الا هنيهة حتى أقبلت الاخونة يحملها الرجال فوضعت وجيء بخوان من ذهب فوضع أمامي فاستعفيت منه فوضع أمامي خوان خلنج(١) وجامات قوارير وأديرت الخمر فاستعفيت منها فلما فرغنا دعا بكأس من ذهب فشرب منه خمسا عددا ثم أومأ الى غلام فولى يحضر فما شعرت الا بعشر جوار يتكسرن في الحلي فقعد خمس عن يمينه وخمس عن شماله ثم سمعت وسوسة من ورائي فاذا أنا بعشر أفضل من الاول عليهن الوشي والحلي فقعد خمس عن يمينه وخمس عن شماله وأقبلت جارية على رأسها طائر مؤدب أبيض اللون كأنه لؤلؤة وفي يدها اليمنى جام فيه مسك وعنبر قد خلطا وأنعم سحقهما وفي اليسرى جام فيه ماء ورد فألقت الطائر في ماء الورد فتمعك(٢) بين جناحيه وظهره وبطنه ثم أخرجته فألقته في جام المسك والعنبر فتمعك فيهما حتى لم يدع شيأ ثم نفّرته فطار وسقط على تاج جبلة ثم رفرف ونفض ريشه حتى لم يبق عليه شيء الا سقط على رأس جبلة ثم قال للجواري أطربنني فخفقن بعيدانهن يغنين (من شعر حسان)

لله درّ عصابة نادمتهم * يوما بجلق في الزمان الاوّل
بيض الوجوه كريمة أحسابهم * شم الأنوف من الطراز الاوّل
يغشون حتى ما تهرّ كلابهم * لا يسألون عن السواد المقبل

فاستهل واستبشر وطرب ثم قال زدنني فاندفعن يغنين (من شعر حسان أيضا)

لمن الدار أقفرت بمعان * بين شاطي اليرموك فالخمّان

(١) الخلنج اناء كبير من الخشب اه منه (٢) فتمعك أي تمرغ

فحمى جاسم فأودية الصفر مغنى قبائل وهجان (١)(٢)

فالقريات من بلاس فداريا * فسكاء فالقصور الدوانى

ذاك مغنى لآل جفنة فى الدهـ * ـر وحق تعاقب الازمان

قد دنا الفصح فالولائد ينظمـ * ـن سراعا أكلة المرجان

لم يعللن بالمغافير والصمـ * ـغ ولا نقف حنظل الشريان

قد أرانى هناك حقا مكينا * عند ذى التاج مقعدى ومكانى

(قلت هكذا وردت هذه الابيات والتى قبلها فى هذه الرواية وتأتى فى محلها ان شاء الله على غير هذا النمط) ﴿رجع﴾ قال الرجل فقال جبلة أتعرف هذه المنازل قلت لا قال هذه منازلنا فى ملكنا بأكناف دمشق وهذا شعر ابن الفريعة حسان بن ثابت شاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت أما انه مضرور البصر كبير السن قال يا جارية هات فأتته بخمسمائة دينار وخمسة أثواب من الديباج فقال ادفع هذا الى حسان وأقرئه منى السلام ثم راودنى على مثلها فأبيت فبكى ثم قال لجواريه أبكيننى فوضعن عيدانهن وأنشأن يقلن قوله

تنصرت الاشراف من عار لطمة * وما كان فيها لو صبرت لها ضرر

تكنفنى فيها لجاج ونخوة * وبعت بها العين الصحيحة بالعور

فياليت أمى لم تلدنى وليتنى * رجعت الى القول الذى قاله عمر

وياليتنى أرعى المخاض بدمنة * وكنت أسيرا فى ربيعة أو مضر

وياليت لى بالشام أدنى معيشة * أجالس قومى ذاهب السمع والبصر

ثم بكى وبكيت معه حتى رأيت دموعه تجول على لحيته كأنها اللؤلؤ ثم سلمت عليه وانصرفت فلما قدمت على عمر سألنى عن هرقل وجبلة فقصصت عليه القصة من أولها الى آخرها فقال أو رأيت جبلة يشرب الخمر قلت نعم قال أبعده الله تعجل فانية اشتراها بباقية فما ربحت تجارته فهل سرح معك شيأ قلت سرح الى حسان خمسمائة دينار وخمسة أثواب ديباج قال هاتها وبعث الى حسان فأقبل يقوده قائده حتى دنا فسلم وقال يا أمير المؤمنين انى لأجد أرواح آل جفنة فقال عمر رضى الله عنه قد نزع الله تبارك وتعالى لك منه على رغم أنفه وأتاك بمعونة فأخذها وانصرف وهو يقول

ان ابن جفنة من بقية معشر * لم يغذهم آباؤهم باللوم

لم ينسنى بالشام اذ هو ربها * كلا ولا متنصرا بالروم

(١) فى نسخة فقفا (٢) فى نسخة فأبنية

يعطي الجزيل ولا يراه عنده * الا كبعض عطية المذموم
وأتيته يوما فقرب مجلسي * وسقى فروّاني من الخرطوم

فقال له رجل أتذكر قوما كانوا ملوكا فأبادهم الله وأفناهم فقال ممن الرجل قال مزني قال أما والله لولا سوابق قومك مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لطوقتك طوق الحمامة وقال للرجل الذي جاء من عند جبلة ما كان ليخل بي خليلي فما قال لك قال الرجل قال لي ان وجدته حيا فادفعها اليه وان وجدته ميتا فاطرح الثياب على قبره وابتع بهذه الدنانير بدنا فانحرها على قبره فقال حسان ليتك وجدتني ميتا ففعلت ذلك بي وعن عمر بن شبة قال قال لي عبد الله بن مسعدة الفزاري وجهني معاوية الى ملك الروم فدخلت عليه فاذا عنده رجل على سرير من ذهب دون مجلسه فكلمني بالعربية فقلت من أنت يا عبد الله قال أنا رجل غلب عليه الشقاء أنا جبلة بن الايهم اذا صرت الى منزلي فالقني فلما انصرف وانصرفت أتيته في داره فألفيته على شرابه وعنده قينتان تغنيانه من شعر حسان بن ثابت

قد عفا جاسم الى بيت رأس * فالجوابي فجانب الجولان

« وذكر الابيات » فلما فرغتا من غنائهما أقبل عليّ ثم قال ما فعل حسان بن ثابت قلت شيخ كبير قد عمي فدعا بألف دينار فدفعها اليّ وأمرني أن أدفعها اليه ثم قال أترى صاحبك يفي لي ان خرجت اليه قلت قل ما شئت أعرضه عليه قال يعطيني الثنية فانها كانت منازلنا وعشرين قرية من الغوطة منها داريا وسكاء ويفرض لجماعتنا ويحسن جوائزنا قلت أبلغه فلما قدمت على معاوية قال وددت أنك أجبته الى ما سأل فأجزته له . وكتب اليه معاوية يعطيه ذلك فوجده قد مات قال وقدمت المدينة فدخلت مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلقيت حسان فقلت يا أبا الوليد صديقك جبلة يقرأ عليك السلام فقال هات ما معك قلت وما علمك أن معي شيأ قال ما أرسل اليّ بالسلام قط الا ومعه شئ وفي رواية انه كريم من عصبة كرام مدحته في الجاهلية فخاف أن لا يلقى أحدا يعرفني الا أهدى اليّ معه شيأ قال فدفعت اليه المال * وفي الاغاني عن أبي محمد النوفلي قال كان حسان بن ثابت يخضب شاربه وعنفقته بالحناء ولا يخضب سائر لحيته فقال له ابنه عبد الرحمن يا أبت لم تفعل هذا قال لأكون كأني أسد والغ في دم * وفيه أيضا قال الزبير وحدثني علي بن صالح عن جدي أنه سمع أن حسان بن ثابت أنشد رسول الله صلى الله عليه وسلم

لقد غدوت أمام القوم منتطقا * بصارم مثل لون الملح قطاع
يحفز عني نجاد السيف سابغة * فضفاضة مثل لون النهي بالقاع

قال فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم فطن حسان أنه ضحك من صفته نفسه مع جبنه اه وسيأتي البيتان في قافية العين في أثناء قصيدة ويقال ان حسان رضي الله عنه كان يجبن وإنه لم يشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم شيأ من المشاهد مع قدم اسلامه وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم في حروبه كان يجعله مع الصبيان والنساء في الحصون وذلك لجبنه وقال الحافظ ابن عساكر كان جهاده بشعره * وفي الاغاني بسنده كانت صفية بنت عبد المطلب في فارع حصن حسان بن ثابت يعني يوم الخندق قالت وكان حسان معنا فيه والنساء والصبيان قالت فربنا رجل من يهود فجعل يطيف بالحصن وقد حاربت بنو قريظة وقطعت ما بينها وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس بيننا وبينهم أحد يدفع عنا ورسول الله والمسلمون في نحور عدوهم لا يستطيعون أن ينصرفوا الينا عنهم اذا أتانا آت قالت فقلت يا حسان ان هذا اليهودي كما ترى يطيف بالحصن واني والله ما آمنه أن يدل على عورا تنا من وراءنا من يهود وقد شغل عنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فانزل اليه فاقتله فقال يغفر الله لك يا ابنة عبد المطلب لقد عرفت ما أنا بصاحب هذا قالت فلما قال ذلك ولم أر عنده شيأ اعتجرت ثم أخذت عمودا ثم نزلت اليه من الحصن فضربته بالعمود حتى قتلته فلما فرغت منه رجعت الى الحصن فقلت يا حسان انزل اليه فاسلبه فانه لم يمنعني من سلبه الا أنه رجل قال مالي من سلبه حاجة يا بنت عبد المطلب اه وأنكر بعضهم جبنه وقال انه كان يهاجي قريشا ويذكر عيوبهم ومساويهم ولم يبلغنا أن أحدا عيره بالجبن ولما انهزم الحرث بن هشام رضي الله عنه يوم بدر وكان يومئذ مع المشركين يحارب المسلمين ولم يكن أسلم بعد قال حسان بن ثابت يعيره

ان كنت كاذبة الذي حدثتني * فنجوت منجى الحارث بن هشام
ترك الاحبة أن يقاتل دونهم * ونجا برأس طمرة ولجام

وما أجابه الحرث بما ينقض عليه ويطعن عليه بل اعتذر رضي الله عنه عن فراره بقوله

الله يعلم ما تركت قتالهم * حتى رموا فرسي بأحمر مزبد
ووجدت ريح الموت من تلقائهم * في مازق والخيل لم تتبدد
وعلمت أني إن أقاتل واحدا * أُقتَل ولا يَضْرُرْ عدوّي مشهدي
فصدفت عنهم والاحبة دونهم * طمعا لهم بعقاب يوم مفسد

وفي الاغاني أخبرني أحمد بن عبد الرحمن قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا أبو داود قال حدثنا حُدَيج بن معاوية عن أبي اسحق عن سعيد بن جبير قال كنا عند ابن عباس فجاء حسان فقالوا قد جاء اللعين فقال ابن عباس ما هو بلعين لقد

نصر رسول الله صلى الله عليه وسلم بلسانه ويده وحدثنيه أحمد بن الجعد قال حدثنا محمد بن بكار قال حدثنا حُديج بن معاوية قال حدثنا أبو إسحق عن سعيد بن جبير قال جاء رجل الى ابن عباس فقال قد جاء اللعين حسان من الشام فقال ابن عباس ماهو بلعين لقد جاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بلسانه ونفسه * وفيه قال الزبير وحدثني عمي عن الواقدي قال كان أكحل حسان قد قطع فلم يكن يضرب بيده انتهى قلت فلعل هذا هو السبب في عدم شهوده المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ان صح أنه لم يكن يشهدها وأيا كان فقد أدرك رضي الله عنه الاسلام وهو ابن ستين سنة كما تضافرت به الاخبار وليس هذا سن بأس ونجدة وحماس * قال في الاصابة وذكر ابن إسحق أنه سأل سعيد بن عبد الرحمن بن حسان فقال قدم صلى الله عليه وسلم المدينة ولحسان ستون سنة قال الأصبهاني وكان حسان أحد المعمرين من المخضرمين(١) عمر مائة وعشرين سنة ستين في الجاهلية وستين في الاسلام أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن أبي عبيدة قال عاش ثابت بن المنذر مائة وخمسين سنة وعاش حسان مائة وعشرين سنة قال ومما يحقق ذلك ما أخبرني به الحسن بن علي قال حدثنا أحمد بن زهير قال حدثني الزبير بن بكار قال حدثني محمد بن حسين عن إبراهيم بن محمد عن صالح بن إبراهيم عن يحيى بن عبد الرحمن ابن سعيد بن زرارة عن حسان بن ثابت قال إني لغلام يَفَعَة ابن سبع سنين أو ثمان إذا بيهودي بيثرب يصرخ ذات غداة يامعشر يهود فلما اجتمعوا اليه قالوا ويلك مالك قال طلع نجم أحمد الذي يولد به في هذه الليلة قال ثم أدركه اليهودي ولم يؤمن به فهذا يدل على مدة عمره في الجاهلية لانه ذكر أنه أدرك ليلة ولد النبي صلى الله عليه وسلم وله يومئذ ثمان سنين والنبي صلى الله عليه وسلم بعث وله أربعون سنة وأقام بمكة ثلاث عشرة سنة فقدم المدينة ولحسان يومئذ على ماذكر ستون سنة أو احدى وستون وحينئذ أسلم انتهى وقال أبو عبيد القاسم بن سلام في سنة أربع وخمسين (من الهجرة) توفي حكيم بن حزام وحويطب بن عبد العزى وسعيد ابن يربوع المخزومي وحسان بن ثابت قال ويقال ان هؤلاء الاربعة ماتوا وقد بلغ كل واحد منهم عشرين ومائة سنة وقال الشيخ شمس الدين الذهبي الذي بلغنا أن حسانا وأباه وجده وجد أبيه عاش كل منهم مائة وعشرين سنة انتهى وكذا نقله

---

(١) قوله من المخضرمين المخضرم هو الماضي نصف عمره في الجاهلية ونصفه في الاسلام أو من أدركهما أو شاعر أدركهما اه منه

الزرقاني في شرح المواهب عن ابن منده وابن سعد قال ولا يعرف في العرب أربعة تناسلوا من صلب واحد اتفقت مدة تعميرهم مائة وعشرين سنة غيرهم

وفي أسد الغابة توفي حسان قبل الاربعين في خلافة علي وقيل بل مات سنة خمسين وقيل سنة أربع وخمسين وهو ابن مائة وعشرين سنة لم يختلفوا في عمره وانه عاش ستين سنة في الجاهلية وستين في الاسلام انتهى المراد منه * وقد آن أن نكتفي ههنا بما أوردناه من أخباره رضي الله عنه وقد يأتي بعضها في أثناء الكلام على أشعاره ونشرع الان في شرح الديوان

﴿ قال رضي الله عنه ﴾

﴿ عفت ذات الأصابع فالجواءُ * الى عذراءَ باطنها خَلاءُ ﴾

عفت درست يقال عفا المنزل يعفو عفوا وعُفُوًّا وعَفاءً درس * وذات الاصابع موضع بالشام ومثلها الجواء بكسر الجيم قال السهيلي وبالجواء كان منزل الحرث ابن أبي شمر (الغساني) وكان حسان كثيرا ما يرد على ملوك غسان بالشام يمدحهم ولذلك يذكر هذه المنازل * وعذراء قال السكري قرية على بريد من دمشق قتل بها معاوية حُجْرَ بن عديّ وأصحابه وفي مراصد الأطلاع عذراء بالفتح ثم السكون والمد قرية بغوطة دمشق معروفة واليها ينسب مرج عذراء اذا انحدرت من ثنية العقاب رأيتها والخلاء المكان لا أحد فيه ومنه المثل خلاؤك أقنى لحيائك

﴿ ديار من بني الحَسْحاس قفْرٌ * تُعفِّيها الروامس والسماءُ ﴾

الحسحاس بالفتح اسم رجل قال السكري هو ابن مالك بن عدي بن النجار وقال ابن سيده رجل حسحاس خفيف الحركة وبه سمي الرجل * وقفر أي خالية قال في لسان العرب القفر والقفرة الخلاء من الارض وجمعه قفار وقُفور قال الشماخ

يخوض أمامهن الماء حتى * تبين أن ساحته قفور

وربما قالوا أرضون قفر ويقال أرض قفر ومفازة قفر وقفرة أيضا * وفي المصباح القفر المفازة لا ماء بها ولا نبات وأرض قفر ومفازة قفرة ويجمعونها على قفار فيقولون أرض قفار على توهم جمع الموضع لسعتها ودار قفر وقفار كذلك والمعنى خالية من أهلها فان جعلتها اسما ألحقت الهاء فقلت قفرة * وتعفيها أي تجعلها دارسة يقال عفت الريح الديار بالتخفيف وعفتها بالتشديد للمبالغة قال الشاعر

أهاجك ربع دارس الرسم باللوى * لأسماء عفَّى آيه المورُ(١) والقطر

(١) قوله المور بالضم هو الغبار بالريح اه منه

والروامس الرياح الدوافن للآثار كارامسات وهى التى تنقل التراب من بلد الى آخر وبينهما الأيام وربما غشت وجه الارض كله بتراب أرض أخرى قاله أبو حنيفة فهو من الرمس يقال رمسه يرمسه رمسا اذا دفنه وسوّى عليه الارض والرمس أيضا القبر نفسه وفى تاج العروس أصل الرمس الستر والتغطية * قوله والسماء عنى به المطر * قال السهيلى السماء لفظ مشترك يقع على المطر وعلى السماء التى هى السقف ولم نعلم ذلك من هذا البيت ونحوه ولا من قوله

اذا سقط السماء بأرض قوم * رعيناه وان كانوا غضابا

لانه يحتمل أن يكون أراد مطر السماء فحذف المضاف ولكن انما عرفناه من قولهم فى جمعه سمى(1) وأسمية وهم يقولون فى جمع السماء سموات فعلمنا أنه اسم مشترك بين شيئين

﴿وكانت لا يزال بها أنيس * خلال مروجها نعم وشاء﴾

ضمير كانت للديار المذكورة قبل وقوله خلال فيه روايتان الاولى بالخاء المعجمة المكسورة والنصب على أنه ظرف بمعنى بين خبر مقدم وقوله نعم مبتدأ مؤخر الرواية الثانية بالحاء المهملة المكسورة أيضا وهو مرفوع على أنه مبتدأ خبره قوله نعم وحلال بالمهملة على هذه الرواية جمع حلة بكسر الحاء وهم القوم النزول بمكان يقال قوم حلة أى نزول وفيهم كثرة قال الاعشى

لقد كان فى شيبان لو كنت عالما * قباب وحىّ حلة ودراهم

وكذلك حىّ حلال قال زهير

لحىّ حلال يعصم الناس أمرهم * اذا طرقت احدى الليالى بمعظم

والنعم بالفتح الابل قال الفراء هو ذكر لا يؤنث يقولون هذا نعم وارد ويجمع على نعمان مثل حمل وحملان والأنعام تذكر وتؤنث قال الله فى موضع مما فى بطونه وفى موضع مما فى بطونها والعرب اذا أفردت النعم لم يريدوا بها الا الابل فاذا قالوا الأنعام أرادوا بها الابل والبقر والغنم قال الله عز وجل ومن الأنعام حمولة وفرشا كلوا مما رزقكم الله الآية ثم قال ثمانية أزواج أى خلق منها ثمانية أزواج وكان الكسائى يقول فى قوله تعالى نسقيكم مما فى بطونه أراد فى بطون ما ذكرنا ومثله قول الشاعر (مثل الفراخ نتفت حواصله) أى حواصل ما ذكرنا وقال آخر فى تذكير النعم

فى كل عام نعم يحوونه * يلقحه قوم وينتجونه

---

(1) قوله سمى يحتمل أن يريد به وزن رضا أو عتى فكلا الوزنين وارد فى جمع سماء اه منه

والشاء الغنم جمع شاة وتجمع أيضا على شياه بالهاء رجوعا الى الاصل كما قيل شفة وشفاه أصلها شاهة مثل عاهة وتصغيرها شويهة وتطلق الشاة على الذكر والانثى من الغنم فيقال هذا شاة للذكر وهذه شاة للانثى وشاة ذكر وشاة أنثى وتقول فلان كثير الشاة والبعير وهو فى معنى الجمع لان الالف واللام للجنس وتقول فى العدد ثلاث شياه أربع شياه بالهاء الى العشرة فاذا جاوزت فبالتاء فاذا كثرت قيل هذه شاء كثيرة وجمع الشاء شوى

﴿فدع هذا ولكن من لطيف * يؤرقنى اذا ذهب العشاء﴾

انتقال من صفة الديار الى ذكر الحبيبة وجملة فدع هذا الفصل بين المقامين وقد جرت عادة شعراء العرب بالاتيان بأمثال هذه العبارة كقولهم ذر ذا ودع كذا ليفصلوا بها بين غرض وآخر ويأتى فى أثناء الديوان أشياء من هذا القبيل وقوله من لطيف جاء فى رواية أخرى ما لطيف * والطيف الخيال مخفف طيف بتشديد الياء مثل ميت وميت سمى به لانه يطيف بالنائم ويقال طاف الخيال يطيف طيفا ومطافا ألم فى النوم قال كعب بن زهير

أنى ألم بك الخيال يطيف * ومطافه لك ذكرة وشغوف

ويؤرقنى أى يسهرنى فان قيل كيف يسهره الطيف والطيف حلم فى المنام فالجواب أن الذى يؤرقه ما يجده من اللوعة عند زواله كما قال الطائى

ظبى تقنصته لما نصبت له * من آخر الليل أشراكا من الحلم

ثم انثنى وبنا من ذكره سقم * باق وان كان معسولا من السقم

والعشاء بالكسر أول الظلام وقيل من المغرب الى العتمة ويروى اكتنع العشاء محل ذهب العشاء واكتنع بمعنى دنا وقرب افتعال من الكنوع يقال كنع يكنع كنوعا اذا قرب وتكنع فلان منى واكتنع أى دنا وفى الحديث ان امرأة جاءت تحمل صبيا به جنون فحبس رسول الله صلى الله عليه وسلم راحلته ثم اكتنع لها أى دنا منها

﴿لشعثاء التى قد تيمته * فليس لقلبه منها شفاء﴾

لشعثاء يتعلق بمحذوف صفة طيف المذكور فى البيت السابق واللام للاختصاص أوهو متعلق بقوله يؤرقنى واللام حينئذ للتعليل أى يؤرقنى من أجل شعثاء * وهذه شعثاء بنت سلام بن مشكم اليهودى وقد كان تحت حسان امرأة اسمها شعثاء أيضا وهى شعثاء بنت كاهن الاسلمية ولدت له أم فراس قاله السهيلى وقال ابن الاعرابى شعثاء التى يذكرها حسان هى امرأته من خزاعة * وتيمته أى ذللته وصيرته عبدا فهو متيم ويقال أيضا تامته قال لقيط بن زرارة

نامت[1] فؤادك لو يحزنك ماصنعت * إحدى نساء بني ذهل بن شيبانا

وقوله تيمته جار على نهج الالتفات والمراد نفسه التفت من التكلم فى قوله يؤرقنى فى البيت السابق إلى الغيبة فى قوله هنا قد تيمته كما فى قوله تعالى لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير على بعض التفاسير

﴿كأن سبيئة من بيت رأس * يكون مزاجها عسل وماء﴾

هذا البيت من شواهد سيبويه والرضى والجوهرى وغيرهم والسبيئة فعيلة بمعنى مفعولة من قولهم سبأت الخمر قال فى لسان العرب سبأ الخمر يسبؤها سبأ وسباء ومسبأ أشتراها وفى الصحاح اشتراها ليشربها قال ابراهيم بن هرمة

خود تعاطيك بعد رقدتها * إذا يلاقى العيون مهدؤها

كأسا بفيها صهباء معرقة * يغلو بايدى التجار مسبؤها

معرقة أى قليلة المزاج أى انها من جودتها يغلو اشتراؤها واستباتها مشله ولا يقال ذلك الا فى الخمر خاصة قال مالك بن أبى كعب

بعثت إلى حانوتها فاستبأتها * بغير مكاس فى السوام ولا غصب

والاسم السباء على فعال بكسر الفاء ومنه سميت الخمر سبيئة وأنشد قول حسان رضى الله عنه (كأن سبيئة) البيت ثم قال وهذا البيت فى الصحاح[2] (كأن سبيئة فى بيت رأس) قال ابن برى وصوابه من بيت رأس وهو موضع بالشام انتهى وفى تاج العروس قال الكسائى واذا اشتريت الخمر لتحملها الى بلد آخر قلت سبيتها بلا همز وعلى هذه التفرقة مشاهير اللغويين الا الفيومى صاحب المصباح فانه قال ويقال فى الخمر خاصة سبأتها بالهمز اذا جلبتها من أرض الى أرض فهى سبيئة انتهى ويروى كأن سلافة والسلافة من الخمر ماسال من العنب قبل عصره وذلك أخلصها واشتقاقها من سلف الشىء اذا تقدم * ويروى أيضا كأن خبيئة وهى الخمر المخبأة المصونة المضنون بها * وقوله من بيت رأس متعلق بمحذوف على أنه صفة أولى لسبيئة وجملة يكون إلى آخره صفة ثانية لها كأنه قال سبيئة مشتراة من بيت

---

(١) قوله نامت فؤادك لو يحزنك الخ هو باسكان النون من يحزنك قال ابن هشام استشهد به ابن الشجرى على أن لو قد تجزم حملا على إن ولا دليل فيه لاحتمال أنه سكنه تخفيفا لتوالى الحركات كقراءة أبى عمرو وما يشعركم باسكان الراء أو للضرورة كقول امرئ القيس

فاليوم أشرب غير مستحقب * اثما من الله ولا واغل

اه منه

(٢) فى نسخة الصحاح المطبوعة بمصر سنة ١٢٨٢ من بيت رأس ولكنه فى نسخة قديمة عندى بخط القلم فى بيت رأس مثل ماذكره صاحب لسان العرب

رأس ممزوجة بعسل وماء وخبر كأن فى البيت الآتى * وبيت رأس على مافى مراصد
الأطلاع موضعان قرية ببيت المقدس وقيل كورة بالأردن والاخرى قرية من
نواحى حلب وبكليهما كروم كثيرة والاردن كورة واسعة منها الغور وطبرية وصور
وعكا وما بين ذلك وقال الصاغانى المراد من بيت رأس فى شعر حسان كورة بالاردن
نقله المرتضى الزبيدى وفى شرح شواهد الرضى للبغدادى قيل بيت موضع الخمر
ورأس اسم الخمار وقصد الى بيت هذا الخمار لان خمره أطيب الخمر * أو الرأس هنا
بمعنى الرئيس أى من بيت رئيس قال اللخمى وهذا أحسن الاقوال لان الرؤساء انما
تشرب الخمر ممزوجة وجعل مزاجها بالعسل والماء لان العسل أحلى ما يخالطها وانه
يذهب بعرارتها وأما الماء فيبردها ويلينها وانما يشربها الرؤساء وأشراف الناس
ممزوجة كراهة أن تخرجهم عن عقولهم ألا ترى الى قول عدى بن زيد

رب ركب قد أناخوا حولنا * يشربون الخمر بالماء الزلال

وقد عابت على جذيمة الأبرش أخته شرب الخمر صرفا الأمر لحقها من ذلك فقالت له

ذاك من شربك المدامة صرفا * وتماديك فى الصبا والمجون

وقد مدح الله سبحانه خمر الجنة لما لم يكن الشارب يزوى وجهه لها ولا يغيب عقله
بها فقال عز من قائل لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون * وقوله يكون مزاجها عسل
وماء فيه ثلاث روايات الاولى برفع مزاجها وعسل وماء وعلى هذه الرواية جوز أبو
البقاء زيادة يكون بلفظ المضارع وادعى أنها هنا زائدة وكذلك قال ابن أسد
يكون زائدة لا اسم لها ولا خبر فيكون قوله مزاجها عسل جملة من مبتدإ وخبر وقد
عطف ماء على الخبر فرفع وذهب ابن الناظم أيضا فى شرح الالفية إلى أن زيادتها بلفظ
المضارع نادر كقول أم عقيل رضى الله عنه ترقصه وهو طفل

أنت تكون سيد نبيل * اذا تهب شمأل بليل * تعطى رجال الحى أو تنيل

وارتضاه ابن هشام فى شرح شواهده (1) لكنه أنكر زيادتها فى المغنى قال وروى
برفعهن أى برفع مزاجها عسل وماء على اضمار الشأن وأما قول ابن أسد إن كان
زائدة فخطأ لانها لا تزاد بلفظ المضارع بقياس ولا ضرورة لدعوى ذلك هنا انتهى
* وهذا التخريج مشهور ذكره ابن خلف وغيره فيكون اسمها ضمير الشأن والامر وجملة
مزاجها عسل من المبتدإ والخبر خبرها وقيل غير ذلك الرواية الثانية يكون
مزاجها عسلا وماء برفع مزاجها على انه اسم يكون ونصب عسل على انه خبرها ورفع

(1) قوله شرح شواهده أى شواهد ابن الناظم اهـ منه

ماء بفعل محذوف تقديره ومازجها ماء وهذه رواية أبي عثمان المازني ومختاره كما نقله عنه ابن خلف وغيره الرواية الثالثة بنصب مزاج على أنه خبر مقدم ورفع عسل على أنه اسم مؤخر ورفع ماء بالعطف على عسل وهذه رواية سيبويه وعلى هذه الرواية أورده الرضي في شرح الكافية شاهدا على أنه يجوز أن يخبر في بابي كان وإن بمعرفة عن نكرة كما هنا فان مزاجها الواقع خبر يكون معرفة وعسل الواقع اسمها نكرة قال في باب الافعال الناقصة اعلم أنه يخبر في هذا الباب عن النكرة المحضة اذا حصلت الفائدة ولا يطلب التخصيص مع حصول الفائدة على ماذكرنا في باب المبتدإ قال ابن ميادة

لتقربن قربا جلذيا (١) * مادام فيهن فصيل حيا * وقد دجا الليل فهيا هيا

وتقول مازال رجل واقفا بالباب وكذا في باب إن قال امرؤ القيس

وإن شفاء عبرة مهراقة * (وهل عند رسم دارس من معول)

كذا أنشده سيبويه بنصب قوله شفاء غير مضاف والرواية المشهورة شفائي بالاضافة الى ياء المتكلم وقد يخبر في هذا الباب وفي باب إن بمعرفة عن نكرة ولم يجز ذلك في المبتدإ والخبر للالتباس لاتفاق اعرابي الجزأين هنالك واختلافهما هاهنا وقد ذكرنا أن سيبويه قال في نحو من زيد إن زيد هو الخبر وقال الزمخشري لا يخبر هاهنا عن نكرة بمعرفة الا ضرورة نحو قوله يكون مزاجها عسل وماء فيمن نصب مزاجها وقال القطامي

(قفي قبل التفرق ياضباعا) * ولا يك موقف منك الوداعا

وقال ابن مالك بل يجوز ذلك اختيارا لأن الشاعر أمكنه أن يقول

* ولا يك موقفي منك الوداعا * وأن يرفع مزاجها على اضمار الشأن في كان كما في الرواية الاخرى ولا خلاف عند مجوزه اختيارا أيضا أن الاولى جعل المعرفة اسما والنكرة خبرا ألا ترى أنهم قالوا إن أن أولى بالاسمية مما تقدم في نحو قوله تعالى ما كان حجتهم الا أن قالوا مع كونهما معرفتين لمشابهتها المضمر (٢) من حيث لا توصف

---

(١) قوله لتقربن خطاب للناقة والقرب أن تسير للماء وبينك وبينه ليلة والجلذي السير السريع وضمير فيهن يعود على الابل ودل عليه سياق الكلام وذكر الناقة فاضمر وان لم يجر لها ذكر والفصيل ولد الناقة وانما ذكره لان ناقته من جملة الابل يسوقها الى الماء سوقا حثيثا فيقول لا أعذرك مادام فيهن فصيل يطيق السير اه مؤلفه

(٢) قوله لمشابهتها المضمر أي فلما شابهت المضمر الذي هو أعرف من المضاف جعلت أولى بالاسمية من المضاف الذي هو حجتهم وجعل المضاف خبرا فاذا كان الاعرف أولى بالاسمية من المعرفة فما بالك بالمعرفة مع النكرة اه مؤلفه

كالمضمر وانما جرّأهم على تنكير الاسم وتعريف الخبر عدم اللبس فى بابى إن وكان لاختلاف اعرابى الجزأين اه وقول ابن مالك بل يجوز ذلك اختيارا لأن الشاعر أمكنه أن يقول ولا يك موقفى منك الوداعا الخ مبنى على تفسير الضرورة بما لا مندوحة للشاعر عنه وقد ردّه البغدادى فى شرح الشواهد (١) من وجوه قال وعند الجمهور هو من الضرورة ومعناها ما وقع فى الشعر سواء كان عنه مندوحة أم لا وماذهب اليه الزمخشرى من أنه لا يجوز الاخبار عن النكرة بالمعرفة الا فى الضرورة هو مذهب أبى الفتح بن جنى قال فى المحتسب روى عن عاصم أنه قرأ وما كان صلاتهم عند البيت الا مُكاءٌ وتصديةٌ رفعا ولحّنه الاعمش وقد روى هذا الحرف أيضا عن أبان بن تغلب أنه قرأه كذلك ولسنا ندفع أن جعل اسم كان نكرة وخبرها معرفة قبيح فانما جاءت منه أبيات شاذة وهو فى ضرورة الشعر عذر والوجه اختيار الافصح الاعرب ولكن وراء ذلك ما أذكره اعلم أن نكرة الجنس تفيد مفاد معرفته ألا ترى أنك تقول خرجت فاذا أسد بالباب فتجد معناه معنى قولك خرجت فاذا الاسد بالباب لا فرق بينهما وذلك أنك فى الموضعين لا تريد أسدا واحدا معينا وانما تريد خرجت فاذا بالباب واحد من هذا الجنس واذا كان كذلك جاز هنا الرفع فى مكاء وتصدية جوازا قريبا حتى كأنه قال وما كان صلاتهم عند البيت الا المكاء والتصدية أى الا هذا الجنس واذا كان كذلك لم يجر هذا مجرى قولك كان قائم أخاك وكان جالس أباك لانه ليس فى جالس وقائم معنى الجنسية التى تلاقى معنيا نكرتها ومعرفتها وأيضا فانه يجوز مع النفى من جعل اسم كان وأخواتها نكرة ما لا يجوز مع الايجاب فكذلك هذه القراءة لما دخلها النفى قوى وحسن جعل اسم كان نكرة هذا الى ما ذكرناه من مشابهة نكرة اسم الجنس لمعرفته ولهذا ذهب بعضهم فى قول حسان

كأن سبيئة من بيت رأس * يكون مزاجها عسل وماء

الى أنه انما جاز ذلك من حيث كان عسل وماء جنسين فكأنه قال يكون مزاجها العسل والماء فبهذا تسهل هذه القراءة ولا تكون من اللحن والقبح الذى ذهب اليه الاعمش اه وقال ابن السيد هذا لا يجوز الا فى ضرورة الشعر فأما فى الكلام فلا يجوز وقال اللخمى حسّن ذلك أن مزاجا مضاف الى ضمير نكرة قال السيرافى ان ضمير النكرة لا تستفيد منه الا نكرة ألا ترى أنك اذا قلت مررت برجل فكلمته لم تكن

(١) قوله فى شرح الشواهد أى فى شرح الشاهد الاول من شواهد الرضى على الكافية اه مؤلفه

الهاء

الهاء موجبة تعريفا الشخص بعينه وان كانت معرفة من حيث علم المخاطب أنها ترجع الى ذلك المذكور اهـ وقال ابن خلف في هذا أربعة أقوال قيل على وجه الضرورة وقيل أراد مزاجها فنوى الانفصال فأخبر بنكرة عن نكرة وقال أبو علي نصب مزاجها على الظرف السادّ مسدّ الخبر كأنه قال يكون مستقرا في مزاجها فاذا كان ظرفا تعلق بمحذوف خبر يكون الناصب له وقدم على عسل وماء كعادتهم في الظروف اذا وقعت أخبارا عن النكرات لئلا تلتبس بالصفات وذهب الزمخشري الى أن هذا ونحوه من القلب الذي شجع عليه أمن الالتباس واليه جنح ابن هشام في المغني قال في الباب الثامن من وجوه كلامهم القلب وأكثر وقوعه في الشعر وأنشد البيت وقال في الباب الرابع منه انه ضرورة ولم يذكر القلب وقد طال الكلام على هذا البيت لكثرة اختلاف الناس في روايته وتوجيهه كما رأيت والذي أختاره من ذلك رواية يكون مزاجها عسلٌ وماءٌ برفعهن على أن اسم يكون ضمير الامر والشان كما تقدم فاني أراه أقرب وأسلم والله تعالى أعلم

﴿على أنيابها أو طعم غضٍّ من التفاح هصّره اجتناء﴾

على أنيابها خبر كأن في البيت السابق وأنكر السهيلي هذا البيت وقال ان خبر كأن محذوف والتقدير كأن في فيها ومثله في النكرات حسن كقوله (أي قول الأعشى ميمون)

إنّ محلًّا وإنّ مرتحلا (وان في السّفر اذ مضوا مثلا)

أي ان لنا محلا وكقول الآخر (وهو الفرزدق)

(فلو كنت ضبّيًّا عرفت قرابتي) ولكنّ زنجيا(1) غلاظا مشافره

قال وزعم بعضهم ان بعده (أي بعد قوله كأن سبيئة) بيتا فيه الخبر وهو على أنيابها البيت وهو مصنوع لا يشبه شعر حسان ولا لفظه انتهى كلامه ورده عبد القادر البغدادي بأن البيت ثابت في ديوان حسان قال وهو عندي في نسخة قديمة تاريخ كتابتها سنة أربع وثلاثين وثلثمائة وكذا رواه من تكلم في شعره انتهى وقال في موضع آخر وبيت على أنيابها أو طعم غض الخ لم يورده ابن هشام في السيرة ولهذا أنكره السهيلي انتهى وقد وجدت هذا البيت في نسخ متعددة من هذا الديوان

(1) قوله ولكن زنجيا الخ الخبر هنا محذوف والتقدير ولكن زنجيا غلاظا مشافره لا يعرف قرابتي فلا يعرف قرابتي هو الخبر وهذا البيت للفرزدق في هجو رجل من ضبة هو أيوب بن عيسى الضبي نفاه من ضبة ونسبه الى الزنج يقول له لو كنت من ضبة لعرفت قرابتي لك ولكن الزنجي لا يعرفني وبيان هذه القرابة أن الفرزدق من تميم بن مر بن أدّ بن طابخة وضبة هو ابن أدّ بن طابخة انتهى مؤلفه

حديثة وقديمة منها النسخة التى قرئ أصلها على أبى عبد الله أحمد العدوى سنة خمس وخمسين ومائتين من الهجرة والأنياب جمع ناب وهى أربعة أسنان اثنتان عن يمين الثنايا واحدة من فوق وواحدة من أسفل واثنتان عن شمالها كذلك وقوله أوطعم بالنصب معطوف على سبيئة والغض الطرى والناضر من كل شئ وهصره يقتضى الوزن أن يكون بتشديد الصاد من التهصير مزيد هصره بمعنى أماله وفى القاموس الهصر الجذب والامالة والكسر والدفع والادناء وعطف شئ رطب كغصن ونحوه وكسره من غير بينونة أو عطف أى شئ كان هصره وبه يهصره فانهصر واهتصره فاهتصر انتهى ولم أجد فيما وقفت عليه من المزيد فى كتب اللغة هصر بالتشديد فان صحت رواية البيت فهو شاهد فيه والاجتناء أخذ الثمر من الشجر خص التفاح الذى أماله الاجتناء لكونه انما يجتنى اذا طاب وتم نضجه وهو حينئذ أحسن مايكون وكون ذلك على أنيابها كناية عن كونه فى فمها والمراد تشبيه ريقتها بما ذكر من التفاح الذى هصره اجتناء والراح الممزوج بالعسل والماء وكأنه نظر الى قول امرئ القيس

كأن المدام وصوب الغمام وريح الخزامى ونشر القُطُر
يعل به برد أنيابها اذا غرد الطائر المستحر

القطر العود الذى يتبخر به ومن شعر الملك فرخشاه بن شاهنشاه بن أيوب

رشا ترشق عينا ه فؤادى بسهام
كلما أرشفنى فا ه على حر الأوام
ذقت منه الشهد فى الثلج المصفى فى المدام

﴿اذا ما الأشربات ذُكرن يوما فهن لطيب الراح الفداء﴾

الأشربات جمع أشربة وهى جمع شراب وهو مايشرب من أى نوع كان وعلى أى حال كان والراح الخمر سميت بذلك لان صاحبها يرتاح بشربها وعن أبى عمرو سميت راحا لان شاربها يرتاح الى الكرم كما قال عنترة

واذا شربت فاننى مستهلك مالى وعرضى وافر لم يكلم

فان قلت كيف يذكر حسان رضى الله عنه فى شعره الخمر ويمدحها قلت قد كنت أرى ان هذا من شعره قبل تحريم الخمر وبعد الاسلام لان باقى القصيدة اسلامى ثم رأيت النقل عن أبى عبد الله أحمد العدوى ان حسان رضى الله عنه كان قد ابتدأ هذه القصيدة فى الجاهلية ثم أكملها فى الاسلام من قوله (عدمنا خيلنا) الى آخرها

﴿ نوليها الملامة ان ألمنا اذا ما كان مغث أو لحاء ﴾

نوليها الملامة أى نحيل عليها اللوم وقوله ان ألمنا أى أتينا ما نلام عليه يقال ألام اذا أتى ما يلام بسببه قال سيبويه ألام صار ذا لائمة وفى التنزيل الحكيم فالتقمه الحوت وهو مليم وفى المثل (رُبَّ لائم مليم) ويقال لمت غير مليم قال لبيد

سفها عذلت ولمت غير مليم وهداك قبل اليوم غير حكيم

والمغث فى الاصل المرث والدلك بالأصابع يقال مغث الدواء فى الماء يمغثه من باب نصر اذا مرثه ومرسه وفى حديث عثمان أن أم عياش قالت كنت أمغث له الزبيب غدوة فيشربه عشية وأمغثه عشية فيشربه غدوة وفى لسان العرب مغثه صرعه ومغثهم بشر نالهم ومغثوا فلانا اذا ضربوه ضربا ليس بالشديد كأنهم تلتلوه[1] والمغث عند العرب الشر وأنشد

نوليها الملامة ان ألمنا اذا ما كان مغث أو لحاء

أى اذا ما كان شر أو ملاحاة واللحاء السباب والمنازعة يقال لاحيته لحاء وملاحاة اذا نازعته وفى المثل من لاحاك فقد عاداك وكأن أصله لحوت العصا ألحوها وألحيها لحيا اذا قشرتها وأزلت لحاءها وهو قشرها الان كلا من المتلاحيين يكشف عن خطا الآخر وعيبه أو يكشف عما فى سره كما يكشف لاحى العود عما تحت قشره قال أوس

لحينهم لحى العصا فطردتهم الى سنة جرذانها لم تحلم

لم تحلم أى لم تسمن يعنى سنة جدب وقحط وفى شرح الشواهد المغث الضرب باليد واللحاء الملاحاة باللسان يقول اذا أتينا ما نلام عليه من قول أو عمل صرفنا اللوم فيه الى الخمر واعتذرنا بالسكر

ولله در الصاحب بن عباد حيث يقول فى بعض نثره قد حملت أوزار السكر على ظهور الخمر وطويت بساط الشراب على ما كان من خطا وصواب وكأنه أخذه مما يحكى عن المأمون من قوله فى صفة مجلس الشرب هو بساط يطوى فقى طوى لم ينشر أبدا وأخذه القائل

انما مجلس الشراب بساط فاذا ما انقضى طوينا بساطه

وعلى هذا البيت حكى أن بعض اللطفاء حضر مجلس شراب فعربد وعليه عمامته فضاعت فلما أصبح طلب العمامة من الحاضرين فقالوا له أما سمعت قول الشاعر

انما مجلس الشراب بساط فاذا ما انقضى طوينا بساطه

---

(١) قوله كأنهم تلتلوه يقال تلتله اذا أقلقه وأزعجه وزلزله اهـ منه

فقال صاحب العمامة أشتهى أن تبسطوا الناهد ذا البساط حتى نأخذ عمامتى و بعد ذلك اطووه فضحكوا منه وأعطوه عوضها وعربد فتى فى مجلس شراب على ندمائه فأراد عمه فى الغد عقابه فقال ياعم انى أسأت وليس معى عقلى فلا تسئ ومعك عقلك وقال خالد

واست بـلاحى لى نديما بزلة ولا هفوة كانت ونحن على الخمر

﴿ونشربها فتتركنا ملوكا وأسدا ما ينهنهنا اللقاء﴾

تقول نهنهت الرجل عن الشئ فتنهنه أى كففته وزجرته فكف ونهنهت السبع اذا صحت به لتكفه وهذا البيت آخر ما قاله من هذه القصيدة فى الجاهلية ثم ابتدأ فى الاسلام بقوله عدمنا خيلنا حتى أتمها كما سبق و يروى أن حسان مر بفتية يشربون الخمر فى الاسلام فنهاهم فقالوا والله لقد هممنا بتركها فزينها لنا قولك

ونشربها فتتركنا ملوكا وأسدا ما ينهنهنا اللقاء

فقال والله لقد قلتها فى الجاهلية وما شربتها منذ أسلمت وهذا يؤيد ما نقلناه عن أبى عبد الله العدوى من أنه ابتدأها فى الجاهلية * وهذا البيت قد عابه على حسان رضى الله عنه بعض أهل الادب فزعم أنه فيه قصر فى الفخر فأنهم اذا كانت الخمر تجعلهم ملوكا وأسدا فليس لهم فى ذاتهم سيادة ولا شجاعة وانما استفادوا ذلك من الشرب هذا كلامه ونقول الجواب عنه من وجهين الاول ان المقام مقام صفة الخمر لا مقام الفخر فالمطلوب هنا انما هو توفيتها حقها او استيفاء صفتها وتعديد ما يتأتى له مدحها به ولكل مقام مقال الثانى أنه لا يلزم من اظهار الخمر هذه الحالة فيهم انها ليست لهم من نفسهم فان الخمر لا توجد المفقود وانما تهيج الساكن وتظهر الكامن على ما قيل فهى انما تظهر الشجاعة فى الشجاع ولا تحدثها فى الجبان وكما عيب هذا على حسان عيب أيضا على طرفة قوله

فاذا ما شربوها وانتشوا وهبوا كل أمون وطمر

فان كان المقام مقام صفة الخمر صح أن يقال عنه كما قيل فى بيت حسان أما ان كان المقام مقام مدح أو فخر فقد أخل وقصر ألا ترى الى قول أبى عبادة البحترى لممدوحه

تكرمت من قبل الكؤس عليهم فما اسطعن أن يحدثن فيك تكرما

فانه لما كان المقام مقام المدح وذكر الكرم وفاه حقه من القول ولم يجعل للكأس تأثيرا فى التكرم ولو كان هذا فى مقام صفة الخمر لكان تقصيرا او اخلالا كثيرا حيث لم يجعل لها تأثيرا وقبل أبى عبادة قال عنترة يفتخر

واذا

واذا شربت فانني مستهلك مالي وعرضي وافر لم يكلم
واذا صحوت فما أقصر عن ندى وكما علمت شمائلي وتكرمي

لما رأى أنه في معرض التمدح والافتخار وقد ذكر أنه اذا سكر وهب ماله خشي أن ينسب الى التقصير أو يتوهم متوهم ان هذا الامر منه خاص بحالة السكر فأعقبه بقوله (واذا صحوت فما أقصر عن ندى) البيت وتبعه القائل

واذا سكرت وهبت ما ملكت يدي من غير إملاق ولا اشفاق
واذا صحوت وعاودتني همتي أصبحت ندمانا لترك الباقي

وقبله قال امرؤ القيس في أخيه سعد بن ضباب (1)

وتعرف فيه من أبيه شمائلا ومن خاله ومن يزيد ومن حجر (2)
سماحة ذا وبر ذا ووفاء ذا ونائل ذا اذا صحا واذا سكر

ثم تبعه زهير فقال

أخو ثقة لا تهلك الخمر ماله ولكنه قد يهلك المال نائله

﴿عدمنا خيلنا ان لم تروها تثير النقع موعدها كداء﴾

هذا قسم كقولك لا حملتني رجلي ان لم تسر اليك ولا نفعني مالي ان لم أنفقه عليك وهذا القسم من أقسام البديع وهو أن يحلف المتكلم على شيء بما يكون فيه تعظيم لشأنه وفخر له أو تعظيم وتنويه لغيره أو دعاء على نفسه أو هجاء وذم لغيره ومنه قول الشريف الرضي رضي الله عنه

ما أنا للعلياء ان لم يكن من ولدي ما كان من والدي
ولا مشت بي الخيل ان لم أطأ سرير هذا الأصيد الماجد
فان أنلها فكما رمته أولا فقد يكذبني رائدي
والغاية الموت فما فكرتي أسائق أصبح أم قائدي

ومما ينسب لحسان رضي الله عنه من قصيدة عزيت اليه في بعض كتب الادب ولم أجدها فيما رأيت من نسخ ديوانه

واذا تأمل شخص ضيف مقبل متسربل أثواب محل مقفر

---

(1) قوله في أخيه سعد بن ضباب كانت أم سعد هذا تحت حجر أبي امرئ القيس فطلقها وهي حامل ولم يعلم فتزوجها ضباب فولدت سعدا على فراشه فلحق به نسبه وسقط نسبه الى حجر فلذلك يقال له سعد بن ضباب اه مؤلف

(2) قوله حجر هو بضم أوله وسكون ثانيه أو بضمهما كما هنا اسم والد امرئ القيس وجده الاعلى والمراد هنا جده فان أباه تقدم في أول البيت وأبو سعد هو أبو امرئ القيس اه مؤلف

أوقي الى الكوماء هذا طارق   نحرتني الاعداء ان لم تنحري

ومن القسم البديعي قول شهاب الدين الموسوي المعروف بابن معتوق

لا برفي الحب بأهل الحمى قسمي   ولا وفت لي العلى ان خنتكم ذممي
وان صبوت الى الاغيار بعدكمو   فلا ترقت الى هاماتها همي
وان خبت نار وجدي بالسلو فلا   ورت زنادي ولا أجرى النهى حكمي
ولا تعصفر لوني بالهوى كمدا   ان لم يورده دمعي بعدكم بدم
ولا جنت ورد وجنات الدمى حدقي   ان لم يزركم على شوك القنا قدمي
ولا رشفت الحيا من مراشفها   ان كان يصحو فؤادي بعد بعدكم
ولا تلذذت في مر العذاب بكم   ان كان يعذب الاذكركم بفمي

وبيت بديعية صاحبنا الاديب محمود صفوت أفندي على القسم قوله

لا مكنتني المعاني من شواردها   ان لم أبر بمدح المصطفى قسمي

وهذا باب واسع ولنرجع الى شرح قول حسان رضي الله عنه

عدمنا خيلنا ان لم تروها   تثير النقع موعدها كداء

النقع الغبار الساطع المرتفع قال الله تعالى فأثرن به نقعا وأنشد الليث للشويعر

فهن بهم سواء في عجاج   يثرن النقع أمثال السراج

والجمع نقاع كجبل وجبال قال القطامي يصف مهاة افترس السبع ولدها

فساقته قليلا ثم وآت   لها لهب تثير به النقاعا

ويجمع أيضا على نقوع كبدر وبدور قال المرار بن سعد الفقعسي

فما فاجأهم الا قريبا   يثرن وقد غشينهم النقوعا

وكداء بالفتح والمد ثنية بأعلى مكة عند المحصب منها دخل النبي صلى الله عليه وسلم عن معه يوم فتح مكة المشرفة على الصحيح كما في المواهب وغيرها وفي مرسل لعروة قال أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ خالد بن الوليد أن يدخل من أعلى مكة من كداء (بالفتح والمد) ودخل النبي صلى الله عليه وسلم من كدى (بالضم والقصر) قال الحافظ بن حجر وهذا يعني مرسل عروة مخالف للاحاديث الصحيحة المسندة في البخاري أن خالدا دخل من أسفل مكة الذي هو كدى بالقصر والنبي صلى الله عليه وسلم دخل من أعلاها الذي هو كداء بالمد قال الزرقاني وبه جزم ابن اسحق وموسى بن عقبة وغيرهما فلا شك في رجحانه على المرسل لكونه موصولا واخبارا من صحابي شاهد القصة واعتضد بموافقة أصحاب المغازي الذي هم أهل الخبرة بذلك فيجب تقديمه على مرسل عروة ومراد الحافظ بالاحاديث الصحيحة مثل حديث ابن عمر الذي رواه البخاري

انه

انه صلى الله عليه وسلم أقبل يوم الفتح من أعلى مكة على راحلته وحديث عائشة المروى عنده من رواية عروة نفسه ان عائشة أخبرته أن النبى صلى الله عليه وسلم دخل يوم الفتح من كداء التى بأعلى مكة فما وصله عروة نفسه مقدم على ما أرسله قلت وأيا كان فقد أبر الله سبحانه قسم حسان رضى الله عنه وجاءت خيل المسلمين لفتح مكة من كداء سواء كانت الخيل التى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أم التى من فريق آخر من جيشه صلى الله عليه وسلم على أن الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل منها كما عرفت ويقال بكداء هذه وقف ابراهيم عليه السلام حين دعا الذريته فقال واجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم كما روى عن ابن عباس فمن ثم استحب صلى الله عليه وسلم الدخول منها وروى الطبرانى عن العباس رضى الله عنه قال لما بعث صلى الله عليه وسلم قلت لابى سفيان بن حرب أسلم بنا قال لا والله حتى أرى الخيل تطلع من كداء قال العباس قلت ما هذا قال شئ طلع بقلبى لان الله لا يطلع هنالك خيلا أبدا قال العباس فلما طلع صلى الله عليه وسلم من هنالك ذكرت أبا سفيان به فذكره وعند البيهقى عن ابن عمر قال لما دخل صلى الله عليه وسلم عام الفتح رأى النساء يلطمن وجوه الخيل بالخمر فتبسم الى أبى بكر وقال يا أبا بكر كيف قال حسان فأنشده

عدمت بنيتى ان لم تروها تثير النقع موعدها كداء
ينازعن الأعنة مسرجات يلطمهن بالخمر النساء

فقال صلى الله عليه وسلم ادخلوها من حيث قال حسان وهكذا وقع البيتان فى هذه الرواية والموجود فى نسخ الديوان ما تقدم وما يأتى قريبا

وضمير تروها على هذه الرواية أيضا راجع الى الخيل وان لم يجر لها ذكر فى الكلام لانها معلومة من المقام وعود الضمير على غير مذكور اذا كان معلوما من المقام كثير مستفيض فى الكلام الفصيح كما فى قوله تعالى عم يتساءلون وقوله سبحانه انا أنزلناه فى ليلة القدر وقوله جل وعز كلا اذا بلغت التراقى قال الزمخشرى الضمير فى بلغت للنفس وان لم يجر لها ذكر لان الكلام الذى وقعت فيه يدل عليها كما قال حاتم

أماوى ما يغنى الثراء عن الفتى اذا حشرجت(1) يوما وضاق بها الصدر

وتقول العرب (أرسلت) يريدون جاء المطر لا تكاد تسمعهم يذكرون السماء انتهى

﴿يبارين الاسنة مصغيات على أكتافها الاسل الظماء﴾

المباراة المعارضة وأصلها المغالبة فى برى السهام ونحتها كما أن أصل المساجلة المغالبة فى انتزاع الماء بالدلو قال الفضل بن عباس بن عتبة بن أبى لهب

(1) قوله اذا حشرجت أى النفس والحشرجة الغرغرة عند الموت وتردد النفس اه منه

مَنْ يُسَاجِلْنِي يساجِلْ ماجدا ... يملأ الدلو الى عَقْد الكَرَبْ (٢)

ثم استعمل كل منهما فى مطلق المعارضة والمغالبة والمفاخرة ومنه قولهم الحرب سجال ويقال فلان يبارى فلانا أى يعارضه ويفعل مثل فعله وهما يتباريان وفلان يبارى الريح جودا وسخاء وضمير يبارين فى بيت حسان رضى الله عنه للخيل ومباراتها الأسنة أن يضجع الرجل رمحه عليها وتركض الفرس فكأنها تجرى لتسبق السنان والسنان نصل الرمح والأسنة جمعه ورواية ابن هشام (ينازعن الأعنة مصغيات) والمصغيات المواثل المنحرفات للطعن كما فى شرح الشواهد للبغدادى وبعض نسخ المتن وهذه المادّة موضوعة للميل مستعملة فيه حسيا ومعنويا يقال صغا يصغو ويصغى أى مال وصغت النجوم مالت للغروب وصغوه معك أى ميله وأكرموا فلانا فى صاغيته وهم القوم الذين يميلون اليه وأصغيت الى فلان اذا ملت بسمعك نحوه وأصغيت الاناء اذا أملته وأصغت الناقة اذا أمالت رأسها الى الرحل كأنها تستمع شيأ حين يشدّ عليها الرحل قال ذو الرمة

تُصْغِى اذا شدّها بالكُور جانحة ... حتى اذا ما استوى فى غرزها تَثِبُ (٣)

والأسل الرماح وأصله نبات له عيدان تنبت طوالا رقيقة مستوية محدّدة الاطراف ليس لها ورق ولا شعب ويعمل منها الحصر ومنبته الماء الراكد ولا يكاد ينبت الا فى موضع ماء أو قريب منه قال الشاعر

تعدو المنايا على أُسامة فى الـ*ـخيس عليه الطرفاء والأسل

وانما سمى القنا أسلا على التشبيه به فى اعتداله وطوله واستوائه ودقة أطرافه ومما يعزى لعبد المطلب بن هاشم جدّ النبى صلى الله عليه وسلم

لنا نفوس لنيل المجد عاشقة ... ولو تسلت أسلناها على الأسل

لا ينزل المجد الا فى منازلنا ... كالنوم ليس له مأوى سوى المقل

والظماء السمر نقل ابن سيده فى المخصص فى باب نعوت الرماح من قبل ذبولها ولونها عن أبى عبيد قال من الرماح الأظمى وهو الأسمر والمؤنثة ظمياء بيّنة الظمى منقوص غير مهموز انتهى وفى لسان العرب وجه ظمآن قليل اللحم لزقت جلدته بعظمته وقل ماؤه وهو خلاف الريان قال المخبل

---

(٢) الكرب قطعة حبل تشد فى وسط عراقى الدلو ثم تثنى وتثلث ويلف طرفها على طرف الحبل الكبير لتكون هى التى تلى الماء فلا يعفن الحبل الكبير والعراقى جمع عرقوة بالفتح وللدلو عرقوتان وهما خشبتان تعرضان على الدلو كالصليب اهـ منه

(٣) الكور الرحل والغرز ركابه اذا كان من جلد اهـ منه

وتريك وجها كالصحيفة لا ظمآن مختلج ولا جهم

وساق ظمأى معترقة اللحم وعين ظمأى رقيقة الجفن وقال الاصمعى ريح ظمأى اذا كانت حارة ليس فيها ندى قال ذو الرمة يصف السراب

يجرى فيرتد أحيانا وتطرده نكبا ظمأى من القيظية الهوج

وقال الجوهرى فى الصحاح (فى باب الهمزة) ويقال للفرس ان فصوصه لظماء أى ليست برهلة كثيرة اللحم فرد عليه الشيخ أبو محمد بن برى ذلك وقال ظماء ههنا من باب المعتل اللام وليس من المهموز بدليل قولهم ساق ظمياء أى قليلة اللحم ولما قال أبو الطيب قصيدته التى منها

فى سرج ظامية الفصوص طمرة (١) يأبى تفردها لها التمثيلا

كان يقول انما قلت ظامية بالياء من غير همز لانى أردت أنها ليست برهلة كثيرة اللحم ومن هذا قولهم ريح أظمى وشفة ظمياء انتهى وما سلكه الجوهرى من جعل ظماء فى باب الهمزة موافق لما نقل عن صاحب التهذيب فقد قال ان الأصل فيه الهمز وأنشد قول الراجز فى صفة فرس (ظمأى النسا من تحت ريا من عال)

﴿تظل جيادنا متمطرات * تلطمهن بالخمر النساء﴾

فى تاج العروس تمطرت الطير اذا أسرعت فى هويها كمطرت قال رؤبة * والطير تهوى فى السماء مطرا * وقال لبيد يرثى قيس بن جزء

أتته المنايا فوق جرداء (٢) شطبة (٣) تدف دفيف (٤) الطائر المتمطر

ومن المجاز تمطرت الخيل اذا جاءت أو ذهبت مسرعة يسبق بعضها بعضا وفى شعر حسان تظل جيادنا متمطرات البيت انتهى وقوله يلطمهن بتشديد الطاء مزيد لطمه يلطمه لطما اذا ضرب خده أو صفحة جسده بالكف مفتوحة يقول تفاجئهم الخيل فتخرج النساء يضربن خدود الخيل بالخمر لترجع قال أبو عبد الله أحمد بن محمد العدوى ورد فى الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة ظل نساء أهلها يضربن وجوه الخيل ليرددنها فقال عليه الصلاة والسلام صدق حسان وفى المواهب وشرحه وطاف صلى الله عليه وسلم بالبيت بعد ان استقر فى خيمته ساعة واغتسل وعاد للبس

(١) الفصوص المفاصل والطمرة الفرس الجواد اه منه

(٢) (قوله جرداء) أى فرس جرداء يعنى قصيرة الشعر أو سابقة (٣) والشطبة الفرس السبط اللحم الممتلئ المتناسب الاعضاء كانما أفرغ من قالب اه

(٤) ودفيف الطائر مروره فويق الارض أو أن يحرك جناحيه ورجلاه فى الارض اه

السلاح والمغفر ودعا بالقصواء فأدنيت الى باب الخيمة وقد حف به الناس فركبها وسار وأبو بكر معه يحادثه فمر ببنات أبي أحيحة بالبطحاء وقد نشرن شعورهن يلطمن وجوه الخيل بالخمر فتبسم الى أبي بكر واستنشده قول حسان الماضي يلطمهن بالخمر النساء انتهى فقد صدق الله حسان في هذا كما أبره في قوله

عدمنا خيلنا ان لم تروها * تثير النقع موعدها كداء

كما مر فرحم الله حسان فكأنما كان ينظر الى الغيب من غير حجاب فان قلت قد فسر اللطم بأنه الضرب بالكف مفتوحة والذى هنا انما هو الضرب بالخمر فهل قوله يلطمهن على هذا حقيقة أو مجاز قلت ان كان المراد انهن يضربن بالخمر حال كونها فوق الأكف فهو حقيقة والا فهو مستعمل في مطلق الضرب مجازا مرسلا علاقته الاطلاق والتقييد * وفي شرح الشواهد للبغدادي قال ابن دريد في الجمهرة كان الخليل يروى يطلمهن بالخمر النساء (بتقديم الطاء على اللام) وينكر يلطمهن (بتقديم اللام) ويجعل قوله يطلمهن الخ بمعنى أن النساء ينفضن بخمرهن ما على الخيل من غبار أو نحو ذلك قال والطلم ضربك خبزة الملة بيدك لتنفض ما عليها من الرماد والطلمة الخبزة انتهى والملة خبزة تسوى على الرماد الحار ومقتضى كلامه أن اللاتي يضربن وجوه الخيل على هذا هن نساء أربابها بعد تبين النصر واكتمال الظفر فهن اللاتي يقتضي أن ينفضن غبار الخيل اكرامالها واظهارا لمعزتها لا نساء العدو المغلوب وهو غريب يخالفه ما مر نقله عن العدوى وغيره

فاما تعرضوا عنا اعتمرنا * وكان الفتح وانكشف الغطاء

اعتمرنا فعلنا العمرة بالضم وهي في أصل اللغة الزيارة التي فيها عمارة الود وجعل في الشريعة بمعنى زيارة البيت المعظم وقصده على وجه مخصوص قال الزجاج معنى العمرة في العمل الطواف بالبيت والسعي بين الصفا والمروة والحج لا يكون الا مع الوقوف بعرفة يوم عرفة (قال) والعمرة مأخوذة من الاعتمار وهو الزيارة ومعنى اعتمر في قصد البيت أنه انما خص بهذا لانه قصد بعمل في موضع عامر ولذلك قيل للمحرم بالعمرة معتمر انتهى ومنه قول ابن أحمر

يهل بالغرقد ركبانها (١) * كما يهل الراكب المعتمر

فهو من عمرة الحج وأما قول أعشى باهلة

وجاشت النفس لما جاء فلهم * وراكب جاء من تثليث معتمر

فان الاصمعي يقول فيه معتمر بمعنى زائر وأبو عبيدة يقول هو بمعنى متعمم وتثليث

(١) الاهلال رفع الصوت والغرقد البقيع وهو مقبرة المدينة المنورة شرفها الله الى يوم الآخرة اه منه

موضع

موضع بالحجاز قرب مكة كان فيه يوم للعرب بين بني سُلَيم ومراد ولم يقل حسان رضى الله عنه فى هذا البيت حججنا بدل قوله اعتمرنا وقد قدر الله سبحانه أن الفتح كان فى غير وقت الحج فان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج لفتح مكة فى شهر رمضان ودخلها فى ذلك الشهر سنة ثمان من الهجرة فهذا أيضا من موافقة الغيب لكلام حسان رضى الله عنه كما يقول فان أعرضتم عنا ولم تتعرضوا الناحين ترون خيلنا وخليتم لنا الطريق أدينا العمرة وحصل الفتح وانكشف الغطاء عما وعد الله به نبيه صلى الله عليه وسلم من فتح مكة المشرفة

﴿والا فاصبروا لجلاد يوم * يعين الله فيه من يشاء﴾

هكذا أشهر الروايات وأكثر النسخ وروى فان لم تنتهوا فاصبروا يوما وفى رواية لجلاد خيل وفى غيرها يعز الله بدل يعين الله والمؤدى واحد * والجلاد من قولهم جالدوا بالسيوف وتجالدوا واجتلدوا وتضاربوا وفى الحديث (فنظر الى مجتلد القوم) فقال (الآن حمى الوطيس) أى الى موضع الجلاد وهو الضرب بالسيف فى القتال * قال قيس بن الخطيم

أجالدهم يوم الحديقة حاسرا * كأن يدى بالسيف مخراق لاعب

وانما قال حسان رضى الله عنه يعين الله فيه من يشاء وهو يحتمل كلا الفريقين جريا على طريقة انصاف الخصم فى الكلام وقطعا له عن طريق المعارضة وحسما لذريعة الانكار ومثل هذا يسمى الكلام المنصف كقول الآخر

والله لولاقيته خاليا * لآب سيفانا مع الغالب

﴿وقال الله قد يسرتُ جندا * هم الانصار عرضتها اللقاء﴾

يسر هيأ ووفق وفى الذكر الحكيم (فسنيسره لليسرى) أى نوفقه وفى الحديث الشريف (كل ميسر لما خلق له) أى مهيأ مسهل وفى رواية أعددت جندا والأنصار تقدم ذكرهم فى أول الكتاب وقوله عرضتها اللقاء أى همتها اللقاء كما قاله الجوهرى واستشهد عليه من كلام حسان رضى الله عنه بهذا البيت الذى نتكلم عليه ويقال ناقة عرض أسفار وعرضة للحجارة أى قوية عليها وفلان عرضة للشر أى قوى عليه قال كعب بن زهير

من كل نَضّاخة الذِفْرَى اذا عرِقتْ * عُرْضَتُها طامسُ الاعلام مجهول

﴿لنا فى كل يوم من مَعَدّ * قتالٌ أو سِبَاب أو هِجَاء﴾

لنا يعني معشر الانصار أو القحطانية وقوله من معد يعني العدنانية ومعدّ هو معدّ ابن عدنان بن أدّ بن أدد بن الهميسع بن سلامان بن نبت بن حمل بن قيدار بن اسماعيل ابن ابراهيم بن تارح بن ناحور بن شاروخ (١) بن أرغو بن فالغ بن عابر على المرج في بعض كتب الأنساب وقد مرّ ما بعد عابر في ذكر نسب حسان أول الكتاب والأنصار أوسها وخزرجها من نسل يعرب بن قحطان بن عابر المذكور ويقال هو نبي الله هود عليه السلام ففيه يجتمع معدّ بن عدنان ويعرب بن قحطان وبعده يفترقان والى عدنان تنتسب العرب العدنانية وهم بنو عدنان من قريش وكنانة وغيرهم ومواطنهم نجد وكلها بادية الاقريشا بمكة وعن السهيلي لم يشارك بني عدنان من العرب في أرض نجد أحد من قحطان سوى طيء من كهلان فيما بين الجبلين أجأ وسلمى ثم افترق بنو عدنان في تهامة الحجاز ثم في العراق ثم تفرقوا بعد الاسلام في سائر الآفاق والى قحطان تنتسب العرب القحطانية وهم بنو قحطان من حمير وكهلان وغيرهما وقحطان هو أصل اليمن وكان كثيرا ما يحصل بين العدنانية والقحطانية معارضات ومفاخرات ومهاجاة امتدت الى أزمان متأخرة فكان يتعصب لكل فريق جماعة من الشعراء وغيرهم الى أن تلاشى ذلك وتنوسي بتلاشي ما كان من عادات العرب وتناسي العصبية والحمية والنسب

﴿فنحكم بالقوافي من هجانا * ونضرب حين تختلط الدماء﴾

نحكم بفتح النون وضم الكاف من حكم يحكم حكما من الباب الاول أو هو بضم النون وكسر الكاف من أحكم يحكم إحكاما وكلاهما بمعنى نكف ونمنع قال جرير

أبني حنيفة أحكموا سفهاءكم * اني أخاف عليكم أن أغضبا

(١) شاروخ اختلف العلماء في ضبط اسمه فنهم من يقول شاروخ كما هنا ومنهم من يقول ساروح بمهملات ومنهم من يقول شاروغ بالغين المعجمة والعين المهملة وفي نسخة التوراة المطبوعة في بيروت (سروج) بدل شاروخ وفيها (رعو) بدل أرغو وكذلك فالج بدل فالغ وفي نسختها المطبوعة في لوندرة (ساروغ) بالغين المعجمة و (راعو) بألف بعد الراء و (فالغ) بالغين المعجمة ومنشأ الخلاف في مثل هذه الاسماء اختلاف المعربين في الحروف التي لا توجد في اللغة العربية كما تختلف الناس الآن في النطق بالالفاظ المستلحقة بهذه اللغة كاللفظة المستعملة في الباخرة فنهم من يقول وابور ومنهم من يقول فابور ومنهم من يقول بابور فنهم من يجعل أوله واوا ومنهم من يجعله فاء او باء وهو في أصله حرف أجنبي يتلفظ به بين الواو والفاء ولما لم يكن له وجود في العربية اختلفوا فيما يبدلونه به فمن رآه الى الواو أقرب جعله واوا ومن رآه الى الفاء أقرب جعله فاء وهكذا ولهذا كثر الاختلاف في الاسماء الاعجمية المنقولة الى العربية بسبب ما دخلها من مثل هذا التغيير وربما تكرر التغيير على الكلمة غير مرة فتبعد عن أصلها بالمرة والله أعلم اه عبد الله فكري

أى ردوهم وكفوهم وامنعوهم من التعرض لى وكل من منعته من شئ فقد حكمته وأحكمته قيل ومنه حكمة اللجام وهى ما أحاط بحنك الدابة لانها تكف الدابة وتمنعها من مخالفة راكبها والاظهر أن هذا هو الاصل لذلك اذ الأقرب ان الألفاظ انما توضع أولا للمحسوسات ثم ينتقل منها الى المعقولات فالحكم بمعنى المنع أصله من حكمة اللجام التى تمنع الدابة من التمرد والخلاف ومنه قيل للقاضى حاكم لانه يمنع المظالم وقوله حين تختلط الدماء كناية عن التحام الحرب واختلاط الطعن والضرب وهذا البيت مرتبط بما قبله يقول لا يزال بيننا وبين بنى عدنان قتال وحرب أو مهاجاة وسباب ولا نعجز فى كلتا الحالتين فمن هجانا هجوناه فحكمناه وزجرناه بالشعر ومن قاتلنا ضربناه بالسيف

﴿وقال الله قد أرسلت عبدا * يقول الحق إن نفع البلاء﴾

يعنى عبد الله ورسوله محمدا صلى الله عليه وسلم والبلاء الاختبار بالخير والشر قال الله تعالى لتبلون فى أموالكم وأنفسكم وقال زهير

جزى الله بالاحسان ما فعلا بكم وأبلاهما خير البلاء الذى يبلو

وبكلا الأمرين فسر فى قوله تعالى (واذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفى ذلكم بلاء من ربكم عظيم) فان كانت الاشارة بذلكم الى صنيع آل فرعون فالبلاء فيه نقمة وان كانت الاشارة الى الانجاء فالبلاء حينئذ نعمة وأصل البلاء الاختبار ولكن لما كان ذلك فى حقه سبحانه محالا وكان ما يجرى مجرى الاختبار لعباده تارة بالمنحة وتارة بالمحنة أطلق عليهما وقيل يجوز أن يشار بذلكم الى الجملة ويراد بالبلاء القدر المشترك الشامل لهما وقال عز وجل «ونبلوكم بالشر والخير فتنة والينا ترجعون» ثم هذا البيت ونحوه مما أسند فيه القول الى الله عز وجل مما لم يرد لفظه فى القرآن الكريم ان لم يكن ورد بلفظه حديث قدسى فانما المراد به حكاية الفحوى والمضمون والمؤدى أو هو من باب الاستعارة التمثيلية

﴿شهدت به وقومى صدقوه فقلتم ما نجيب وما نشاء﴾

يحتمل أن يكون هذا جملة مستأنفة ليست من مقول القول السابق والمراد بالقوم قوم حسان رضى الله عنه من الانصار خاصة أو المسلمين عامة واضافته الى ضمير المتكلم لتشريف المضاف اليه ويحتمل انه متصل بما قبله وانه من مقول القول والمراد بالقوم حينئذ المسلمون واضافتهم الى ضمير الله عز وجل لتشريف المضاف كما يقال أهل الله وحزب الله وخيل الله ويروى فقوموا صدقوه وروى لا نجيب ولا نشاء

﴿وجبريلٌ أمينُ الله فينا وروحُ القُدْسِ ليس له كفاء﴾

القدس الطهارة وروح القدس جبريل عليه السلام لانه من الطهارة خلق وفى التنزيل فى صفة عيسى عليه السلام « وأيدناه بروح القدس » وفى الحديث « ان روح القدس نفث فى روعى » يعنى جبريل عليه السلام وهو الروح الأمين لانه أمين سر الوحى قال الله سبحانه « نزل به الروح الامين على قلبك » وليس له كفاء أى نظير قال فى تاج العروس تقول لا كفاء له بالكسر وهو فى الاصل مصدر أى لا نظير له وقال حسان بن ثابت (وروح القدس ليس له كفاء) أى جبريل عليه السلام ليس له نظير ولا مثيل انتهى وقد سبق أول الكتاب من حديث الصحيحين قوله صلى الله عليه وسلم فى حسان رضى الله عنه (اللهم أيده بروح القدس).

﴿ألا أبلغ أبا سفيان عنى فأنت مجوَّف نخبٌ هواء﴾

هذه رواية ابن حبيب وغيره وفى رواية ابن هشام

الا أبلغ أبا سفيان عنى مُغَلْغَلةً فقد برح الخفاء

والمغلغلة الرسالة المحمولة من بلد الى آخر وأظنها من الغلغلة بمعنى الادخال لأن شأن حاملها أن يدخلها فى خبيه أو وحد له مثلا بخلاف التى لا يخرج بها من البلد فربما أبقاها فى يده لقرب المسافة وقوله برح الخفاء بكسر الراء وفتحها من بابى سمع ونصر أى وضح الامر وهو من المجاز كأنه ذهب السر وزال كذا قاله فى تاج العروس واستشهد عليه من كلام حسان بهذا البيت على هذه الرواية وقال الزمخشرى فى المستقصى برح الخفاء أى زالت الخفية فظهر الامر وقيل برح بفتح الراء ومعناه ظهر الامر الخفى كأنه صار فى براح وقيل الخفاء المطمئن من الارض أى صار المطمئن براحا والمعنى انكشف المستور وأول من تكلم به شق الكاهن قال الهيثم بن الاسود النخعى

قلت لمذحج[1] قوموا فشدّوا مآزركم فقد برح الخفاء
فان الحرب يجنيها رجال ويصلى حرها قوم براء

وقال آخر

برح الخفاء فما على تجلد ونفى الرقاد جوى شجانى زائرا

(رجع الى الرواية الأولى) المجوَّف كالمجوف يقال رجل مجوّف ومجوف أى جبان لا قلب له كذا قاله فى لسان العرب واستشهد عليه بهذا البيت من كلام حسان على هذه الرواية والنخب بكسر الخاء من النخب بمعنى النزع يقال رجل نخب أى جبان

(١) قوله قلت لمذحج فيه الخرم وسيأتى ذكره اه منه

لا فؤاد

لافؤادله وكذلك نخيب ومنخوب ومنتخب كأنه منتزع الفؤاد ويقال نخب الصقر الصيد اذا انتزع قلبه وفي حديث أبي الدرداء بئس العون على الدين قلب نخيب وبطن رغيب ويقال النخب الناحل الجسم كأنه نخب لحمه ونزع وقوله هواء أى خال يعني من العقل أو الخير وكل خال هواء قال زهير

كأن الرحل منها فوق صعل[1] من الظلمان[2] جؤجؤه[3] هواء

وقال الله تعالى « وأفئدتهم هواء » أى لاعقول لهم وقوله فأنت مجوف يريد أبا سفيان وانما التفت الى ضمير المخاطب ولم يقل فهو مجوف على ما هو الظاهر قصدا الى توجيه الخطاب اليه بما يكره ليكون أبلغ في الشتم وأشد من الحكاية في النكاية وقد جرت عادتهم في كثير من كلامهم بأنهم بعد طلب تبليغ المقالة يخاطبون من رام تبليغها اله خطاب مشافهة إما لهذه النكتة أو غيرها على حسب الاحوال وتارة يجرون الكلام على طريق الغيبة وقد يدخلون الباء على المفعول الثاني لابلغ كما صنع حسان هنا حيث يقول في البيت الآتي بعد هذا (بأن سيوفنا تركتك عبدا) الى آخره كأنهم ضمنوه معنى أخبر وربما تركوا الباء وربما قالوا أبلغ فلانا رسالة أو رسولا أو ألوكا أو مألكة أو ألكني الى فلان أو اليك الى غير ذلك وسيأتي شرح هذه الكلمات ان شاء الله ونحن نورد ههنا جملة مما وقع في كلامهم من هذا القبيل لتكون لمن عني بتتبع كلمات العرب ومعرفة أساليبهم في تراكيبهم نموذجا يكتفي به في هذا المقام ويغنينا عن مزيد تفصيل الكلام قال عصام بن عبيد المازني

أبلغ أبا مسمع عني مغلغلة وفي العتاب حياة بين أقوام
أدخلت قبلي قوما لم يكن لهمو في الحق أن يلجوا الأبواب قدامي

وقال غير بن ماجد الغنوي

أبلغ لديك بني لام مغلغلة قد كنت أعهدهم من معشر قزم[4]
ما بال ظلمهم مثلي وما ظلموا مثقال خردلة في سالف الأمم

وقال أعرابي

ألا أبلغ لئيم بني نمير بأن الريح أكرم منك جارا
تغذينا اذا هبت شمالا وتملأ عين ناظركم غبارا

يخاطب هذا الشاعر رجلا من بني نمير كانت له نخل أقام عليها ناظرا يحفظها ويمنع أن يتناول أحد منها شيأ فكانت الشمال اذا هبت نفضت الرطب فيلقط هذا الشاعر منه

---

(١) الصعل الصغير الرأس من الرجال والنعام (٢) والظلمان ذكور النعام (٣) وجؤجؤه صدره اه منه (٤) قزم سفلة اه

لان الريح تشغل الحافظ عن الحفظ بما تحثو في وجهه من التراب وما يملأ عينه من الغبار فيغض بصره وقال زيد الخيل

ألا أبلغ بني الصيداء عني * علانية وما يغني السرار

قتلت سراتكم وتركت منكم * خشارا(1) قلما نفع الخشار

وقال النجاشي الحارثي

أبلغ شهابا وخير القول أصدقه * أن الكتائب لا يهزمن بالكتب

تهدي الوعيد بأعلى الرمل من إضم * فإن أردت مصاع القوم فاقترب

وإن تغب في جمادى عن وقائعنا * فسوف نلقاك في شعبان أو رجب

وقال كعب بن زهير لأخيه بجير

ألا أبلغا عني بجيرا رسالة * فهل لك فيما قلت ويحك هل لكا

سقاك بها المأمون كأسا روية * فأنهلك المأمون منها وعلكا

في أبيات أخر * وكان سبب ذلك أن كعبا وأخاه بجيرا كانا قد خرجا بغنم لهما إلى أبرق العزاف فقال بجير لكعب اثبت في الغنم حتى آتي هذا الرجل (يعني النبي صلى الله عليه وسلم) فأسمع كلامه وأعرف ما عنده فأقام كعب ومضى بجير فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسمع كلامه فآمن به فلما اتصل خبر إسلامه بأخيه كعب غضب وقال الأبيات فأجابه أخوه بجير بشعر يقول فيه

من مبلغ كعبا فهل لك في التي * تلوم عليها باطلا وهي أحزم

إلى الله لا العزى ولا اللات وحده(2) * فتنجو إذا كان النجاء وتسلم

ثم أسلم كعب ومدح رسول الله صلى الله عليه وسلم كما هو معلوم فلا نطيل به وإنما نذكر ما لا يخرج عن أصل الغرض من الكلام على هذه الأبيات * قال ابن هشام قول كعب رضي الله عنه ألا أبلغا يحتمل أن يكون بالنون لفظا وبالألف خطا لأجل الوقف ويحتمل أنه بالألف لفظا وخطا إما على أنه مؤكد أو على أنه خطاب للاثنين أو للواحد فكثيرا ما يخاطب الواحد بما يخاطب به الاثنان وقوله فهل لك يحتمل كون الفاء زائدة عند من جوز زيادتها فتكون الجملة بعدها مفسرة للرسالة فلا موضع لها على قول الجمهور إن المفسرة لا موضع لها أو موضعها نصب على قول الشلوبين إن الجملة المفسرة بحسب المفسر ويحتمل كونها عاطفة على أبلغا والمعطوف محذوف

(1) الخشار والخشارة الردىء من كل شيء وسفلة الناس اهـ

(2) قوله وحده حال من لفظ الجلالة أي إلى الله وحده لا العزى ولا اللات اهـ منه

أى فقولا له هل لك لانه لا يحسن (قم وهل قام زيد) وإن اشتركا فى الطلب وكثيرا ما يحذف القول ويبقى المقول حتى قال الفارسى حذف القول من حديث البحر قل ولا حرج وقول بجير رضى الله عنه من مبلغ فيه خرم بالراء المهملة وهو هنا حذف الفاء من فعولن انتهى ومثله قول أشجع السلمى وقد أبطأ عنه شئ كان أمر له الرشيد به

أبلغ أمير المؤمنين رسالة * لها عنق بين الرواة فسيح
بأن لسان الشعر ينطقه الندى * ويخرسه الامساك وهو فصيح

وقول العباس بن مرداس

أبلغ أبا سلمى رسولا يروعه * ولو حل ذا سدر وأهلى بعسجل (1)
رسول امرئ يهدى إليك رسالة * فان معشر جادوا بعرضك فابخل

وقال النابغة

فأبلغ عامرا عنى رسولا * وزرعة إن دنوت وإن نأيت
أعاتب سيدى قيس جميعا * وأخبر صاحبى بما اشتكيت

وقال عمرو بن هند

أبلغ زيادا أن قومك حاربوا * فانهض إلينا إن قدرت بجار
نجزيك إنذارا بما أنذرتنا * وذكرت عطف الود والأصهار

وقال قيس بن الخطيم الاوسى

ألا من مبلغ عنى كعيبا * فهل ينهاك لبك أن تعودا
أرانى كلما أصدرت أمرا * بنى الرفعاء جشمكم صعودا
فما أبقت سيوف الأوس منكم * وحد ظباتها الاشريدا

وقال رجل من بنى يشكر فيما كان بينهم وبين بنى ذهل

ألا أبلغ بنى ذهل رسولا * وخص الحى سراة بنى البطاح
بأنا قد قتلنا بالمثنى * عبيدة منكمو وأبا الجلاح
فان ترضوا فأنا قد رضينا * وإن تأبوا فأطراف الرماح
مقومة وبيض مرهفات * تذرجماجما وبنان راح

وقال عمرو بن الاطنابة ملك الحجاز

أبلغ الحرث بن ظالم المو * عد والناذر النذور علينا
أنه يقتل النيام ولا يقـ * ـتل يقظان ذا سلاح كميا

(1) عسجل موضع فى حرة بنى سليم فى عالية نجد وذو سدر موضع آخر اهـ

ولهذين البيتين خبر يذكر وهو أن الحرث بن ظالم المذكور أحد فرسان العرب وفتاكها المشاهير كان قد فتك بخالد بن جعفر الكلابي وقتله في جوار الملك النعمان ابن المنذر ورحل فطلبه النعمان فلم يجده وبلغ ابن الاطنابة مقتل خالد وكان صديقا له فساءه ذلك وعسر عليه وقال لو وجده يقظان ما أقدم عليه ولقد وددت ان ألقاه يعني الحرث ثم دعا بشرابه ووضع التاج على رأسه وقال البيتين فلما بلغ الحرث شعره قال والله لآتين اليه ولا ألقاه الا ومعه سلاحه ثم سار الحرث الى المدينة وسأل عن منزل ابن الاطنابة فلما دنا منه نادى يا ابن الاطنابة أغثني وكان عمرو ذا غيرة على الصائح في حاجة فأتاه وقال من أنت قال رجل من بني عيلان خرجت أريد قومي فعرض لي قوم قريبا منك فأخذوا ما كان معي فاركب معي حتى نستنقذه فلبس سلاحه وركب ومضى معه فلما أبعدا عن منزله عطف عليه وقال أنائم أنت أم يقظان (أنا أبو ليلى وسيفي المعلوب) فألقى ابن الاطنابة سيفه وقال قد أعجلتني فأمهلني حتى آخذ سيفي فقال دونك إياه قال أخشى أن تعجلني عن أخذه فأعطني ميثاقا فحلف الحرث أن لا يتعرض له حتى يأخذ سيفه فحلف عمرو وأن لا يأخذه أبدا فانصرف الحرث وهو يقول

بلغتنا مقالة المرء عمرو * فالتقينا وكان ذاك بديا
قد هممنا بقتله اذ برزنا * ولقيناه ذا سلاح كميا
فمننّا عليه بعد اقتدار * بوفاء وكنت قدما وفيا

وقال أبو دلامة يهجو نفسه وكان قد دخل على المهدي وعنده جماعة من بني هاشم فقال له المهدي أنا أعطي الله تعالى عهدا لئن لم تهج واحدا ممن في البيت لأضربن عنقك فنظر إليه القوم وغمزوه بأن عليهم رضاه فرأى أبو دلامة أنها عزمة من عزماته ولا بدّ منها ولم يجد أسلم له ولا أرفق به من هجائه لنفسه فأنشد

ألا أبلغ لديك أبا دلامه * فلستَ من الكرام ولا كرامه
اذا لبس العمامة قلتَ قرد * وخنزير اذا وضع العمامه
جمعتَ دمامة وجمعتَ لؤما * كذاك اللؤم تتبعه الدمامه
فان تك قد أصبت نعيم دنيا * فلا تفرح فقد دنت القيامه

ويروى (فليس من الكرام ولا كرامه) فضحك القوم منه ولم يبق فيهم أحد الا أجازه * وقال زهير بن أبي سلمى في الحرث بن ورقاء الاسدي وقومه وكان الحرث قد أغار على بني عبد الله بن غطفان فغنم وأخذ إبل زهير وراعيه يسارا

فأبلغ ان عرضت لهم رسولا * بني الصيداء إن نفع الجوار

فان

فان الشعر ليس له مردّ * اذا ورد المياه به التجار

فى أبيات يهجوهم بها ويرمى نساءهم بيسار فلما بلغتهم قالوا للحرث اقتل يسارا فأبى عليهم وكساه وردّه فقال زهير يمدح الحرث ويذمهم

أبلغ بنى نوفل عنى فقد بلغوا * منى الحفيظة لما جاءنى الخبر
القائلين يسار لا تناظره * غشا لسيدهم فى الأمر اذ أمروا
أن ابن ورقاء لا تخشى غوائله * لكن وقائعه فى الحرب تنتظر

﴿وقال أعرابى﴾

فأبلغ عامرا عنى رسولا * وهل يجد النصيح بكل وادى
تعلم أن أكثر من تراهم * وان ضحكوا اليك من الاعادى

﴿وقال النابغة الجعدى فى الاخطل وكان بينهما مهاجاة﴾

ألا أبلغ بنى خلف رسولا * أحقا أن أخطلكم هجانى
فلولا أن تغلب رهط أمى * وكعب وهو منى ذو مكان
تراجعنا بصدر القول حتى * نصير كأننا فرسا رهان

وبنو خلف رهط الأخطل من بنى تغلب ويروى (ألا أبلغ بنى جُشَم رسولا) وجشم بضم الجيم وفتح الشين المعجمة من بنى تغلب أيضا * والرسول فى مثل هذا الموضع وما مر من نظائره إما على ظاهره فيكون حالا من الفاعل فى أبلغ أو هو بمعنى الرسالة كما فى قوله

لقد كذب الواشون ما بحت عندهم * بليلى ولا أرسلتهم برسول

فيكون مفعولا ثانيا لأبلغ وهو مما جاء على فَعُول كالوَضُوء والطهور ونظيرها الأَلُوك وهى الرسالة أيضا من الألك قال ابن سيدة ألكَ الفرس اللجام فى فيه يألكه علكه والألوك والمألُكة والمألَكة الرسالة لانها تؤلك فى الفم قال لبيد

وغلام أرسلته أمه * بألوك فبذلنا ما سأل

﴿وقال الشاعر﴾

أبلغ أبا دَخْتَنُوس مألُكَةً * غير الذى قد يقال مِلْكذب

أى من الكذب ودختنوس هذه هى بنت لقيط بن زُرارة التميمى معربة أصلها دُخْتَرنُوش أو دُخْتنُوش ومعناها بنت الهنىء سماها أبوها باسم ابنة كسرى أنُوشِرْوان فقلبت الشين سينا لما عربت قال فيها لقيط أبوها

ياليت شعرى اليوم دختنوسُ * اذا أتاها الخبر المرموس
أتحلق القرون أم تميس * لا بل تميس إنها عروس

(رجع) وقال سلم الخاسر

أبلغ الفتيان مألكة * إن خير الود ما نفعا

ان قرما من بنى مطر * أتلفت كفاه ما جمعا

كلما عدنا لنائله * عاد فى معروفه جذعا

وقال الاعشى ميمون الباهلى

أبلغ يزيد بنى شيبان مألكة * أبا ثبيت أما تنفك تأتكل

ألست منتهيا عن نحت أثلتنا * ولست ضائرها ما أطت الابل

كناطح صخرة يوما ليوهنها * فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل

قيل تأتكل هنا انما أراد به تأتلك من الألوك وهى الرسالة حكاه يعقوب فى المقلوب قال ابن سيدة ولم نسمع نحن فى الكلام تأتلك من الالوك حتى يكون هذا محمولا عليه مقلوبا منه * وقال عدى بن زيد

أبلغ النعمان عنى مألُكاً * أنه قد طال حبسى وانتظار

والمألك الرسالة قيل ليس فى الكلام مفعُل بالضم غيره وقال ابن برى مثله مكرُم ومعُون وقال الكسائى لم يجئ على مفعُل للمذكر الا حرفان نادران لا يقاس عليهما مكرم ومعون وأنشد (ليوم روع أو فعال مكرُم) وقال جميل

بثينُ الزمى لا إن لا إن لزمته * على كثرة الواشين أى مَعُون

يقول نعم العون قولك لا فى رد الوشاة وان كثروا وقال الفراء معون جمع معونة * وروى عن محمد بن يزيد أن مألكا فى بيت عدى جمع مألُكَة * ويقال ألك بين القوم اذا ترسل ألكا قال ابن برى فان نقلته بالهمزة قلت ألَكْتُ اليه رسالة والاصل أألكته فأخرت الهمزة بعد اللام وخففت بنقل حركتها الى ما قبلها وحذفها * فان أمرت من هذا الفعل المنقول بالهمزة قلت ألِكْنى اليها برسالة أصله أألكنى فحذفت الهمزة الثانية تخفيفا وكان مقتضى هذا اللفظ أن يكون معناه أرسلنى اليها برسالة الا أنه جاء على القلب اذ المعنى كن رسولى اليها بهذه الرسالة فهذا على حد قولهم ﴿ولا تهيبنى الموماة أركبها﴾ أى لا أتهيبها وكذلك ألكنى لفظه يقضى بأن المخاطب مرسل (بالكسر) والمتكلم مرسَل (بالفتح) وهو فى المعنى بعكس ذلك وهو أن المخاطب مرسل والمتكلم مرسل وعلى ذلك قول ابن أبى ربيعة

ألكنى اليها بالسلام فانه * ينكَّر إلمامى بها ويشهَّر

أى بلغها سلامى وكن رسولى اليها وقد تحذف هذه الباء فيقال ألكنى اليها السلام

قال

قال عمرو بن شاس

ألكنى الى قومى السلام رسالة * بآية ما كانوا ضعافا ولا عزلا

فالسلام مفعول ثان ورسالة بدل منه وان شئت جعلته اذا نصبت على معنى بلغ عنى رسالة * والذى وقع فى شعر عمرو بن شاس

ألكنى الى قومى السلام ورحمة الالـه فما كانوا ضعافا ولا عزلا

وقد يكون المرسل هو المرسل اليه كقولك ألكنى اليك السلام أى كن رسولى الى نفسك بالسلام وعليه قول الشاعر النابغة الذبيانى

ألكنى يا عيين اليك قولا * ستهديه الرواة اليك عنى

قوافى كالسلام اذا استمرت * فليس يرد مذهبها التظنى

وفى حديث زيد بن حارثة

ألكنى إلى قومى وان كنت نائيا * فانى قطين البيت عند المشاعر

أى بلغ رسالتى من الالوك والمألكة وهى الرسالة ومنه الملك واحد الملائكة أصله مألك ثم قلبت الهمزة الى موضع اللام فقيل ملأك ثم خففت الهمزة بأن ألقيت حركتها على الساكن قبلها وحذفت فقيل ملك وقد يستعمل متمما والحذف أكثر ومما جاء على القلب من غير حذف قوله

أيها القاتلون ظلما حسينا * أبشروا بالعذاب والتنكيل

كل أهل السماء يدعو عليكم * من نبى وملأك ورسول

وقد طال بنا الشرح ولعل ذلك يغتفر لكثرة ورود هذه الكلمات فى شعر العرب كما علم مما نقلناه وانما أوردنا القطرة من البحر الخضم ولم نذكر ما جاء منه فى شعر حسان رضى الله عنه اكتفاء بوروده فى مواضعه من الكتاب ان شاء الله تعالى وبقى علينا أن نذكر أبا سفيان الذى هجاه بهذا الشعر حسان رضى الله عنهما وكان ذلك قبل اسلام أبى سفيان ثم أسلم وحسن اسلامه رضى الله عنه وهذا أبو سفيان ابن الحرث بن عبد المطلب الهاشمى ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخوه من رضاع حليمة السعدية اسمه كنيته وقيل اسمه المغيرة ولكن جزم ابن قتيبة وابن عبد البر بأن المغيرة أخوه وكان أبو سفيان يألف رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل النبوة ولا يفارقه فلما بعث عاداه وهجاه فأجابه حسان بكثير من شعره منه هذا فلما كان عام الفتح وسار نبى الله صلى الله عليه وسلم من المدينة لفتح مكة فى أوائل رمضان سنة ثمان من الهجرة لقيه فى الطريق أبو سفيان بن الحرث وابنه جعفر مهاجرين ولم يكونا خرجا وهما يعلمان خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم انما

كان قصدهما اليه بالمدينة فلقياه فى الطريق فأسلما قبل دخوله مكة وكان لقاؤهما له بالأبواء قرية بين مكة والمدينة بينها وبين الجحفة مما يلى المدينة ثلاثة وعشرون ميلا * وقيل بل لقيه هو وعبد الله بن أبى أمية ابن عمته صلى الله عليه وسلم عاتكة بنت عبد المطلب بين السقيا والعرج وهما قريتان جامعتان بطريق مكة بينها وبين المدينة وبهذا القول جزم ابن اسحق وعين المحل فقال لقياه بنقب العقاب بين مكة والمدينة فالتمسا الدخول عليه فكلمته فيهما أم سلمة ام المؤمنين رضى الله عنها فقالت يارسول الله ابن عمك وابن عمتك وصهرك وكان عبد الله بن أبى أمية أخاها لابيها فقال صلى الله عليه وسلم لا حاجة لى بهما أما ابن عمى يعنى أبا سفيان فهتك عرضى وأما ابن عمتى وصهرى يعنى ابن أبى أمية فهو الذى قال لى بمكة ما قال وكان قال له بمكة والله لا آمنت بك حتى تتخذ سلما الى السماء فتعرج فيه وأنا أنظر ثم تأتى بصك وأربعة من الملائكة يشهدون أن الله أرسلك فلما خرج الخبر اليهما بذلك وكان مع أبى سفيان بنى له قال والله ليأذن لى أو لآخذن بيد بنى هذا ثم لنذهبن فى الارض حتى نموت عطشا وجوعا فلما بلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم رق لهما ثم أذن لهما فدخلا عليه وأسلما وأنشده أبو سفيان يعتذر عما مضى

لعمرك إنى يوم أحمل راية * لتغلب خيلُ اللات خيلَ محمد

لكالمدلج الحيران أظلم ليله * فهذا أوانى حين أُهدَى وأهتدى

هدانى هاد غير نفسى ونالنى * مع الله من طردته كل مطرد

فى أبيات قيل انه لما قال ونالنى مع الله من طردته كل مطرد ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم صدره وقال أنت طردتنى كل مطرد * ويروى ودلنى على الحق من طردته كل مطرد * وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه وكرم وجهه لابى سفيان مرشدا لابن عمه الى ما يكون سببا لاقباله صلى الله عليه وسلم عليه بعد إذنه لهما فى الدخول عليه كما نقل عن الحافظ ابن عبد البر ائت رسول الله صلى الله عليه وسلم من قبل وجهه فقل له ما قال اخوة يوسف ليوسف تالله لقد آثرك الله علينا وان كنا لخاطئين فانه صلى الله عليه وسلم لا يرضى أن يكون أحد أحسن منه قولا وانما أمره أن يأتى من جهة وجهه الكريم لان عادة الكرماء الاستحياء من المواجهة ولقد نصح على وأصاب ففعل ذلك أبو سفيان وقال كما أمره فقال صلى الله عليه وسلم لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين فأسلم أبو سفيان فكان من أصح الناس ايمانا وألزمهم لرسول الله وثبت معه صلى الله عليه وسلم يوم حنين حين انكشف عنه الناس ولم يبق معه الا اليسير فكان آخذا بزمام بغلته أو ركابه يخدمه حتى تراجع

المسلمون

المسلمون وأنزل الله النصر وانهزم المشركون ويقال انه ما رفع رأسه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ أسلم حياء منه وروى له حديث أسنده إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال «لا يقدس الله أمة لا يأخذ الضعيف فيها حقه من القوى» وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحبه ويشهد له بالجنة * روى أبو عبد الله العدوى بسنده عن عروة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو سفيان بن الحرث من شباب أهل الجنة وفى رواية الحاكم أبو سفيان بن الحرث سيد فتيان أهل الجنة قال فحج فلق الحلاق ثؤلولا فى رأسه فمات منه والثؤلول بثر صغير صلب مستدير يكون فى البدن على صور شتى وهو الذى يعرف عندنا فى مصر بالسنطة كان برأسه واحد منه فقطعه الحلاق مع الشعر فنزف منه الدم فمات فيرون أنه مات شهيدا وروى أنه قال عند موته لا تبكن على فانى لم أنطق بخطيئة منذ أسلمت وكانت وفاته رضى الله عنه سنة خمس عشرة أو عشرين من الهجرة وصلى عليه أمير المؤمنين عمر الفاروق رضى الله عنه

﴿بأن سيوفنا تركتك عبدًا * وعبد الدار سادتها الاماء﴾

هذا البيت موجود فى رواية ابن حبيب وابن هشام وساقط من نسخة أبى عبد الله العدوى ومحله (فمن يهجو رسول الله) البيت الآتى بعد * وقوله بأن سيوفنا متعلق بقوله أبلغ ودخلت الباء على المفعول الثانى على ما مر كما فى قول الاعرابى

الا أبلغ لئيم بنى غير بأن الريح أكرم منك جارا

وقوله تركتك عبدا أى ذليلا وحيد الدار أى واحدها وفريدها لوقوع الأسر على من كان بها وسادتها الاماء ضميره يرجع الى الدار وانما سادتها الاماء لكونهم لم يبق فيها الاحرار وفى بعض النسخ (وعبد الدار سادتها الاماء) وعُبُد على هذا بضم فسكون جمع عَبْد خفف باسكان بائه وأصله عُبُد بضمتين وضمير سادتها للعُبْد أو هو بفتح العين على صيغة الواحد والاضافة على معنى لام الجنس فهو يشمل المتعدد وأعاد عليه الضمير مؤنثا رعاية للمعنى والمراد على كل الوصف بنهاية الذل والمهانة فان الاماء فى نفس الأمر فى مذلة وقد أثبت لها السيادة على العبيد فالعبيد اذا فى غاية الذلة

﴿هجوت محمدا فأجبت عنه وعند الله فى ذاك الجزاء﴾

يخاطب به أبا سفيان بن الحرث فانه كان قبل اسلامه يهجو رسول الله صلى الله عليه وسلم كما مر والجزاء المكافأة على الشئ بالخير أو الشر قال تعالى هل جزاء الاحسان الا الاحسان وقال وجزاء سيئة سيئة مثلها وورد الناس مجزيون بأعمالهم إن خيرا فخير وإن شرا فشر فالاشارة فى ذاك ان كانت للهجاء فالمراد بالجزاء العقاب والعذاب

وان كانت للاجابة عنه فالمراد بالجزاء حسن الثواب وان كانت الاشارة الى مجموع الهجاء والجواب فالمراد بالجزاء ما يشمل العقاب والثواب أى عند الله فيما كان من هجائك له واجابتى عنه الجزاء بعقوبتك على هجائك واثابتى على اجابتى ويروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سمعه قال جزاؤك على الله الجنة ياحسان

﴿أتهجوه ولست له بكفء فشركما لخيركما الفداء﴾

ويروى لست له بند والكفء والند النظير والمثل والاستفهام للانكار أى ما كان ينبغى لك أن تهجوه ولست من أكفائه ونظرائه فلم تنصفه قال الشاعر

بلاء ليس يشبهه بلاء عداوة غير ذى حسب ودين
يعرض منه عرضا ذا ابتذال ويرتع منك فى عرض مصون

وقال الآخر

ولو أنى بليت بهاشمى خؤلته بنو عبد المدان (1)
لهان على ما ألقى ولكن تعالوا فانظروا بمن ابتلانى

وقوله فشركما لخيركما الفداء قال السهيلى فى ظاهر هذا اللفظ شناعة لأن المعروف انه لا يقال هو شرهما الا وفى كليهما شر وكذلك شر منه ولكن قال سيبويه تقول مررت برجل شر منه اذا نقص عن أن يكون مثله وهذا يدفع الشناعة عن الكلام الاول ونحو منه قوله عليه الصلاة والسلام شر صفوف الرجال آخرها يريد نقصان

(1) (قوله عبد المدان) هو الديان بن قطن بن زياد الحارثى وهو من أشرافهم كما ذكره ابن منظور فى لسان العرب فى (دى ن) قال وبنو الديان بطن قال ابن سيده أراه نسبوا الى هذا قال السموأل بن عاديا أو غيره

فان بنى الديان قطب لقومهم تدور رحاهم حوله وتجول

انتهى وأرى أن بنى الديان هم بنو عبد المدان لما علمت من أن الديان وعبد المدان كلاهما علم لشخص واحد وفى بنى عبد المدان يقول حسان رضى الله عنه

لقد كنا نقول اذا رأينا لذى جسم يعد وذى بيان
كأنك أيها المعطى بيانا وجسما من بنى عبد المدان

وقال فى هجائهم

الا أبلغ بنى الديان عنى مغلغلة ورهط بنى قنان
وأبلغ كل منتخب هواء رحيب الجوف من عبد المدان

فى أبيات تأتى وبنو قنان قال ابن منظور بطن من الحرث بن كعب وأشراف اليمن بنو جلندى بن قنان انتهى وقال فيهم أيضا

يا راكبا إما عرضت فبلغن عبد المدان وجل آل قنان
قد كنت أحسب أن عرضى عرضكم حتى أمرتم عبدكم فهجانى

اهـ منه

حظهم

حظهم عن حظ الصف الأول كما قال سيبويه ولا يجوز أن يريد التفضيل في الشر
و يروى أن حسان لما انتهى في انشاد القصيدة الى هذا البيت قال من حضر هذا
أحسن بيت قالته العرب ذكره عبد القادر البغدادي وقوله فشركما لخيركما الفداء
مع علمه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خيرهما بلا ريبة جار على أسلوب الكلام
المنصف وقد تقدم الالماع به وهو أن ينصف المتكلم من نفسه أو ممن يتكلم من جهته
فيضطر السامع الى الاذعان له ولا يجد سبيلا لانكاره والمنازعة فيه نحو (وانا أو ايا كم
لعلى هدى أو في ضلال مبين) فان من المعلوم أن المتكلم ومن معه على هدى وان
المخاطبين في ضلال وانما أبهم الأمر بين الفريقين ليكون أدعى للمخاطب الى الاذعان
للحق وترك العناد حيث يرى المتكلم ساوى بينه وبين نفسه وأنصفه * ووجه حسنه
ارشاد المخاطب الى الحق على وجه يعين على قبوله ولا يزيد غضبه فلا بأس بعدّ هذا
الاسلوب من الكلام في الانواع البديعية ومنه ما حكاه عز شأنه عن مؤمن آل
فرعون حيث يقول سبحانه (وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم ايمانه أتقتلون
رجلا أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم وان يك كاذبا فعليه كذبه وان
يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم) أخذهم بالاحتجاج من باب الاحتياط وسلك
معهم نهاية ما يمكن من الانصاف وعدم التعصب ولذلك قدم من شقّي الترديد كونه كاذبا
وهو يعتقد في نفسه أنه غير كاذب استدراجا لهم لسماع باقي الكلام واستمالة
لقلوبهم وتحرزا عن مفاجأتهم بادئ بدء بما قد تنفر منه طباعهم وتنبو عنه
أسماعهم ثم قال وان يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم فأقحم لفظة البعض في
الكلام كأنه يقول ان لم يصبكم كله فلا أقل من اصابة بعضه لاسيما ان تعرضتم له بسوء
ثم قال ولم يخرج عن شريطة الانصاف (ان الله لا يهدي من هو مسرف كذاب)
فأبهم الامر بين الفريقين ولم يصرح بمن هو عنده المسرف الكذاب استمرارا على
ما أخذ فيه وقطعا لذرائع المكابرة والانكار وتحرزا من التنفير وتباعدا عن مواطن
الشبهة والاتهام بالميل الى أحد الجانبين واحتمل الكلام انه لو كان مسرفا كذابا لما
هداه الله تعالى الى البينات ولما أيده بتلك المعجزات أو انه ان كان كذلك خذله الله
وأهلكه فلا حاجة لكم الى قتله ولعله أراهم المعنى الثاني وهو عاكف على المعنى الاول
لتلين شكيمتهم وقد عرض به لفرعون بأنه مسرف كذاب لا يهديه الله سبيل
الصواب ومنهاج النجاة ثم قال ولم يخرج عما هو بصدده (ياقوم لكم الملك اليوم
ظاهرين في الارض فمن ينصرنا من بأس الله إن جاءنا) فنسب ما يسرهم من الملك
والظهور في الارض اليهم خاصة وأدخل نفسه معهم فيما يسوءهم من مجيء بأس الله

تعالى تطييباً لقلوبهم وايذاناً بأنه مناصح لهم ساع في تحصيل ما يجديهم ودفع ما يرديهم سعيه في حق نفسه ليتأثروا بنصحه * ومن الكلام المنصف أن يحكي ما جرى بينه وبين خصمه بلا محاباة ولا زيغ حكاية الأجنبي من الفريقين الخلي من الغرض والمين ومنه قول أخي ذي الرمة

حيى الله أبطانا عن الضيف بالقرى   وأبعدنا عن عرض والده ذنبا
وأجدرنا أن يدخل البيت باسته   اذا الارض أبدت من مخارمها ركبا

ومنه قول العباس بن مرداس (قال أبو تمام في ديوان الحماسة وهي من المنصفات)

فلم أر مثل الحي حيا مصبحا   ولا مثلنا يوم التقينا فوارسا
أكر وأحمى للحقيقة منهم و   وأضرب منا بالسيوف القوانسا
اذا ما شددنا شدة نصبوا لنا   صدور المذاكي والرماح المداعسا
اذا الخيل حالت عن صريع نكرها   عليهم فما يرجعن إلا عوابسا

وقال عبد الشارق بن عبد العزى الجهني

ألا حييت عنا يا ردينا   نحييها وان كرمت علينا
ردينة لو رأيت غداة جئنا   على أضماتنا (١) وقد اختوينا
فأرسلنا أبا عمرو ربيئا (٢)   فقال ألا انعموا بالقوم عينا
ودسوا فارسا منهم عشاء   فلم نغدر بفارسهم لدينا
فجاؤا عارضا بردا (٣) وجئنا   كمثل السيل نركب وازعينا (٤)
تنادوا يال بهثة (٥) اذ رأونا   فقلنا أحسني ملأ جهينا (٦)
سمعنا دعوة عن ظهر غيب   فجلنا جولة ثم ارعوينا (٧)
فلما ان تواقفنا قليلا   أنخنا للكلاكل (٨) فارتمينا
فلما لم ندع قوسا وسهما   مشينا نحوهم ومشوا الينا

(١) اضمات جمع أضم بمعنى الغضب واختوى بالخاء طاش عقله وبالجيم معناه كره اه منه

(٢) ربيئا أي طليعة اه منه (٣) عارضا بردا أي ذا برد (٤) الوازع الموكل بصفوف الجيش يرد من تقدم منهم ويحبس أولهم على آخرهم وقوله نركب وازعينا أراد به كثرة الاقدام والتقدم فان الوازع يكون في العادة أمامهم فهم لكثرة ما يزاحمونه كأنهم يركبونه على حد قولهم انهزموا فركبنا أكتافهم وهو من المجاز اه مؤلف (٥) بهثة حي من سليم (٦) جهين مرخم جهينة حي آخر اه (٧) ارعوينا كففنا اه (٨) الكلاكل الصدور وارتمينا أي ترامينا بالسهام اه

تلألؤ

تلألؤ مزنة برقت لأخرى ... اذا حجلوا(١) بأسياف ردينا

شددنا شدة فقتلت منهم ... ثلاثة فتية وقتلت قينا(٢)

وشدّوا شدّة أخرى فجرّوا ... بأرجل مثلهم ورموا جوينا

وكان أخى جوين ذا حفاظ ... وكان القتل للفتيان زينا

فآبوا بالرماح مكسّرات ... وأبنا بالسيوف قد انحنينا

فباتوا بالصعيد لهم أحاح(٣) ... ولو خفّت لنا الكلمى سرينا

وهذه أيضا من المنصفات

﴿فمن يهجو رسول الله منكم ... ويمدحه وينصره سواء﴾

يعنى لانبالى بكم فان هجوتم أومدحتم ونصرتم فذلك عندنا على حد سواء اذلا يضيره هجوكم ولا يعوزه مدحكم ونصركم يقال هما فى هذا الأمر سواء وان شئت قلت سواآن وهم سواء للجميع أى مستوون وهم أسواء وسواسية

﴿فان أبى ووالده وعرضى ... لعرض محمد منكم وقاء﴾

الوقاء بالفتح والكسر ما وقيت به الشئ يروى أن حسان لما انتهى الى هذا البيت قال صلى الله عليه وسلم وقاك الله يا حسان حر النار

﴿فاما تثقفن بنو لؤى ... جذيمة ان قتلهم شفاء﴾

إما بالكسر ههنا مثلها فى قوله تعالى «فاما ترين من البشر أحدا» هى ان الشرطية وما الزائدة أدغمت الميم فى النون المتقارب وتثقفن من قولهم ثقفه يثقفه قال فى القاموس ثقفه كسمعه صادفه أو أخذه أو ظفر به أو أدركه وفى التنزيل العزيز «واقتلوهم حيث ثقفتموهم» قال أبو السعود أى حيث وجدتموهم من حل أو حرم وأصل الثقف الحذق فى ادراك الشئ علما أو عملا وفيه معنى الغلبة ولذلك استعمل فيها قال (عمرو الملقب بذى الكلب)

فاما تثقفونى فاقتلونى ... فمن أثقف فليس الى خلود

وقوله بنو لؤى يريد به لؤيا أحد أجداد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو لؤى بن غالب ابن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة وبنو لؤى هم كعب بن لؤى على عمود النسب النبوى وخزيمة وسعد وعامر أبو حسل وبغيض على غيره وكان لؤى يكنى أبا كعب

(١) يقال حجل الغلام وردى اذا رفع رجله وقفز بواحدة (٢) القين العبد الحداد اهـ

(٣) أحاح بالضم أى توجع اهـ

وكان التقدم في قريش لبنيه وبني بنيه وأما جُذَيمة كجُهَينة كما ضبطه الزرقاني شارح المواهب فهو أبو حي من خزاعة وهو جذيمة بن سعد بن عمرو بن ربيعة وهذا ربيعة أبو خزاعة وهو أول من غير دين اسمعيل عليه السلام ودعا العرب الى عبادة الاصنام والمراد من جذيمة هنا الحي لا الرجل وكثيرا ما تطلق العرب على القبيلة اسم جدها تقول اصطلح الأوس والخزرج مثلا وتريد القبيلتين لا الرجلين ومن هذا ومن هنا ولذلك قال ان قتلهم شفاء فأتى بضمير الجمع واضافة القتل الى الضمير من اضافة المصدر الى مفعوله يريد أن ايقاع القتل بهؤلاء القوم وتدميرهم شفاء لما في الصدور ربما وقع منهم لان رئيسهم الحرث بن أبي ضرار الآتي ذكره شذ بهم من خزاعة حلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وجمع الجموع لقتال الرسول صلى الله عليه وسلم فأوقع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم المُرَيسيع في الغزوة المعروفة بغزوة بني المصطلق وسيأتي ذكرها ان شاء الله عند الكلام على قوله في هذه القصيدة (وحلف الحرث بن أبي ضرار) البيت والمُصطَلِق كالمصطبح لقب جذيمة بن سعد المذكور وهو مُفتَعِل من الصَّلْق بمعنى رفع الصوت فالطاء فيه مبدلة من تاء الافتعال لوجود الصاد وفي الحديث (ليس منا من صَلَق أو حَلَق) أي ليس منا من رفع صوته عند المصيبة ولا من حلق شعره ومثله الحديث الآخر (أنا بريء من الصالقة والحالقة)

وقال لبيد

فَصَلَقْنا في مُرادٍ صَلْقَةً * وصُداءٍ ألحَقَتْهُم بالثَّلَل

ومراد وصداء قبيلتان والثلل الهلاك ولُقِّب جذيمة بن سعد المذكور بالمصطلق لحسن صوته ويقال هو أول من غَنَّى من خزاعة وعن أبي عبد الله أحمد بن محمد ابن حمد العدوي جذيمة هو المصطلق بن سعد بن عمرو بن ربيعة بن حارثة بن عمرو مُزَيقياء بن حارثة بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزْد (أو الأسْد) هذا في قول نُساب اليمن وأما نساب نزار فيقولون المصطلق بن سعد بن عمرو بن ربيعة بن حارثة بن عمرو بن لُحَي بن قَمَعَة(١) بن الياس بن مضر قال وكانت خزيمة كلها حلفاء لرسول الله صلى الله عليه وسلم وخرج عنهم جذيمة

(١) (قوله قمعة بن الياس) اسمه عمير وكان لالياس من الولد ثلاثة عمير هذا وعمرو وهو مدركة وعامر وهو طابخة وأمهم خِنْدِف امرأة الياس وهي ليلى بنت حُلْوان بن عمران والسبب في تسميتهم بذلك فيما قاله ابن منظور ان ابلا لأبيهم الياس انتشرت ليلا فخرج مدركة في بغائها فأدركها وردها فسمي مدركة وقعد طابخة يطبخ القدر فسمي طابخة وانقمع قمعة في البيت فسمي قمعة وقالت خندف لزوجها مازلت أُخَنْدِف في اثركم فقال لها فأنت خِنْدِف فذهب لها اسما ولولدها نسبا وسميت بها القبيلة اهـ منه

وكانت خزاعة قبل ذلك حلفاء عبد المطلب بن هاشم جد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان السبب فى ذلك على ما جاء عن محمد بن حبيب أن نفرا من خزاعة اجتمعوا فقالوا فيما بينهم والله ما رأينا بهذا الوادى أحدا أحسن وجها ولا أتم خلقا ولا أعظم حلما من عبد المطلب وقد ظلمه عمه نوفل حتى استنصر أخواله بنى النجار (وكان نوفل ظلم عبد المطلب ساحات كانت لهاشم فلما استنصر أخواله ردوها عليه) وقد ولدناه كما ولده بنو النجار (وكانت أم عبد مناف خزاعية وأم عبد المطلب نجارية) فلو بذلنا له نصرتنا وحالفناه ... فأجمع رأيهم على ذلك فأتوا عبد المطلب فقالوا يا أبا الحرث ان كان بنو النجار ولدوك فقد ولدناك ونحن بعد وأنت متجاورون فى الدار فهلم نحالفك فأقبل بديل بن ورقاء وهاجر بن عمير بن عبد العزى وهاجر بن عبد مناف الضاطرى وعبد العزى بن قطن المصطلقى وخلف بن أسعد وعمرو بن مالك بن مؤمل فى جماعة من قومهم وأقبل عبد المطلب فى سبعة نفر من بنى المطلب والأرقم بن نضلة بن هاشم وكان من رجال قريش والضحاك وعمرو ابنا صيفى بن هاشم ولم يحضره أحد من بنى عبد شمس[1] فتحالفوا وكتبوا بينهم كتابا علقوه فى الكعبة وورد أنهم حين بعثوا الى عبد المطلب قال هاجر والله لئن قبلتم ذلك لقد رأيت رؤيا بيثرب ليكونن لولده شأن قالوا وما رأيت قال رأيت كأن بنى عبد المطلب يمشون فوق رؤس نخل يثرب ويرمون التمر للناس فليكونن لهم شأن وليكونن ذلك فى يثرب فحالفوه وكتب لهم الكتاب أبو قيس بن عبد مناف بن زهرة وكانت بنو زهرة تكرم عبد المطلب لصهره وكان قد تزوج منهم هالة بنت أهيب بن عبد مناف بن زهرة وزوج ابنه عبد الله أبا رسول الله صلى الله عليه وسلم آمنة بنت وهب بن عبد مناف أم رسول الله صلى الله عليه وسلم فولدت له آمنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ونسخة الكتاب المذكور (هذا ما تحالف عليه عبد المطلب ورجالات بنى عمرو من خزاعة ومن معهم من أسلم ومالك تحالفوا على التناصر والمواساة حلفا جامعا غير مفرق والاشياخ على الاشياخ والأصاغر على الاصاغر والشاهد على الغائب تعاهدوا وتعاقدوا ما شرقت شمس على ثبير وما حن بفلاة بعير وما أقام الاخشبان[2] وما عمر بمكة انسان حلف أبد لطول أمد يزيده ضوء النهار شدا وظلام الليل مدا عقده عبد المطلب بن هاشم ورجال بنى عمرو فصاروا يدا دون بنى النضر على عبد المطلب لهم النصر على كل طالب وتر فى بر أو بحر

(١) عبد شمس أخو نوفل والمطلب وهاشم أبناء عبد مناف اهـ

(٢) هو من الباب الاول والثانى والرابع اهـ

أو سهل أو وعر * وعلى بنى عمرو النصر لعبد المطلب وولده على جميع العرب فى شرق أو غرب أو حزن أو سهب وجعلوا الله على ذلك كفيلا وكفى بالله وكيلا)

فلما كانت سنة خمس من الهجرة شذ بنو جذيمة من خزاعة وجمع رئيسهم الحرث بن أبى ضرار الجموع لقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم فأوقع بهم الرسول صلى الله عليه وسلم يوم المريسيع كما سنذكره وبقى سائر خزاعة حلفاء لرسول الله عليه الصلاة والسلام ونصحاء له يتخذ منهم العيون فى العدو ويصدقونه الاخبار

فلما كانت سنة ست من الهجرة ووقعت الهدنة بالحديبية بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهل مكة كان من شروط الصلح (ان من أحب أن يدخل فى عقد محمد وعهده دخل ومن أحب أن يدخل فى عقد قريش وعهدهم فعل) فتواثبت خزاعة فقالوا نحن فى عقد محمد وعهده وتواثبت بنو بكر وقالوا نحن فى عقد قريش وعهدهم وجاءت خزاعة يومئذ بكتاب عبد المطلب فقرأته على النبى صلى الله عليه وسلم فقال ما أعرفنى بحلفكم وكان بين بنى بكر وخزاعة حروب وقتلى فى الجاهلية فتشاغلوا عن ذلك لما ظهر الاسلام فلما كانت الهدنة خرج رجل (١) من بنى بكر فى جماعة من قومه فبيت خزاعة فأصاب منهم رجلا واستيقظت خزاعة فاقتتلوا الى أن دخلوا الحرم وأمدت قريش حلفاءهم بنى بكر بالسلاح وقاتل بعضهم فى الليل معهم خفية يظنون أن ذلك لا يظهر ثم ندمت قريش وعلموا أن ذلك نقض للذمة والعهد الذى بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرج عمرو بن سالم الخزاعى فى أربعين راكبا من خزاعة فقدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة يخبرونه وأنشد عمرو فى المسجد

يارب انى ناشد محمدا ... حلف أبينا وأبيه الاتلدا
ان قريشا أخلفوك الموعدا ... ونقضوا ميثاقك المؤكدا
وجعلوا لى فى كداء رصدا ... وزعموا أن لست تدعو أحدا
فانصر هداك الله نصرا أبدا ... وادع عباد الله يأتوا مددا
فيهم رسول الله قد تجردا ... ان سيم خسفا وجهه تربدا

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نصرت يا عمرو بن سالم وفى رواية فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم يجر رداءه وهو يقول لا نصرت ان لم أنصركم بما أنصر منه نفسى فكان ذلك ما هاج فتح مكة فتجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم للفتح وسار الى مكة فافتتحها السنة ثمان من الهجرة

(١) (قوله رجل من بنى بكر) هو نوفل بن معاوية بن عروة بن يعمر بن نفاثة بن عدى بن الديل الديلى من بنى بكر وقد أسلم بعد ذلك فى الفتح والذى أصيب من خزاعة اسمه منبه اهـ منه

﴿ أولئك معشر نصروا علينا * ففي أظفارنا منهم دماء ﴾

أولئك يعني جذيمة * والمعشر كمسكن الجماعة * وقيده بعضهم بأنه الجماعة العظيمة سميت لبلوغها غاية الكثرة لان العشرة هو العدد الكامل الكثير الذي لاعدد بعده الا وهو مركب مما فيه من الآحاد كأحد عشر وكذا عشرون وثلاثون أي عشرتان وثلاث عشرات فكأن المعشر محل العشرة الذي هو الكثرة الكاملة * ونصروا علينا بالبناء للمعلوم أي أعانوا علينا أعداءنا فانتقمنا منهم و بطشنا فيهم وافترسناهم افتراس السباع ففي أظفارنا منهم دماء يريد ما كان من الحرث بن أبي ضرار وقومه كما يأتي في شرح البيت الآتي

وحلف الحرث بن أبي ضرار * وحلف قريظة منا براء

الحلف بالكسر المحالف والصديق يحلف لصاحبه أن لا يغدر به والحرث بن أبي ضرار رأس بني جذيمة وهو حبيب بن الحرث بن عائذ بن مالك بن جذيمة المصطلق المتقدم ذكره وهو أعني الحرث أبو جويرية بنت الحرث أم المؤمنين رضي الله عنها زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم وعني بحلف الحرث حلفاءه الذين وافقوه على مناواة النبي صلى الله عليه وسلم وقتاله قبل أن يسلم الحرث فخرج النبي لقتالهم وغزاهم وعرفت هذه الغزوة بغزوة المريسيع وغزوة بني المصطلق

﴿ غزوة المريسيع وهي غزوة بني المصطلق ﴾

المصطلق تقدم القول فيه والمريسيع بضم الميم وفتح الراء وسكون التحتيتين بينهما سين مهملة مكسورة آخره عين مهملة مصغر مرسوع من قولهم رسعت عين الرجل اذا دمعت من فساد كذا نقل عن السهيلي وهو ماء لبني خزاعة بينه وبين الفرع(١) مسيرة يوم وكانت هذه الغزوة في شعبان سنة خمس على الصحيح كما في شرح المواهب للزرقاني وفيه أيضا قال وسببها أنه بلغه عليه الصلاة والسلام أن رئيس بني المصطلق الحرث بن أبي ضرار سار في قومه ومن قدر عليه من العرب فدعاهم الى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأجابوه وتهيؤا للمسير معه اليه وكانوا ينزلون ناحية الفرع فبعث عليه الصلاة والسلام بريدة بن الحصيب الاسلمي ليعلم علم ذلك فاستأذنه أن يقول فأذن له فأتاهم ولقي رئيسهم الحرث بن أبي ضرار وكلمه فوجدهم قد جمعوا الجموع للقتال فقالوا من الرجل قال منكم قدمت لما بلغني من جمعكم لهذا الرجل فأسير في قومي ومن أطاعني فنكون يدا واحدة

(١) الفرع بضم أوله وثانيه كما نقل عن جمع منهم السهيلي أو باسكان ثانيه كما نقل عن آخرين منهم الصغاني موضع من ناحية المدينة وقال مغلطاي بين الفرع والمدينة ثمانية برد انظر الزرقاني اهـ

حتى نستأصله قال الحرث فنحن على ذلك فعجل علينا فقال بُرَيدة أركب الآن وآتيكم بجمع كثير من قومي فسُرّوا بذلك منه ورجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره خبرهم فندب صلى الله عليه وسلم الناس وخرج مسرعا في جمع فيه كثير من المنافقين يريدون الدنيا واستخلف على المدينة زيد بن حارثة أو غيره(١) وخرجت معه عائشة وأم سلمة رضي الله عنهما فسار حتى سلك على الخلائق(٢) فنزل بها فأُتي يومئذ برجل من عبد القيس فسلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له أين أهلك قال بالروحاء من عمل الفُرُع قال أين تريد قال اياك جئتُ لأومن بك وأشهد أن ما جئت به حق وأقاتل معك عدوك فقال صلى الله عليه وسلم الحمد لله الذي هداك الى الاسلام فقال أيّ الاعمال أحب الى الله قال الصلاة لاول وقتها فكان بعد ذلك يصلي الصلاة لاول وقتها وبلغ الحارث ومن معه مسيرُه عليه الصلاة والسلام فسيئ بذلك هو ومن معه وخافوا خوفا شديدا والرعب الذي قذفه الله في قلوب أعداء رسوله وتفرق عنهم من كان معهم من العرب الذين جمعهم الحارث من غير قومه وبلغ عليه الصلاة والسلام الى المُرَيسيع فضرب عليه قبته فتهيؤا للقتال وصف أصحابه ودفع راية المهاجرين الى أبي بكر الصديق في قول ابن سعد ويقال الى عمار بن ياسر وراية الانصار الى سعد بن عبادة وروى أنه صلى الله عليه وسلم أمر عمر فنادى في الناس قولوا لا اله الا الله تمنعوا بها أنفسكم وأموالكم فأبوا فتراموا بالنبل ساعة فكان أول من رمى رجل منهم ثم أمر عليه الصلاة والسلام أصحابه فحملوا حملة رجل واحد فما أفلت منهم انسان وقتل المسلمون عشرة وأسروا سائرهم وكانوا أكثر من سبعمائة على ما جاء عن البرهان وغنموا ما كان معهم من المال وكان فيما قال ابن سعد ألفي بعير وخمسة آلاف شاة وكان السبي مائتي بيت بالبناء وكان في الاسرى أم المؤمنين جُوَيْرِيَةُ بنت الحارث المقدم ذكرها فتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما سمع الناس بذلك أطلقوا ما بأيديهم من الاسرى كما جاء في حديث ابن اسحق وغيره عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت وخرج الخبر الى الناس أنه صلى الله عليه وسلم قد تزوج جُويرية فقال الناس أصهار رسول الله صلى الله عليه وسلم فأرسلوا ما بأيديهم قالت فلقد أعتق بتزويجها مائة أهل بيت من بني المصطلق فما أعلم امرأة كانت أعظم

(١) قوله أو غيره عن ابن سعد وشيخه استعمل عليها زيد بن حارثة وقال ابن هشام استعمل أبا ذر الغفاري ويقال نُمَيلة تصغير نملة بالنون ابن عبد الله الليثي

(٢) الخلائق بالخاء المعجمة والقاف مكان به مزارع وآبار قرب المدينة

بركة

بركة على قوم هام منها ولم يقتل من المسلمين فى هذه الوقعة الا رجل واحد وهو هشام ابن صُبابة أصابه أنصارى يقال له أوس من رهط عبادة بن الصامت يرى أنه من المشركين فقتله خطأ وقدم أخوه مقيس بن صبابة من مكة يظهر الاسلام ويطلب دية أخيه فلما أخذها أقام غير كثير ثم عدا على قاتل أخيه فقتله ثم خرج الى مكة مرتدا فأهدر رسول الله صلى الله عليه وسلم دمه فقتل يوم الفتح وفى صحيحى البخارى ومسلم ما يدل على أنه صلى الله عليه وسلم أغار على بنى المصطلق على حين غفلة منهم فأوقع بهم فيحتمل فى الجمع أنهم حين الايقاع بهم ثبتوا قليلا وتصافوا للقتال فوقع القتال ثم وقعت الغلبة للمسلمين

وأما قوله (وحالف قريظة الخ) قريظة فيه على وزان جُهَينة قبيلة من يهود خيبر وكذلك بنو النضير قال الجوهرى وقد دخلوا فى العرب على نسبهم الى هرون أخى موسى عليهما السلام منهم محمد بن كعب القرظى اه وفى تاج العروس بعد نقل عبارة الصحاح أما قريظة فأبيروا لنقضهم العهد ومظاهرتهم المشركين على رسول الله صلى الله عليه وسلم

وأما بنو النضير فانهم أُجْلُوا الى الشام وفيهم نزلت سورة الحشر اه وكان بنو قريظة وكبيرهم كعب بن أسد عاهدوا النبى صلى الله عليه وسلم وعاقدوه فلما كانت وقعة الأحزاب نقضوا عهده وصاروا مع الاحزاب عليه فلما نصره الله سبحانه وهزم له الاحزاب سار الى بنى قريظة من فوره فأوقع بهم فى الغزوة المعروفة بغزوة بنى قريظة ولحسان رضى الله عنه فيهم أشعار تأتى فى مواضعها من ترتيب الحروف ويجىء الكلام عليها ان شاء الله مثل قوله

تعاقد معشر نصروا قريشا * وليس لهم ببلدتهم نصير

وغيره (وقوله منا بَرَاء) بفتح الباء والراء تقول أنا منه براء أى برىء وهو لا يثنى ولا يجمع لانه مصدر فى الاصل تقول رجل براء ورجلان براء و رجال براء وتقول أنا الخلاء البراء منهم قال الزمخشرى وتقول أسعد الناس البراء كما أن أسعد الليالى البراء وهى آخر ليلة من الشهر قال

ان سعيدا لايكون غسّا * كالبراء لاتكون نحسا

والغس اللئيم

﴿لسانى صارمٌ لاعيبَ فيه * وبحرى ماتُكَدِّرُه الدِّلاءُ﴾

صارم قاطع والدلاء جمع دلو وهى التى يستقى بها وهى تؤنث وتذكر وفى المصباح تأنيثها أكثر فيقال هى الدلو قال وفى التذكير يصغر على دُلَىّ مثل فلس

وفلس وثلاثة أذل وفي التأنيث ذُلَيَّة بالهاء وثلاث أَذْل وجمع الكثرة الذلاء *
شبه حسان رضي الله عنه لسانه بالسيف الصارم في أنه ينشأ عنه ما يبقى أثره
ويشتد ضرره ويسوء الاعداء ويسر الأوداء بل قد يغلب أثر اللسان على أثر
السيف والسنان قال

جراحات السنان لها الْتئامٌ * ولا يَلْتَامُ ماجَرَح اللسانُ

وشَبه شعره بالنظر الى الكثرة والصفاء وعدم التأثر بنقد النقاد وطعن
الاعداء ببحر بعيد الغور غزير الماء لايتكدر بالدلاء

تحصيل الحاصل

بنى

أيدك الله وأرشدك لكل خير وباعدك عن كل محنة وفتنة ونجاك من كل شر وضير طلبت منى أن أكتب لك ما اشتغلت بنظمه من شعر وغيره أثناء الوحدة فيما ابتليت به من المحنة أثر الفتنة الثائرة فى السنة الغابرة حيث أفردت وجردت من الكتب وأدوات الكتابة فكنت أعمل عمل العميان بالفكر والجنان من غير مشاركة اللسان والبنان إيناسا للخاطر فى وحشة الوحدة وتسلية للنفس فى حدة الشدة الى أن خفف الله ولطف باعادة المصحف الىّ ورده علىّ فكان لى خير جليس وأنيس وأجلّ سمير وعشير فعكفت عليه حتى منّ الله بالفرج من فضله وأقلعت عما كنت فيه من النظم وعمله ونبذته ظهريا وجعلته نسيا منسيا فذهب عن خاطرى الكثير منه غير مأسوف على ذهابه لما عوض الله منه خير العوض من كتابه وسأعلق لك ما علق بخاطرى منه مشفوعا بعضه ببعض البيان اجابة لطلبتك واسعافا لرغبتك وأثبته فى هذه الورقات القلائل مسميا له «تحصيل الحاصل» وقد عرفت وجه هذا الاسم ومغزاه وحسبى الله لاقوة الا بالله ٢١ صفر سنة ١٣٠٠

عبد الله فكرى

(قلت ضابطا لما يزيد عن ٣٠ يوما وما ينقص من الشهور الافرنجية)

في أشهر الافرنج زادت سبعة * عن الثلاثين بيوم تذكر
ينايرُ ومارثُ ومايةٌ * يوليه أغسطس اكطبر
ديسمبر والنقص في فبراير * يوم أو اثنان وهذا أكثر

وكنت نظمت أسماء الشهور الافرنجية كلها على ترتيبها بقولي

شهور الافرنج خذوا ترتيبها * قد جاء في النظم على مأموليه
ينايرُ فبرايرُ ومارثُ * ابريلُ مايه يونيه ويوليه
أغسطس سبتمبر اكطوبر * نوفمبر ديسمبر فادعوا ليه

ونظمتها في مواليا وهو أنسب لكونها أعجمية لا يحسن انسجامها في الشعر العربي خصوصا مع رعاية ترتيبها

شهور الافرنج خذ ترتيبها تفصيلْ * تقول ينايرْ وفبرايرْ ومارث ابريلْ
مايه ويونيه ويوليه قول بلا تطويل * بعدين أغسطس وسبتمبر وا كتوبر
* كان نوفمبر وديسمبر أهي تكميل *

وقلت فيما ينقص منها وما يزيد مواليا أيضا

فبراير النقص فيه يومين في الغايه * أو يوم واحد وسبعه تزيد بيوم غايه
يزيد يناير ومارث وقول كمان مايه * يوليه وأغسطس وا كتوبر وديسمبر
* وبقية الاشهر ثلاثين يا أخلايه *

وذلك لأن السنة الافرنجية ٣٦٥ يوما وهي السنة البسيطة والشهر الثاني منها وهو فبراير ٢٨ يوما وفي كل أربع سنين يكون الشهر المذكور ٢٩ يوما فتصير السنة ٣٦٦ وهي السنة الكبيسة

وأما ما عدا فبراير من شهور السنة فسبعة يزيد كل منها يوما عن ٣٠ فيكون ٣١ وهي يناير ومارث ومايه ويوليه وأغسطس واكطوبر وديسمبر

(قاعدة لمعرفة ذلك)

اذا أردت أن تعرف ما كان ٣١ يوما من الشهور الافرنجية وما نقص عن ذلك فاضمم أصابع يدك اليسرى ومر باسماء الشهور على عقد أسفل الاصابع وما بينها للناتئ منها شهر وللمنخفض شهر فاذا انتهيت الى آخر العقد فارجع من أولها حتى ينتهي عدد الشهور فما قابل الناتئ فهو ٣١ وما وافق المنخفض فهو ٣٠ الا الشهر الثاني فانه ٢٨ يوما وفي كل أربع سنين ٢٩ كما مر

(قاعدة أخرى)

وهي أن تقابل أسماء الشهور بحروف قولك « فاز رجل ختم بحج » فهي اثنا عشر حرفا في مقابلة كل شهر حرف منها على الترتيب من ينابر الى ديسمبر هكذا

ينابر	فبراير	مارث	ابريل	مايه	يونيه	يوليه	أغسطس	سبتمبر	اكطوبر	نوفبر	ديسمبر
ف	ا	ز	ر	ج	ل	خ	ت	م	ب	ح	ج

فما كان في مقابلته حرف معجم متحرك مثل ينابر الذي في مقابلته الفاء ومارث الذي في مقابلته الزاي المتحركان المعجمتان فهو ٣١ يوما وما كان في مقابلته حرف مهمل متحرك مثل ابريل الذي في مقابلته الراء ويونيه الذي في مقابلته اللام المتحركان فهو ٣٠ يوما وما كان في مقابلته حرف مهمل ساكن وذلك شهر واحد وهو فبراير الذي في مقابلته الالف فهو ٢٨ يوما أو ٢٩ كما مر ويغني عن هذا حفظ ما تقدم من الابيات أو الموالي

« وقلت في ذلك مواليا أيضا »

فبراير النقص فيه يومين وتاره يوم * وشهور سبعه تزيد يوم يوم تملي دوم
تزيد ينابر ومارث ومايه ما فيه لوم * يوليه وأغسطس واكطوبر وديسمبر
* وبقية الاشهر ثلاثين في حساب القوم *

« وقلت أيضا »

فبراير النقص فيه يومين أو واحد * وشهور سبعه تزيد يوم يوم للعادد
احسب ينابر ومارث ومايه في الزايد * يوليه وأغسطس واكطوبر وديسمبر
* وبقية الاشهر ثلاثين فوز وكن شاهد *

« وقلت جامعا الشهور القبطية على ترتيبها موالياً »

في أشهر القبط توت بابه وهتور وكيالك * طوبه وامشير وبرمهات خدوا ويالك
برموده بعده بشنس ايالك يفوت ايالك * بعدين بؤنه أبيب مسرى وخمسه النسي
* في كل أربع سنين سته اعرف وحيالك *

« وقلت في ذلك أيضا »

في أشهر القبط توت بابه يجي هاتور * كيالك وطوبه وامشير دول لهم هادور
ورا برمهات وبرموده بشنس يدور * كمان بؤنه أبيب مسرى وخمسه النسي
* في كل أربع سنين سته لجمع كسور *

وبيان ذلك أن أيام السنة القبطية على أن أيام النسي ٥ خمسة تبلغ ٣٦٥ يوما

فتنقص عن السنة الشمسية الحقيقية ربع يوم فيتركون هذا الكسر ثلاث سنين فيتم في السنة الرابعة يوم كامل يضمونه الى أيام النسيء الخمسة فتصير ستة ويتكرر ذلك في كل أربع سنين فهذا معنى قولنا (وخمسه النسي في كل أربع سنين ستة لجمع كسور)

ومما نظمته متوخيا أن يصلح لان يكون من الزجل وأن يكون من الشعر لاختيار تأليفه من بعض الكلمات المبنية والساكنة الاواخر فلا يظهر فيه اللحن الذي ينبو عنه الشعر ولا الاعراب الذي يتجافى عنه الزجل وهو أنموذج لم يسبق لي أن أراه

أشكو الى مولى الموالي القدير * حالي ومالي في البرايا مجير
بالمصطفى الهادي وبالمرتضى * ارحم وفرج كربتي يا خبير
واغفر ذنوبي واستجب دعوتي * وكن نصيري أنت نعم النصير
واستر علينا أنت أولى بنا * منك ابتدا أنا واليك المصير

« وقلت مواليا »

الحمد لله صلينا وسلمنا * وعالنبي الزين صلينا وسلمنا
وبقدرة الله آمنا وسلمنا * يارب نرجوك بالهادي الشفيع فينا
* من كل مكروه آمنا وسلمنا *

« وقلت »

يا بدر ليه بعدده عالعاشقين بتتيه * يكفي بقا بغدده حيرتهم بالتيه
يا نفس في الوعدده كم وجد كابدتيه * وكم لكي ليل مضى في انتظار وعده
* وأنتي على الوعدده في دي البكا باتيه *

« وقلت »

يا نفس روقي وفوقي بس لحه لك * هو كل دا عن وداد الناس لم حالك
كم ليل بتيه تلالي في ظلام حالك * ماحد منّاس(1) خد بيدك دعك منهم
* واشكي لرب السما مِلّي(2) ظلم حالك *

« وقلت »

أهيف من الروم قده يزدري لين آس * في مصر والروم قده ماصفا الى ناس
بعد دين أقول ليه صده صيره لي ناس * في كل حاليه عبده مانسي أنسه
* مين يا ترى ليه صده عن صفا لِيْناس(3) *

« وقلت »

---

(1) من الناس (2) من الى (3) الايناس

أهيف

أهيف بقربه وبعده في هواه أودان * احترت ما عرفت ان كان هو بعيد أودان
أو هو عصى أمر حسادي عليه أودان * سر يا نسيم انت واستعزف لنا بلطفك
* في السر بس أحسن الحيطان لها أودان *

« وقلت »

قل للعذول استفدت ايه انت ويش نابك * عمال تقتل في دقنك بس واشنابك
طول النهار دردشه والله اندوشنابك * وتبات من الغيظ تقرمش على اسنانك
* حتى المنام شتته مناجوش نابك *

« الكلام على المواليا »

قيل أول من نطق بالموالى أهل واسط أو جارية للبرامكة قالته ترثيهم به وجعلت تنشده وتقول يا مواليا وقد كان الخليفة بعد مقتلهم أمر أن لا يرثيهم أحد بشعر أوسمى بهذا الاسم لموالاة قوافيه بعضها البعض أولان أول من استحدثه الموالى (موالى بنى برمك) أولانهم كانوا اذا نعى أحدهم به مواليه قال يا مواليا فهو على الاول (مُوالى) بضم الميم وفتح اللام وعلى ما بعده (مَوالى) بفتح الميم وكسر اللام أو (مَواليَّا) باضافة موالى الى ياء المتكلم وادغام الياء في الياء وزيادة الالف للاشباع ويحتمل[(١)] عدم تشديد الياء تخفيفا ذكر ذلك عصرينا الاديب السيد شهاب الدين رحمة الله عليه قال وهو من بحر البسيط و وزنه واحد على اختلاف تنويع آخر مع قوافيه على وزن فاعل ومفعول وفعّال وفعّل وأفعل وغير ذلك اه وحكى صاحب العقيدة الدرويشية في سبب تسميته وجها آخر وهو أن الجارية التى استحدثته اسمها موالى وأن هرون بعد قتل البرامكة أمر أن لا يرثيهم أحد بفن من الفنون (فنون النظم) الموجودة اذ ذاك وهى (الشعر والتوشيح والدوبيت والزجل وكان وكان والقومه) فلم يجسر الادباء على رثائهم فابتدعت تلك الجارية نظما من البسيط وجعلته رباعيا مقفى بأربعة قواف وتعمدت فيه اللحن حتى لا يعد من الشعر وصارت تنشده في مصارعهم فعلم أمرها وجلت الى

(١) قوله ويحتمل عدم تشديد الياء تخفيفا الخ على تشديد الياء وزيادة الالف بعدها جرى الشيخ خلف الغبارى أحد أئمة هذه الفنون في دور جمع فيه فنون النظم المذكورة من زجل له قال

لك عوارض في الخد مرقومه * ليس لها من مثال
وجفالك صار حماق وباب وصالك * كان وكان يا غزال
وأنت دو بيت موشح القامه * يا عزيز الدلال
ولك ألفاظ صارت مواليا * بالزجل والنشيد
وبشعرك متوج القومه * وأنت بيت القصيد

الخليفة فسألها عن سبب اقدامها على رثائهم مع سبق التحريج فقالت يا أمير المؤمنين هذا ليس من الفنون الموجودة وأنشدته فقال هذا فنك يا موالى فبذلك سمى فن موالى وشاع بين الادباء فنظموا منه وظهرت فيه أوزان أربعة كان هذا الوزن (وزن البسيط) خامسها وصار هذا الفن الذى هو الموالى سابعا للفنون الستة المتقدمة الذكر فصارت سبعة وقد أورد هذه الاوزان الخمسة فى كتابه وفصل الكلام عليها ونحن نلخص كلامه قال أوزان الموالى خمسة لاغير كل واحد منها يتركب من وزنين من أوزان الزجل أولها * تحملوا فى الهوادج * ياجلب ولوا

فهذا من وزنين من أوزان الزجل القسمة الاولى (تحملوا فى الهوادج) وزنها

تحملوا فى الهوادج * أحبتى حين ساروا لله حادى المطايا * ردّ الغريب لاديار وا

القسمة الثانية «ياجلب ولوا» وزنها

ياجلب ولوا * وابعدوا عنه كل من يعشق * يدخل الجنه

(الثانى من أوزان الموالى)

«فى الهند مكتوب يا عشاق فراق يوسف»

فهذا أيضا من وزنين القسمة الاولى وزنها

فى الهند مكتوب فوق صم لاحجار * لاتزرع الخير الامع أهله
وان ردت جوهر فى شخص مكنون * لجوهر الشخص حسن فعله

القسمة الثانية يقال فى وزنها

ياعشاق فراق يوسف * يحزنى بكا يعقوب
من ذاق فى الورى يصبر * للبلوى كما أيوب

(الثالث من أوزان الموالى)

«ياساكنين القصور لو كنت فى بغداد»

وهو أيضا من وزنين القسمة الاولى من وزن يقال فيه

ياساكنين القصور * الآهله العامره غدا تروحوا القبور * الخاويه الداثره

الثانية من وزن يقال فيه

لو كنت فى بغداد * عهدى بكم واثق ومصر ما تبعد * والشام على عاشق

(الوزن الرابع من أوزان الموالى)

«لو أن مائى ذهب * لو كنت فى بغداد»

وهو أيضا من وزنين القسمة الاولى من وزن يقال فيه

لو أن مائى ذهب * ولى مراكب درر ما كان لشمسى كسوف * ولا لجفانى قمر

القسمة الثانية من وزن لو كنت فى بغداد * عهدى بكم واثق

الى آخر ماتقدم (الوزن الخامس من أوزان المواليا)
وزن البسيط انتهى واذا تأملت ماتقدم عليه من الاوزان رأيتها كلها ترجع اليه وتتنوع أواخرها وقوافيها وتختلف باختلاف تقاسيمها على ماسبق واذا أحكمت معرفة هذه الاوزان عرفت ماوافق كلا منها من المواليات المتقدمة فمن الوزن الاول قولنا أهيف من الروم قده * يزدرى لين آس
الى آخره فالقسمة الاولى منه «أهيف من الروم قده» وهى من وزن
«تحملوا فى الهوادج * أحبتى حين ساروا»
والثانية «يزدرى لين آس» وهى وزن
يا جلب ولوا * وابعدوا عنه
ولا يضر عندهم كون ذلك آخره وزان مفعول وهذا آخره وزان فاعل فأنت ترى من هذا فيما تقدم كثيرا ومن الوزن الرابع من أوزان المواليا قولى
«يابدر ليه بعدده * عالعاشقين بتتيه»
فالقسمة الاولى منه «يابدر ليه بعدده» وهى وزان
«لو أن مائى ذهب * ولى مراكب درر»
والثانية منه «عالعاشقين بتتيه» وهى من وزن
«لو كنت فى بغداد * عهدى بكم واثق»
وقس على ذلك واعلم أن المواليات يستعمل فيها الكلمات العامية لفظا وخطا بل يلزم فيها اللحن بل كل ما كانت للمستعمل فى الكلام المألوف بين العامة أقرب كانت أحسن وأنسب وكذا الزجل ونحوه
«وقلت تشطيرا»

(يارب مازال لطف منك يشملنى) * فضلا وان أجل الفضل أدومه
حاشاك مولاى تنسانى وتهملنى * (وقد تجددلى ماأنت تعلمه)
(فاصرفه عنى كما عودتنى كرما) * فأنت أكرم مسؤل وأعظمه
وارحم بفضلك عبدا مذنبا وجلا * (فمن سوالك لهذا العبد يرحمه)

«وقلت»

على ساكنى الجغبوب ألف تحية * يرددها كرّ الضحى والاصائل
وألف سلام يزدرى عرف طيبه * شذا الرند ما تفاريتا الخمائل
على السيد المهدى علامة الهدى * ومهديه فى أقواله والفعائل
فيا ابن رسول الله وابن سليله * سليل الكرام الغر غر الشمائل
ومن بهم ترجى الامانى وتبتغى * فضائلهم مشفوعة بالفواضل

ذكرتك في مستودع الضنك راجيا * شفاعة مقبول الشفاعة قابل
وقد أقلق الخطب الملم مضاجعي * وفزعني من هائل بعد هائل
فأرجوك بالاخوان ما بين نازل * مقيم بواديك الكريم وراحل
وبالشيخ عمران الكريم مقامه * لديك وبالصنو الجليل الفضائل
وبالسيد المولى السنوسي من به * يؤمل كشف المفزعات النوازل
سقت روضه القدسي من صيب الرضا * سحائب فيض موقرات الحمائل
وبالمصطفى المبعوث للخلق رحمة * نبي الهدى الهادي لدين الفضائل
شفيع البرايا جدك الاعظم الذي * أقر عيون الحق مرغم باطل
عليه صلاة الله موصولة العرى * بخير سلام لا يغب مواصل
أولئك من أرجو لديك بفضلهم * وبالله اسعافي بخير الوسائل
وان أك قد أخطأت فالعبد مذنب * وشأن الموالي العفو عن كل جاهل
ومثلك من يعفو ويصفح محسنا * لمثلي والاحسان دأب الاماثل
عليك سلام ما تغنى ابن أيكة * على فرع مخضل الذرى غير ذابل
وما رنحت غضا من الروض ناضرا * بنان نسيم من صبا وشمائل
ولا زالت الآمال تزجي ركابها * اليك فتقريها لبانة آمل

وقلت بناء على طلب حضرة أحمد بيك كامل تاريخا لمولد بنته نجيبة وقد وافقني آخر مدة الشدة

لاحمد كامل ولدت بخير * كريمته مبشرة ببشر
بنصف الشهر من شوال وافت * ليوم خميس إسعاد وبر
فقال اليمن والاقبال أرخ * نجيبة كامل ولدت ليسر
سنة ١٢٩٦ ٤٦٥ ٩١ ٤٤٠ ٣٠٠

ونظمت المذكرة الواردة منك لأستغني بحفظها بالغيب عن حفظها في الجيب خيفة أخذها كما حصل لغيرها

في رابع من شهر شعبان صدر * لراغب أمر بعفو انتشر
وأعلنت بنصه الوقائع * في عدد أضمرت وذا الشائع ١٤٤١
عفو عمومي غدا مؤكدا * عما الى ضابط مصر وردا
بالسلك في رابع عشره ورد * اذ يونيه بالنون لامهما انفرد ٣٠
أمر أذاعه المفيد نشرا * في عدد بين كان يتلى جهرا ٦٢٠

وهكذا

وهكذا أكده النيشان * لاحمد أرسله السلطان
هذا وقبل ذاك فى البدايه * بجلسة النظار عشر مايه
عارضتهم فى طلب النوّاب * وقلت هذا ليس بالصواب
واننى أرى بان لايجمعوا * الا بأمر الخديو يتبع
حسب الذى قد قررته اللائحه * بجمل بينة وواضحه
ثم طلبت نصه فى المحضر * مثبتاله بقيد الدفتر
مؤمّلا أن يرجعوا اليه * وأن يعوّلوا معى عليه
وكان قد وافقنى فى فهمى * ذو الخارجية المسمى فهمى
ثم تلاه ناظر الماليه * لكن قضت بالضد أغلبيه
وجاء فى قانونهم مسطرا * فى بند واحد وعشرين يرى
ان قررالنظار أمرا يحصل * مخالفا لما عليه العمل
من القوانين أو اللوائح * مرعية الاجراء فى المصالح
فهم لدى النوّاب مسؤلونا * مشتركون متكافلونا
وجاء فى التالى له مقررا * بان كلا من جميع الوزرا
كذاك مسؤل بحد صفته * عن كل مايجريه فى وظيفته
وجاء فى قانوننا العثمانى * أى الاساسىّ البديع الشان
فى بند يد[١٤] أن كل من نظر * أمرا به أو بالعموم قد أضر
واحدا أو أكثر كان الرائى * له بذاك حق الاشتكاء
بعرض انهاء بوصف مدّعى * لمجلس يريده أو مرجع
وبند طف[٨٩] منه حتما يمنع * محكمة أو قومسيونا يجمع
مما عدا المحاكم المنصوصه * للفصل فى مسائل مخصوصه

وقلت جامعا أسماء سور القرآن الكريم

الحمد لله مصليا على * على نبيه مسلما مبجلا
وبعد فاسمع نظم أسماء السور * موافقا ترتيبها نسق الدرر
مبينا فى سور المفصل * أواخر الاجزاء بالنص الجلى
فالاول الفاتحة المطهره * وثنيت وقد تلتها البقره
وآل عمران النسا والمائده * أنعام الاعراف كلٌّ فائده
أنفال التوبة ثم يونس * هود و يوسف الجميع يونس
رعد وابراهيم حجر نحل * اسراء الكهف بنصف تتلو

مريم طه الانبيا الحج تلى * والمؤمنون النور فرقان تلى
والشعراء النمل بعدها القصص * والعنكبوت الروم لقمان تنص
سجدة أحزاب سبا وفاطر * يس والصافات صاد الزمر
ومؤمن وفصلت مواليه * شورى وزخرف دخان جاثيه
أحقاف القتال والفتح جلى * والحجرات أول المفصل
قاف تلتها الذاريات فاعلما * واخر الجزء لدى قال فما
والطور والنجم وبعدها القمر * وسورة الرحمن فى نظم السور
ويتبع الواقعة الحديد * وهى ختام الجزء لا يزيد
قد سمع الحشر كذا الممتحنه * والصف والجمعة كل حسنه
منافقون والتغابن الحتم * ويتبع الطلاق تحريم وتم
الملك نون حاقة وسألا * نوح وجن واقرأ المزملا
مدثر قيامة وهل أتى * والمرسلات آخر الجزء أتى
عم تليها النازعات الاعمى * تكوير ثم الانفطار حتما
مطففون وانشقاق يتلى * ثم البروج طارق والاعلى
غاشية والفجر بعدها البلد * والشمس والليل اذا يغشى ورد
ثم الضحى والانشراح التين * وعلق والقدر يستبين
قيمة زلزلة متابعه * والعاديات قد تلتها القارعه
تكاثر والعصر ثم الهمزه * والفيل بعدها قريش محرزه
والدين ثم كوثر فلتتلو * والكافرون ثم نصر تتلو
تبت كذا الاخلاص تتلوها الفلق * والناس ثم الحمد لله صدق
وأفضل الصلاة والسلام * على النبى الفاتح الختام
وآله وصحبه الكرام * والحمد لله على التمام

(وقلت ناظما الرموز التى توجد فى المصاحف الشريفة مع بيان المراد منها)

الحمد لله يقول فكرى * مصليا على لسان الذكر
هاك رموز المصحف الشريف * فانها تحتاج للتعريف
وجدتها فى مصحف ذى ضبط * بخط عثمان امام الخط
من ذلك الرمز لاجل الوقف * روما لكشف ماله من وصف
ميم وجيم قف وزاى قاف * صاد وطاء ثم لا وكاف
فالميم للوقف المسمى لازما * حيث يرون الوقف حتما لازما

وهو الذي يكون حيث المعنى * بوصلك اللفظ ينال وهنا
وقال بعضهم يخاف الكفر * من وصله فحق منه الحذر
وهو ضعيف عند أهل النظر * والقول ما قد قاله ابن الجزرى
﴿وليس في القرآن من وقف وجب * ولا حرام غير ماله سبب﴾
والجيم للجائز حيث الوقف * أولى وجاز الوصل فاعرف واقفو
وقف شبيه الجيم والمجوز * اليه بالزاى لديهم يرمز
وهو الذي يكون حيث الوصل * أولى بعكس ما ذكرنا قبل
والقاف رمز وقف بعض القرا * أي قيل والوصل لديهم أحرى
والصاد من مرخص قد تقتبس * حيث يحق الوقف ان ضاق النفس
والطاء للمطلق وهو ماسلم * من قيد وصف كلزوم قد علم
ولا لترك الوقف نهى فصلا * وان وقفت فأعد لتصلا
مالم تكن برأس آية فلا * تعد اذا وقفت وامض مقبلا
والكاف رمز لكذا فحيثما * وجدت فانظر حكم ما تقدما
فالحكم في موضعها كالحكم في * سابقه بوضعها قد اكتفى
ثم لهم في عدد الآيات * أيضا من الرموز ماسياتى
للخمسة الآيات هاء ترسم * وكل عشر رأس عين يرقم
هذا لدى اتفاق أهل البصرة * في عدد الآى وأهل الكوفة
أما اذا ما اختلف الجمعان * فلفريق الكوفة الرمزان
والرمز للبصرى للخمسة خب * حينئذ كذاك للعشرة عب
وتب لرأس الآى للبصرى * مخالفا لمذهب الكوفى
ولب بعكس ذاك في الافهام * والحمد لله على الاتمام

(المـــــراثى)

قد رثت المرحوم الجرائد التى تطبع بالقطر المصرى عربية وافرنكية كما رثته الجرائد التى تطبع خارج القطر مما لها بالقطر علاقة وقد رثته أفاضل الشعراء والادباء أيضا بقصائد كثيرة جدا

ولنقتصر هنا بالنسبة لمراثى الجرائد على ماذكرته «الوقائع المصرية» وبالنسبة للمراثى الشعرية على بعض ماعثرنا عليه منها مرتبة على حروف المعجم مقدّمين لمن ذكرنا مراثيهم الشكر ولمن لم نذكر العذر

جاء «فى الوقائع المصرية» الصادرة بتاريخ ١٦ ذى الحجة سنة ١٣٠٧ الموافق ٢ أغسطس سنة ١٨٩٠ بالعدد ٨٤ مانصه

(انا لله وانا اليه راجعون)

لقد رزئ العلم وأهلوه والفضل وذووه بموت صاحب السعادة العالم الفاضل عبد الله باشا فكرى ناظر المعارف العمومية سابقا عقب مرض ألمّ به أياما ولم ينجع فيه العلاج

كانت وفاته رحمه الله تعالى قبل الظهر من يوم الاحد عاشر ذى الحجة سنة ١٣٠٧ هجرية فى بيته بشارع الحلمية الكبير ولما طار خبر نعيه تقاطرت على منزله الوفود من كل صوب ومكان فاجتمع اليه كبار العلماء الاعلام وأعاظم الذوات الكرام وكثير من الموظفين والوجوه والمعتبرين للاحتفال بتشييع جنازته على مايجب من التوقير والاجلال

وقبيل العصر من ذلك اليوم خرجت الجنازة من البيت وأمامها مشايخ الطرق والسجاجيد يذكرون ويهللون ويليهم حملة القرآن والمصلون على النبى صلى الله عليه وسلم ثم من ذكرناهم قبل يمشون الهوينا بوقار عظيم كأنما على رؤسهم الطير بادية عليهم آثار الحزن والخشوع ثم سرير الجنازة محمولا على الاعناق وكلما مرت الجنازة فى أحد الشوارع تسابق من فيه الى الانضمام مع المشيعين حتى صار المشهد فوق مايمكن من الوصف شأن ذوى الفضل وأهل العلم ممن سبقوه الى دار النعيم والرضوان وكان الحال كذلك الى أن صلى عليه وأنزل قبره بقرافة المجاورين وفرقت

الصدقات على الفقراء والمساكين ورجع الناس آسفين محزونين كأنما دفن كل واحد منهم أعز الناس اليه وليس ذلك بغريب فقد كان رحمه الله رجل العلم والادب كريم الحسب والنسب عاقلا كاملا جليلا فاضلا يعرف الناس منازلهم ان عاملهم جاملهم وقورا طيب الاخلاق واسع الحلم ضمّ جليل العمل الى شرف العلم فحُبّب لكل طبقات الناس خصوصا أفاضل العلماء وأكابر الكرماء نفع بجده واجتهاده العلوم العربية ولغتها الشريفة وأعان على تقدم آدابها بكتاباته ومنشآته وتآليفه الغريبة المثال السهلة المنال وفوق هذا فقد كان رحمه الله صادقا فى خدمته للحكومة السنية مخلصا لولى أمرها أدامه الله غيورا على مصالحها كما تشهد له كل وظائفه التى قلدها فى أيام حياته

نقول ذلك بغاية الاختصار فان فضله كان أشهر من أن يذكر ومناقبه أعلى من أن تحصر رحمه الله رحمة واسعة وأفاض على أهله وأنجاله وأوداته عظيم الصبر وعزاهم على مصابهم فيه العزاء الجميل

(وقال حضرة الفاضل حفنى بك ناصف القاضى بمحكمة طنطا الابتدائية الاهلية)

ليدّعِ المدّعونَ العلم والأدبا * فقد تغيب عبد الله واحتجبا
ولينتسب أدعياء الفضل كيف قضت * آراؤهم اذ قضى من يحفظ النسبا
وليفخر اليوم قوم باليراع ولا * خوف عليهم فمن يخشونه ذهبا
وليرق من شاء أعواد المنابر اذ * مات الذى يتقيه كل من خطبا
لو عاش لم يطرق الاسماع ذكرهمو * فى طلعة الشمس من ذا يبصر الشهبا
لا تعترض دولة الآداب أن وسمت * بالرأس من كان فى أيامه ذنبا
كل الانام ايوث بعد عنترة * وبعد عبلة كلّ العالمين ظبا
فليسْمُ من شاء بالانشاء لا عجب * مضى الذى كان من آياته عجبا
طود من الفضل من بعد الرسوخ هوى * وكوكب بعد أن أبدى الهدى غربا
وخضْرم غاض لما فاض زاخره * وضامر أدرك الغايات ثم كبا
وشامخ من مبانى العلم قوضه * صرف الزمان فأمسى فى الهواء هبا
وجنة عصفت ريح المنون بها * وظافر ظُفُر البلوى به نشبا
ما للعلى انشق فى آفاقها قمر * وهول ساعتها ما باله اقتربا
وما لابكار أفكار الهدى اختبأت * وما لمصباح مشكاة الفلاح خبا

وما الأحكام أحكام البيان قضى * نحباً وتحبير نحرير ترثه انتحبا
وما اليانع أفنان الفنون ذوى * والعلم كم علم في جوه انقلبا
وما الجارية الاقلام قد وقفت * وما الأطواقها منشقة غضبا
وللمحابر مما تشتكي لبست * ثوب الحداد وما في نهرها انضبا
وللدفاتر صكت وجهها جزعا * وللمتارب تشكو كفها التربا
وما رقة حسن الخلق منشدة * ردوا على جفني النوم الذي سلبا
فهل عرا الكون خطب غير منتظر * يستغرب الامر من لا يعرف السببا
أجل فقد مات عبد الله وا أسفا * وأوحشت مصر من فكري فوا حربا
فكل نفس لمنعاه شكت وبكت * وكل فكر بفكري ماج واضطربا
محالف العلم من عهد الصبا شغف * بنشره كلما امر الزمان صبا
باللطف واللين والدين الرصين له * مقام سبق عليه قط ما غلبا
ما روح النفس بالدنيا مفاكهة * الا قضى من فروض الدين ما وجبا
قضى الحياة ونصر الحق دينه * لا ينثني رهبا عنه ولا رغبا
وكان مغرى بفعل الخير يحسب في * اسدائه أنه قد أدرك الأربا
اذا ادلهمت دياجي المشكلات له * رأى يسهل منها كل ما صعبا
أي القوافي اذا رام القريض عصت * وأي مستغرب عن فكره حجبا
وأي سحر دعاه نثره زمنا * وأي حسن عداه شعره فأبى
يستعذب الصدق في أشعاره أبدا * وان يكن عذب أشعار الورى كذبا
حلاوة ما على من ذاقها حرج * في دهره أن يعاف الشهد والضربا
ورقة تخلب الألباب لو عرضت * على الندامى لصدوا الراح والحببا
يستسهل المرء من بعد مناصبة * لها وتوسعه ان رامها نصبا
مواهب ترجع الآمال عاجزة * عن دركهن فسبحان الذي وهبا
كم كان يطرف بالآداب سامعه * فلا عدل ولو أصغى له حقبا
تحوي عباراته ما شاء من نكت * بديعة تبعث الاعجاب والطربا
فوائد كلها في بابها طرف * في جنبها تستقل الدر والذهبا
ان لم يسر بني الافرنج منطقه * فالفرس قد سرها والترك والعربا
وما التعقل موقوف على لغة * ولا الغرائب مخصوص بها الغربا
هذي مآثره الغراء شاهدة * بأنه خير من وشى ومن كتبا
جاب الحجاز وأرض الروم مرتحلا * شرقا وغربا يسير الوخد والخببا

فالشرق يبحث فيه عن عجائبـــه * والغرب يجيم منه النبع والغربا
وبان فى مجمع استكهلم أن له * شأنا اذا قام حرب البحث وانتشبا
وابيض مابين أفواج الوفود لنا * وجـــه وصار لنا بين الرجال نبا
جزاه اسكار مولاها نشـــان علا * وليس يجزى امرؤ الاعما كسبا
وطالما أجزل المولى الخـــديوله * فضــلا ووالى له الآلاء والرتبا
لا كان عيـــد رأينا صفوه كدرا * بفـــقده وانثنت راحاته تعبـــا
ولا غداة أطارت نعيـــه فغـــدا * كل امرئ بدم الاجفان مختضبا
أودى فأية نفس لم تذب حزنا * وأى طرف لهـــذا الرزء ماسكبا
سارت جنازته والعـــلم فى جزع * والفضـــل يندبه فى ضمن من ندبا
يحق أن متون العـــلم تحمـــله * فهو الذى ماشكا فى حملها وصبا
صـــبرا بنيه فهـــذا الدهر سنته * أن لا يحب بأن يلفى ســـواه أبا
لبى دعاء شـــعوب والكريم يرى * حقا عليـــه قرى الداعى بما طلبا
فى حيرة الله فى دار النعيم ومن * يحلل بهـــا يبلغ الغايات أو كربا

(وقال حضرة الاديب الاريب أحمد افندى سمير الاستاذ بالمدرسة التوفيقية الآن)

من لصـــوتى اذا دعوت يجيب * وأنا اليوم فى الشآم غـــريب
ما كفانى خطب التباعد حـــتى * داهمتنى من الرزايا خطوب
نقـــل الناقلون عن مصر أمرا * دونه حسرة تذوب القـــلوب
خـــبرونا بانه مات عبـــــد الله فكرى وذاك رزء عصـــيب
بالقومى ماذا الذى قـــد دهانا * فيه أم ما الذى جنتـــه شعوب
فكـــأن الزمان فيما رمانا * ظن أنا للعـــاديات نصيب
ليس والله للسرور محـــــل * بعـــد هذا فالكل عان كئيب
أيهـــا الناس ان هـــذا مصاب * جلل قد عرا وخطب مريب
ظهرت منـــه فى العيون قروح * وبدت منه فى القـــلوب ندوب
مات ذخر الرجال للـــدين والدنـــيا على أنه الحسيب النسيب
مات صـــدر الصدور فى كل ناد * وهو منـــه لدى اللقاء رحيب
مات مـــن كان للعـــلوم مليكا * تاجها فوق رأســـه معصوب
كان للترك جنـــــة ولاهل النحو ذخرا فكل اليه ينيب

شمس علم فى أفق مصر تبدت * فأضاءت ثم اعتراها الغروب
فازمما أراده بالمعلّى * وكفى غيره هنالك الرقيب
أعظم الله أجرنا منه فمن * لا نراه بعد الذهاب يؤب
غاب عنا بجسمه وهو باق * بيننا باسمه فليس يغيب
كم طبيب سعى اليه ولكن * ساعة الموت لا يفيد الطبيب
كل حيّ وان أقام بعيدا * فهو من طارق المنون قريب
ان صبرنا لموته أو جزعنا * فسهام القضاء حاشا تخيب
أو بكينا لفقده وانتحبنا * هل ترى ينفع البكا والنحيب
ذهب العلم والكمال جميعا * وقضى الفضل وانطوى التهذيب
همة دونها السماك وعزم * زانه حزمه ورأى مصيب
ومقال تبارك الله سهل * وبيان يحار فيه الاديب
ويراع اذا تحرك فوق الطرس * فداه كاتب وخطيب
وجلال وحكمة وكمال * وجناب عال وقدر مهيب
ما علمنا له عدوّا فقدنا * رقما وهو للقلوب حبيب
سوف تروى آثاره الغر عنا * أمم بعد موتنا وشعوب
أى حر من بعده يتمنى * لذة العيش أوله يستطيب
ولقد عم رزؤه الناس حتى * كاد من هوله الصغير يشيب
والليالى لاجله فى حداد * فهى سود كأنها المكتوب
يا أمير العلوم حييت القبر * ونعم المحبب المطلوب
إنّ جمر الهموم فى كل قلب * منذ فارقت حينا مشبوب
والدياجى طويلة ساور الانفس * فيها من الكروب ضروب
كلما خلت أن سيرقأ دمعى * سال منى بالرغم وهو صبيب
وأرانى لم أبك غيرك ميتا * واذا كان قد جرى فأتوب
تلك حالى بين الورى ومقامى * فيهم بعد أن رحلت عجيب
قد أساء الرثاء من لم يؤرخ * مات فكرى فلا حياة تطيب

سنة ١٣٠٧   ٤٤١   ٣١٠   ١١١   ٢٤   ٤٢١

(وقال حضرة الفاضل مصطفى بيك نجيب وكيل أقلام الادارة بنظارة الداخلية)

متى يستفيق الدهر ثم يتوب * فقد طال من عادى الزمان وثوب

وكم أترعت كفاه كاساً من الأسى * تفيض لها الارواح حين تغيب
وكم من سهام راشها إثر أسهم * لها نازع عن قوسه وجذيب
ألا ما لربع العلم أصبح خاليا * وللبوم فيه من صداه مجيب
وما للمعالى أظلمت طرقاتها * فلا يهتدى فيها الغداة طليب
وما لشموس الفضل عنا تحجبت * وطال لها بين الظلام مغيب
أتدرى الليالى أىّ سهم رمينه * وأىّ فؤاد فى الانام تصيب
وأىّ بناء هدمت شرفاته * على أنه فوق السماك طنيب
تصاممت عن نعى النعاة مغالطا * ألا انما يوم النعاة عصيب
أجاحدهم عل المنية أخطأت * وللقلب منى زفرة ووجيب
ونفسى شعاع غاب عنها وقارها * على أن عودى فى الخطوب صليب
وعينى سفوح بالدموع كأنها * تعلم صوب المزن كيف يصوب
أبعدك عبد الله فكرى مسامر * سميع لانباء الكرام طروب
وهل بعد عبد الله أحظى بمنهل * من الفضل يصفو ورده ويطيب
وأرسل طرفى رائدا فى عصابة * من الناس أبغى بغية فأصيب
طوى الموت منه بردة تحت وشيها * (خبير بادواء الزمان طبيب)
وقور حليم ألمعىّ مسدد * له فوق ادراك العقول رقوب
أوارث علم الاولين بكسبه * لقد حزت ما لم يستطعه طلوب
وأدركت بالسعى المحامد والعلى * وما كل ساع للعلاء كسوب
أذعت لهم ذكرا يضوع حديثه * ففى كل ناد منه يفغم طيب
وأحييت مجدا لا انقضاء لذكره * فيخلق ثوب الدهر وهو قشيب
فيا أيها الثاوى المقيم بفضله * ويا أيها النائى وأنت قريب
أقمت من الآداب نهجا مسددا * قويما فكل فى الرثاء أديب
فكنت حياة الفضل حيا وميتا * كأنك خضر الفضل ليس تغيب
فواها على الآداب أدرك شمسها * كسوف يرد الطرف حين يصيب
وواها على بحر المكارم والنهى * تعاوره بعد المزيد نضوب
وواها على روض الفضائل قد ذوى * وصوّح بعد الخصب فهو جديب
وواها على الاقلام بعد مثقف * بحد الخطوب الفادحات لعوب
فكم أثمرت فى روض عليائه عندما * سقاها سحاب من حجاه سكوب

وكم ضحكت فوق الطروس تطربا * وقد كان فيها بالمداد قطوب
وفلت حدود الباترات شباتها * بعزم وعن وخز السنان تنوب
وخلد آثارا بها مستفيضة * وأبناء صدق ما لهن ضريب
فمن مثل عبد الله والفضل ناطق * بمجد علاه والزمان خطيب
عزاء بني فكري على ما رزئتمو * وصبرا فكم تحت التراب حبيب
فقيدكمو عم الافاضل رزؤه * فللكل من هذا العزاء نصيب
ففي كل صدر أنة وتوجع * وفي كل قلب لوعة ولهيب
الى الله يوم العيد سار وانه * سميع لاحكام الاله مجيب
سقى قبره هام من المزن رائح * وغاد بمذخور الثواب صبيب
له شاهد عدل على باعث الأسى * وبينهما خفق الرياح نحيب
ووافاه من مولاه أوفى تحية * تحمل رياها صبا وجنوب
تقبل أمين الود أنة موجع * فانى بأسباب الاخاء نسيب
ولا تحسبني غافلا عن فريضة * ولو أن صرف الحادثات عجيب

(وقال حضرة الفاضل أمين افندي شميل المحامي لدى المحاكم الاهلية وصاحب جريدة الحقوق)

مالي أرى الدهر هجرت الدار والصحبا * يا من بعادلك أبكى الروم والعربا
لئن بكيناك نبكي اليوم خير أب * نبكي الذي فقده قد يتم الادبا
نبكي الذي غرست أفكاره دررا * في عسجد وجنت أقلامه رتبا
عبد ولكنه لله ما كسبت * عيناه وا كتسبت أعماله حسبا
دعوه فكري لما قد حاز من فكر * بالفضل سامية فاختار ها نسبا
نبكي الخليل أبا الشعر الذي بسمت * له المعاني ولم تختر سواه أبا
نبكيه سحبان من دانت له وسمت * به الفصاحة ان أوما وان خطبا
نبكي به الجود نبكي الحلم دون هدى * نبكي البكاء اذا ما الدمع قد نضبا
ما آثر عربيات وجدن به * فخرا وقد خسرت من فقده لقبا
نعم له حي ذكر لا يموت ولا * يموت من ملأت آياته الكتبا
لكن من قال ان الذكر منزله * منا كمنزله فينا فقد كذبا
ان الجواهر لا يعتاض فاقدها * بغيرها وثمين الدر قد سلبا
فكري لنا كان فخرا يوم كان بنا * حيا ويبقى لنا فخرا وان ذهبا

قالوا دفناه قلنا ذاك ممتنع * لايحجب الترب بحرا ذوب التربا
أو كيف يحجب من أنواره سطعت * قطبا به يهتدى والليل قد غلبا
ثم دفنتم بقاياه التى نثرت * من جوهر يخرق الاجرام والحجبا
انا لنحسد قبرا كان نازله * ترباوكم من تراب يفضل الذهبا
لا غرو ان لنا فى خطبه عجبا * وان لبثنا على هذا فلا عجبا
ان الجواهر لا تفنى وان خفيت * فعنصر النور لا يفنى وان غربا
هذى تآليفه فى الارض ناطقة * بفضله بين ظهرينا وفى الغربا
مامات من أصبحت هذى مآثره * وقام يخلفه من نفسه عصبا
نجل أمين بحبل الله معتصم * يا أسعد الناس من أضحى له نسبا
سعى الحمام الى نفس فراودها * فاستاقها بغتة بالغدر وانقلبا
قضاء رب ولا استئناف يوقفه * لا يسلم المرء منه أينما هربا
يا يوم فيه أتانا نعيه غلسا * يوما من اليأس أعيا شرحه الخطبا
يوما رأيت سوارى النور كاسفة * فى ليله ومحيا الكون مكتئبا
وكل ساع لاعدام الوجود له * يدبها يسلب المسلوب والسلبا
وحوله خشع يدعون ربهم * له ورب العلى لم يستجب طلبا
كانت مشيئته أن لا يدوم لنا * فقيدنا فاصطفاه اليوم وانتجبا
يعيضه دائما عن زائل فكذا * قضت ارادته فاختار ذا سببا
أراده لديار الخلد منتدبا * إياه منا فلبى الامر وانسحبا
وقال يا عبد لجها اليوم مغتبطا * كل عباد جنت عيناه وا كتسبا
فيها لكم جنة من كل فاكهة * زوجان قد ملئت من كل ما عذبا
من يكره الموت ميلا للحياة فما * هذا بها شغفا لكنه رهبا
ما قد خصصت عبادى من أطايبها * لم يأت فى فكر انسان ولا كتبا
ولا رأت ذاك عين لا ولا سمعت * أذن له قبل هذا اليوم قط نبا
يا عبد لجها أمينا بالسلام وعش * فى صفوها خالدا رغدا ولا حربا
لكم بها كل ما تبغون من أمل * ومن نعيم فان الحق قد وجبا

(وقال حضرة الفاضل السيد محمد على الببلاوى وكيل الكتبخانة الخديوية)

قصيدة رثائية فى علامة القطر وامام أهل العصر ساكن الجنات المرحوم عبد الله باشا فكرى

الناس أضياف بهذا الوجود * والعمر أحلام قصير الهجود
والموت رام محكم سهمه * أغراضه الصيد كرام الجدود
كفارس ندب له سطوة * من بأسها تعنو كبار الاسود
لكنه مذ رام فكرى أتى * وماسعى الابرسم الودود
السيد الشهم الهمام الذى * قد عاش محمودا بسير حميد
ما مثل عبد الله فيما أرى * ولا يرى الرائى وفى العهود
قد كان بحرا للندى زاخرا * وكان حبرا للطالب المستفيد
وكان فى أيامه عادلا * يعبد مولاه ويرضى العبيد
وكان فى ذا القطر غوثا به * تبلغ مصر فى العلا ما تريد
من للبلاغات ومن بعده * قد خمشت منها ورود الخدود
وأصبحت تعرب عن مضمر * من حزنها مذ مات هذا الفريد
ورسم أبكار المعانى عفى * وقوض القول البديع المشيد
والكتب لما مات قد عطلت * من لؤلؤ النثر ودر القصيد
وظلت الاداب تبكى على * فقدانه اذ مالها من مريد
قضى فأهل العلم قد أصبحت * تجود من أجفانها بالكبود
فانه كان لهم ملجأ * تأوى له عند اشتباك البنود
يقوم بالتوضيح فى معضل * يحجم عنه كل قرم شديد
فكم له فى الفضل سبق علا * وكم له فى الفصل رأى سديد
ياحسرة العلم على موته * وضيعة الآمال بعد الفقيد
أيعلم القبر عن حله * وأنه خدن التقى والسجود
قد أسعد القبر كما أننا * لم نلف فى بشر ولا فى سعود
لكنه ما مات من بعده * نجل أمين بل حليم رشيد
قد ماثل الوالد فى وصفه * فأحرز السبق برغم الحسود
قد أسبغ الله لفكرى الرضا * فنال فى الجنات عذب الورود
والحور من أنس به أرخت * فكرى له عيد بدار الخلود

٦٧١ ٢٠٧ ٨٤ ٣٥ ٣١٠ سنة ١٣٠٧

وقال

(وقال سعادة الاخ المفضال اسمعيل صبري باشا محافظ الاسكندرية الآن)

ان الليالي من أخلاقها الكدر * وان بدالك منها منظر نضر
فكن على حذر مما تغر به * ان كان ينفع من غراتها الحذر
قد أسمعتك الليالي من حوادثها * ما فيه رشدك لكن لست تعتبر
ان كنت ذا أذن ليست بواعية * قل لي بعيشك ماذا تنفع العبر
للدهر لو كنت تدري هول منطقه * وعظ تردده الآصال والبكر
يا من يغر بدنياه وزخرفها * تالله يوشك أن يودي بك الغرر
ويا مدلاً بحسن راق منظره * للقبر ويحك هذا الدل والخفر
تهوى الحياة ولا ترضى تفارقها * لكن يحاول وردًا ماله صدر
كل امرئ صائر حتما الى جدث * وان أطال مدى آماله العمر
أبعد أن بات عبد الله مرتهنا * تحت الثرى يرتجى صفو وينتظر
ياويح من أودعوه القبر هل علموا * أن المكارم كانت بعض ماقبروا
قد غيبوا ماجدا كانت مناقبه * بها الزمان اذا مازل يعتذر
وعطلوا من ربوع العلم أندية * كانت بعليائه يوم الفخر تفتخر
مضى وخلف فينا من فضائله * بدائعا يجتليها السمع والبصر
برغم أنف المعالي يا ابن بجدتها * ان غيبت شخصك الايام والغير
تفدي النفوس حياة منك غالية * لو كان يدفع عنها بالفدا ضرر
قد أصبحت ظلمات الجهل حالكة * لما تغيب عن آفاقنا القمر
ياعين جودي بمنهل الدموع على * من كان ذخرا لريب الدهر يدخر
أوفا سألي الله سلوانا ومصطبرا * ان كان يجمل سلوان ومصطبر

(وقال العلامة الفاضل والجهبذ الكامل المحقق المدقق اللغوي الشهير الاستاذ الكبير حضرة الشيخ محمد محمود الشنقيطي نزيل مصر الآن)

أمين ياخير فتى يا ولدي يا ابن أخي في الله وابن خالدي سدد الله تعالى بك ثلمتين في ثنايا الفضل والمجد صارتا أي ثلمتين وعلمتين في علميي شفاههما عادتا أي علمتين أما بعد فسلام عليكم في العالمين انا كذلك نجزي المحسنين

ما ان يزال المرء * حيا مبتا حتى يكونه
ولقد يرجى ما يحب * بلوغه فيموت دونه

أمن المنون وريبه تتوجع * والدهر ليس بمعتب من يجزع

أتجزع ان نفس أتاها حمامها * فهلا التى عن بين جنبيك تدفع

أيتها النفس أجملى جزعا * ان الذى تحذرين قد وقعا

هى النفس ما حملتها تتحمل * وللدهر أيام تجور وتعدل

شكا وشكت ثم ارعوى بعد وارعوت * وللصبر ان لم ينفع الشكو أجمل

هذا وان من سنة الخلف رثاء كملة السلف وعلى من أكل مرثية أخى فى الله أبيك الوالد مستغنيا بالطارف من مآثره الحسنة عن التالد هذا وانه قد تجارت وتبارت قبلنا حلبة الرثاة والنشاة فى ميدانها وتناضلت وتعاظلت وانتضلت بالشعر والكلام النثر حول راية الخصل المصاقع والمفلقون من فرسانها ومن المعلوم أن فى الرثاء الغث والسمين والودع الكاسد والدر الثمين وأن من النشاة والرثاة من يتكلم قبل أن يتعلم ومن يتعلم ولا يتقن ولا يحسن أن يتكلم وأن فى خيل الحلبة الاغر المحجل والابلق والبهيم والكميت والسابق والمجلى والمصلى واللطيم والسكيت وعند الامتحان والرهان يكرم المرء أو يهان وحين قام الناعى فأسمع داعية النعى أنشد لسان حال القلم الجواد غير ذى تلعثم ولا عى

قام النعى فأسمعا * ونعى الكريم الاروعا

وقد وجدت مكان القول ذا سعة * فان وجدت لسانا قائلا فقل

أنت لها منذر من بين البشر * أنت لها اذ عجزت عنها مضر

راية مجد رفعت فمن لها * نحن حويناها وكنا أهلها

لو ترسل الريح لجئنا قبلها

قد سبق الجياد وهو رابض * فكيف لا يسبق وهو راكض

وتسعدنى فى غمرة بعد غمرة * سبوح لها منها عليها شواهد

اذا شاء أن يلهو بلحية أحمق * أراه غبارى ثم قال له الحق

ثم أنشأ يسوّد بياض وجوه الطروس راقا عليها بعطر النقس تمثال عروس مرات أيما عروس متمثلا من الامثال لا عطر بعد عروس فخرجت على المرائى فى زينتها لا تشينها هجنة ولا لكنة ولا توليد ولا تقليد متسلبة فى ثياب من البلاغة

والاعجاز

والاعجاز متردية بسلاب من الفصاحة والايجاز صائلة قائلة في معرض حلبة المراثي أنا المجلية لا المصلية حاكية متمثلة نحن اللاحقون السابقون إلا أن حظية فلا ألية ثم برزت متبرجة قد جاءت بحسن البداوة من حسبها ونسبها وهذه مرثيتنا تنطق عليكم بالحق وتعرب وتجادل عن نفسها

أبعد إمام الناس في النظم والنثر * يروم اعتياضا منه معدم أو مثر
فلو كان عبد الله يفدى فديته * بما قد ملكت من قليل ومن كثر
فلو كان عبد الله يفدى فديته * بيلق الجياد الجرد والعكر الدثر
فلو كان عبد الله يفدى فديته * بألف امام لا قريش ولا بشري
ولكن عبد الله قد حب ربه * فلباه اذ ناداه هلم الى القبر
مضى فكر لا يلوي على متعذر * الى الله لم يؤبن بعكر ولا غدر
مضى في سبيل الله فكري مبرأ * من السوء لم يلمز بسكر ولا كفر
مضى في سبيل الله فكري مسلما * من الهون لم يغمز بناب ولا ظفر
مضى في سبيل الله فكري مكرما * بعصر عزيز لم يغرب الى ثغر
مضى في سبيل الله فكري مسربلا * سرابيل قد طيبن بالحمد والشكر
مضى في سبيل الله فكري وفاتنا * على فترة في العلم والدين والنصر
مضى في سبيل الله فكري مزودا * بزاد من التقوى لينفع في الحشر
تزود بالتقوى ولم يك غافلا * عن الموت بل قد كان منه على ذكر
بكت مصر والفسطاط والقطر كله * على موت عبد الله ماجدها الحبر
وكل لبيب أو أديب له حجا * على موت عبد الله أدمعه تجري
وكل عذارى المجد تبكيه شجوها * بكاه كبكى ثيب المجد والبكر
ولما بكاه المجد ميتا تناشدت * نوائح آداب ينحن على فكر
ولا تبك ميتا بعد ميت أجنه * علي وعباس وآل أبي بكر
بني أمين فاصطبروا واسألوا لن ترى * أبا كأبيك الخير في غابر الدهر
بني أمين لا تزل بعد لابسا * رداء من التقوى ودرعا من الصبر

بنيَّ أمين فاصطبر متضرعا * الى الله تظفر بالجزيل من الأجر
بنيَّ أمين فاصطبر متمثلا * شرودا من الامثال قد سار في الشعر
تأمل فان كان البكا ردّه الكا * على أهله فاجهد بكائك على عمرو
وأسأل ربي أن يبارك فيكم * بني فكر طرًّا ما شدا ساجع القمري
ويكفيكم شر الظلوم وكيده * وشر الحسود ذي التحيل والمكر
فهاك أمين ما رثيت مهذبا * بطيبة قد جاز الحجاز الى مصر
رثاء يفوق الدر حسنا ورونقا * ولفظا ومعنى غير وحش ولا وعر
رثاء كسته العرب زخرف قولها * يكاد انسجاما يسبق المزن بالقطر
رثاء حوى حسن البداوة جاذبا * قلوب رواة الشعر في البدو والحضر
لتغني به عن مرثيات خويلد * وأوس وقيس ذي الهباءة والجفر
وحسان والأعشى وحي مهلهل[1] * وذي جدن قبل التبابعة الزهر
وعما به ترثي قريش وحزبها * صناديدها وسط القليب لدى بدر
وعما به رثى لبيد ابن أمه * قتيل سماء الله للكفر والختر
وعما به أضحى يؤبن عمه * ملاعب أطراف الردينية السمر
وعما به يبكي النويري مالكا * وكعب أبا المغوار ذا المجد والفخر
وعن ندب هند عتبة ووليده * وشيبة قواد الكتائب من فهر
وعن ندب ليلى الاخيلية توبة * وعن نوح خنساء المراثي على صخر
جرت حلبة الراثين بالشعر قبلنا * تناضل في الميدان لم تأل في الحضر
وليس المجلي المحرز الخصل وحده * كما الفسكل الكابي من الرتو والبهر
وكل امرئ نات بمبلغ علمه * وكل امرئ رات بمقدار ما يدري
ونعلم قدر الميت والحي منكم * أهالي مصر المنصفين بلا نكر

(١) قوله وحي مهلهل المراد به نفس مهلهل اهـ

فنقدر

فنقدر كلا منهما حق قدره * اذا حاسد لم يدر مقدار ذى القدر
وصل على من قد تبوأ طيبة * محمد المخصوص بالختم فى الذكر
وسلم على من رفع الله ذكره * محمد المحمود فى السر والجهر
مع الصحب ما صام النهار مهجرا * وما قام ليل للتهجد لا يسر
ويستغفر الله العظيم لذنبه * محمد محمود المجلي اذا يجري
ويستغفر الله العظيم لذنبه * محمد محمود المقيد بالأسر
وسار الى جنات عدن أمامه * محبوه فى الدنيا وخلف فى الاثر
ويرجو من المولى نجاة ورحمة * اذا صار فى الموتى وفى الحشر والنشر
وأخذ الكتاب باليمين محاسبا * حسابا يسيرا غير ملجئ الى عذر
وخاتمة حسنى بثابت قوله * اذا الرسل جاءت للسؤال عن الخبر

تمت بحمد الله وحسن عونه نصف جمادى الاولى بالحرم النبوى سنة ١٣٠٨ هجرية وكتبه منشئه امام العلم بالحرمين وخادمه بالمشرقين والمغربين محمد محمود آخر الليل على عجل

(وقال العلامة المرحوم الشيخ محمد البسيونى مفتى المعية السنية كان)

لما انتقل الى رحمة الله تعالى يوم العيد الاكبر سنة ١٣٠٧ سعادة عبد الله باشا فكرى قلت أرثيه وأورخ عاما مات فيه

قضى الله والايام لى مذ قضى فكرى * بان لا يزال الهم والحزن فى فكرى
قضى الله أن تطوى العلوم بطيه * وتحمل فى نعش وتدفن فى قبر
قضى الله للعرفان هدم بنائه * وتنكيس عاليه وكسرا بلا جبر
قضى الله للآداب فينا تلاشيا * قضى الله للانشاء والشعر والنثر
قضى الله للتقوى وللصدق والعلى * وللسبب الاقوى وللمجد والفخر
قضى الله أن يبقى لديه وديعة * وان حفظت لا تسترد الى الحشر
قضى الله أن الناس تجرى كخيلها * سوابق تمضى واللواحق بالاثر
قضى الله فينا الموت فلنصطبر له * فما قدر الرحمن لا بد أن يجرى

قضى نحبه من كان فى الزهد غاية * قضى نحبه من كان فى العلم كالبحر
قضى نحبه من عم فى القطر نفعه * ومن كان فى روض المعارف كالقطر
ومن كان لا يخشى ملامة لائم * على الدين مهما قام يصدع بالامر
وفقدانُنا الصبر الجميل مصيبةٌ * فان نصطبر فالصبر أدعى الى الاجر
فكن يا أمينا فى التجلد غاية * وصبرك فالزمه على الوالد البر
لئن مات ماذكراه ماتت ومن تكن * له خلفا يبقى له أجمل الذكر
يعيش الخديويا أمين ممتعا * بأحسن آمال وأنجاله الغر
وتجنى ثمار العز فى ظل كهفه * ولا زال محفوظا الى آخر الدهر
وها هو عبد الله فى جنة الرضا * له الحور والولدان تبسم بالبشر
له فى جنان الخلد أعلى منازل * فكم قد بنت أعماله ثم من قصر
فنعم نعيما ماتبوأ مقعدا * وان ترك الاحشاء مناعلى الجمر
عليه من الرضوان تهمى سحائب * ومن رحمة الله غواديه تجرى
فرضوان نادى بالسرور مؤرخا * الى رحمة الله العلى علا فكرى

٣١٠ ١٠١ ١٤١ ٦٦ ٦٨٩ سنة ١٣٠٧

(وقال حضرة العلامة الفاضل الشيخ سليمان العبد)

« دموع الاسف بفراق ذى المجد والشرف »

نضى ثوب الحياة وسار فكرى * وكدر بالفراق صفاء فكرى
تكبدت القلوب ضرام حزن * عليه يذيب وجدا كل صخر
ومصر عونه ارتعدت وضجت * وقد شقت عليه دروع صبر
وصار دم الدموع لها خضابا * على كف الأسى ياويح مصر
وألبسها الحداد عليه وجدا * ثياب الحزن سودا بعد خضر
فكم غرس المكارم يانعات * فأثمرت المكارم حسن شكر
لقد كان الملاذ لكل راج * وذخرا للانام وأى ذخر
وبدرا تستضئ به الدياجى * اذا ليل الخطوب دجا بأمر
هو العلم الشهير بكل علم * وبحر فى المعارف أى بحر
وللاقلام حظ فى يديه * بتنظيم العقود ونثر در

الى

الى رتب السياسة قد تسامى * فنال من الوزارة كل فخر
مضى عنا وخلف فرط حزن * يدوم عليه فينا طول دهر
مضى وله التقى والبر زاد * وأنوار الهدى بحلاه تسرى
أقام على حدود الله يبغى * رضاه عاملا أعمال بر
أبا بدرا وان غيبت عنا * وخلفت الاسى فى كل صدر
على العلياء بعدك خير نجل * أمين قد سما برفيع قدر
أمينك المعالى فى صعود * وسر أبيك منه اليك يسرى
فخص نفسك العليا بصبر * فذلك قدوة بجميل صبر
سقى الرحمن قبر أبيك غيثا * من الرحمات عصرا بعد عصر
ورضوان لصفو قال أرخ * بجنات النعيم مقر فكرى
سنة ١٣٠٧   ٤٥٦ ٢٠١ ٣٤٠ ٣١٠

(وقال حضرة الاستاذ الفاضل الشيخ رشوان محمد السواهجى)

أيها الامير الامين ان الصبر على الفوز نعم المعين وعهدى بك أنك الشهم البصير العارف ان كلا منا الى الله يصير وان الدنيا ما هى الا أضغاث أحلام ونهاية جميع من فيها الحمام وقد خلدك الوالد ذكرا جميلا وجعلك الى سبيل الكمالات دليلا فتأس عن أصل الايجاد من نوره وكن ممن اقتفى أثر الوالد فى مطويه ومنشوره وانظر الى بقاء ذكر والدك الجميل حيث اقتفى مراتب الكمال والتفضيل أحسن الله بالصبر الجميل عزاءك وألبسك حلل الكمال وأطال بقاءك وانى أعزيك مع ثقتى بأنى لاحق بالسابق لا محالة ولنا بالسابقين الاولين أكبر عبرة وأعظم دلاله أنزل الله على الوالد سحائب الرضوان وأسكنه من فضله فسيح الجنان وعند ما بلغنى نعيه منذ تم فى مراتب الخيرات سعيه قلت أرثيه مستصحبا أسفا ومعانقا وجدا ولهفا

بشهر الاضاحى حل رزء وما فكرى * بصاف فقد زار الثرى راحلا فكرى
تصول المنايا كالاسود ولا تنى * ولا تنثنى عما أرادت من الغدر
يعيش الفتى فى ظل أمن مسرة * ويأتى رسول الموت من حيث لا يدرى
وما العيش الا بالفناء معلق * وما الدهر الا مبدل الحلو بالمر
عجبت له يلقى الكماة مكشرا * بناب به يفرى وينشب بالظفر
ويأتى بناء العلم يهدم صرحه * وقد كان من فوق السما كين والنسر

أرى الموت سبّاقا الى كل غاية * وان طالت الغايات حينا من الدهر
و ننتقد الاخيار منا كأنما * وَلوعٌ له بالطيبين أولي الطُهر
وسيان في الموت الامير وعبدُه * على أم دفر ليس يُعتَب في أمر
فتبًّا لدنيا والحياة وعيشها * اذا كان عبد الله في ملحد القبر
وماهو الا السيف والقبر غمده * وهل جوهر فرد يغير بالقشر
ألا أُرض سلطان عليه وقد غدا * شهيدا وتقوى الله تُشرق بالصدر
وقد تم ميعاد الكليم بعشره * وفكري غدا للخلد في آخر العشر
فيا عين أُذري دمع حزن مجدد * ويا قلب لا تفرح الى آخر العمر
أبعد عبيد الله تفرح بالبقا * وقد كان نور الوقت في السر والجهر
به الامر تان العلم والحكم قلدا * عقودا بأجياد منظمة الدرّ
فان ذُكر النظّام فائق عصره * فهذا أبو النظم المدبج والنثر
ومن كان محتاجا ولاذ كأنما * يلوذ بركن البيت والستر والحجر
لئن غاب عنا جسمه فلاسمه * ثناء جميل دائم عاطر النشر
وما المرءُ الا ذكرُه وصفاته * على الدر يُثنى وهو في سافل البحر
ونعم أمينُ وارث المجد بعده * به خلف عما فقدنا من البشر
وما الشبل الامن تابع ضيغم * به يقتدي في كل وصف له يسري
فيا جدثا ضم الامير بلطفه * سُقيت غيوث الفيض من هامع القطر
وأونست عبد الله بالنور منية * وحييت بالحور الحسان الى الحشر
وغاية علمي أن أقول مؤرخا * الى رحمة المولى الودود سعى فكري

سنة ١٣٠٧ — ٤١ ٦٤٨ ١١٧ ٥١ ١٤٠ ٣١٠

سيدي الامير لا تؤاخذ من أقعده القصور لا التقصير وهذه السطور القليلة نائبتي في المثول بين يدي الشمائل الجميلة تعتذر اليك في القبول بلغك الله تعالى تمام المأمول آمين

(وقال حضرة الاستاذ الفاضل الشيخ محمد السملوطي)

أنت رهنُ الحياة أستام صبري * أم رغبت المقام في روض قبر

أم أسائل وفى المدامع بُقيا * يُرتجى وبلُها لاطفاء جمر
لا تخلها مدامعا عند شجو * انها أنفس بزمّيسك تجرى
ياحياة القلوب من وهن جهل * وغياث النفوس من هُلْك خُسْر
ماترى الناس حول قبرك سكرى * دهشة العائر المصاب بسُعْر
غالهم بغتة نَعِيٌّ مُصاب * فتفانوا بدون بيض وسُمْر
أشكل الامر هل عرا القوم صَعْق * أوقيام فذى مجامع حشر
غُيّب الفضل منه فى طى لحد * وتوارى الكمال فى جوف حفر
وتداعى مبنى المعالى وهُدّت * راسيات الجبال من خير فخر
واستوى الموت والحياة لدينا * ماحياة بالفكر من بعد فكرى
غالب الدهر فاستوى فى ذُراه * وقضى فانقضى به كل دهر
وارتقى العلم آبيا حيث وافى * أى صدر يحوزه أى صدر
زانه قبل باجتلاء فهوم * زُيّنت بعدُ عن مكارم زُهْر
وتآليف راقب الله فيها * فهى فى هديه صحائف ذكر
أينعت للنّهى مناظر حمد * مثل جناته مواهب شكر
راح فيها والحور رُهن انتظار * فعل طُهر يرقبن إقبال طُهْر
يعمل العاملون فى مثل هذا * ليت شعرى هل فوقه حُسن أجْر
لو على قدره يُشيّع نعش * كان فوق الجفون من دون قدر
أو على الحكم بالمكانة كنا * قد دفناه بين سَحْر ونَحْر
أو تفدّى لفضله من منون * سيد كان فى الفدا مثل عمرو
أيها الساكنى الفراديس هذا * من رغبتم له على طول عصر
لم تدم وحشة لديكم ودامت * وحشة الدهر لاتريم بعصر
سنة الله إن يفد من أناس * يبد فى غيرهم مكايد مكر
أيها الفاضل الأمين عزاء * بالألى كان عنهم خير حبر

ورثوه علومهم وهداهم * ومضوا قبله لأسنى مقر
وادكر أنه رآك جديرا * بعلاه والمد من بعد جزر
فسرى طالبا حظيرة قدس * ولها العابد المراقب يسرى
واسق أجداثه وبل دعاء * يجتنِ أفنانه فواكه برّ
ونعيما يدوم ما دمت حيا * ولك الله يجتبى طول عمر
وتصبر فذا المصاب عقيم * لست من بعده ترام بشر
ولى العذر فى اختصار المزايا * فيمينا لعدها فوق شعرى
انما هذه الاشارة تجدى * لجميع الأنام عنه بخبر
نضر الله قبره بسناء * ونعيم لنفحه طيب نشر
ان تاريخه وليد اخطاب * من نبى فى المهد محكم ذكر
واذا شئته وقد مات أرخ * مات بالفقه والمكارم فكرى

سنة ١٣٠٧   ٤٤١ ٢٠١٨ ٣٣٨ ٣١٠

(وقال حضرة الاديب الفاضل السيد محمد على الببلاوى يرثيه أيضا)

سهم المنايا لصدر الجد موتر * فلا يسر بطيب العيش مغرور
ولا يؤمل صفوا فى الحياة فتى * يهوى المعالى كريم الطبع مبرور
والمرء ما عاش فى الدنيا على سفر * يقتاده أمل والامر مقدور
والدهر بالناس كالسحب التى امتلأت * وكل رمس بسامى القدر ممطور
فكل حى وان طال الزمان به * لابد يطوى وما أبداه منشور
والناس فى سيرهم شتى مذاهبهم * وسالك الفضل بالتعظيم منظور
فاستبق فى الناس خيرا يذكرونك به * فانما المرء بعد الموت مذكور
واستصحب العلم والتقوى تفز وتكن * كمثل فكرى بدار الخلد مشكور
السيد الحبر خدن المكرمات ومن * نادى كمالاته بالمجد معمور
الاوحد الفرد عبد الله من شهدت * له الانام وأمر الفضل مشهور
صدر الصدور وحلال العسير ومن * حديث أخلاقه الغراء مأثور
رب البلاغة بل بحر الفصاحة بل * ترب السماح على الافضال مفطور

قصد

قصدُ الافاضل فيما عزمطلبه * لديه مستصعب التقرير ميسور
لا يفخر الفكر الأأنه لقب * على علا الفاضل النحرير مقصور
ان هز في حومة الانشا يراعته * أضحى رفيق المعاني وهو مأسور
قد كان في مصر نورا يستضاء به * ومذ توفى تناهى ذلك النور
قد كان بحر لغات العرب مورده * عذب به اب ذى الآداب مغمور
تعنو له الترك تحريرا ومنطقه * فى الفارسى دونه كسرى وسابور
حدث عن البحر لا تخشى الملام وهل * يخفى سناء لبدر التم ديجور
ما اللسان أقال الله عثرته * قد سام سلعته من بعده بور
وما البكر المعانى وهى رائعة * بعد الامير خلت من حسنها الدور
من للبدائع فى غر القصائد بل * ما للخطاب بعيد الوصل مهجور
ومن لديوان حسان ورونقه * من بعد فكرى العلى القدر مستور
واحسرتاه على ربع البيان عفت * آثاره وبديع القول مذعور
واحسرتاه على درّ المعانى اذا * حن اليراع ومافى الطرس مسطور
ما القريض وما النثر د معهما * كوابل الغيث منظوم ومنثور
يحق للعلم أن يبكيه منتحبا * ومرخص الدمع فى ذا الرزء معذور
كأنني حين تذكارى ما ثره * مشافه بجميل الانس مسرور
لكنني لا أرى تلك المحاسن فى * عينى فمسى فؤادى وهو مكسور
لا تخش يا دهر قدم من أردت فمن * قد كنت تخشاه فى الاجداث مقبور
لكن أمين من المرحوم خير فتى * حاز الكمال بجيش المجد منصور
سقت ضريح ابه الباشا غيوث رضا * فانه سائر لله مغفور
يسعى اليه ورضوان يؤرخه * يافكرى باشا لك الفردوس والحور

سنة ١٣٠٧ ٣٢١ ٣٠٤ ٥٠ ٣٨١ ٢٥١

(وقال حضرة الفاضل الشيخ محمد أحمد النجار استاذ العلوم العربية
بمدرسة الفنون والصنائع المصرية)

ألا انما الايام تشكى وتشكر * وتعدل من كل الانام وتعذر
على أن شكرى لا يوازى شكايتى * وعذلى لها لو كنت تنصف أكبر
ولو فكر الانسان فى منتهاه ما * على القلب ولى الحرص والحرص يفطر

هوالمرء كم ينسى المنية وهى لا * تغيب ولا تنسى ولا تتأخر
يعلل منه النفس قول لعلى * وليت تمنيه ورب تكثر
أمانى تقضى بالمنايا وشدة * تزيد ووقت بالخطوب يكدر
وكم تعظ الباقين أخبار من مضوا * وكم شرحوا منها الضمير وفسروا
ولكنها الاخبار أعراض لحظة * مجرد نطق ثم من بعد تدثر
ولو علم المرء التراب الذى به * ينام ومنه الوجه فيه يعفر
لما اغتر بالدنيا وزخرفها الذى * يتيه به المغرور عجبا ويفخر
وماضن بالجاه الذى منه يرتجى * وآخر ماعنه سواه يقصر
وما المرء الا بالصلاح وبالتقى * وماعجبه والاصل ماءمقذر
وان امرأ لن تخرق الارض رجله * ومهماعلا فى الطول فهو المقصر
جدير به أن لايثقل كاهلا * يخف به وزنا فيهجى ويهجر
وما الذكر للانسان الابسعيه * فان كان خيرا فهو بالشكر يذكر
لعمرك ماالانسان الابفضله * ومامات من يولى الجميل ويؤثر
أفيقوا أفيقوا يابنى الجنس اننى * أخوالنصح أزجيه اليكم وأزجر
فان معاريض الكلام سفاهة * اذالم يعن قولى قبول فيؤثر
أرى الناس أغمادا لسيف حمامهم * وليس له حد يفل ويكسر
وبيناترى الانسان انسان عيننا * به تبصر الاشيا عيانا وننظر
يقال لقد شالت نعامته ولم * يودع له جارا ولا الجار يشعر
فان تصبرى يانفس فالصبر طيب * وان تجزعى فالمرء بالرغم يصبر
فضائلنا تذكارنا بعد موتنا * وآثارنا للغير من بعد دفتر
يود الفتى أن يستريح بموته * ولكن مايطويه بالموت ينشر
مليك ومملوك وعبد وسيد * سواء وكل فى القيامة يحشر
محال دوام الحال ياابن غروره * وموتك أمر من ظهورك أظهر
وبعثك ثانى الاظهرين فانه * أخف وبدء الامر فى الخلق يكبر
وليس لذى عقل وقد كشف الغطا * سلوك طريق فيه يؤذى وينهر
عدوك نفس بين جنبيك تختفى * لك الشرفات الضد فالخير أيسر
وتمييزك الضدين للعقل ظاهر * وكل على وفق المراد مقدر
رضيت بما يرضى المليك ظهوره * فان بنى الانسان للامر مظهر

ولكننى

ولكنني أبكي على العمر قد مضى * وللموت رسل من مشيبي تنذر
وأبكي رجال العلم قد ضاع فكرهم * وأصبح كل عن حلاه يخبر
لقدمات عبدالله فكري وأصبحت * دموع العلا فوق الخدود تحدر
فيا مصرنا قد مات عالم عصرنا * وهل بعد هذا الحبر صحف تحبر
قضى وهو مولى الفضل قامت بأمره * من العين رسل بالخدود تذكر
سأبكي وان لم تبق في العين عبرة * وأنظم فيه درّ دمعي وأنثر
وأرسل مرجان المدامع خدمة * فكم خدم التحرير من فيه جوهر
وأصبح مبيض الزمان بموته * لنا أسود اغطاه بالدمع أحمر
فلله عيش قد مضى مثل ما انقضى * به عمره والعيش كالعمر أخضر
لساني ان لم ترثه كنت مبغضي * وكنت لي الخصم الذي منه أضجر
بكى العلم حتى أغرق الدمع كتبه * ومزق منها الجلد ما عنه حرروا
فلا كان ذا رشد يفيد برشده * ولا اهتز يوما للخطابة منبر
فيا مسمعي أصبحت أصبحت عاطلا * من الدر اذ غاضت به اليوم أبحر
ويا أفق العرفان أمسيت داجيا * فقد غاب بدر كان بالعلم يسفر
لقد كان شهما للمعارف عارفا * وكان بما فيه المنافع ينظر
وكان محبا للعلوم وأهلها * وكان بما فيها النجاح يفكر
وكان هماما في السياسة راسيا * وقل هو من زرقاء بالخطب أبصر
واني أعزي القطر قد فاض نيله * عليه دما لما تهنأ كوثر
هنيأ له في الخلد أضحى منعما * وقلبي عليه في لظى يتسعر
عزاء لارباب المعارف كلهم * عزاء لمولاهم فعلياه أجدر
عزاء لارباب الفصاحة انهم * به رزؤا والرزء للحر يعسر
وللعلم قوم يعرفون بفضله * وان ذوبه بالحقيقة أخبر
فكم للعلا أهدى فوائد فكره * على غيره ليست تحوم وتخطر
ولله شعر منه قد كان جيدا * به جيد هذا العصر يزهو ويزهر
فان صغت مبناه فقل هو لؤلؤ * وان ذقت معناه فقل هو سكر
والا فقل ماء الحياة سماعه * والا فقل لفظ ببابل يسحر
على مثله ان كان في الناس مثله * ينوح المعاني والبيان يحسر
على مثله تبكي التآليف انها * بفكرة عبدالله أحصر أخصر

ومن بلسان الترك يحسن نطقه * سواه وسيان ضمير ومظهر
سأذكرها تيك الفضائل بعده * لفضل ابنه والشئ بالشئ يذكر
تهانى بنى الدنيا بأن ابنه له * هو الوارث الاتقى الشريف المطهر
وما مات من فات الفضائل لابنه * ليورثه فيها ونعم المخير
لئن غاب عنا اليوم بدر بدوه * لنا فأمين بعده أبدى وأبدر
وان نامت العينان منه بموته * فكم عين شعر بالرثا فيه تسهر
فديتك عبد الله قم فاستمع لنا * رثاء بعيد فيه قلبى يفخر
لقد كان لى فى العيد تهنئة لكم * أقدمها والحادثات تغير
وليس عجيبا أن أقدم يومه * اليكم رثائى والتهانى أؤخر
سأجعلها للحور فى الجنة التى * بمقدمك الميمون فيه تبشر
أحبنا فداك الروح لو ينفع الفدا * لترشد ناعمنا به نتحير
ونسمع من ألفاظك اللغة التى * بها يحفظ القاموس من كان يسطر
كأنى ولم أسمع جوابا يفيدنى * وكل امرئ حى سيفنى و يقبر
أقول له أين السرور وداره * وقد تخرب الدنيا لأخرى تعمر
فيفصح عنه الحال وهو مؤرخ * سرورى فى الفردوس للعز أكبر

٢٢٣ ١٣٧ ٣٨١ ٩٠ ٤٧٦ سنة ١٣٠٧

(وقال حضرة الاديب الفاضل الشهير محمد بيك عثمان جلال)

ترحلنا الايام من حيث لا ندرى * كأنا على فلك بحر الردى تجرى
وما المرء الا الشمس قد خط ضوءها * لمولده خطا على صفحة الفجر
وما زال هذا الضوء ينمو شعاعه * الى أن تراه يشبه الكوكب الدرى
فيبلغ من حد الزوال نصيبه * ويغرب فى عين تلقب بالقبر
فيا وحشة الدنيا وان طال أنسها * ويا قصر الايام لو مدت فى العمر
ويا ضيعة الآداب والعلم والتقى * ويا كثرة الاحزان مع قلة الصبر
اذا قيل عبد الله فى الترب قد ثوى * وأصبح من دون الجنادل كالتبر
همام علا فوق السماك بفكره * فمن ثم سمته الافاضل بالفكرى
تظلله فى مجده راية اللوى * وان كان عنها عالى الاسم والقدر
فتى غاص فى بحر المدارس رأيه * فأخرج من حصبائه غالى الدر
وسال غدير من عذوبة لفظه * فأنضج أثمارا على يانع الزهر

زهانجمه دهراعصرفلم يجد * قريناولكن لاأمان الى الدهر
ثلاث لغات كالعرائس حازها * بهمته لا بالجهاز ولا المهر
من العرب العرباء كان اذا حكى * وحرر بالنظم البديع أو النثر
وكانت له فى آل عثمان نسبة * تخبر عنه أنه من أولى الامر
وكان لاهل الفارسية تحفة * بعلومه الوهبي يحكى لبزدجر
له من أماليه شذور تذهبت * وفكريه فى النحو فاقت على القطر
ونال بديوان المعارف رفعة * مفضلة من فضل زيد على عمرو
وصدره فى محفل القوم ماحوى * من العلم قبل الضبط بالرسم فى الصدر
فوا أسفا واراه قبر ولو درى * لآثر سوداء القلوب على القبر
وغاب وماودعت منه شمائلا * أرق مرورا من نسيم على نهر
ودر حديث لو يصاغ لعلقت * قلائده كل الغوانى على النحر
قضى وأحباه من الانس ماقضت * مآربها بالرجال من الغدر
وما مات ليث أورث الغاب شبله * ولا كان هذا الغاب يخلو من الزأر
فان أمينا للخلافة بعده * ينوب كما ناب الهلال عن البدر

« وقال أيضا »

يالقومى ليت شعرى * هل طريق غير وعر
كلما نسالك شعبا * نبتلى فيه بذعر
عدد الآفات فينا * كنجوم فى مجر
فاذا فاتك من أسبابها مالست تدرى
فاقتف الآثار وابحث * بالتأنى والتحرى
تجد الذئب الى الاغنام طول الليل يسرى
وحمام الأيك مذعو * را الى الباز المضر
وسباع البر بالاظفار والانياب تفرى
وبظل تنسخ الشمس ولوكانت بقفر
وبنو آدم تسقى * كلهامن كاس مر
لكن الاسباب فى الآفة أن أودت بفكرى
ناحت الخنساء عليه * ضعف ماناحت لصخر
فهوشهم مذعدمنا * هُ عدمنا كل صبر
كان للفراء تلميذا وللاخفش مقرى

زين الكتب بما سطر * من نظم ونثر
لم يكن فى النحو كوفيا * ولكن كان بصرى
بعده تأليفه ينـ * ـفعنا فى كل عصر
قبل ما يشهر فى الشا * م شهرناه بعصر
نيل مصر قد نعاه * بدموع منه حمر
وترى الناس سكارى * أسفا ليس بخمر
شفهم أن بدل القصـ * ـر لسكناه بقبر
لكن الارض على ما * قيل كنز لتبر
فالى الفردوس هذا الـ * ـجسم والروح لعمرى
عند ديان كريم * يلتقى الروح ببشر
فى جنان تحتها الخلـ * ـجان والانهار تجرى
بين ولدان حسان * خلتهم منثور در
فاذا كان عزاء * جاء من زيد وعمرو
فلنا البشرى بنجل * حسن الاخلاق بر
هو كالاسم أمين * وأمير أهل خير
سار فى الآداب والفقـ * ـه على أحسن سير
أنا ان لم أمتدحه * جاءه بالمدح غيرى
فهو من حسن سجايا * ه كبدر أو بدير

(وقال حضرة الاديب محمد أفندى عليان المرزوقى)

روبدك واستصحب رفيقا من الصبر * على ما ترى أين المفر من الدهر
أتاح لنا جيشين جيشا مجاهرا * وجيشا يصيب المرء من حيث لا يدرى
اذا ما تعاهدنا على الامن مرة * تبادر من بعد التحالف بالغدر
يرود الورى فى كل حين فيصطفى * أماثلهم للنائبات من الشر
فيسقيهم كأس المنون كأنه * يحاذر منهم أن يفوقوه فى القدر
كما أنه لما رمى أسهم الردى * الى أهل هذا العصر ما أخطأت فكرى
لعمرى كأن الموت لم يغش ميتا * سواه ولم يسمع له الناس من ذكر
كثير ولكن ليس فى الالف واحد * اذا مات أوما مات يخطر بالفكرى

وذلك

وذلك عبد الله واحد دهره * لقد كان من بين الورى غرة العصر
لعمرك لما مات ماتت لموته * مزايا احسان لا يحيط بها حصرى
فأصبحت الآداب قد جف ماؤها * وأمسك عنها مزنها جيد القطر
وألوت رياح الحادثات بروضها * وأفنانها الخضر الموشاة بالزهر
فمن بعد عبد الله يرأب شأنها * كما كان فى مصر وفى سائر القطر
به كان بنيان المعارف شامخا * وكانت به تختال فى حلة الفخر
موشى حواشيها بآيات فضله * تآليفه الحسنى وآثاره الغر
بها سارت الركبان فى كل وجهة * وصار بها وجه الحكومة كالبدر
فقد كانت الافكار طوع يمينه * يقلبها ماشاء بطنا الى ظهر
ومنثوره كالدر سل نظامه * ومنظومه عقد تلألأ فى النحر
ومنطقه عذب اذا ما سمعته * تميل كنشوان تعلل بالخمر
وان خطب الاقوام فى الخطب أطرقوا * له كرسول قام بالنهى والامر
فهذا وهذا قد تقضى زمانه * وأدخل فى قبر الى آخر الدهر
فيا أهل هذا الفن شقوا جيوبكم * وصبوا عليه الدمع فى جانب القبر
قد انشقت الاقلام حزنا لفقده * ولطخ أثواب المحابر بالحبر
ورقت له الاوراق حتى تمزقت * وقد رفعت أيدى المتارب بالحفر
وليس انشقاق الجيب يكفى فانه * حقيق بشق القلب من داخل الصدر
وأن ترسل العينان دمعهما دما * ليطفا به ما فى الفؤاد من الجمر
سلوا ان جهلتم من خبير مجرب * ولا تسألوا من لم يجرب ولم يدر
فهذا وان كان الافاضل فى الورى * كثيرا كماء البحر غاض من البحر
فقدناه فقدان الحياة وليتنا * فديناه من أهل الدراية بالشطر
فقدناه نرجو أننا نلتقى غدا * وتسمعه يثنى على الله بالشكر
هنالك ترتاح القلوب من الجوى * وأكباد محزونين ملت من الصبر

وقال حضرة الاستاذ الفاضل الشيخ عبد المجيد أفندى الخانى الخالدى النقشبندى

الحمد لله وحده

سبحان من استخلص لنفسه واستصفى لحظيرة قدسه من أحبه من السادة الاحبه وجعل لوعة فقدهم مثوبة وأجرا وأثاب من أفرغ عليه من حلل التجمل بالتحمل صبرا فلا حول ولا قوة الا بالله حيث رزئ المسلمون بكوكب العلم ومفتاح

كنز الفهم ونور يد وجنات المعارف وابتسام ثغر الآداب واللطائف وشامة خد الفضل والكتابة ولؤلؤة أقراط الفصاحة النجابة من افتخرت به مصر على الامصار والعصر على سائر الاعصار والمناصب العلمية على جميع المناصب والمراتب الأميرية على كل المراتب فيا للعلوم فقد فقد أمر أميرها ويا للمعارف فقد غاب بدر سميرها ويا للاقلام فقد ثلم رأسها بعدم مديرها ويا للنظام والآداب فقد قلاها أعظم نصيرها رحم الله تلك الروح ما أزكاها وتلك الذات ما أسناها وتلك السمات ما أسماها أسفا عليه وألف أسف لقد أعقبت والله مصر فلا تأتى له بخلف جعل الله سعادة سيدى الامير خير خلف لاشرف سلف وضاعف له أجر صبره على مصابه وسلى بسعود وجوده قلوب جميع أحبابه فان الخطب ان لم يتداركه تعالى باللطف جسيم والصبر عليه أجسم ومشاهدة ذلك الرزء أمر عظيم والرضا به أعظم ولقد تفضل سعادة سيدى أحمد طلعت باشا يوم تاريخه بخبر اتصال روحه الزكية بالملأ الاعلى فكان عندى لاسيما عند المخلص والدى من الحزن مالم نره نظيرا أصلا وقد حررت ما حررت والعين باكية والقوة واهية والافكار ذاهلة والعقول زائلة فلا مؤاخذة ان طغى القلم ولا عتب اذا أتى بما لم يفهم من الكلم وسيدى الوالد يدعو لسعادتكم بشكران سعيكم وتعظيم أجركم ومضاعفة صبركم وحفظكم من حوادث الزمان وطوارق الحدثان لناولسائر الخلان والداعى كذلك وأكثر لازلتم مشمولين بشمائل التعزيز والتكريم متوجين باكليل الاقبال العظيم وأبقاكم الله تعالى للاحبة ذخرا عظيما وزادكم منه فضلا عميما آمين

حجب البدر الذى أد * رك فى العلياء ما أدرك
هو عبد الله فكرى * فاختبر فى وصفه فكرك
اذ غدا فى كل علم * غاية بالسعى لا تدرك
يا أمين المجد صبرا * طول الله لنا عمرك
عظم الخطب فأرخ * عظم الله به أجرك

سنة ١٣٠٧   ١٠١٠ ٦٦ ٧ ٢٢٤

(وقال الاستاذ الفاضل العلامة المرحوم الشيخ على الليثى)

الى سعادة البك المفدى الامين نجل الوزير الخطير نزيل أهل اليمين تغمده الله برحمته الواسعه وألهمك وآله الصبر حتى تنال صلوات الله النافعه وأعطاك من الاجر بقدر الصبر على الفقيد وقابله بالشكر فى مقام التمجيد والتحميد أسوق التعزية مشفوعة بكمال الادعية وان كانت النفس فى ذهول عما سطر ونجم الفكرة فى

أقول لعظيم ما قدّر وقد شغلت زمناً عن المبادرة لأليم ما هال النفس وعظيم ما جاء به الامس من فقد سيدي وأهلي وتكدّر موردي وتشتت عقلي حتى عاق لساني الحزن عما يلزم وفقدت العون على دفع أحزان بها أتألم ولولا الانس بتلاوة كتاب الله المجيد لكنت أول لاحق بالفقيد فقد أفادتني التلاوة الرضا بالقضا وخففت عني بعض هول ما مضى فلذلك أرسلت اليك بنفثة مصدور وان كانت مقصرة عما في النفس يدور وأرجو أن تعزي بها وتسلي وان كان بأعظم منها في رثاء سيدي جيد الدهر يحلى وفرق بين من نفث اليراعه وبين من أفاد الادب وأجاد الصناعه ومن يقول بلسانه تزلفا ومن يقول بجنانه تلهفا وها هي واصلة اليك عسى بتأملها يخف ما لديك

نذم المنايا وهي في النقد أعدل * غداة انتقت مولى به الفضل يكمل
تخطت أناسا من كثير نعدهم * وغالت وحيدا من قليل يحصل
ونحن بني الدنيا نباين فعلها * فلا ننتقي حرا عليه يعول
كأن المنايا في انتقاها خبيرة * بكسب النفوس العاليات تعجل
فتم لها من منتقى الدر حلية * بها العالم العلوي أنسا يهلل
وتم نظام العقد وازينت به * نحور بدور الحور وهو مفصل
وكل بعبد الله فكري مهيم * ينافس فيه غيرة حيث ينزل
فما شغلته عن شهود مليكه * ومن كان عبد الله لا يتحول
دعاه بشير القرب أن جد للقا * لتحظى بما قد كنت ترجو وتأمل
فأهداه طيب الروح وارتاح للبقا * ومن يطلب الاعلى له النفس يبذل
وحل مقاما لا يحيا بمثله * سوى مهتد يرعى الكمال ويعدل
غراس مساعيه جناه تنعما * ومن ماء رحماه يعل وينهل
لقد كان ذا دين قويم وعفة * بها ساد أمثالا لديه تمثلوا
لقد كان ذا رعطوفا مهذبا * سجاياه صفو القطر بل هي أمثل
رقيق حواشي الطبع سهل محبب * الى كل قلب حيث كان مبجل
كريم السجايا لا الدنايا تشينه * عظيم المزايا اذ يقول ويفعل
شمائله لو قسمت في زماننا * على الناس لازدانوا بها وتجملوا
فقدنا محياه ولكن بيننا * بديع مزاياه بها نتمثل
فكم أدب غض وحسن ترسل * لآيائه عبد الحميد يذلل

فما الفاضل القاضي اذا جاش صدره * وأبدع في معنى عليه يفضل
ومهما صبا الصابي وأبدى بدائعا * فان ضجيع الحور منه لاكمل
وما ابن هلال حيثما هل بدره * وأطلق سحر الفكر الا مكبل
مدى من فقدناه عزيز مناله * وآثاره فينا تضوع وتنقل
فلو أنصفتنا أنفس علقت بنا * لحامت على نعش به البحر يحمل
فيا لهف الخلان حيث فقدنه * ويا لهف الاقران ماذا تحملوا
ويا لهف الآداب بعد عميدها * ويا لهف الكتاب ان عن معضل
ويا لهف الايناس من بعد نأيه * ويا لهف الجلاس ان غص محفل
ويا لهف مثلي وهو أولى تلهفا * على فقد من كنا به نتجمل
خليلي الذي قد كان أدرى بخلتي * ويدرأ عنى الحادثات ويحمل
نأى عن محبيه وأقسم جازما * بأن لا يؤب الدهر ما طاب منزل
وأقسم كل من أخلاه موقنا * بأنا الى لقياه شوقا سنرحل
كلانا بصدق بر عند يمينه * وبالرغم ما قلنا وقال المكمل
نوارى خيال النير الاعظم الذي * ينير الدياجي بعض ما يتخيل
ومر لذيذ العيش من بعد فقده * فوا أسفا والعيش صاب وحنظل
ولولا أمين المكرمات الذي الى * مخايله سر الابوة ينقل
فتى المجد والعلياء والصدق والحيا * وأوفى أمين يرتجى ويؤمل
يشم شذا المرحوم منه ويجتلى * بغرته اليمن الذي يتهلل
لذبنا أسى مما عرانا من النوى * ونحنا كما ناح الهديل المبتل
عزاء عزاء أيها الشهم واحتسب * وأيقن بأن الله ما شاء يفعل
تجلد ولا تبد التضجر والأسى * فانك ممن للمعالى يؤهل
فمثلك من يسلى سواه اذا جنت * عليه الليالى واعتراه التغول
ومثلك من يرعى شؤن مراعة * ويسعى لعان قلبه يتململ
وأنت بحمد الله أول عارف * بأن الكريم الحر لا يتزلزل
فيا طالما غالبت بالحلم والتقى * أمور وصعب الامر بالصبر يسهل
وقد جعل المولى الخديوى قائما * بشأنك فاستنجد به فهو موئل

ومن

ومن يك مولى مصر خير خليفة * عليه عوادى الدهر عنه تحوّل
وانى اذا عزّيت آل فقيدنا * وقلت التعازى سنة لا تبدّل
فلى فيك يا ابن الاكرمين فراسة * تحقق اذ لا نصح عندك يهمل
فكن ثابتا عالى العزائم مقبلا * على شأنك الحالى عداك التنزل
فان مصابا جلّ قد حل وانقضى * ونحن بما يأتى نسام ونشغل
ومن بان عنا فى الفراديس ناعم * بظل ظليل دوحه يتهدّل
يغازل ولدانا وحورا على صفا * وفى حسنها من لطفه يتغزل
تبارك من قد خاره لجواره * وخيره فى أنعم تتذلل
وأسعده بالسبق دون رفاقه * وأشهده ما لا يحاط ويعقل
وأحمد عقباه وأيد ذكره * ببرأمين والرضا عنه أكمل
دهشت فأخرت الرثاء لحيرتى * وعاق لسانى الحادث المتغلغل
ومذ سمت نفسى الصبر وارتحت للقضا * تنفست والمخبوء فى النفس أجزل
فخذها أمين الله ما شابها الريا * ولا عابها الا امرؤ يتقول
وقل لشيرا الحزن عنى مؤرخا * ألا فى جنان الخلد فكرى المبجل

سنة ١٣٠٧ . ٣٢ ١٩٤ ٦٦٥ ٣١٠ ١٠٦

(وقال حضرة الفاضل الشيخ عثمان زناتى من فضلاء الازهر)

ماشاء يمتد فى غرائه الامل * فسوف يعثر فى أذياله الاجل
وانما هدنة الدنيا لنا خدع * وجه بشوش وقلب ملؤه دخل
وللظنون شعاع ردّ أعيننا * عن اليقين ولا حول ولا حيل
ان النفوس ثمار كلما عصفت * من المنون بها نكباء تنذبل
كأنما هى أزلام تقلبها * يد المياسر لاريث ولا مهل
وما الحياة سوى ظل تفيأه * سفر النفوس فراح الظل ينتقل
وانما الدهر يعمل للحياة خلا * بها كما بعروس يختلى الرجل
فافتض عذرتها حتى اذا حملت * من خطبه بالاذى أودى بها الحبل
ومن يهب حادثات الدهر يطمعها * فيه فتقطعه من حيث يتصل
نام ملء المآقى عن حوادثه * وللحوادث وجه كله مقل

وتصطلى جذوة الآمال أنفسنا * وقابس الحرص يذكيها فتشتعل
والحرص يرتع فى مرعى النفوس كما * فى مسقط الغيث ترعى الشاء والابل
والعمر أقصر من ليل الخلى على * أن الليالى فيما بيننا دول
هو النهار فريعان الشباب له * ضحى وشيب نواصينا به طفل
يعشو المنون الى ضوء النفوس كما * يعشو الى النار من لم تهده السبل
يحل حبوته فيها ويعقدها * ووقعه ظلل من فوقها ظلل
كأنه وضمير الدهر يكتمه * سر تعثر فيه الشارب الثمل
يعدو علينا ولا نعدو عليه ومن * يعارض السيل رغما عنه ينهمل
وانما نحن فى الدنيا بنو رجل * لو عاش ضاق علينا السهل والجبل
ولو يخلد من أبنائه أحد * بالفضل أخلد فكرى العلم والعمل
طود من الجد دك الموت هضبته * لما تجلى عليه الحادث الجلل
وصارم قد فرى غمد الحياة ولا * غمد لديه منها الا ولا خلل
أمست عفاء ذرى الاعواد منه كما * قد أصبح العلم لا رسم ولا طلل
وحل حبوته الموت الزؤام به * وزاحمت روحه فى جسمه العلل
قد أنسأته الليالى ريثما علمت * أن ليس تمنعه الخطية الذبل
كانا ضل جند الحادثات به * ولست أدرى بمن ذا بعد تنتضل
قضى فشمل المعالى غير ملتئم * والفضل من بعده فى جيده عطل
لئن قضى فلقد أحيا لنا سننا * تزجى الى مثلها المهرية الذلل
قد استقل على أكوار راحلة * على الرقاب لها مثوى ومرتحل
تطوى به البيد يحدوها الوفاء كما * يقودها العدل لا خطم ولا جدل
وما علمنا ببحر غاض فى جدث * ولا بطود على الاعواد يحتمل
ولا سمعنا بشمس فى الثرى غربت * وبرجها طبقات الارض لا الحمل
لو تعلم الشمس ما القبر من شرف * تمنت القبر برجا فيه تنتقل
ان اللآلى التى قد كان يبذلها * ذابت دموعا على لبات من سألوا
ردوا الذى قبلوا منه وخلتهم * لو كان حيا لما ردوا الذى قبلوا
أبكى اليراعة حيا فهى حاقدة * أولا فما بالها لم يبكها الثكل
فكم أسال على خدى مهارقه * دموعها وهى من تسكابها جذل

كانت يراعاته للدهر ألسنة * فليت شعرى بماذا الدهر يرتجل
تغشى الكتائب قبل الدارعين فما * تغنى الصوارم ما تغنى ولا الأسل
فهى الحبائل لو صاد النجوم بها * لكان أقرب ما يصطاده زحل
وهى الأعنة لو قاد الغيوب بها * لكان أطوع ما ينقاده الأمل
وكانت الصحف وجنات يقبلها * فم اليراع فتوقيعاته قبل
لو لم تكن بدم الاعداء قد كتبت * نخلتهن خدودا فوقها خجل
كالخيل أوردها غرا وأصدرها * لا غرة فى محياها ولا حجل
نعى السياسة ناعيه وشيعها * مشيعوه فلا يرجى لها قفل
فيا أمينا على ما شاد من حسب * له أبوه ولكن ليس يتكل
صبرا فكل بنى الدنيا على وشك * من اللحاق لمن أبطؤا لكن عجلوا
فاثر انك عند الموت تدركها * وان جزعت فذان السيف والعذل
فقد وجدنا التفنى بعد ما أجل * وحسبنا عظة آباؤنا الأول
درت عليه أفاويق الرضا وسقت * ضريحه سحب عفو غيثها هطل
ان السراة سراة الناس قد ختموا * به كما ختمت بالمصطفى الرسل

(وقال حضرة الاستاذ الفاضل الشيخ أحمد الزرقانى)

سلوا العلم هل عادت تضىء دلائله * وهل بعد عبد الله أحسن كافله
سلوا السنة الغراء هل قام فاضل * يواصل من أحكامها ما يواصله
سلوا الفقه موفور المسائل مسهبا * الى أى أستاذ ترد مسائله
سلوا الادب الغض الرفيع مكانه * لاى امرئ باتت تساق رواحله
سلوا الشعر غضا محكم النسج ناصعا * بأى بيان عاد ينطق قائله
سلوا النثر سلسال الشريعة صافيا * لمن بعد هذا الشهم تصفو مناهله
سلوا لغة الفرس البليغة من لها * وقد غال هذا الحبر بالموت غائله
سلوا من لغات الترك هل ثم كاتب * يحاول من أغراضها ما يحاوله
سلوا غرر الاخلاق هل لنجومها * شروق وأفق الفضل أقفر آهله
سلوا المجد عنه والمكارم والعلا * وصدق الوفا والحلم من ذا يماثله

مضى طاهر الاخلاق منفرد الحلى * أواخره محمودة وأوائله
فأى فؤاد لم يذب بعد فقده * وأى حزين لم تطعه هوامله
وأى اصطبار لم تزلزل رعانه * وأى ذناء لم تقصر طوائله
أهبت أساطين الكلام فأصبحوا * وكل الى علياك تهدى فواصله
بدائع يعتز الكلام لمثلها * وتهتز من شم القريض موائله
أطالوا القوافى وهى عنك قواصر * فكل مجيد شعره فيك عاذله
يحاول عد الرمل فى طى نظمه * ومن جاوز الامكان أقصر باطله
فلا ومعاليك التى عز نيلها * لقدرك يأبى أن تعد فضائله
وما كنت لولا صدق ودك لاحقا * وقد فاز بالسبق الاعز أفاضله
سكنت الثرى فالمسك يحسد نشره * بما فاز من طيب شذاك مواصله
وآنست بطن اللحد فالكون موحش * أعاليه تشكو بثها وأسافله
وأصبح وجه المجد أغبر آسفا * عليه عظيم الحزن تبدو مخايله
فلله لحد ضمن البحر زاخرا * وبدر تمام قد تحجب آفله
عزاء بنى الشهم الجليل مصابه * فان جميل الصبر فيكم معاقله
إليكم يرد المكرمات حليفها * وعن مجدكم يروى الكمال محاوله
وأحسن ما اعتز الكريم بنيله * جميل عزاء لا يزعزع ماثله
ومن كان كالمولى الامين وريثه * فما فقدت أخلاقه وشمائله
فدم يا أمين المجد فى خير نعمة * وشامخ عز يدفع النجم كاهله
تهاداك أنواع المعالى فترتقى * مجدا اذا ما العزم أقصر هازله
وللوالد المبرور أزكى تحية * من الله ما ناحت بروض عنادله
ودامت له البشرى مساء وغدوة * ولا زالت الحور الحسان تغازله

(وقال الفاضل المرحوم مصطفى باشا صبحى مدير الغربية كان)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

« الأجر نتيجة الصبر »

أمين بن عبد الله فكرى لك البقا * وللوالد الفردوس والنائل الجزل
لقد كان عبد الله فى مصر رحمة * به تضرب الامثال ليس له مثل
رأى الله عبد الله خير عباده * فأسكنه الجنات وهو لها أهل

ومن

ومن غير مين ألسن الصدق أرخت * بكى العلم عبدالله والحلم والفضل

١٠٠ سنة ١٣٠٧ ٣٢ ١٧١ ١٤٢ ١١٥ ٩٤٧

وان كانت الابيات قليلة ففقدو فقد ذي انتقال المرحوم الى رحمة الله الواسعة ومن الامثال « حال الجريض دون القريض » ومنها أيضا « ان القليل من المحب كثير » وما انتقل رحمة الله عليه الابعد أن نشر في الناس علوما تذكر ومكارم تؤثر وأنتم والحمد لله تعالى من أكابر السادات وسادات الاكابر فاشكروا الله تعالى على نعمه الوافره وقارنوا المصيبة بالصبر يكون لكم حسن الاجر والسلام

وقال حضرة الاديب الاريب السيد وفا محمد افندى أمين الكتبخانة الخديوية

لما روعني الدهر بمصاب لا يماثل وفجعني بعباب فضل لا يعادل أنشأ لسان الحال معزيا بأمين ذا الكمال

اللهأكبر لا فضل نؤمله * بعد الامير ولا جاه نحصله

قد كان بحر ندى فاضت مناهله * وعم إحسانه الدنيا ونائله

العلم من بعده عزت وسائله * وأشكلت بعد إيضاح مسائله

من للبيان جفاه اليوم وائله * ومن بفصله مذبان واصله

فصل الخطاب رمى بالعي قائله * بدر المعالي خلت منه منازله

فكم أضاءت به آفاق أندية * برق الفهوم له غيث يساجله

وكم أناط على القرطاس من درر * يحلو بها الجيد منه وهو عاطله

ياسائلي سيرة عنه وقد عرفت * ينبيك بالمسك من دارين ناقله

وياخليلي اذا مارمت تعزيتي * كرر على حديثا عنه تنقله

آثاره في رياض الكتب يانعة * قد أثمرت أدبا كم من يزاوله

وهمة في السما ان رمت توصفها * فهي العلا وأدل الوصف أفضله

وخبرة كلما فكرى تخيلها * أدركت معنى لساني لا يمثله

كانها فوق حد العقل منزلة * فهو الاخير ادكارا وهي أوله

وثاقب الفكر ان ناواه ليل دجى * أغرى عليه ضياء الصبح جائله

واحسرتاه على تلك الخلال عفت * لم يبق منها سوى ذكر نواصله

لكن لنا من أمين المجد خير فتى * والابن يقفو أباه اذ يماثله

ياحلية الفضل أجرا بالعزاء فقد * نزل القضاء وعمتنا نوازله

دار الثواب بعبد الله آهلة * له النعيم قد ازدانت منازله

والحور تهتف بالبشرى مؤرخة * فوزا لفكرى هنالك الخلد منزله

سنة ١٣٠٧   ٩٤ ٣٤٠ ٧٦ ٦٦٥ ١٣٢

وقال حضرة الاستاذ الفاضل الشيخ طه محمود قطريه المصحح بالمطبعة الاميريه

أيظعن من تهوى وأنت مقيم * فأين اشتياق مقعد ومقيم
وأين وفاء طالما قد زعمته * وما كل زعم بالوفاء زعيم
ولو صح منك الود ما اخترت دونهم * مقاما ولا كنت البقاء تروم
وأى تراث بعدهم قد أصبته * وهل بعدهم الا أذى وهموم
فلا تبك من بالخير فازوا وفوزوا * على أنهم هبوا وأنت نؤم
وأنهم خفوا وظهرك مثقل * وأنهم صحوا وأنت سقيم
لعلك أحسنت الخلافة بعدهم * فتبكى كما تبكيهم وتهيم
فلا ترج من دنياك صفوا بلا قذى * ولا برد ظل لم يشبه سموم
أتحسب خطب البين ويحك هينا * وهل ساغ من بعد الحميم حميم
وتنقسم منى أن ترانى واجما * وأى بنى الدنيا عداه وجوم
أرى الموت لا يرضى بأيسر فرصة * كليث الشرى لا يزدهيه قضيم
أراه حليفا للكرام أولى النهى * فهل هو مغرى بالكرام غريم
يحط بأبواب الأماجد رحله * وحول الطغام لا نراه يحوم
اذا كان إلمام الوباء يهولنا * فأولى وباء أن يصاب كريم
وليس الوبا موت الالوف من الألى * بمحياهم وجه الزمان دميم
فرب امرئ قامت عليه نوادب * وكان شجا فى الحلق ليس يريم
فما تصلح الدنيا بكثرة أهلها * ولا الدين بل بالطيبين تقوم
وكم طيبا قد أنجبت أمه به * أرونى كعبد الله حيث أروم
أرونى شهما مثله كان منتهى * لاهل النهى تأوى اليه شهوم
أرونى آثارا كآثاره التى * بها تنجلى للمشكلات غيوم
أرونى أرونى لا أرى بعده سوى * رسوم اذا أمعنت فهى رسوم
ابنك عليه المنشآت التى جرت * بأقلامه من فيضهن سجوم
وتبك عليه الكتب والصحف التى * بروقك منها حادث وقديم
فيا ضيعة الانشاء قد باد أهله * كما ضاع عند الاخشمين شميم
فقل لعروس الفكر اذ بان كفؤها * تحد عليه دهرها وتئيم

وقل

وقل لجباة الدر قد ذهب الذى * يغالى بسوم الدر حين يسوم
يتيمة دهر كان للدر مؤويا * فيا عجبا يؤوى اليتيم يتيم
ومن كان عن عبد الحميد به غنى * فان زمانا هاضه لذميم
سأبكيه ماهبت شمال ولا أفى * وأمسك الا عن أسى وأصوم

(وقال حضرة الاديب الفاضل الامير شكيب ارسلان)

الى مثل هذا فى الخطوب العظائم * أرى منتهى بطش الليالى الغواشم
وهل بعد هذا الخطب خطب نهابه * مصاب العلم أو بلاء لعالم
مصاب لما قدفات أنسى ومأتم * به ختمت آلام سود المآتم
ولا غرو فيه فاجعاعم رزؤه * فوت رجال العلم موت العوالم
مصابيح فى الدنيا اذا هى أطفئت * دجا الناس فى ليل من الجهل قاتم
وأعلام رشد فى البرية يهتدى * بها كل سار فى المجاهل هائم
ولكنها الدنيا العمرى أولعت * بنكب العلا من عهدها المتقادم
يرجى التهاب النار بالماء عندها * وليس يرجى صفوها كل حازم
أخفاء عباد الله ذا اليوم قد خبا * شهاب العلى واندك طود المكارم
وان المعالى والمعانى فجعت * بخطب بسمر الخط والبيض ثالم
وما الشؤن العلم سالت شؤنها * على وجنات الفضل سح الغمائم
أجل مات من قد كان للفضل سيدا * بناجى مخطب داهم أى داهم
قضى اليوم عبد الله فكرى الذى سعى * لنيل المعالى منذ نيط التمائم
وخلفت الاقلام والصحف بعده * بحزن الى يوم القيامة دائم
وأضحى به أضحى وقد كان يومه * ولذاته قد بدلت بالعلاقم
وباتت ثغور كن فيه بواسما * وغادرها ذا النعى غير بواسم
نعى سرى ملء المسامع وقعه * اذا الصحا من غفلة كل نائم
كذا فليكن غور الكواكب فى الثرى * كذا فليكن غيض البحار الخضارم
مصيبة مجد أسكرت بسماعها * نهى الناس حتى أقعدت كل قائم
فقدنا أميرا كان غرة عصرنا * وحلية أجياد العلا والمعاصم
فقدنا أمير النظم والنثر راقيا * من الامر أعلى ما ارتجت نفس دائم
فواها لاقوال له قد أعارها * سلاسته واللطف مر النسائم
ورقة ألفاظ صحاح أغارب * كساها بتفويف طراز الاعاجم

نظام مبان يخجل الروض بهجة * وصيد معان فى شرود النعائم
محاسن روح ما ابتغت فى زمانها * سوى الخير والمعروف يوما لآدمى
ولا وردت غير الشهامة منهلا * ولا عرفت من أين باب المآثم
خلائق أمثال الرياض نواضر * تضوّع منها عرف زهر الكمائم
وقد كان أذكى من سنا النار ربها * وأقطع رأيا من شفار الصوارم
فلما ثوى تحت الرغام وذللت * بمصرعه للعلم شم المراغم
بكته عيون المكرمات وأعلنت * عليه المعالى كيف نوح الحمائم
ولم أرخطبا مثله أوهن القوى * به وقد انحلت عقود العزائم
سأندبه لا اذا خوادرّ مدمع * ولا سامعا فى الحزن لومة لائم
ولا أنس عندى من نفائس لفظه * قلائد أغلى من لآلى العيالم
وكنت مللت الشعر حتى كرهته * وأصبح عندى فى عداد المحارم
الى أن قضت أوصافه برثائه * فأصبح عندى اليوم ضربة لازم
على أننى ان لم أكن قبل ناظما * أعدّ لنطقى فيه لهجة ناظم
فمن وصفه درّ المحامد والثنا * ومن نوحه درّ الدموع السواجم
أيا راحلا عنا الى الملك الذى * دعاه الى عيش من الخلد ناعم
لعمرك هذى غاية الخلق كلهم * ولو عمّر المخلوق عمر القشاعم
حباك إلهى كل روح وراحة * وجادت ثرى مثواك سحب المراحم
وان لنا فى نجلك اليوم سلوة * وتعزية يؤسى بها قلب واجم
يدوم لنا الشهم الامين مؤيدا * ونسأل رب العرش حسن الخواتم

(وقال حضرة الاديب عبد الله افندى فريج)

بنى مصر جودوا بالبكا فى المآتم * فقد دك هذا اليوم طود المكارم
وقد راح عبد الله ذو الفكر والحجى * ففيه فقدنا اليوم كل الغنائم
أمير جليل القدر من خير معشر * همام شريف الاصل من آل هاشم
سمير المعالى كاسب الحمد والثنا * أخو الفخر رب المجد ماضى العزائم
مهيب له تعنو الوجوه وبأسه * تدين له طوعا فحول الضراغم
له ما عهدنا فى الفخار مباريا * وفى المجد لم نعهد له من مزاحم
سرى من العرب الكرام موصّل * أقرّ له بالفضل كل الاعاجم
تسامت باجلال معانى صفاته * فجلت بوصف عن شروح التراجم

تقيّ نقيّ طاهر العرض فاضل * صفيّ وفيّ خير خلّ مسالم
كريم ترى جدواه بالبحر تزدري * وتخجل في يوم الندى جود حاتم
يحن لمعروف حنين متيم * ويصبو باشواق لجل المغارم
يلاقي وفود القاصدين مؤانسا * بوجه بشوش ضاحك الثغر باسم
أديب أريب ذو كمال مهذب * لبيب مجيب ناثر خير ناظم
فكم بكر فكر زفها من خبائها * تتيه على ذات البها والمعاصم
صبا لاكتساب الحمد طفلا بعهده * ومال لفخر قبل نزع التمائم
له قلم ان حركته بنانه * بلاغته فاضت كصوب الغمائم
يراع ترى سمر العوالي تهابه * وترهبه بيض الصفاح الصوارم
له الله من شهم كريم سميذع * عفوف تقيّ عاقل خير فاهم
بفضل جمع العلم كنزا بصدره * ولم يكترث يوما بجمع الدراهم
تآليفه في الخلق قد عم نفعها * فطابت مجانيها لكل العوالم
فويلي على شهم ودود فلا ترى * له في الملايين الورى من مخاصم
هوى اليوم بدر العلم للحد في الثرى * فآها لبدر في ثرى اللحد نائم
عليه فؤادي ذاب مني تأسفا * حزينا كئيبا قارعا سنّ نادم
فمن لي برد العيش بعد انه * وأرضى بعمري أن يكون مقاسمي
نأى مع ظعون البين عنا فبعده * سقانا عليه اليوم مرّ العلاقم
كؤس فراق ما أمرّ مذاقها * أرى دونها في الذكر سمّ الاراقم
فليس عجيبا أن تنوح مؤبدا * على فقده والله نوح الحمائم
ولا بدع أن تبكي العوالم أجمعا * على ماجد بل فاضل خير عالم
وتندبه أرض الكنانة للمدى * جميع القرى فيها وكل العواصم
ألا أيها النجل الامين ومن به * قد افتخرت في مصر غرّ المحاكم
رويدك في حزن وصبرا على القضا * فصبرك للاحزان خير المراهم
وكن واثقا يا صاح فيما لقيته * برب كريم خير واق وعاصم
فوالدك المبرور لله قد مضى * بقلب سليم من جميع المآثم
واذ فاز في خلد برضوان ربه * وبات بيال في رضا الله ناعم

رثاه نخارا بالوقار سميــــه * ينادى بتاريخين طى المراسم
أخو اليمن عبد الله ذا اليوم فى العلا * يزاهى هناء حاز فيض المراحم

٦٠٧ ١٣١ ١٤٢ ٧٠١ ٨٧ ٩٠ ١٣٢   ٢٥ ٥٦ ١٦ ٨٩٠ ٣٢٠

سنة ١٨٩٠   سنة ١٣٠٧

« وله أيضا »

يامن يروم الخلد بين الانام * مهلا فما هذى بدار المقام
فما الفتى والله فيها سوى * طيف تراه قد سرى فى المنام
واعلم بان العيش فى ظلها * يحكى زوال الظل فى الانصرام
والكل منها سوف يفنى ولو * فيها تمادى عمره ألف عام
وليس يبقى غير بارى الورى * من خص حقا بالبقا والدوام
أين الملوك السالفون الأُلَى * قد دوّخوا الدنيا بحد الحسام
وأين من شادوا القصور التى * تصاعدت أركانها للغمام
أليس بات الكل فى حفرة * وفى الثرى أضحوا لدود طعام
لا بل تساوى الكل فى رتبة * فلم يميز سيد من غلام
فكف يا مغرور فى رأيه * عن حب ذى الدنيا ويكفى هيام
وان تكن من غدرها آمنا * وكنت فيما قلته فى اتهام
فهاك عبد الله فكرى الذى * ما مثله فى الناس خلنا همام
انظر فكيف اليوم مع بأسه * أسقاه هذا الدهر كاس الحمام
لله ذاك الامير الذى * منا عليه الوجد زاد اضطرام
شهم شريف الاصل من نسبة * تسلسلت من خير قوم كرام
من أمة يا طالما طأطأت * لها بنو الاعجام رأسا وهام
سامى الذرى كانت الى ربعه * تسعى المعالى فى الورى بازدحام
ذو همة لا شك من دونها * ليث الشرى فى البطش والاقتحام
حليف مجد كان فى وصفه * كانه فى صدر عصر وسام
نقى قلب حاز كل التقى * من كل وزر طاهر فى اعتصام
ما فاته من خمسه ركعة * يوما ولم يعبث بفرض الصيام
وقد توخى العدل دأباله * لا يختشى فى الحق أى الملام
رب النهى من كان بين الملا * فى غير فخر ماله من غرام

يصبو لجمع العلم في صدره * دوما ولا يصبو لجمع الحطام
وكان ذا فكر بهي الضيا * أنواره تزري ببدر التمام
في مشكلات الخطب ياطالما * منه بسيف الرأي بت الخصام
صب بالكسب الجد من مهده * ومال للعلياء قبل الفطام
امام أهل الفضل من خلفهم * يمشون خلفا وهو يمشي أمام
عجبت من سحر حلال له * والسحر لم نعهده الاحرام
كم بنت فكر قد جلاها لنا * فمن لماها قد رشفنا المدام
يامن بسحبان الورى قاسه * قد قست صبحا ساطعا بالظلام
هذا الذي ماقد عهدناله * يوما نظيرا في جميع الانام
بل كان ركنا للعلا قد سما * ويحي على ركن غدا في انهدام
ويحي على وجه وجوه الملا * كانت له تعنو بكل احترام
دمعي عليه قد حكى نظمه * كلاهما در بديع النظام
ياأيها الاقوام لاتعجبوا * عليه أن نلبس ثياب السقام
عليه كم قدت قلوب لنا * وأحرقت حزنا بحر الضرام
يبكي عليه العلم مع أهله * ماغردت ورق وناح الحمام
تبكيه هاتيك اللغات التي * اليه في التبيان ألقت زمام
أيا أمينا صادقا في الولا * صبرا على رشق لتلك السهام
لاتبك دوحا شمت أغصانه * وافت باثمار على مايرام
ولم يمت ليث نرى شبله * قد قام بالعلياء خير القيام
وياذويه اليوم كفوا البكا * وكفكفوا دمعا جرى بانسجام
ففيه دكم اذ حل ارخ المنى * في خط تاريخ بدار السلام
الآن رب العرش من فضله * والاه والله بحسن الختام

٨٢ ٢٠٢ ٦٠١ ٩٠ ٩١٥ ٤٣ ٧٢ ١٢٠ ١٠٧٢

١٨٩٠ ١٣٠٧

وقال سعادة الحسيب النسيب الفاضل علي بك فهمي رفاعة وكيل المعارف المصرية سابقا

« تأبين المحبين »

دنياي لم تبدلين المدح تأبينا * وتمنعين الوفا ظلما وتأبينا

وتظهرين إزاء العجز مقدرة * وان نويت لنا جبا تناوينا
اذا وعدت وأعددت الصفاء لنا * تلوين وعدك بالاكدار تلوينا
فى روضة العيش كم تدنين من ثمر * لمن اذا حان أن نجنيه تجنينا
وكم رويت عن الماضين من عجب * متى أراك بهذا الماء ترويا
بينا تراك لنا تهوين كل علا * اذا بنا فى حضيض الرمس تهوينا
تلهين باللوم من دان السرور له * كى تسمعيه لصوت الحزن تلحينا
فيك الحياة وكان الود لو بقيت * لكن رأينا الفنا أبدى أفانينا
تحكمين الردى فى كل ذى شمم * فيرسل السهم تصميما فيصمينا
هل آن يا ضرة الاخرى جلاؤك عن * حقيقة الحال فالكتمان يضنينا
كيف الامان وقد خارت عزائمنا * بعد الخيار وقد خابت أمانينا
أستودع الله فى مصر نجوم هدى * مذ آثروا القبر ضاؤوا فيه ثاوينا
يا فوز مثلى لو أمسى الفداء لهم * وكان ذا قى حينى قبلهم حينا
دروا بذى الدار مادار الحديث به * فعاقروا الموت لا صهباء دارينا
مذ حدقوا الطرف ما ألفوا لظائرهم * صاحوا بركب المنايا أين حادينا
من يؤثر الموت لولا أن فضلهم * ينفى الدعاوى دعوناهم مجانينا
ساقوا لنا الحزن لكن خلفوا اسيرا * سرورها سر كاسات لساقينا
ياليت فكرى وقد جادوا بأنفسهم * لما دعوا نال تأجيلا بعادينا
ذوبى أسى يا قلوبا ان تقل أسفا * للدمع لا تجر قال الدمع جارينا
عافى الكرى يا عيونا قال سائلها * لسائل الصبر رح بالله عافينا
عجبت حتى غراب البين ذاب أسى * بنفسه سطرت أخبار ناعينا
أقول فكرى ومعنى الانام ومن * عمانه ساء أحبابا وقالينا
فكم معادلاً هل الفضل ان درجوا * عاد المحب وساءته عوادينا
وكيف والفضل كم فيه بجوهره * وكيفه كم تندى منه نادينا
بينا نؤمل أن ترقى فضائلنا * به اذا نحن لا نرقا مآقينا
مصاب مثلك عبد الله سى عله * كل الانام وملك حل عبدينا
فما مصاب أخى طهطا برزء أخى * دار المعز فيامولاى عزينا

من

من خال بعدك عبدالله أنّ له * جوّاً خلا عنك كنا عنه خالينا
تبرّأ قدوكلناه لبارئه * وهل نلام بتفويض لبارينا
سل الكتاب كتاب الله بعدك من * به يذكر خالينا وحالينا
غدا امامك مأمورا ومنتهيا * وآمرا مااقتضى أمرٍ وناهينا
بظاهر منه والتأويل مشترط * بقول ماصح من أخبار هادينا
وسنّة صدّها خطر المناهل عن * ورد اجتهاد وراد واءاصادينا
تبعتها مثل من صح الحديث له * فكان مرضاة هادينا له دينا
وكل خير يفاجينا فعن سلف * وكل شر يداجينا به جينا
فى الدين راية أهل العلم قد وقعت * سل ذا الجناحين مصرّ الاتلاحينا
أللبيان نرجّى أن يشادله * بيت وبعدك سدّ الباب بانينا
سل دولة هى انشاء ومقترح * أمضى براعتك فيها أم مواضينا
هل فوق نثرك مازهى بنثرته * أوفوق شعرك شعرى أو يمانينا
من للطوّل أوجمع الجوامع أو * من للمواقف توقيفا وتبيينا
من للتفاسير تأويلا لمشتبه * أوللتواريخ توقيتا وتأوينا
هل للشفا وحديث المصطفى طرق * بها طبيب النهى يأتى بشافينا
من للفرازين أوللشاه بعد فتى * فى تخت مصر بانشا الفرس قد زينا
سل آستانة عن تركىّ منطق من * سما عشائرها وهو ابن عشرينا
لو كان فيها لجارى كل ذى قلم * يختال بالفكر ترصيفا وترصينا
ينشى القوا فى فتحلو فى مباسمنا * ذوقا كأن بها الصهباء تنشينا

*

وكم لمثل رسالات البديع أو الصابى له نزعة تصبو فتصبينا
فى شرح ديوان حسان له برعت * فصول فكر تزيد الحسن تحسينا
له الموارد للقرآن يتبعها * تعريب مملكة الانسان ترقينا
تلك المثاب عليها الا التى تركوا * بعد الممات بها اثما وتهجينا
يادهر أبناؤك الماضون هل رجعوا * كمثل أبنائك الماضين غسلينا
بل هل بقيتهم مثلى أصيب بمن * قد كنت للروح ألقاهم رياحينا
تشرى النفوس المنايا مادنا أجل * ولا تؤجل تأميلا وتأمينا
ماضر لو أنسأتنى فى أخٍ قصرت * زهر النجوم به عن أن تواخينا
أسلمته الروح اذ لا ابن يلقنه * ومجيبا بالتلقى عنه تلقينا

كنا شريكي وفاق حيث رائحنا * فى وجهة القصد مربوط بغادينا
كنا رضيعي صفاء اذ مراضعنا * تنوب ان ناب دهر فى مراضينا
أعتده لخطوب الدهر أدفعها * برأى أروع كم ذلت له لينا
أبكيه لا بدموع بل بما ضمنت * منى حنايا الضلوع زدن توهينا
أبكى وصحبى بانفاس النفوس له * حتى ترى سائلات من تراقينا
اذ لست غير أمين فى مودته * كم قلت مهما اذا عادا غيبه آمينا
نبكى عليك لفضل لا يعادله * فضل وهل غير أهل الفضل يبكينا
وان يثب عقلنا نصبر لفقدك اذ * جاورت يا خير نا غرا ميامينا
غيث المراحم عاهد للامير ثرى * نابت عز اليك فيه عن عزالينا
وأنت يا نفحات البرزخ انجهى * لوجهه وانفحى وردا ونسرينا
وأنت يا حور جنات زففن له * تبارك الله هالك المهر ياسينا
وأرخيه فما كفؤ يؤرخه * فى رحمة الله عبد الله فكرينا

سنة ١٣٠٧   ٦٤٨٩٠   ٦٦   ١٤٢   ٣٦١

وفى رعايته بيت رياسته * الى الامين وهذا القدر يكفينا

(وقال حضرة الفاضل الشيخ أحمد عبد الغنى)

ألهم أنجزلى ما كان يوعدنى * والعمر ان رمت أمشى راح يقعدنى
وان أكن أنا من فكرى حرمت فمن * لى بعده لصواب الامر يرشدنى
ولم يعقنى عن سعيي سوى كرب * أرجو من الله من هاتيك ينجدنى

(وقال حضرة الاديب محمد ولى الدين بيك يكن)

لا تأمن الدهر ان الدهر خوان * وآخر الصفو مهما طال أحزان
ولا يغرنك ان أبدى مسالمة * فالليث يبسم حينا وهو غضبان
أين الملوك الالى شادوا الهم رتبا * فوق السماك بحسن الفخر تزدان
لم يبق منهم سوى ذكر نكرره * مدى الدهور ولا ينساه انسان
قد أحرق الكل من غاراته كمدا * اذ ضمت اليوم عبد الله أكفان
قس الزمان أنيل المجد من نطقت * بفضله الكتب والآثار بلدان
فلتحزن اليوم أهل العلم قاطبة * ولتذرف الدمع هذا اليوم أوطان
مات الذى كان هذا الدهر خادمه * فكرى المبجل من فى الفضل سحبان
ياضيعة العلم والافضال دون مرا * فاين للعلم بعد اليوم احسان

عجبت

عجبت للقبر وارى جوف راحته * ولم تسع فضله عصر وأزمان
ياقبر حسبك ما أعطيت من شرف * اذ فيك ووري كنز الشعر حسان
يالهف نفسي على طود العلوم ومن * تخشاه في حومة الانشاء فرسان
يالهف نفسي لشمس الفضل اذ كسفت * وكل شخص لذاك الهول حيران
يالهف نفسي على من حسن فكرته * للقلب مجتذب للعقل فتان
من بعد موتك يامن كان قدوتنا * فكل فضل عراه الآن نسيان
متعت بالعفو والرضوان في خلد * فانت لاشك في الجنات جذلان
ويا أمينا فكن بالصبر متصفا * فآخر الصبر ان فكرت غفران
وقلبنا بعظيم الوجد منكسر * لكن عزمك لاتثنيه أحزان
والله انى منذ الخطب حين أتى * بدت على من الاحزان ألوان
وماقدرت بان أرثى لحضرته * من التأسف اذ للشعر أحيان
فكيف أحسن نظم الشعر اذ دفنوا * فكرى العزيز وعاق النطق أشجان
فاعذر فانك تدرى ما أكابده * من الهموم لحشو القلب نيران
لازالت السحب تهمى فوق مضجعه * من الاله وحيا القبر ريحان
ماأحرق الحزن منى مهجتى كمدا * وما تمايل بالجنات أغصان

(وقال أيضا سعادة الاخ المفضال اسمعيل صبرى باشا الافخم محافظ الاسكندرية)

الفضل أصبح زائلا فى إثر من * جلت مناقبه عن الاشباه
فبكى الزمان وقال فيه مؤرخا * الفضل زال بفقد عبد الله
سنة ١٣٠٧

(وقال أيضا حضرة الاستاذ الفاضل الشيخ أحمد عبد الغنى)

أوّاه من كأس الردى أوّاه * لو كان ينفع فى الردى أوّاه
أسفا على أسف على أسف على * أسف على أسف ووا أسفاه
واحسرة لاتستطاع لحرها * والهف محزون ووا كبداه
والدهر ظلما قد تجارى بالاسى * تربت يمين الدهر ما أجراه
أوما كفاه من الخطوب تطاولا * حسب الزمان تطاولا وكفاه
ان كان حتما كل عمر ينقضى * مابال عمر الموت طال بقاه
ياأيها المغرور بالدهر انتبه * كيف الغرور وأنت من خصماه

قد قدّر الله الممات وقد قضا * وكل شئ هالك إلا هو
والروح دين أينما حل انقضى * وأرى المنايا للفتى غرماه
والدهر دوّار يغرّ بأهله * من لم ينل كدرا به سيراه
وبه الردى قد عم حتى أن قضى * من لم يكن في العالمين سواه
هل غير عبد الله باشا عالم * كلا وهل من عامل حاشاه
ان غاب فكرى في الثرى ما غاب عن * فكرى وألقى الله لا أنساه
أيليق أن أنسى فكاهات له * منها غذاء الروح مذ ألقاه
قضت المعارف مذ قضى فليبكها * من كان من أسف عليه بكاه
ولتنعه الآداب وهي بأسرها * من دأبه ولينعه إنشاه
وسل الوزارة عن معالمه تجب * مستنشدا ان شئت عن قرناه
وسل الدواوين التي شرفت به * قد عم كلا من علاه حلاه
يا نكبة الاسلام يوم مصابه * يوم لقد عظمت به بلواه
من كان قد عم البرية نفعه * علما وعمّ الكون نور بهاه
من كان ان تذكر أفاضل عصره * فهو المقدم والجميع وراه
من في اشتغال العلم أفنى عمره * من كان فيه صباحه ومساه
فكأنما قد كان فينا مُنْشَأً * منه وكان مصوّرا معناه
لا تنتهى عند انتهاية ما حوى * فضلا وغاية غيره مبداه
من خاف من أيامه شيئا وان * طال المدى لابدّ أن يلقاه
كنا نخاف الموت قبل مماته * والآن بعد دفناه لا نخشاه
منا السلام على الزمان بما حوى * هان الزمان بما حوى لفناه
ولطالما عكس الزمان مفرّقا * ما بين ذى أمنية ومناه
يأتى على غير المرام مرامه * وتطول عن مرمى الورى مرماه
علم احتياج الطالبين لفضله * وتيقن الامداد من علياه
ورأى الامانى فى بقاه استجمعت * اذ كلنا كنا نودّ بقاه
فأتى بعكس القصد فى استبقائه * ياليتنا فى القصد ما غالطناه
والفضل ليس على الملابس قاصرا * علم الفتى شئ خلاف كساه
كم دبة فى جبة أكمامها * فى طولها ما ان لها أشباه
وعمائم قد ألبست لبهائم * كم كمائم حبست بها الافواه

يا ليت يوما كان فيه موته * لم يطلع الرحمن شمس ضحاه
صبرا بنيه فصبركم خير لكم * والموت حق قد قضاه الله
ولئن نعزى فى مصيبة فقده * فهو المهنا بالذى لاقاه
وقد ارتضى بالارض أشرف مدفن * عجبا وكان على السهى قدماه
لما دعاه ربه بجواره * جد المسير له وقد لباه
وغدا على قدم التوكل سائرا * فرحا وكان العيد يوم لقاه
ورأى المقام بهذه الدنيا سدى * والخير كل الخير فى أخراه
فأحله الرحمن أعلى جنة * وأجله فيها وقد أعلاه
وكساه من افضاله حلل الرضا * وأعزه كرما وقد حياه
والحور والولدان قد فرحوا به * واستقبلوه بالسرور وناهوا
ورضا المهيمن قال فى تاريخه * جنات عدن فى الهنا مثواه

سنة ١٣٠٧ — ٤٥٤ ١٢٤ ٩٠ ٨٧ ٥٥٢

يقول خادم تصحيح العلوم بدار الطباعة البهيه ببولاق مصر المعزيه الفقير الى الله تعالى محمد الحسينى أعانه الله على أداء واجبه الكفافى والعينى

سبحانك يامن شيدت ديوان الادب وجودت لسان العرب قومت منه العضل وأذهبت عنه العقد والعضل وجعلت الفصاحة لحمته والبلاغة سداه وأطلت فى مجال البيان مداه ففاق بذلك جميع الالسنة وسائر اللغات وشرفت لهجته على بقية اللهجات وفوقت فى مجامع الناس مصاقع فصحائه وعباهر بلغائه وتسابق مفلقو الشعراء والخطباء فى بيادى التفاخر والمديح والهجاء والتشبيب والرثاء حتى امتاز منهم المبرز والمجلى السابق عن السكيت والفسكل اللاحق ونحا نحوهم المولدون وزاد بعضهم لطافة فى القول ورشاقه ورقة فى المعنى ولباقه وكثرت فى ذلك دواوينهم واشتهر بجدهم ومجونهم وممن جاراهم فى ذلك المجال وكان السابق فيه على كل حال علم الفضل الشامخ وطود المجد الراسخ ساحب ذيل النسيان على فصاحة قس وسحبان نظم فأرانا الثريا فى صفحات الطروس ونثر فأفرح من

القارئ النفس العبوس فكل الشعراء تعنو لنظمه وتحبيره وأخطب الخطباء يهيم لتسطيره فهو سر جميع الادباء ظهر فى هذا الزمان وريحانة الظرفاء عطر طيبه هذا الآن وبالجملة فهو الغنى بفضله عن الاطراء الحقيق بما قاله فيه الشعراء من مدح ورثاء المتوفى الى رحمة الله تعالى عبد الله باشا فكرى عليه سحائب الرحمه فى دار الرضوان والنعمه فانه دبج القصائد الكثيرة الجمة وحبر المنثورات الظريفة المهمة بيد أنها العبث بها أيدى الزمان وفرقتها بنان الحدثان وبعثرتها أنامل الحزن من مصابه والدهشة التى نابت جميع أحبابه فانتهض بعد الافاقة نجله الهمام والبدر التمام وارثه فى خلال الكمال وعلو الهمة والكاشف بنير فكره كل معضلة مدلهمة ولاغرو أن يخلف الاسد الضرغام شبله الهزبر الهمام سعادة أمين باشا فكرى حفظه الله وقام على ساق الاجتهاد وجمع ما عثر عليه وقدر على لمه من كل واد ونظمه فى هذا الديوان الجليل الفائق البديع الرائق الغنى بحسنه عن مدح كل مادح والبرى بجودته وإحكامه عن قدح أى قادح ولما كان تحفة كل لطيف أديب وبغية كل ظريف نجيب اهتمت الكتبخانة الخديوية المصرية بطبعه رغبة فى عموم نفعه بالمطبعة الكبرى الزاهية الزاهرة ببولاق مصر القاهرة فتم طبعه والحمد لله والفضل كله لله وبرز محببا بهذا الجمال ما نسابين عشاقه فى حلل الكمال ❁ فى ظل الحضرة الفخيمة الخديوية وعهد الطلعة المهيبة الداوريه من بلغت به رعيته غاية الأمانى أفندينا المعظم (عباس باشا حلمى الثانى) أدام الله أيامه ووالى على رعيته إنعامه ملحوظا هذا الطبع الجميل على هذا الشكل الجليل بنظر من عليه أخلاقه تثنى حضرة وكيل المطبعة الاميريه محمد بك حسنى فى أوائل جمادى الاولى سنة خمس عشرة بعد ثلثمائة

وألف من هجرة من خلقه الله على أكمل وصف

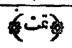
صلى الله عليه وسلم وعلى آله

وصحبه وشرف

وكرم

(فهرست الكتاب)

المشار


تمت

(اصلاح خطأ)

صحيفه	سطر	خطا	صواب	صحيفه	سطر	خطا	صواب
١٤	٢٢	لحم	لخم	٢٠٨	٨	يدعون	يدّعون
٣٧	١٦	الخديوى	الخديو	٢٦٢	٢٥	لباث	لبات
٣٩	٢٧	الحزب	الحزن	٢٦٤	٢٠	يحبها	يحبها
»	٢٨	حولهسما	حولهما	٢٨٦	٧	كائبة	كاتبة
٥٢	٦	التجوم	النجوم	٢٨٨	١٦	اختفال	احتفال
٥٣	١٣	واقتز	واقبر	٢٩٣	١١	يحول	تحول
»	٢٤	بأيدى	بأيد	٢٩٥	٢	بانفاق	باتفاق
٥٤	٣	مرّاكش	مرّاكُش	٣١٤	١١	الافطار	الاقطار
٥٦	٨	المتقتين	المتقنين	»	١٢	الافتدار	الاقتدار
»	٢١	على	عن	٣٣١	٣	النطر	النظر
٧٧	٧	المريح	الريح	٣٣٦	١	الأُسُدّ	الأَسَد
٨٣	١١	سرى	مسرى	٣٦٤	١٠	النفاح	التفاح
٨٧	٤	يخض	يحض	٣٧٧	١٥	بنتبع	بتتبع
٩٥	٥	ولبنفسج	البنفسج	٣٩٠	٢٠	جدعة	جذعة
١٢٤	٢٩	اللسانه	اللُّبانه	٣٩٢	٢٥	عماأنصرمنه	عماأنصربه
١٣٤	٢٨	بستقبل	يستقبل				
١٣٥	٣	اماجيه	اناجيه	٤٤٣	٥		
١٣٩	١٦	اثنى عشر	اثناعشر	٤٤٦	١٩		
»	٢٢	ويانا	وبانا				
»	٢٩	كاب	كتاب				
١٤٦	٧	كنب	كتب				
١٤٩	١	موس	مويس				
١٦٦	١٥	بالرحة	بالرحمة				
١٩٥	٦	البرانج	البرابخ				
١٩٨	٢١	الفناطر	القناطر				

